شرح الفوائد

تسع عشرة فائدة في حكمة أهل البيت

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

المجلد الأول

إعداد وتحقيق

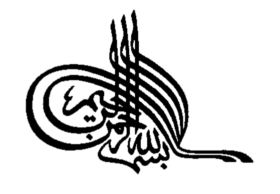
الشيخ راضي ناصر السلمان

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا



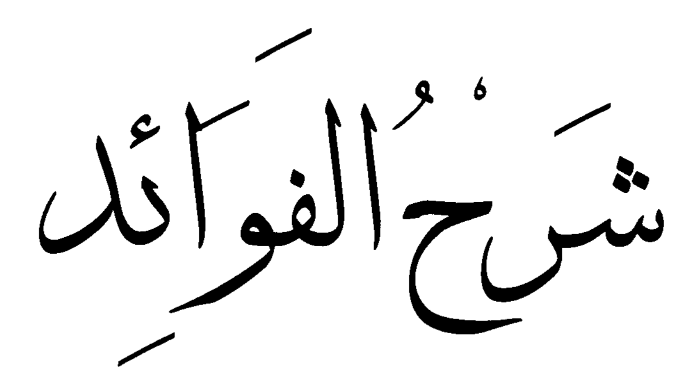
شَرحُ الفوائِد

في حكمة أهل البيت عليهم السلام



﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾

– سورة البقرة : ٢٦٩ –



شرح الفوائد

في حكمة أهل البيت عليهم السلام

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

(المجلد الأول)

إعداد وتحقيق

الشيخ راضي ناصر السلمان الأحسائي

شارك في مراجعة الكتاب:

الشيخ سعيد القريشي - الشيخ مجتبى السماعيل - الشيخ صالح الدباب

وأنا قد ذكرتها على نحوٍ، ما عثر عليه الحكماء، ولا وقف عليه العلماء؛ لأنَّهم يأخذون تحقيقات علومهم بعض عن بعض.

وأنا لمَّا لم أسلك طريقهم، وأخذت تحقيقات ما علمت عن أئمّة الهُدى عليهم السلام؛ لم يتطرّق على كلماتي الخطأ؛ لأنّي ما أثبتُّ في كُتبي فهو عنهم.

وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ، والغفلة والزلل، ومن أخذ عنهم لا يُخطىء؛ من حيث هو تابع، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾.

سورة سبأ، الآية: ١٨.

من مقدمة المؤلف – ص: ١٩٢

الإهداء:

السلام عليك..

يا غريب الغرباء..

ويا ضامن الجنة..

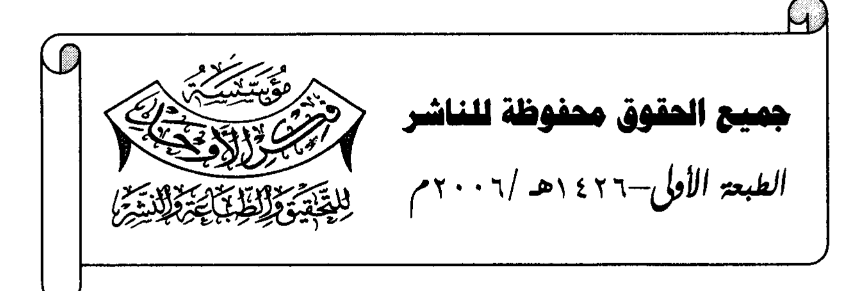
يا علي بن موسى الرضا عليه السلام

إليك أُهدي هذا العمل المتواضع،

راجياً منك القبول والشفاعة..

خادمكم

راضي ناصر الأحسائي



جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى-١٤٢٦هـ /٢٠٠٦م

هوية الكتاب

📖 اسم الكتاب: شرح الفوائد في حكمة أهل البيت عليهم السلام.

📖 اسم المؤلف: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

📖 إعداد وتحقيق: الشيخ راضي ناصر السلمان الأحسائي.

📖 طباعة ونشر: مؤسسة فكر الأوحد قدس سره.

📖 مكان الطباعة: بيروت - لبنان.

الموزع الرئيسي لإصدارات مؤسسة فكر الأوحد قدس سره

مكتبة الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره - سوريا - السيدة زينب عليها السلام

هاتف نقال: (٠٠٩٦٣٩٣٣٠٦٧٦٦) - ص.ب: (٢١٣).

الأحساء: (٠٠٩٦٦٥٠٠٨٥٨٥١٣) - ص.ب: (٣١٩٨٢).

الموقع الإلكتروني: *www.FikrALawhad.net*

البريد الإلكتروني: *Radi@FikrALawhad.net*

تقريظ الحكيم الإلهي آية الله الميرزا عبد الله الإحقاقي (دام ظله)

بسمه تعالى

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

تحقيق الحاضر الذي جمعه الأخ الفاضل الشيخ راضي السلمان حول شرح الفوائد من تأليفات شيخنا الأوحد في حكمة أهل البيت عليهم السلام وفوائدها، تحقيق ممتاز والطلب من الله تبارك وتعالى أن يستفيد المؤمنون والمؤمنات من هذه المجموعة المباركة، بشكل جيد، إن شاء الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادمكم

ميرزا عبد الله الحائري

الإحقاقي

١١/٦/١٤٢٥

كلمة الناشر:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(موسوعة شرح الفوائد في حكمة أهل البيت عليهم السلام)؛ ذلك الحلم الذي ظل يداعب أفئدة محبي الحكمة منذ زمن بعيد، وكنا نحسب أن القدر لم يشأ أن تتم ولادته الجديدة بعد، لا سيما بعد أن رأينا مصير خطوات العديد من الأخوة -الذين رغبوا في نيل شرف تحقيقه وطباعته- إلى التأجيل أو التَّوقف، ومع كل تلك الصعوبات والعقبات؛ قررنا الاستمرار في إنجازه وتهيئته، علَّنا نوفَّق لِمَا لم يوفَّق إليه غيرنا.

وهذا ما كان بالفعل، حيث تم إدخال هذا العمل إلى غرفة خبير في مجال تجميل المخطوطات، ألا وهو سماحة الشيخ راضي ناصر السلمان الأحسائي (أيده الله تعالى)، فأخرج الكتاب بحقٍّ آيةً جماليةً، بعد أن أجرى لَه عدَّة من العمليات التجميلية، من مطابقةٍ وتحقيقٍ، وعنونةٍ وفهرسةٍ، وجمعٍ للمتفرقات وغير ذلك.

ولعل البعض قد سمع اسم هذا الكتاب، ولم يعرف عنه الكثير، لعدم توفر الكتاب للاطلاع، إلا بنُسخٍ مخطوطة نادرة الوجود، ولكن اليوم وبحمد الله فإن الكتاب بين يديك الكريمتين، وباستطاعتك أن تقرأه

لتعرف قيمته العلمية، ولا نريد أن نستبق الأحداث في تعريفه لك، فقد تكفل بهذه المهمة سماحة الشيخ سعيد القريشي (حفظه الله)، فأعطى القارئ صورة بهية عن الكتاب، بحيث يجعلك تشعر ببرودة معانيه تتسرب إلى زوايا قلبك، فتجعلك تحث الخطى للوصول إلى متنه.

ومما زاد في جمالية الكتاب البحث الذي صاغه يراع فضيلة الشيخ مجتبى السماعيل (حفظه الله)، حيث أثبت أن الشيخ الأحسائي قدس سره لم يكن قط بمعزل عن أصالة الفكر الشيعي؛ وذلك عندما أتى بنماذج من علمائنا الأفاضل الذين كان لهم نفس التوجه الذي كان يصرُّ عليه الشيخ الأحسائي، وهو منهج الحكمة الإلهية، التي لا تؤخذ إلا من حياض محمد وآله الطاهرين عليهم السلام.

وبهذه الجهود المتضافرة خرجت هذه الموسوعة الغراء لترى النور من جديد، ولتعم فائدتها على جميع المتعطشين للارتواء من نميرها العذب.

ونتقدم بوافر الشكر لكل من ساهم بكثير أو قليل في إنجاح هذا العمل، ونلتمس الدعاء من إخواننا المؤمنين لمواصلة الجهود على هذا الطريق.

مؤسسة فكر الأوحد قدس سره
للتحقيق والطباعة والنشر
١٧ - ٨ - ١٤٢٦هـ

مقدِّمة المحقِّق:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم الحكيم، والصلاة على رسوله الأمين الكريم، وآله الطيبين الأطهار الميامين.

العلم والمعرفة؛ أسمى الغايات التي من أجلها خلق الباري (جل علاه) خلقه، فلا سبيل إلى الوصول لحقيقة العبادة وجوهرها؛ التي أمر وحث إليها عباده إلا بالمعرفة.

ومنه تبرز أهمية ذلك الزخم الهائل من الروايات في الحث على طلب العلم والمعرفة، ومنها قول أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام: **«إنَّ اللهَ مَا خَلَقَ العِبَادَ إلَّا لِيَعْرِفُوْهُ، فَإذَا عَرَفُوْهُ عَبَدُوْهُ، فَإذَا عَبَدُوْهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِه عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاه»**[1]، بل قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: **«إنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ، فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ؛ كَأَنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ هَكَذَا ضَلَالًا..»**[2].

---

(١) كنز الفوائد، ج: ١، ص: ٣٢٨. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٩. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٣١٢.

(٢) الكافي، ج: ١، ص: ١٨٠. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ١١٦. بحار الأنوار، ج: ٢٧، ص: ٥٧.

۞ أقسام العلوم الإسلامية:

والعلوم -كما صنَّفها علماء الإسلام- ثلاثة أقسام[١]:

الأول: علم الشريعة أو الفقه؛ وفيه تُبحث المسائل المرتبطة بالأعمال الشرعية التي يُلزم المكلف القيام بها، وكيفيتها وحدودها، من قبيل: الصلاة، الصوم، الحج، الجهاد، الأمر بالمعروف، البيع، النكاح، تقسيم الإرث وغيرها.

الثاني: علم الطريقة أو الأخلاق؛ وفيه تُبحث مسائل التعاليم التي تصوغ الإنسان من ناحية الصفات المعنوية، والخصائص الروحية، من قبيل: العدالة، التقوى، الشجاعة، العفة، الكرم، الاستقامة، الصدق، والأمانة وغيرها.

الثالث: علم الحقيقة أو العقائد؛ وفيه تُبحث المسائل والمعارف الاعتقادية، التي يجب التعرف عليها، والاعتقاد بها، كمسألة التوحيد، وصفات الله، والنبوة العامة والخاصة، والإمامة، والمعاد، وغيرها.

---

(١) وقد أشار النَّبيُّ ﷺ إلى هذا التقسيم فقال: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ؛ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ**»، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ٣٢. وسائل الشيعة، ج: ١٧، ص: ٣٢٧. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٧٩. ويشمل هذا التقسيم متن الإسلام، دون العلوم الأخرى التي تبحث في المقدمات؛ كالأدبيات والمنطق وغيرها.

وبعبارة أخصر: إن جهة ارتباط التعاليم الإسلامية بالإنسان قد أُخذت بعين الاعتبار في هذا التقسيم، فالمسائل التي ترتبط بعقل الإنسان وفكره سُمِّيت بـ(العقائد)، وتلك الأمور التي ترتبط بخُلقه وروحه سُمِّيت بـ(الأخلاق)، وأما ما يرتبط بعمله فقد أعطي اسم (الفقه).

۞ أهم العلوم وأشرفها:

ولكن السؤال المهم الذي يجدر بنا طرحه هنا -انطلاقاً من قول أمير المؤمنين عليه السلام: **«العُمْرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَعْلَمَ كُلَّ مَا يَحْسُن بِكَ عِلْمُهُ فَتَعَلَّم الأَهَمَّ فَالأَهَم»**[١]-: أيُّ هذه العلوم هو الأهم، والأولى، والأشرف، والمقدَّم على غيره من تلك العلوم؟.

الجواب: أن شرف العلم بشرف موضوعه، وقد قال الباري عزّ وجلّ: **«كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف؛ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ لِكَي أُعْرَف»**[٢].

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ما رأس العلم؟. قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«مَعْرِفَةُ اللهِ حَقَّ مَعْرِفَتِه..»**[٣]. وقال -أيضاً- صلى الله عليه وآله وسلم: **«أَفْضَلُ العِلْمِ لَا**

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٦٢.

(٢) شرح توحيد الصدوق، ج: ٤، ص: ٤٠. جامع الأسرار، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٩٩- ٣٤٤.

(٣) التوحيد، ص: ٢٨٤-٢٨٥. جامع الأخبار، ص: ٥. مشكاة الأنوار، ص: ١٠. منية المريد، ص: ٣٦٦-٣٦٧. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ١٤.

إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الاسْتِغْفَار، ثم تلا رسول الله ﷺ: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾**[١] ..»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ..**»[٣].

وعَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عزّ وجلّ مَا مَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا مَتَّعَ اللَّهُ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، وَكَانَتْ دُنْيَاهُمْ أَقَلَّ عِنْدَهُمْ مِمَّا يَطَؤُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ، وَلَنُعِّمُوا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ عزّ وجلّ وَتَلَذَّذُوا بِهَا تَلَذُّذَ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي رَوْضَاتِ الْجِنَانِ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.**

إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ عزّ وجلّ آنِسٌ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَصَاحِبٌ مِنْ كُلِّ وَحْدَةٍ، وَنُورٌ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ، وَقُوَّةٌ مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ، وَشِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُقْمٍ..»[٤].

وقال الشهيد الثاني قدس سره في منيته: (إذا تعددت الدروس؛ فليقدم منها الأشرف فالأشرف، والأهم فالأهم، فيقدم أصول الدين، ثم التفسير، ثم الحديث، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم النحو، ثم المعاني..)[٥].

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) جامع الأخبار، ص: ٥٠. بحار الأنوار، ج: ٩٠، ص: ٢٨٢.

(٣) الكافي، ج: ١، ص: ١٤٠. التوحيد، ص: ٥٦. الاحتجاج، ج: ١، ص: ١٩٩. عوالي اللآلي، ج:٤، ص:١٢٦. نهج البلاغة، ص:٣٩. نهج الحق، ص:٦٥.

(٤) الكافي، ج: ٨، ص: ٢٤٧.

(٥) راجع: منية المريد، ص: ٢١١، القسم الثالث؛ آداب المُعلم في درسه.

ومِمَّا يُبرز أهمية البحث في علوم العقائد وأصول الدين؛ أن الشارع المقدَّس لم يقبل من المكلف أن يُقلِّد في نتائج هذا العلم، ويأخذها تعبُّداً بدون أدنى بحث واستدلال، كما هو الحال في العلوم الأخرى.

بل إنَّ فقهاءنا أجمعوا على عدم جواز التقليد في المسائل الاعتقادية (أصول الدين)، ولا بالظن الحاصل من أقوال الناس، بل لابد من اليقين والإيمان بالدلائل والبراهين العقلية، والآثار الآفاقية والأنفسية، ولو بطريق الإجمال.

۞ علم الكلام، نشأته، وتطوره:

الحق: أنَّ عرض الأفكار العقلية العميقة في المعارف الإسلامية قد حصل لأول مرة على يد أمير المؤمنين عليه السلام في خُطبه ودعواته ومذكراته، فكان أول من تحدث عن الله وصفاته، والحدوث والقدم، والبساطة والتركيب، والوحدة والكثرة، وغيرها من المسائل العميقة، التي ذُكرت في نهج البلاغة والروايات المُسندة للشيعة.

وقيل: أنَّ أول من ألف كتاباً في هذا المجال من بين علماء الشيعة؛ هو علي بن إسماعيل بن ميثم التَّمار، وميثم التمار كان أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان خطيباً ومحدثاً عظيماً[1].

---

(١) قال الشيخ الطوسي قدس سره: (عليٌّ هذا؛ أول من تكلم على مذهب الإمامية، وصنف كتاباً في الإمامة سماه الكامل، وله كتاب الاستحقاق "رضي الله عنه").

←...

ومن بين أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كان هناك مجموعة يُطلق عليهم عنوان المتكلمين، من مِثل: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وحُمران بن أعين، وأبو جعفر الأحول المعروف بـ"مؤمن الطاق"، وقيس بن الماصِر، وغيرهم.

وكانت هذه الطبقة تعيش في النصف الأول من القرن الثاني، تربَّت على يد عدة من الأئمة عليهم السلام - من أبرزهم الإمام الصادق عليه السلام- وحصلوا منهم على التشجيع والدعم المتواصل في الكثير مما روته لنا آثار أهل البيت عليهم السلام(١).

...←

[الفهرست؛ للطوسي، ص: ٨٧. وللاطلاع على بعض مناظراته راجع: الفصول المختارة، ص: ٦٩-٧٠].

(١) في رواية طويلة نأخذ منها قدر الحاجة؛ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَوَرَدَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ صَاحِبُ كَلَامٍ وَفِقْهٍ وَفَرَائِضَ، وَقَدْ جِئْتُ لِمُنَاظَرَةِ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: **«... يَا حُمْرَانُ كَلِّمِ الرَّجُلَ، فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ. ثُمَّ قَالَ: يَا طَاقِيُّ كَلِّمْهُ، فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ الْأَحْوَلُ. ثُمَّ قَالَ: يَا هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ كَلِّمْهُ، فَتَعَارَفَا. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِقَيْسٍ الْمَاصِرِ: كَلِّمْهُ، فَكَلَّمَهُ، فَأَقْبَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِمَا مِمَّا قَدْ أَصَابَ الشَّامِيَّ..»**.[الكافي، ج: ١، ص: ١٧١-١٧٢. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٦٥. الإرشاد، ج: ٢، ص: ١٩٥. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ٢٣، ص: ١٠].

وكان الإمام الرضا عليه السلام يشترك شخصياً في المناظرات التي كان يُقيمها المأمون، ويجتمع فيها المتكلمون من سائر الفِرَق[١].

والفضل بن شاذان النيشابوري، الذي كان من أصحاب الإمام الرضا، والإمام الجواد، والإمام الهادي عليهم السلام؛ كان فقيهاً ومحدثاً ومتكلماً أيضاً، وقد ألف العديد من الكتب في الكلام[٢].

كل ذلك يدل على أن الأئمة الأطهار عليهم السلام لم يتصدوا لوحدهم لعلم الكلام، وإنما ربوا مجموعة من العلماء في مدرستهم.

ومما يشعُرنا بأهمية هذا النوع من العلم، ويُثبت ما أكدناه سابقاً من تسنمه الرتبة العليا بين أخويه؛ أنَّ (هشام بن الحكم كان بارزاً ومتفوقاً في علم الكلام دون الفقه أو الحديث أو التفسير، وعندما كان شاباً كان

---

(١) للاطلاع على مناظرات الإمام الرضا عليه السلام، واحتجاجه على أرباب الملل المختلفة والأديان المتشتتة في مجلس المأمون وغيره، راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، الباب: (١٢)، ص: ١٥٠، وما بعده. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٦، وما بعدها. بحار الأنوار، ج: ١٠، الباب: (١٩)، ص: ٢٩٩، وما بعدها.

(٢) قال الشيخ الطوسي قدس سره: (**الفضل بن شاذان النيشابوري:** فقيه متكلم، جليل القدر، له كتب ومصنفات، منها: كتاب المسائل الأربع في الإمامة.. وكتاب في إثبات الرجعة، وكتاب التوحيد من كُتب الله المنْزلة الأربعة، وكتاب النقض على من يدعي الفلسفة في التوحيد والأعراض والجواهر والجزء.. وكتاب التنبيه في الجبر والتشبيه، وله غير ذلك مصنفات كثيرة لم تعرف أسماؤها..).[الفهرست؛ للطوسي، ص: ١٢٤-١٢٥].

الإمام الصادق عليه السلام يُكرمه أكثر من بقية أصحابه، ويُقرِّبه إليه، والجميع متفقون في هذا الرأي؛ وهو أن سبب إكرامه كان فقط لأجل علمه بالكلام[(١)].

وكان الإمام الصادق عليه السلام في الواقع يُريد من خلال تقديم هشام المتكلِّم على سائر علماء الحديث والفقه؛ أن يرفع من قيمة الأبحاث العقائدية، ويضع علم الكلام فوق رتبة الفقه والحديث)[(٢)].

---

(١) **هشام بن الحكم**: كان من خواص الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكانت له مباحث كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها، وله من المصنفات كتب كثيرة، منها: كتاب الإمامة، وكتاب الدلالات على حدوث الأشياء، وكتاب الرد على الزنادقة، وكتاب الرد على أصحاب الاثنين، وكتاب التوحيد..، وكتاب الرد على أرسطاطاليس في التوحيد، وكتاب الرد على المعتزلة، وكتاب الألفاظ.

وكان هشام يكنى أبا محمد، كوفي وتحول إلى بغداد، ولقي أبا عبد الله جعفر بن محمد، وابنه موسى عليهما السلام، وله عنهما روايات كثيرة، وروي عنهما فيه مدائح له جليلة، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب.

وعن داود أبي هاشم الجعفري قال؛ قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في هشام بن الحكم؟، فقال: «**رَحِمَهُ اللهُ، مَا كَانَ أَذَبَّهُ عَنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ**». راجع لأحواله: الفهرست؛ للطوسي، ص: ١٧٤-١٧٥. رجال ابن داود، ص: ٣٦٧. رجال العلامة الحلي، ص: ١٧٨. رجال الكشي، ص: ٢٥٥.

(٢) التعرف على العلوم الإسلامية، (علم الكلام)، من ص: ٥٣، وما بعدها (بتصرف).

۞ مدرسة الشيخ الأحسائي تَتِّئُ واهتمامها بهذا العلم:

بعد هذه الإطلالة التاريخية الخاطفة حول (علم الحقيقة، أو العقيدة، أو الحكمة، أو الكلام) -مّا شئت فعبِّر-؛ صار من الواضح جداً سبب اهتمام علمائنا الأعلام في فترة ما بعد الغيبة الصغرى خصوصاً؛ بالكتابة والتصنيف في هذا العلم، بدءً من الخواجة نصير الدين الطوسي، والعلامة الحلي إلى غيرهما من العلماء.

ولن نكون بعيدين عن الصواب إن قلنا: أن من أهم المدارس التي أمدَّت مكتباتنا العقائدية بزخمٍ هائلٍ من المؤلفات؛ هي مدرسة الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي تَتِّئُ، فقد أسس مدرسة شامخة من مدارس الحكمة، التي ارتكزت انطلاقتها على ثلاث ركائز رئيسية:

الأولى: الاهتمام بهذا العلم أكثر من غيره، والتأليف فيه بقدر الإمكان، وما ذاك إلا فطنة من علماء هذه المدرسة للنصوص السابقة؛ التي شجع فيها أئمتنا عليهم السلام على تقديم وافر الاهتمام به.

الثانية: الاكتفاء وحصر الاستمداد من منابع هذه المعارف بالقرآن الكريم وأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام؛ لكونهم عدل القرآن، وكلامهم نور، وهم العيون الصافية، التي من لم يشرب منها وقع في الكدرة لا محالة.

الثالثة: تقويم كل ما وصل من كتابات ومصنفات المدارس الأخرى؛ التي اختلطت فيها كلمات فلاسفة اليونان بكلمات أهل البيت،

وعرضها على القرآن وكلماتهم عليهم السلام، وإخراج عقيدة نظيفة ومنقّاة بماء عيونهم الصافية.

۞ الشيخ الأحسائي قدس سره وموقفه من الفلاسفة المتقدّمين:

وهنا أرى من اللازم الإشارة إلى أمرٍ في غاية الأهمية: وهو أن الالتزام بما سبق ليس معناه قدحٌ في جميع الحكماء السابقين -حاشا وكلا- بل إن الشيخ الأحسائي قدس سره يُأكد على أن: (الحكمة محفوظة بالوحي النازل على الأنبياء "صلوات الله عليهم"، وتلقّوها الحكماء المتقدمون عنهم)، إلا أن ما يمنعه من اقتفاء ذلك الموروث النبوي أمران:

الأوَّل: أنهم (انفردوا عن الأخذ منهم -أي: من الأنبياء- كما جرى للمشائين والرَّواقيّين، فإنَّهم ربما فهموا من تلقاء أنفسهم أشياء لا تجري على قواعد وحي الله سبحانه، وخصوصاً حكماء الإسلام لتلك العلَّة).

والثاني: (لأنَّ المترجمين لكلامهم المكتوب في كتبهم باليونانية ربما ترجموا كل لفظة على حدة، فيقع الغلط والخطأ، إذ قد يكون المعنى لا يتأدَّى إلا بالمجموع).

وكمثال على ذلك يقول الشيخ الأحسائي قدس سره: (كما لو ترجمت قول الفارسي: "قسم بخور"، فقلت: "قسم" بمعنى: اليمين، و"بخور" بمعنى: كل؛ فإنَّه يبطل المعنى، ويكون غير مراد الفارسي؛ لأنَّ مراده: "إحلف"، وعلى ترجمتك يكون المعنى: "كلّ اليمين".

فلما كَثُرَ الخطأ من اجتهاد الحكماء من أنفسهم من غير أخذه من قواعد الوحي كما نزل، بل ربما فرَّعوا عليه ما لا يدخل تحت قواعده، ومن الخطأ في الترجمة، ومن تجويز سوء الفهم؛ اختلف رأي المتقدمين مع المتأخِّرين)[١].

وبالإضافة إلى استغناء أمة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عن غيرها من الأمم، واكتمالها بالقرآن الكريم الذي فيه تبيان كل شيء، واختزال كل تلك العلوم في الإمامِ المبين الذي قال عنه الباري عزّ وجلّ: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾**[٢]، يجد الشيخ الأحسائي قدّس سرّه نفسه غير مُلزم بالرجوع إلى ذلك الموروث الذي عكَّرته تلك الأسباب، **﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾**[٣]؟!.

من هذا المنطلق أثبت -وبكل ثقة وجرأة- كلمته الشهيرة، حين قال عن المطالب التي أبدعها في كتابه (الفوائد): (وأنا قد ذكرتها على نحوٍ مَا عثر عليه الحكماء، ولا وقف عليه العلماء؛ لأنَّهم يأخذون تحقيقات علومهم بعض عن بعض.

---

(١) راجع الفائدة (الحادية عشر) من هذا الكتاب، ج: ٢، ص: ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٢. وفي تأويل هذه الآية ورد بألفاظ مختلفة مضمون ما عن صالح بن سهل قال؛ سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾**، قال: «**فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام**».[تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٤٧٧. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ١٥٨].

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

وأنا لّما لم أسلك طريقهم، وأخذت تحقيقات مَا علمت عن أئمَّة الهُدى عليهم السلام؛ لم يتطرَّق على كلماتي الخطأ؛ لأنِّي ما أثبتُّ في كُتبي فهو عنهم، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ، والغفلة والزلل، ومن أخذ عنهم لا يُخطىء؛ من حيث هو تابع)[1].

۞ تنوع مصنفات أعلام المدرسة وعمقها:

وكمصداق واضح وجلي لكثرة ما ألفه عميد هذه المدرسة في هذا الفن، يُمكننا تصنيف ما كتبه على أربع مستويات:

المستوى الأوَّل: كتابة الرسائل المبسطة (في بعض ما يجب على المكلفين من معرفة أصول الدين..وما يلحق بها، بالدليل ولو إجمالاً، لا بالتقليد على ما يظهر من ذلك، مما يحتمله عوام الناس)[2].

وهذا ما ضمَّنه الشيخ الأحسائي قدس سره في مقدمة كتابه: (حياة النفس)، وكذا تلميذه السيد الرشتي قدس سره في كتابه: (أصول العقائد)، ودرج عليه تباعاً غالب مراجع هذه المدرسة إلى يومنا المُعاصر.

المُستوى الثاني: شرح ونقد وتقويم مؤلفات أعلام المدارس السابقة لعصره، كما في شرحه قدس سره على كتابي: (المشاعر والعرشية).

---

(١) راجع مقدمة شرح المصنف على فوائده في هذا الكتاب، ج: ١، ص: ٢٢٨.

(٢) حياة النفس، ص: ٨٦.

ولذا قال في مقدمته على شرح المشاعر: (قد أمرني من تجب طاعته عليَّ -من طالبي الحق واليقين- أن أكتب على كتاب الملا محمد صدر الدين الشيرازي -تجاوز الله عنه- المُسمَّى بالمشاعر؛ كلمات تبيِّن منه الغث من السمين، وتوضح الحق على طريقة أهل الحق المبين، محمد وآله الطاهرين "صلى الله عليه وعليهم أجمعين")[١].

المستوى الثالث: تأسيس المنهج الخاص به في طرح بحوث هذا العلم، واستعراض مطالبه بشكل جديد، وعناية فائقة.

وبرز هذا المستوى غايةً الوضوح في كتاب (الفوائد)؛ ليكون هو وشرحه له بعد ذلك محور دروس بحث الخارج في الحكمة لسلسلة تلامذته من بعده.

ولذا يقول تلميذه الرشتي قدس سره: (كَتَبَ هذا الكتاب؛ وهو موجزٌ مختصر، لكنه جامع للأمور العامة مما يتعلق بالوجودات الثلاثة، من الوجود الحق، والوجود المطلق، والوجود المقيَّد، وقال في أول هذا الكتاب: "إنِّي لَمَّا رَأَيْتُ كَثِيْراً مِنْ الطَّلَبَة يَتَعَمَّقُوْنَ فِيْ المَعَارِفِ الإِلَهِيَّة، وَيَتَوَهَّمُوْنَ أَنَّهُمْ تَعَمَّقُوْا في المَعْنَى المَقْصُوْد، وَهْوَ تَعَمُّقٌ فِيْ الأَلْفَاظ لَا غَيْر، رَأَيْتُ أَنَّهُ يَجبُ عَلَيَّ أَنْ أُرَوِّعَهُمْ بِعَجَائِب مِنَ المَطَالِب، لَمْ يُذْكَرْ أَكْثَرُهَا فِيْ كِتَاب، وَلَمْ يَجْرِ ذِكْرُهَا فِيْ خِطَاب، وَيَكُوْنُ ذَلِكَ بِدَلِيْلِ الحِكْمَة.. إلى آخره".

---

(١) شرح المشاعر، ص: ٢.

وذكر في آخره: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا التِّكْرَارُ فِي العِبَارَاتِ وَالتَّرْدِيْدُ؛ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّفهُّم، وَلَوْ هَذَّبْتُ العِبَارَةَ، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى الإِشَارَة، لَكَلَّت البَصَائِرُ، وَانْسَدَّت المَذَاهِبُ إِلَى هَذِهِ المَطَالِب، وَمَعَ هَــذَا فَــإِنْ عَرَفْــتَ فَأَنْــتَ أَنْتَ"..)[1].

المستوى الرابع: لَمَّا كانت جملة من المباحث التي طرحهــا الــشيخ الأحسائي قدس سره جديدة العرض، مُبدعة المَنهج، غضة الطرح، استخدم فيها مصطلحات مبتكرة؛ توالت رسائل العلماء والطلبــة إليــه، تــستوضح وتستفهم عن بعض ما لم يألفوه من مباحث ومصطلحات.

حتى أنَّ أحداً من أبرز العلماء من مرافقيه يصرُّ عليه مرةً بعد أخرى ليشرح كتابه الفوائد، بل ويُقنع الشيخ المؤلف قدس سره: (أنَّ هذا أمرٌ واجبٌ؛ لتوقُّف الانتفاع بها، وفهم عباراتها عليه)[2]، وحتى بعد شرحه الموسَّع؛ لم تنقطع بعض الرسائل من مُتلهِّفي فهم مطالبه، وغيرهــا مــن الكتــب والمصنَّفات، وقد وصف السيد الرشتي قدس سره هذا الشرح بقوله:

(ومنها: شرح جنابه على الفوائد؛ أوضح معانيها، وشرح مبانيها؛ إجابة لالتماس المولى الأمجد؛ الملا مشهد)[3].

---

(١) دليل المتحيرين، ص: ١٤٢.

(٢) راجع مقدمة شرحه على الفوائد في ما يأتي.

(٣) دليل المتحيرين، ص: ١٤٢.

۞ بين يدي هذه الموسوعة الحكمية:

ومع أنَّ الكثير من تلك المصنفات لم تُنتشل من طبعاتها الحجرية القديمة، إلا أن أملاً طالما كان يراود المتفائلين من محبي هذه المدرسة بأن يأتي يوم بروزها وتألقها عاجلاً أو آجلاً.

وها نحن اليوم نوفَّق -بحولٍ من الله وقوته- أنْ نجمع في هذه الموسوعة الحكمية -التي بين يدي القارئ الكريم- ثلاث كتبٍ رئيسية:

١) **متن كتاب الفوائد**؛ والذي يحتوي على: (اثني عشر فائدة في حكمة أهل البيت عليهم السلام)، وقد انتهى منها مؤلفها في الليلة التاسعة من شهر شوَّال، سنة: (١٢١١هـ).

وهذا الكتاب وإن كانت عباراته سينقلها المصنف مُبضَّعةً ضمن شرحه الآتي، إلا أن وضعنا له في صدارة هذا الكتاب لعدة اعتبارات، منها: أ) كونه كتاب مستقل معدود من تراث مؤلفاته قدس سره.

ب) باعتباره فهرس مُجمل لمن أراد أن يطلع على مطالب الكتاب.

ج) إدراك ما عاناه القرآء من صعوبة في فكِّ رموزه، ومدى ما أسداه المؤلف قدس سره من خدمة جليلة بشرحه.

٢) **كتاب شرح الفوائد**؛ حيث شرح فيه المؤلف تلك الفوائد شرحاً مبسوطاً، وختمه بقوله قدس سره: (هذا آخر ما كتبت من الفوائد، وبيانه آخر ما أردت من البيان والتَّعليق على هذه الفوائد، حيث أنها لا

تُعرف إلا بتعريف منِّي؛ لبُعدها عن إدراك الأوهام، وبنائها على معاريض الكلام، من حكمة الأئمَّة الأعلام "عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام")[1].

انتهى منه في الليلة التَّاسعة، من شهر شوال، سنة: (١٢٣٣هـ).

٣) **مُلحقات شرح الفوائد**؛ وتشتمل على سبع فوائد بدى للمؤلف أن يُلحقها بالكتاب بعد إذ، لتكتمل الفوائد (تسع عشرة) فائدة، فكان لابد أن يلتئم شملها في موسوعتنا هذه.

وحتى تكتمل لآلئ عقدنا الفريد، أدرجنا إلى الملحقات رسالةً أرسلها الشَّيخ رمضان بن إبراهيم؛ يستفسر من المؤلف عن بعض عبارات هذا الكتاب ومسائل أخرى في نفس المضمار، أنهى الإجابة عنها المؤلف في اللَّيلة السَّابعة والعشرين من شهر جمادى الأوْلى، سنة: (١٢٣٥هـ).

وإضافة إلى ما أفرغناه من الوسع في الإعداد والتحقيق الذي عهده منَّا القارئ العزيز؛ آثرنا -في هذا الإصدار، خدمة لزملائنا الباحثين- ختم هذا الجهد المتواضع بما رأيناه نافعاً لهم من مختلف الفهارس الفنية المفصَّلة.

---

(١) راجع الفائدة (الثانية عشر) من هذا الكتاب، ج: ٢، ص: ٤٧٩.

۞ أملٌ ورجاء، وشكر وختام:

آملاً أن تكون هذه الحلة الجديدة لائقة لفخامة ما تحويه من معارف إلهية، ودرر أهل بيت العزة النبوية عليهم السلام، راجين الدعاء من كل ناظرٍ إليها ومستفيد، ومُسبغاً الشكر الجزيل لكل من ساهم بقليل أو كثير، وأخصُّ مولانا المعظَّم الحكيم الإلهي آية الله الميرزا عبد الله الإحقاقي (دام ظله الوارف)، وكذا الإخوة المشائخ الأعزاء، الذين ساهموا في مراجعة وتدقيق هذه الموسوعة المباركة.

وأذكر بالخصوص منهم:

فضيلة الشيخ سعيد القريشي (حفظه الله تعالى).

فضيلة الشيخ مجتبى السماعيل (حفظه الله تعالى).

فضيلة الشيخ صالح الدباب (حفظه الله تعالى).

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على محمد وآله الهداة الميامين.

راضي ناصر السلمان الأحسائي

فجر ذكرى وفاة باب الحوائج عليه السلام، ومن جوار عقيلة بني طالب عليها السلام

٢٥ - رجب الأصب - ١٤٢٦هـ



نقاط سريعة حول
عملنا في هذه الموسوعة

لم أشأ -كما هي عادتي- أن أطيل في تفصيل خطوات العمل في هذه الموسوعة الفريدة، إذ أردت أن يحكي العمل نفسه ما بُذل من جهد لإخراجه بهذه الحلة، بعد سنين طوال من العمل المكثف، بيد أن قوانين هذا الفن تحتم عليَّ الإشارة إلى النقاط التالية:

١) النُّسخ التي اعتمدت عليها في مُطابقة الكتاب كمايلي:

أ) نسخة متن كتاب الفوائد؛ كتبها (محمد علي الخراساني)، في اليوم العشرين، من شوال سنة: (١٢٨٧هـ)، وتقع في (٩٧) صفحة.

ب) نسخة شرح الفوائد؛ مشتملة على شرح الاثني عشر فائدة، ومُلحقة بها سبع فوائد، كتبها (عبد الرحيم بن حاجي)، في يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام، سنة: (١٢٣٧هـ)، وتقع في: (١٩١) صفحة.

ج) نسخة أخرى لشرح الفوائد؛ مشتملة بالإضافة إلى شرح الاثني عشر فائدة على سبع فوائد، مع شرحٍ للأولى منها، كتبها (محمَّد الموسوي)، وأمر بطباعتها (الميرزا محمد شفيع)، وتمَّت في السابع عشر من شهر ذي القعدة الحرام، سنة: (١٢٧٤هـ)، وتقع في (٣٢٣) صفحة.

د) نسخة رسالة الشيخ رمضان بن إبراهيم، الموجودة ضمن جوامع الكلم، ج: ١، من ص: ١٥٣، إلى ص: ١٦٠، كتبها (أحمد بن محمد التبريزي) في يوم الغدير، سنة: (١٢٧٣هـ).

٢) **إعْدَاد النَّص**: بإدراج كل ما يلزمه من تقطيعٍ للفقرات، وترقيمٍ للجمل، وعناوين مناسبة، وإضافة ما يُقوِّم النَّص -إن احتاج لذلك- بين معقوفتين، وتبديل الرَّسم الإملائي القديم بالجديد، وما إلى ذلك مما يتعلق بإخراج النَّص في أحسن ما يكون.

٣) **توثيق وتحقيق النُّصوص**: وهو إرجاع الآيات إلى مصادرها من القرآن الكريم، وإثبات المصادر التي نُقل عنها ما ورد من روايات، وبالإضافة إلى ذلك؛ لم نقتصر في عملنا هذا على إدراج حركات الآيات، بل وحتى الرِّوايات ومتن كتاب الفوائد كان لها نصيبها من الحركات.

وكذلك نَقْل نص الرِّوايات التي نقلها المصنف بالمعنى، أو نَقَل بعضاً منها طلباً للاختصار، ومجموعة أخرى من الروايات التي تدعم بعض مباحث الكتاب.

٤) فهارس مختصرة نهاية كل مجلَّد، وأخرى تفصيلية موسَّعة، في ختام هذه الموسوعة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً،
حمداً كثيراً دائماً أبداً.

(١)
(ميزات كتاب شرح الفوائد)

بقلم: الشيخ سعيد القريشي (حفظه الله تعالى).

شرح الفوائد إذا أردنا إعطاء تعريف له نقول: هو كتاب إبداعي في الحكمة القرآنية، بقلم العلامة الجليل أحمد بن زين الدين الأحسائي، نابغة الحكماء الربانيين، وباني المدرسة الحكميّة الشيعية الجعفرية من كلمات ساداته عليهم السلام.

إذاً بهذا الوصف نستطيع أن نرسم الجوانب المهمة التي تميّزُ هذا الكتاب، فمن الجدير قوله للقارئ الكريم حين قراءته لهذا الكتاب: أن الكتاب ليس كتاباً عادياً، ولا مكروراً في صفحات سبقته، بل هو إبداع حقيقي، وليس عرضياً في مضمونه، ومصطلحاته وصياغاته، فحيمنا تستهل قراءة مقدمته يفاجئك مؤلفه بأنه سيروعك بجديد المطالب الإبداعية لم تأنسها قبلاً، و لم تذقها في أي بستان آخر.

فهو -أي: مؤلف الكتاب- سيأخذك في رحاب حكمته التي استقاها من ساداته عليهم السلام، فلن تجد في الكتاب أدلة تؤيد وحدة الوجود بإلحادها، ولا أدلة تؤيد بساطة النفوس بساطة تستحيل معها فناؤها، ولا صياغات تشرعن بسيط الحقيقة كل الأشياء، ولا أفكار تشرعن رمي أكثر

تراث أهل البيت في المتحف الفكري بحجّة احترم عقلك وبرهانك، أو قواعد مستوردة تلوي نصوص القرآن والسنة عن دلالاتها الصحيحة، ولن تجد تمجيداً لمشائخ الصوفية، بل ستجد زلالاً عذباً من نمير النحل الذي تحدث عنه القرآن الكريم، والطعام الذي قدمه أئمتنا لمحبيهم، والآن فلنتجول في رحاب صفحات شرح الفوائد لنحدد مميزاته، ونقرأ أفكاره ونستوضح إبداعاته الحكمية:

١) نصيحتي لك قبل القراءة:

قالوا عن شرح الفوائد: (السهل الممتنع)، وأقول عنه: البحر الحكمي الذي لا قعر له، تريد الوصول لقاعه فلا تصل. تسبر قاعه، فيشدك سطحه، وما أن تصل السطح حتى يغريك القاع، فتستمتع بسباحة فكرية من طراز عالٍ لا تجدها في أي بحر فكري.

فهنا في بحر الشيخ الأحسائي اخلع جميع مسبقاتك الفكرية، والخيالات الصوفية، وأوهام البراهين؛ لتقتنص من بحره لؤلؤة الحكمة المحمدية، فأخالك لا ترفض هذه اللؤلؤة إذا كنت محباً شغفاً لتراث أئمتك، فامضِ لا تلتفت لورائك، وامضِ بعقلك وفطرتك ووجدانك وفؤادك، تغنم كنوزاً تغنيك دنياً وآخرة، وإذا لم تصدق فما عليك سوى أن تجرب.

٢) الكتاب جسَّد الجديد بما يحمله المفهوم حقاً:

حينما تلامس أناملك شرح الفوائد للشيخ الأحسائي، ويقع نظرك الكريم على سطوره وحروفه؛ ستجتاح روحك قشعريرة إلهية عذبة، ممزوجة بنكهة الاكتشاف الجديد لأفكار كنت تراها في تراثنا، وتمر عليها مرور الكرام دون أن تلتفت إليها، ويتولد في داخلك السؤال الكبير، كيف لم أرها قبلاً، هل كنت أعمى؟!.

طبعاً عزيزي القارئ ننزهك عن العمى، ولكن كُرِّست جهود وعلى سنين طويلة لتقديم الحكمة اليونانية على أنها هي الحكمة الشيعية، فصار القارئ والطالب لا يجد أمامه سوى النظريات اليونانية والصوفية، التي عفى عليها الزمن، والتي تقدم في طبق الفتوحات العلمية في المجتمع العلمي الشيعي، رغم كونها أصبحت في متحف التأريخ الفكري، إذن كتاب مؤلفنا الذي هزَّ الدنيا، شغل الناس ومَلأَ البصر بإبداعاته الحكمية.

٣) أسلوبه وصياغاته الحكمية:

ومن إبداعات شرح الفوائد، إبداعه النصي بما يتضمنه من صياغة لغوية، وسلاسة حكمية فطرية، ومصطلح جديد، هو في أغلبه من تراثنا، سوى ما دعت الحاجة لعرض الفكرة بلغة عصرها ومصطلحها لتفهم:

أ- **الصياغة اللغوية:** اللغة أعلى إبداع الأمم وذروة نبوغها، وفيها يتجلى فكرها، وإذا قرأت شرح الفوائد يتجلى لك مدى نبوغ الشيخ اللغوي، من حيث أن اللغة أحد مقاييس اختبار ذكاء الأفراد، ومستوى

نضوجهم الفكري، فلغة كتاب شرح الفوائد مطواعة للشيخ الأحسائي، لينة في يديه، يصوغها كما يشاء في قوالبه وتراكيبه، مكنته لغتُه وبلاغتُه في كتاب شرح الفوائد تطويع أفكار معقَّدة في جُمل بسيطة سلسة، ينظمها عِقْداً من اللؤلؤ الحكمي، وإلى جُمَل نظمها تكون موافقة للفطرة البشرية، تحمل في باطن الجُمَل وظاهرها، منطوقها ومفهومها مسحة عقلية، نضحت من تلك القوالب الفطرية، تقنع القارئ الكريم بما تحمله من ثمرات الحكمة القرآنية اليانعة، فتشجعه على هضمها ليقوى بها قلبه، ويشتد نظره نحو مسائل التوحيد الصحيح.

ب- السلاسة الحكمية الفطرية: لا نريد التحدث هنا عن الترتيب المنطقي المعهود للفكرة في عرض النص لها، بل نريد التحدث عن سلاسة وتوافق من نوع مختلف للفكرة في سلّم الاقتناع بها، حين القراءة للنص الإبداعي في شرح الفوائد.

من الجدير بالذكر: إن هذه السلاسة والتوافقية النصية في عرض الفكرة تقوم على ملامسة الفكرة بسطحها وعمقها، مفردها وتوليفها الجُمَلي، جوهر الفطرة الإنسانية الصافية من الشوائب الفكرية، حيث اعتمد فهم النص القرآني، والإيمان به عليها، بمعنى: أن أصحاب المذاق الفلسفي الأرسطي اعتادوا تفسير وعرض النص القرآني وحقيقته من خلال الخلفية الفلسفيَّة الأرسطية كمقياس اختبار صارم يفحم ولا يقنع في أغلبه، كما آمنوا باستحالة المعاد الجسداني المحسوس في الدنيا من خلال الموروث الأرسطي، رغم كونه صرف خيال بشري مهلهل لم تصمد

قاعدته المنطقية أمام ضربات الدليل المتوالية، على العكس من سلاسة التوافقية الفطرية القائمة في تفسير الحقيقة القرآنية على الفطرة البشرية، والحقيقة القرآنية المحكمة بوصفها القناة الحق من الحق.

ج- **الإبداع الاصطلاحي**: الإبداع الاصطلاحي عند الأحسائي في فوائده ينطلق من ركيزتين مهمتين؛ **الأولى**: من اللغة كونها لغة القرآن، وكونها لغة الفكر الإسلامي، وبناء على نظريته في المناسبة الذاتية بين اللفظ والمعنى. **والركيزة الثانية**: من النصوص الشرعية.

هذا في مصطلحاته التي ابتكرها بنفسه في فوائده، أما المصطلحات الأخرى، فقسم منها استخدم فيها نفس اللغة الفلسفية السائدة لإيصال فكرته بأسلوب المجادلة، وهو المستوى الثاني الاستدلالي في فوائده بعد المستوى الحكمي، وسنتحدث في بحث مفصل مستقل عن هذا البحث عن الإبداع الاصطلاحي عند الشيخ لا حقاً.

٤) الإبداع الفكري:

إبداعات الشيخ في فوائده عديدة، ولكن سنتناول فقط إبداع مفهوم الحكمة القرآني الذي نلخصه بالجمل التالية: إن الإنسان في سيره المعرفي نحو الله ليحقق الهدف المنشود من خلقه، ألا وهو المعرفة التوحيدية السليمة حيث قال المولى سبحانه: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**[١]، وكما ورد عن الصادق عليه السلام: «**أي: ليعرفوه**»، فهذا

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

السير المعرفي لحقائق الموجودات، كي في النتيجة القصوى يصل السائر لتوحيد خالقها، ينحصر في طريقين حصريين لا ثالث لهما:

الطريق الأول: المعرفة المنصبة على الطبيعة الكونية، أو الوجود الحسي الخاضع للحواس، فهذا يختص بالعلم التجريبي الاستقرائي، ونتائجه يمكن اختبارها والتأكد منها ضمن المقاييس الحسية الصرفة، بمعونة العقل الضروري.

والطريق الثاني: هي المعرفة المنصبة على النصوص القرآنية والأحاديث من أهل العصمة عليهم السلام، كونهم ناطقين عن الله سبحانه الذي خلق هذا الوجود بجانبيه الحسي والغيبي، فالحسي يمكن دراسته عن طريق الأدوات الحسية، أما الغيبي لا شك فهو غير خاضع لها، ولا للعقل بالشكل التفصيلي للمعرفة التوحيدية، إذن إذا انسد طريق الحس لمعرفة كل غائب عنا وكذلك العقل لا يمكن أن يكون مستواه في التحصيل المعرفي سوى معلومات كلية ضرورية، تعين سلوك طريق القرآن والسنة بمعونة العقل الضروري لاستكشاف تلك الجوانب الغيبية المجهولة، وهذا هو مفهوم الحكمة بالشكل المختصر الذي أتى به مؤلف الكتاب.

وأما مَنْ يحصر المعرفة الغيبية في البرهان العقلي فقط، نقول له: العقل يخطأ ويصيب، وخطؤه أكثر من صوابه بكثير، فالعقل في المعرفة

الحكميّة كما هو في المعرفة الحسية أداة مساعدة فقط، كما تعمل في الطبيعة تعمل في النصوص القرآنية والسنة[١].

٥) الأسلوب النقدي:

هذا الكتاب ليس مخصصاً للنقد كـ(شرح العرشية والمشاعر)، ولكن تعرض فيه لكثير من النظريات الفلسفية، ويتلخص قبوله ورفضه لأي نظرية ضمن الضوابط التالية:

تميز الأحسائي بأسلوب ذي أركان اختلف فيه عن غيره ممن درسوا الفلسفة اليونانية، لينطلق من الكتاب والسنة والعقل لتمييز النص السليم منه عن القبيح على النحو التالي:

أولاً: الانطلاق من الكليات إلى الجزئيات: فيما تأكد عنده سلامة هذه (الكلية) من محكمات الكتاب والسنة الشريفة، والعقل الموافق لهما، فنجد كتطبيق لهذه القضية صفات الواجب، حيث اعتمد قاعدة (كل مالا يجوز سلبها عن ذات واجب الوجود ولا وصفها بالضد فهي صفة ذاتية) هذه قاعدة استنبطها من القرآن والسنة، والعقل المؤكد لهذه الحقيقة[٢].

---

(١) الذي يحب معرفة المزيد عن مفهوم الحكمة عند الشيخ الأحسائي، فليراجع كتابي: (مفهوم الحكمة القرآني عند الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي).

(٢) راجع: دراستنا (نظرية التوحيد عند الشيخ الأحسائي) على الموقع الإلكتروني: (www.alahsai.net).

شرح المثال: رأى الأحسائي أن القرآن ميز بشكل واضح بين الصفات الذاتية للواجب والفعلية، فكيف يقع هؤلاء المتكلمون في هذا الشطط الكبير في قضية الصفات، فلاحظ أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن الصفات الذاتية لا يعود وينفيها مرة أخرى، فإذا تحدث عن القدرة لا ينفيها، فيثبت عكسها، كأن يقول: (قَدِرَ الله ولم يقدر)، على العكس من صفة (الإرادة) فعندما يتحدث عنها، يعود وينفيها بشكل طبيعي، كما قال: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ..**﴾[1]، ويأتي بنفي للإرادة في آية أخرى، كما قال: ﴿**لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ..**﴾[2].

ثانياً: السير من الجزئيات إلى صنع (كلية) يمكن تطبيقها ضمن منهجه النقدي، وهذا يدل على الثروة المتزايدة في منهجه دون انقطاع، على عكس من اكتفى بالموروث اليوناني الجامد.

ولعله أبرز من استفاد من هذه النقطة تلميذه السيد كاظم الرشتي قدس سره، حيث فصّل بعده بشكل مذهل النصوص الفلسفية وكذلك الاستفادة من الكتاب والسنة، لذلك نجد شخينا الأحسائي لم يرفض الكثير من النصوص الآحاد، لأنه وظّفها من خلال منهجه النقدي، ولكن

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

ليس بالاعتباطية التي رماه مخالفوه بها، بل على أَسَاس علمي رصين، وذلك بوجود القرائن القطعية التي تدعمها من الكتاب والسنة.

ثالثاً: شمول نقده للشكل والمضمون؛ من قرائتنا لكتابيه (شرح العرشية، وشرح المشاعر)؛ نجد أن نقده للنصوص الفلسفية نقداً شاملاً لا يترك شيئاً، فهو عندما ينقد، ينقد اللفظ ومعناه ولا يغريه النص مهما كان جميلاً، بل يشرّحه، كما يشرّح الجراح الجثة. من هنا كان نقده على الفلاسفة تارة يكون على اللفظ فقط، وتارة على مدلول النص، ونجد التطبيق في هاتين القضيتين مجتمعتين في نقده (للمعقولات الخمسة).

وإليك شرح المثال: أثبت في الفلسفة قبل الشيخ الأحسائي أن كل ما يعقله الذهن البشري محصوراً في خمسة أشياء يصطلح عليها (المعقولات الخمسة) كالتالي: ١) واجب الوجود لذاته. ٢) ممتنع الوجود لذاته. ٣) ممكن الوجود لذاته. ٤) واجب الوجود لغيره. ٥) ممتنع الوجود لغيره.

حكيمنا يعترف اعترافا تاماً بالأول (واجب الوجود لذاته)، وإن كان لفظ (واجب الوجود) لم يرد فيه نص، ولكن يتسامح فيه ويعبر عنه بالواجب، بينما يرفض الثاني رفضا تاماً واقعاً وافتراضاً، لأنه ينافي التوحيد الحقيقي لله سبحانه وتعالى، وأما الثالث: (ممكن الوجود لذاته)، فالشيخ يعترف به، ولكن يتساءل في كلمة (لذاته)، هل تعني أن إمكانية الممكن من ذاته، أم من غيره؟ فإن كانت من غيره، أي الله، فالمفروض أن تكون الصياغة الحكميّة: (ممكن الوجود لغيره)، أي الله.

أما إن كانت إمكانية الممكن من ذاته، أي ليست من غيره، أي (الله) فكلامكم صحيح، ولكنّه، أي رأيكم ينافي التوحيد.

أما الرابع والخامس فكلاهما عند شيخنا صحيحان، ولكن لا يصحّان أن يكونا قسيمين للممكن، لأنهما من أقسام الممكن، والشيء لا يكون قسيماً لنفسه.

رابعاً: التطابق بين القضية الذهنية والخارجية والحقيقية: من المهم جداً أن نعرف أن الأحسائي في جل نقوداته يلاحظ التطابق بين القضية الذهنية والخارجية والحقيقية ونفس الأمر، من هنا لا يمكن الفصل عنده بين واحدة وأخرى في منهجه النقدي، فنلاحظ مثلاً عندما نقد الأحسائي التعريف المشهور للحادث: (الحادث هو المسبوق بالعدم). نقده بملاحظة عدم انطباق هذا التعريف على الحادث لا في الواقع، ولا في الذهن، وكذلك في الحقيقة ونفس الأمر، من هنا رفض هذا التعريف لكونه قاصراً عن وصف حال الوجود الحادث.

شرح المثال: يوجه حكيمنا سؤاله بهذا الشكل، هذا العدم السابق على الحادث قديم، أم حادث مثله؟، فإن كان حادثاً مثله، فهو محتاج إلى عدم آخر يسبقه، وهكذا فيتسلسل، والتسلسل منافٍ للمنطق والعقل، إذاً هو باطل. وإن كان هذا العدم السابق قديماً، فهو باطل..لأنه يلزم تعدد القدماء، وهو منافٍ للتوحيد. أي: يرى الأحسائي أن الفلاسفة المسلمين، قد أخذوا مسألة العدم من اليونان بدون تمحيص عقلي، ولم يعرضوها على محكمات القرآن، فالعدم عندهم فضاء مظلم خلقت منه الأشياء، ولم

يسألوا أنفسهم مرة مَنْ خلق العدم؟، فإن أقروا أن العدم مخلوق بطل تعريفهم، وإن قالوا بقدم العدم؛ لزمهم إثبات قديم مع الله، فالعدم مخلوق من مخلوقات الله، كما بين الأحسائي في كتبه، وأكده الصادق عليه السلام في حديث هل النفي شيء، أم لا بين زرارة وهشام.

إذن الفلاسفة المسلمون عرّفوا الحادث نظرياً بقطع النظر عن واقعه، على العكس من الأحسائي الذي راعى الجانب اللفظي والواقعي، وهذا عين دليل الحكمة عنده، فراجع كتبه المفصلة.

٦) الأسلوب المنهجي:

نريد التحدث هنا فقط عن ترتيب أبحاث الكتاب، بمعنى: لماذا مثلاً بدأ في المقدمة الحديث عن منهجه؟، فنقول: الشيخ الأحسائي رتب كتابه ترتيباً منهجياً بما يقتضيه عرض أفكاره في فوائده كالتالي:

- **بدأ في المقدمة**؛ بتنبيه الطلاب وطالبي الحكمة أنه سيروعهم بجديد المطالب الحكمية المبدعة، لم يأنسوها من قبل كي يمهد نفسية الطالب لاستقبال هذا المولود الحكمي الجديد، ثم انتقل في نقد الفلسفة ومشاربها المتعددة، وهذا تمهيد كي ينتقل لطرح مفهوم الحكمة المبدع الغريب على الجو الفلسفي.

- **في الفائدة الأولى**: بعد تلك المقدمة انتقل بعد تحديد الحكمة لتحديد منهجها في الوصول للحقيقة الحكمية وعرضها، كي يمهد من خلال هذا المنهج لهضم واستيعاب أفكاره التي يطرحها هذا في المقدمة.

- **في الفائدة الثانية:** وبعد تحديد المنهج كان لزاماً التحدث عن الأمر العام في الحكمة الذي يشكل جوهرها المشاع في مسائلها، وهو بحث الوجود حيث بدأ بالتحدث عن الوجودات المختلفة: الوجود الحق، والوجود الراجح، والوجود المقيد، حيث فرق بشكل لا يقبل التشكيك كون الوجود الحق هو الله لا غير، والباقيان وجودان مخلوقان حادثان، إذن لا وحدة وجود موجودة في البين.

- **في الفائدة الثالثة:** في هذه الفائدة وبعد تمييزه لأنواع الوجودات عاد ليشرح الوجود المطلق المخلوق الذي يشكل المادة الأولى للخلق.

- **في الفائدة الرابعة:** وبعد شرح لأنواع الوجود كان لزاماً عليه أن يتحدث عن الفعل الذي أوجد هذا الوجود المخلوق..إلخ.

وهكذا تسلسل في ترتيب أفكار كتابه وشرحها بالترتيب المنهجي الذي تقتضيه الفكرة الحكمية.

انتهت بحمد الله في: ١٢/ ٧/١٤٢٦هـ

دمشق - السيدة زينب عليها السلام

(٢)
(علماء آمنوا بالحكمة ورفضوا الفلسفة)

بقلم: الشيخ مجتبى السماعيل (حفظه الله تعالى).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ومظهر لطفه، نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

حالما تبدأ بقراءة هذا الكتاب سيتبين لك البون الشاسع بين الفلسفة والحكمة، وستعرف -أيها القارئ الكريم- أن الفلسفة تستمد أفكارها من العقل البشري، وهي بمعزل عن الكتاب والسنة، وإن حاول بعض الفلاسفة المسلمين التوفيق بينها وبين الدين دون جدوى، فهما أهل ملتين لا يتوارثان.

وستعرف أيضاً أن الحكمة مستمدة ومستقاة من صميم القرآن الكريم والسنة المطهرة، بحيث لا تجد فكرة حِكَمِيَّة تتناقض أو تتعارض أو تضاد المنهج القرآني، لأنهم عليهم السلام قالوا: «..**ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُوْنٍ كَدِرَةٍ يُفْرِغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُوْنٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا، لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعِ**»[1].

---

(١) الكافي – الشيخ الكليني، ج: ١، ص: ١٨٤.

ولكي لا تتصور أن التفريق بين الفلسفة والحكمة فكرة تفرد بها الشيخ الأحسائي قدس سره، أحببنا أن نسوق أمثلة عديدة اتفق فيها علماء عظام مع رؤية الشيخ الأحسائي في رفض الفلسفة، والكثير من نتائجها المخالفة صراحة لمحكم الكتاب والسنة، وآمنوا بالكثير مما آمن به الشيخ الأحسائي، وإن اختلفوا في طريقة التعبير عنه، لأن مرجعهم في النهاية هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

رأي العلماء في الفلسفة والفلاسفة:

لقد انتقد الشيخ الأحسائي الفلسفة والفلاسفة في غالب كتبه، ويكاد لا يخلو كتاب أو رسالة إلا وتجد الشيخ يتعرض لانتقادها أو انتقاد الكثير من نظرياتها.

ولم يكن الشيخ الوحيد الذي فعل ذلك، بل هناك علماء آخرون كانوا على نفس النهج، يرفضون الفلسفة، ويدعون إلى التمسك بالثقلين المأمور بالتمسك بهما.

ونذكر من أولئك العلماء العظام:

آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي في تعليقاته على كتاب (إحقاق الحق) قال ما نصه: (ليس المراد من الحكمة في الآية[1] الفلسفة التي هي تراث اليونانيين، بل المراد العلم الذي به حياة الأرواح، وشفاؤها

---

(١) المقصود قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾،[سورة الجمعة، الآية:٢].

من الأسقام، وهل هي إلا العلوم الدينية الإسلامية، والمعتقدات الحقة، وأسرار الكون، بشرط اتخاذها عن الراسخين في العلم، الذين من تمسك بهم فقد نجى؛ كيف، وعلومهم مستفادة من المنابع الإلهية)[١].

وقال حينما فرغ من الكلام عن المتصوفة، وعطف الكلام على الفلاسفة ما نصه: (والفلاسفة حوكة الآراء الفاسدة، والموهومات الكاسدة؛ قطاع طريق الأنبياء والمرسلين، وخلفائهم المرضيين، عصمنا الله تعالى من مضلات الفتن)[٢].

ومنهم أيضاً آية الله العظمى العلامة الشيخ لطف الله الصافي في مقدمة إحدى رسائله، وهو يصف منهجه في تلك الرسالة قال ما نصه: (وقد تجنبنا في هذه الرسالة عن الاستشهاد بمخترعات الفلاسفة أذناب اليونانيين، وأتباعهم من المنتحلين إلى المذاهب الإسلامية، أولئك الذين لم يهتدوا بهدى أهل بيت الوحي والنبوة عليهم السلام، وسلكوا سبلاً متشعبة أبعدتهم عن التمسك بالثقلين)[٣].

ومن جملتهم أيضاً الشيخ الصدوق قدس سره في معرض كلامه عن الفلاسفة قال ما نصه: (فمنهم من سلك مسلك الحكماء [ويقصد بهم الفلاسفة] الذين ضلوا وأضلوا، ولم يقروا بنبي، ولم يؤمنوا بكتاب، واعتمدوا على عقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة).

---

(١) إحقاق الحق، ج: ١، ص: ٩٧.

(٢) إحقاق الحق، ج: ١، ص: ١٨٣-١٩٢ و٢٠٢.

(٣) مجموعة الرسائل، ج: ٢، ص: ١٣٦– ١٣٧.

إلى أن قال: (فهم يؤولون النصوص الصريحة الصحيحة عن أئمة الهدى "صلوات الله عليهم" بأنه لا يوافق ما ذهب إليه الحكماء).

ثم قال: (ومعاذ الله أن يتكل الناس إلى عقولهم في أصول العقائد، فيتحيرون في مراتع الجهالات، ولعمري أنهم كيف يجترئون أن يؤولوا النصوص الواضحة الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة، لحسن ظنهم بيوناني كافر، لا يعتقد ديناً ولا مذهباً)[1].

نكتفي بهذا القدر من رأي العلماء في الفلسفة والفلاسفة؛ لأننا لو أردنا تتبع كل أقوالهم لاحتجنا إلى مجلد مستقل، وفيما نقلنا كفاية لمن يطلب الحق.

وكما يعرف كل من قرأ كتب الشيخ الأحسائي أنه لا يفوت فرصة في تفنيد نظريات الفلاسفة من خلال عرض كل أدلتها، ومن ثم التصدي لنقضها وتزييفها، وهنا أيضاً لم يتفرد شيخنا بهذه الميزة بل لَه شركاء فيها، وهنا نعرض نماذج مما كتبه أجلة علمائنا في تفنيد النظريات الفلسفية.

۞ نظرية (وحدة الوجود):

تعتبر هذه النظرية القاعدة الكلية التي يبتني عليها الفكر الفلسفي ككل، لذلك نجد الشيخ أكثر من الطعن فيها، ووجه إليها عناية خاصة حتى هدمها، وبذلك انهار البناء الفلسفي برمته، وبالطبع لم يكن الشيخ

---

(١) الاعتقادات في دين الإمامية، ص: ١٧.

بدعاً من العلماء، فهناك الكثير منهم تصدى لإبطالها، ونقض مبانيها وأدلتها، وعدها من الكفر بالله، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

العلامة الأميني قدس سره صاحب الموسوعة الشهيرة "الغدير" حيث قال مدافعاً عن المحقق الأردبيلي: (وقصارى القول : إنه جماع الفضائل، ومختبأ المآثر كلها ، ضع يدك على أي من المناقب تجده شاهد صدق على شموخ رتبته). إلى أن يقول: (ثم أيٌّ تصوف يريد الرجل فيما عابه من شيخنا العارف الإلهي؟، أيريد ذلك المذهب الباطل الملازم للعقائد الإلحادية، كالحلول، ووحدة الوجود بمعناهما الكفري، وأمثالهما..)[1].

ومنهم الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره عندما تعرض لبيان أقسام الكفر قال: (..أو كفر نعمة من غير شبهة، أو هتك حرمة، أو سب لأحد المعصومين عليهم السلام، أو بغض لهم، أو بادعاء قدم العالم بحسب الذات، أو وحدة الوجود على الحقيقة منهما، أو الحلول أو الاتحاد أو التشبيه أو الجسمية، أو الحلية للأعراض والأحوال، أو المكان على نحو الأجسام فيهن، أو الرؤية على نحو المرئيات..)[2].

ومنهم أيضاً السيد محمد باقر الصدر قدس سره في حديثه عن هذه النظرية قال: (لا شك في أن الاعتقاد بمرتبة من الثنائية التي توجب تعقل فكرة الخالق والمخلوق مقوم للإسلام، إذ بدون ذلك لا معنى لكلمة التوحيد،

---

(١) الغدير - الشيخ الأميني، ج: ١١، ص: ٢٨٣.

(٢) كشف الغطاء - الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ج: ٢، ص: ٣٥٩.

فالقول بوحدة الوجود إن كان بنحو يوجب عند القائل بها رفض تلك الثنائية فهو كفر)[١].

ومنهم أيضاً -وبه نختم الحديث عن هذه النظرية- آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي تَتِنُّ حين تعرض لنقاش هذه النظرية قال: (..وإن أراد من وحدة الوجود ما يقابل الأول، وهو أن يقول بوحدة الوجود والموجود حقيقة، وأنه ليس هناك في الحقيقة إلا موجود واحد، ولكن لَه تطورات متكثرة واعتبارات مختلفة، لأنه في الخالق خالق، وفي المخلوق مخلوق؛ كما أنه في السماء سماء، وفي الأرض أرض، وهكذا).

إلى أن قال: (فإن العاقل كيف يصدر منه هذا الكلام، وكيف يلتزم بوحدة الخالق ومخلوقه، ويدعي اختلافهما بحسب الاعتبار؟!، وكيف كان فلا إشكال في أن الالتزام بذلك كفر صريح وزندقة ظاهرة..)[٢].

۞ نظرية (استحالة إعادة المعدوم):

هذه النظرية التي يقوم على أساسها نفي المعاد الجسماني، بمعنى: أن المعاد في يوم القيامة هي الصورة، وليس هذا الجسم المحسوس الملموس بصورته ومادته، كما هو رأي الملا صدرا الشيرازي تَتِنُّ.

لقد تصدى الكثير من العلماء لإبطال هذه النظرية، نذكر اثنين منهم لضيق المجال، ونعتمد على القارئ في البحث عن البقية.

---

(١) شرح العروة الوثقى - السيد محمد باقر الصدر، ج: ٣، ص: ٣١٣.

(٢) كتاب الطهارة - السيد الخوئي، ج: ٢، ص: ٨١.

فمن هؤلاء العلماء العلامة المجلسي صاحب البحار حينما تعرض للحديث عن نظريات الفلاسفة قال ما نصه: (اعلم أن القول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع المِلِّيين، وهو من ضروريات الدين، ومنكره خارج عن عداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصة لا يعقل تأويلها، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردها، ولا الطعن فيها.

وقد نفاه أكثر ملاحدة الفلاسفة تمسكاً بامتناع إعادة المعدوم، ولم يقيموا دليلاً عليه، بل تمسكوا تارة بادعاء البداهة، وأخرى بشبهات واهية لا يخفى ضعفها على من نظر فيها بعين البصيرة واليقين، وترك تقليد الملحدين من المتفلسفين)[1].

وممن رفض هذه النظرية وعدها مخالفة لضروريات الدين آية الله العظمى السيد البجنوردي في تحقيقه لحكم منكر الضروري قال ما نصه: (فبناء على هذا لو أنكر ضرورياً من الضروريات، لشبهة علمية حصلت من دون تكذيبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل مع كمال إخلاصه والتصديق بنبوته صلى الله عليه وآله وسلم؛ لا يحكم بكفره، كما أنه ربما حصل مثل هذه الشبهة لبعض المحققين في الحكمة الإلهية في المعاد الجسماني، فإنه بعد ما يبني على تركب الجسم من المادة والصورة، يقول: بأن المعاد هي الصورة الجسمية من دون مادة، وجسمية الجسم بصورته لا بمادته، وذلك بناء منهم على أن شيئية الشيء بصورته لا بمادته، فالمعاد في يوم النشور هو عين البدن الموجود في

---

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي، ج: ٧، ص: ٤٧.

دار الغرور، ولكن العينية بالصورة لا بالمادة. وأنت خبير بأن هذا القول مخالف للضروري، لما هو الثابت في الدين الإسلامي بالضرورة أن المعاد في يوم القيامة عين البدن الدنيوي صورة ومادة، لا صورة فقط، وأمثال ذلك مما أنكروه بشبهة علمية حصلت لهم..)[١].

۞ قيمة ما يسمى بـ(البرهان الفلسفي):

كثيراً ما يحتج معتنقو الفلسفة ببراهينهم الفلسفية، فما قيمة هذه البراهين يا ترى عند العلماء الذين نذكر منهم:

المحقق البحراني صاحب الحدائق حينما نقل كلام الرازي مستشهداً على ضعف ما يسمونها البراهين؛ قال: (أقول: وقد سبقه إلى هذه المقالة الإمام الرازي، حيث قال : "هذه الأشياء المسماة بالبراهين، لو كانت في أنفسها براهين لكان كل من سمعها ووقف عليها وجب أن يقبلها وأن لا ينكرها أصلاً، وحيث نرى أن الذي يسميه أحد الخصمين برهاناً فإن الخصم الثاني يسمعه ويعرفه، ولا يفيد لَه ظناً ضعيفاً، علمنا أن هذه الأشياء ليست في أنفسها براهين، بل هي مقدمات ضعيفة انضافت إلى العصبية والمحبة إليها، فتخيل بعضهم كونها برهاناً، مع أن الأمر في نفسه ليس كذلك.

(١) القواعد الفقهية – السيد البجنوردي، ج: ٥، ص: ٣٧٠.

وأيضا فالمشبه يحتج على القول بالتشبيه بحجة، ويزعم أن تلك الحجة أفادته الجزم واليقين، فإما أن يقال: أن كل واحدة من هاتين الحجتين صحيحة يقينية، فحينئذٍ يلزم صدق النقيضين، وهو باطل")[1]

ومنهم الشيخ محمد علي الأنصاري حيث قال: (ما قيل من "أن الجم الغفير من أهل الفضل والذكاء، مع استفراغ الوسع في الاجتهاد وإمعان النظر في طلب الحكم، يمتنع في العادة اتفاقهم على الخطأ"، وقد استشكل على هذا الدليل بالنقض بإجماع اليهود والنصارى، وسائر أهل الملل على ضلالتهم مع كثرتهم...وكم اتفق الفلاسفة على أمر برهاني، ثم انكشف خطأه بعد ذلك؟!)[2].

ومنهم آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره حيث قال: (ولذلك نجد كل من ألف في علم من العلوم النظرية، لا تمضي على مؤلفه مدة حتى يتضح بطلان كثير من آرائه، فإن العلوم النظرية كلما ازداد البحث فيها وكثر؛ ازدادت الحقائق فيها وضوحاً، وظهر للمتأخر خلاف ما أثبته المتقدم، والحقيقة -كما يقولون- بنت البحث، وكم ترك الأول للآخر.

ولهذا نرى كتب الفلاسفة الأقدمين، ومن تأخر عنهم من أهل التحقيق والنظر قد صارت عرضة لسهام النقد ممن تأخر، حتى أن بعض ما

---

(١) الحدائق الناضرة - المحقق البحراني، ج: ١، ص: ١٢٨.

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة - الشيخ محمد علي الأنصاري، ج: ١، ص: ٥٠٥.

اعتقده السابقون برهاناً يقينياً، أصبح بعد نقده وهماً من الأوهام، وخيالاً من الأخيلة)(١).

نهاية المطاف:

في النهاية اتضح أن الفلسفة مرفوضة لدى الغالبية العظمى من علمائنا الأبرار، ممن ذكرنا وممن لم نذكر رعايةً للاختصار، ومن حقنا أن نسأل: إذا كان الأمر كذلك فلماذا ظل هذا الرأي مغيَّباً؟، ولماذا أُوْهِمْنا بأن الفلسفة هي الطاغية على الفكر الشيعي، وهي المنهج المتبنى لدى غالبية علمائنا (رضوان الله عليهم)؟، ولماذا خُيِّلَ لنا أن الشيخ الأوحد الأحسائي معزول عن الفكر الشيعي، وليس هناك من يتفق معه في منهجه وأطروحته؟.

الجواب على هذه الأسئلة صعب للغاية نتركه للتاريخ، فهو كفيل بإظهار الحقائق، والتغير قادم بحول الله للعودة إلى رحاب نبينا وآله عليهم السلام، وما هي إلا سنيات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

من حِمَىْ عقيلة الطالبيين السيدة زينب عليها السلام

مجتبى طاهر السماعيل- ١٤٢٦/٧/٢١هـ

---

(١) البيان في تفسير القرآن – السيد الخوئي، ص: ٦٧.

وقفة مع سيرة المؤلف

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تتمُّ *

(١١٦٦ - ١٢٤١هـ)

۞ نسبه وأسرته:

هو الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين، بن الشيخ إبراهيم، بن صقر، بن إبراهيم، بن داغر، بن رمضان، بن راشد، بن دهيم، بن شمروخ، آل صقر، القرشي الأحسائي المطيرفي[1].

من مشاهير العلماء، وكبار الحكماء الإلهيين.

كان آباء الشيخ الأحسائي يسكنون البادية بنواحي (الأحساء)، واتفق نزاع بين (داغر) -الجد الرابع للشيخ- وأبيه (رمضان)؛ أدى إلى

---

* لَه ذكر وترجمة في أكثر كتب التراجم، وفي غيرها أيضاً، وقد أُلفت عدة كتب ورسائل مستقلة في ترجمته، منها:

١- سيرة الشيخ أحمد الأحسائي؛ لصاحب الترجمة في ترجمة نفسه.

٢- ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي؛ للشيخ عبد الله - نجل المترجم له -.

٣- دليل المتحيرين؛ للسيد كاظم الرشتي قدِّسَ.

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص: ٩. ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص: ٤.

فراقهما، حيث هاجر (داغر) بأهله إلى قرية (المطيرفي)، وقد تعاقب في قرية المطيرفي بعد (داغر) أولاده وأحفاده حتى المترجم له.

وأما عشيرته فقد ذكر صاحب الترجمة: أن نسبهم ينتهي إلى (صقر)، ثم قال: (وهو كبير الطائفة المشهورة بالمهاشير وشيخهم، وبه يفتخرون، وإليه ينتسبون)[١].

وكان -رفع الله درجته- من رهط بني خالد، وبنو خالد من تهامة، وهي تنتهي إلى قريشٍ، أشرف العرب نسباً[٢].

۞ مولده ونشأته:

وُلِدَ قدس سره في (المُطَيْرَفي) من قرى الأحساء، في شهر رجب عام: (١١٦٦هـ)، وبها نشأ وترعرع؛ تحت رعاية والده الشيخ زين الدين، وبانت عليه علامات النبوغ منذ نعومة أظفاره، فكان يذكر ما جرى في بلاده من الحوادث وعمره سنتان، وختم القرآن وعمره خمس سنين، وابتدأ يدرس النحو قبل أن يبلغ الحلم[٣].

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص: ٩.

(٢) عقيدة الشيعة، ص: ٨٣.

(٣) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص: ٩ - ١٣.

✿ مشائخه في الرواية، وبعضٌ من إجازاته:

يروي قدس سره عن جماعة من فحول العلماء، منهم:

١) **السيد محمد مهدي الطباطبائي بحر العلوم**[1]؛ وتأريخ إجازته عام: (١٢٠٩هـ)، وقال فيها: (..وكان ممَّن أخذ بالحظ الوافر الأسنى، وفاز بالنَّصيب المتكاثر الأهنى؛ زبدة العلماء والعاملين، ونخبة العرفاء الكاملين، الأخ الأسعد الأمجد الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي، زِيْدَ فضله ومجده، وأعلى في طلب العلا جده..).

إلى أن قال: (فسارعت إلى إجابته، وقابلت التماسه بإنجاح طلبته؛ لما ظهر لي من ورعه وتقواه، وفضله ونبله وعلاه، فأجزت لَه -وفَّقه الله لسعادة الدَّارين، وحباه بكل ما تقر به العين- رواية الكتب

---

(١) هو السيد محمد مهدي، بن السيد مرتضى، بن السيد محمد البروجردي الطباطبائي، كان رحمه الله سيِّد العلماء الأعلام، ومولى فضلاء الإسلام، علَّامة دهره وزمانه، ووحيد عصره وأوانه، تولَّد في الحائر الشريف سنة: (١١٥٥هـ).

تتلمذ على جماعة من أساطين الدين من الفقهاء والمحققين، وقد أذعن لكثرة اطلاعه وطول ذراعه وسعة باعه في الفقهيات له أكثر معاصريه.

وتتلمذ عليه جماعة من الفحول، توفي في النجف الأشرف سنة: (١٢١٢هـ)، ودفن بجنب باب مسجد الشيخ الطوسي قدس سره. له ترجمة في: منتهى المقال في أحوال الرجال، ص: ٣١٤. تحفة العالم، ص: ١٣٦. روضات الجنات، ص: ٦٧٧. لباب الألقاب، ص: ٢١. الكنى والألقاب، ج: ١، ص: ٥٩. الروضة البهية، ص: ١١.

الأربعة..إلخ)[١].

٢) **الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي**[٢]؛ وتأريخ إجازته عام: (١٢٠٩هـ)، وقال فيها: (..فإن العالم العامل، والفاضل الكامل، زبدة العلماء العاملين، وقدوة الفضلاء الصَّالحين؛ الشيخ أحمد ابن المرحوم المبرور الشَّيخ زين الدين، قد عرض عليَّ نبذة من أوراق تعرض فيها لشرح بعض كتاب (تبصرة المتعلمين)، لآية الله في العالمين، ورسالة صنَّفها في الرد على الجبريِّين؛ مقوِّياً فيها رأي العدليِّين، فرأيت تصنيفاً رشيقاً، قد تضمَّن تحقيقاً وتدقيقاً، قد دلَّ على علوِّ مقام مُصنِّفه، وجلالة شأن مؤلّفه؛ فلزمني أن أجيزه... إلى آخره)[٣].

---

(١) دليل المتحيرين، ص: ٥٠. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ٢٥٥.

(٢) الشيخ جعفر النَّجفي: عالم كبير، متضلّع في العلوم، ذو فضل وعظمة، ولد عام: (١١٥٦هـ)، انتهت وآلت إليه الزعامة الدينية في عصره؛ حتى أجمعت حكومتا آل قاجار في إيران وآل عثمان في تركيا على زعامته وإكباره وجلالته. صدَّ غارات الوهابيين على النجف بعد فتكهم بكربلاء المقدَّسة. وتوفي عام: (١٢٢٨هـ). له ترجمة في: أعيان الشيعة، ج: ١٥، ص: ٤١٨. روضات الجنات، ج: ١، ص: ١٥٢. طبقات أعلام الشيعة، ج: ٢، ص: ٢٤٨. معارف الرجال، ج: ١، ص: ١٥٠. الكنى والألقاب، ج: ٣، ص: ٨٧.

(٣) دليل المتحيرين، ص: ٥١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ١٦٥.

٣) **السيد علي الطباطبائي صاحب (الرياض)**[١]؛ وإجازته بدون تأريخ، قال فيها: (...إنَّ من أغلاط الزَّمان، وحسنات الدَّهر الخوَّان؛ اجتماعي بالأخ الرَّوحاني، والخلّ الصَّمداني، العالم الفاضل الكامل، ذي الفهم الصائب، والذهن الثابت، الراقي أعلى درجات الورع والتقوى والعلم واليقين؛ مولانا الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الأحسائي، دام ظله العالي، فسألني بل أمرني...)[٢].

٤) **السيد ميرزا مهدي الشهرستاني**[٣]؛ وتأريخ إجازته عام: (١٢٠٩هـ)، وقال فيها: (..حيث أنَّ الشيخ الجليل، والعمدة النبيل،

(١) هو السيد علي ابن المير محمد رفيع الطباطبائي الأصفهاني، من أحفاد الميرزا العلامة النائيني المعروف، كان المترجم من أعيان علماء عصره، وحكمائه ومتكلميه وفقهائه، وُلد سنة: (١١٦١هـ)، توفي سنة: (١٢٣١هـ)، ودُفن بمقبرة الست فاطمة، وكان للمترجم مؤلفات كثيرة قد تلف أكثرها. له ترجمة في: ريحانة الأدب، ج: ٣، ص: ٤٨٢. تراث كربلاء، ص: ١٨٣. أعيان الشيعة، ج: ٤٢، ص: ٤٤. هدية الأحباب، ص: ١٧٤. الأعلام، ج: ٥، ص: ٥، ص: ١٧٠.

(٢) دليل المتحيرين، ص: ٥١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ٢١٩.

(٣) هو السيد الأجل العالم الرباني الميرزا محمد مهدي الشهرستاني؛ عالم كبير مجاور للمشهد الحسيني عليه السلام، وكان من الزعماء الدينيين في عصره، يروي عن صاحب الحدائق، ويروي عنه صاحب المستند، توفي سنة (١٢١٦هـ). له ترجمة في: ريحانة الأدب، ج: ٣، ص: ٣٦٣. الكنى والألقاب، ج: ٢، ص: ٣٤٤. مستدرك الوسائل، ج: ٣، ص: ٣٩٦. هدية الأحباب، ص: ١٦٥.

والمهذَّب الأصيل، العالم الفاضل، والباذل الكامل، المؤيَّد المسدَّد، الشيخ أحمد الأحسائي -أطال الله بقاه، وأقام في معارج العز وأدام ارتقاه- ممَّن رتع في رياض العلوم الدينية، وكرع من حياض زلال سلسبيل الأخبار النَّبوية؛ قد استجازني فيما صحت لي روايته..).

إلى أن قال: (ولَّما كان -دام عزُّه وعُلاه- أهلاً لذلك، فسارعت إلى إجابته، وإنجاح طلبته، ولما كان إسعاف مأموله فرضاً لفضله، وجودة فطنته، فأقول:..)[١].

٥) **الشيخ حسين آل عصفور البحراني**[٢]؛ وتأريخ إجازته عام: (١٢١٤هـ)، وقال فيها: (.. الشيخ أحمد بن زين الدِّين الأحسائي، ذلَّل الله له شوامس المعاني، وَشيَّد به قصور تلك المباني، وهو في الحقيقة حَقِيْقٌ بأن يُجيِزْ ولا يُجَاز؛ لسلوكه طريق أهل السُّلوك وأوضح المجاز، لكن إجابته مما أوجبته الأخوة الإلهية الحقيقية، المشتملة على الإخلاص

---

(١) دليل المتحيرين، ص: ٥٠. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ٥٣.

(٢) هو الشيخ حسين بن الشيخ علي البحراني من آل عصفور، هو من المشايخ الكبار، والحامل للواء الأخبار، فقيهاً عالماً، عارفاً متكلماً، أخذ فقهه عن عمه الشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق)، وتصدَّر للإفتاء في الفلاحيّة.

توفي تتِّئُ ليلة الأحد ٢١ شوَّال سنة: (١٢١٦هـ) في البحرين. له ترجمة في: أنوار البدرين، ص: ٢٠٧. شهداء الفضيلة، ص: ٣٠٧. طبقات أعلام الشيعة، ج: ٢، ص: ٤٢٧. مكارم الآثار، ج: ٢، ص: ٥٧٠. أعيان الشيعة، ج: ٢٧. ص: ١٢٨. معجم المؤلفين، ج: ٣، ص: ٤٤. الأعلام، ج: ٢ ص: ٢٨٢.

والإنجاز، وكان في ارتكابها حفظاً لهذا الدين وكمال الاحتراز، فاستخرت الله سُبحانه، وسألته الخيرة فيما أذن وأجاز؛ وأن يجعله ممن بالمعلى والرقيب من قداح عنايته قد فاز وحاز، فأجزت لَه...)[١].

٦) **الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني البحراني**[٢]؛ وتأريخ إجازته عام: (١٢٠٥هـ)، وقال فيها: (..أمَّا بعد؛ فقد استجازني الولد الأعز، الأمجد الأسعد، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المُطيرفي -وفقه الله لبلوغ الغاية، في الرواية والدراية- كما جرت به عادة السلف والخلف.

فاستخرت الله تعالى، وأجزت له أن يروي عني جميع ما صنَّفه علماؤنا -قدَّس الله أرواحهم- في العلوم العربية والأدبية، واللغوية والأصولية، والفقهية والأخبارية..)[٣].

---

(١) دليل المتحيرين، ص: ٥١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ١، ص: ١٨٨.

(٢) الشيخ أحمد الدمستاني البحراني: من علماء عصره وأدبائه، وكان من الناهين، وفي صفٍّ من يُستجاز في المسائل العلمية، ولكن التأريخ ظلمه كألوفٍ غيره، لا سيما من أبناء منطقته وطائفته، وقد أوشك أن يُعدَّ من المنسيين، وكان والده الشيخ حسن الدمستاني من صدور العلماء وكبارهم، وله آثار قيمة، منها ديوان شعر أُلحق بديوان أبيه. له ترجمة في: طبقات أعلام الشيعة، ج: ٢، ص: ٨٠. أنوار البدرين، ص: ٢١٨.

(٣) إجازات الأحسائي، ص: ٥. أعلام هجر، ج: ١، ص: ٢٥٤.

وهؤلاء المشائخ الستة؛ طُبعت إجازاتهم -للمترجم له- ضمن كتاب (ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي) للشيخ عبد الله ابن المترجم له، ثم طُبعت هذه الإجازات مستقلة في النجف عام: (١٣٩٠هـ)؛ بتعليق الدكتور حسين علي محفوظ (أستاذ علوم الحديث والرجال في كلية أصول الدين ببغداد)[١].

وذكر الطهراني في (الذريعة): (أن مجموع الإجازات الصادرة للمترجم من مشائخه قد جُمعت في مجلد يقرب من عشرة آلاف بيت، كان عند صاحب كتاب "النعل الحاضرة")[٢].

۞ تلامذته والمدافعون عنه:

تصدَّر الشيخ الأحسائي قدس سره للتدريس في المعقول والمنقول سنين طوال، وكانت له حوزات عامرة في كلٍّ من كربلاء والنجف والبصرة وغيرها من المدن العراقية، وفي قزوين ويزد وطهران وأصفهان وكرمان شاه وغيرها من المدن الإيرانية، وفي الأحساء والبحرين وغيرهما من مدن

---

(١) إجازات الأحسائي، ص: ٥ — ٦١. وقد نقلها عنه السيد الشخص في كتابه، أعلام هجر، من ص: ٢٥٤، إلى ص: ٢٨٠.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج: ٢٠، ص: ٥٨.

الخليج، وبلغت به الحال حدّاً كان إذا هبط مدينة علمية تعطّلت فيها الدروس والأبحاث، وهرع حضّارها إلى مجلس درسه؛ ليستفيدوا منه[١].

وقد تخرج عليه عدد كبير من العلماء الأفاضل، حتى قيل: (أنَّ لَه -أعلى الله مقامه- تلامذة كثيرون بلغوا الاجتهاد، أكثر من مئة عالم عامل)[٢]، ومن أهمِّ تلامذته:

١- السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرَّشتي الحائري.

٢- الميرزا حسن بن علي الشهير بـ (كَوهر).

٣- المولى محمد بن الحسين المعروف بـ(حجة الإسلام) المامقاني التبريزي، والد صاحب (صحيفة الأبرار).

وهؤلاء الثلاثة -أعني: السيد الرَّشتي، والميرزا (كَوهر)، و(حجة الإسلام)-كانوا من خواصِّ تلامذته، والمقرَّبين لديه، وهم الذين نشروا علومه وآثاره بعد وفاته، ورَوَّجُوا آراءه في الحكمة، ودافعوا عنه[٣].

٤- السيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبّر الحسيني الشهير.

٥- الشيخ هادي بن المهدي السبزواري؛صاحب (المنظومة).

٦- السيد محسن بن السيد حسن الأعرجي الحسيني الكاظمي.

٧- السيد أبو الحسن بن الحسين الحسيني التنكابني القزويني.

٨- المولى كاظم بن علي نقي السمناني، الشارح لكتاب (الفوائد).

---

(١) نزهة الأفكار في ترجمة (كلمة أزهزار)، ص: ٥٠.

(٢) الدِّين بين السائل والمجيب، ج: ١، ص: ١١٠.

(٣) الدِّين بين السائل والمجيب، ج:١، ص: ١١٠.

٩- الشيخ محمد حمزة كلائي، الشارح لكتاب (شرح العرشية).

١٠- الميرزا عبد الوهاب الشريف بن محمد علي القزويني.

١١- الشيخ أبو الحسن بن إبراهيم اليزدي.

١٢- الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طوق القطيفي(١).

١٣- ختاماً: أبناء صاحب الترجمة: (الشيخ محمد تقي، الشيخ علي نقي، الشيخ عبد الله، الشيخ حسن).

بعض من روى عنه تتُّل :

روى بالإجازة عن الشيخ الأحسائي قدّس عدد من كبار علماء عصره، ومشاهير زمانه، كان منهم بعض تلامذته السابقين، ونذكر أيضاً:

١- الشيخ محمد حسين النجفي؛ صاحب كتاب (الجواهر).

٢- الشيخ أسد الله بن إسماعيل التستري الكاظمي الأنصاري.

٣- الميرزا محمد تقي النوري (والد صاحب المستدرك).

٤- الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي، صاحب (الإشارات).

٥- الشيخ مرتضى الأنصاري؛ صاحب (المكاسب والرسائل)(٢).

---

(١) راجع في مصادر أسماء هؤلاء: معارف الرجال، ج: ٢، ص: ١٠. نجوم السماء، ص: ٣٤٤. الذريعة، ج: ١٥، ص: ٣١٥. وج: ١٣، ص: ٣٣٤. وج: ٢٤، ص: ٢٣٤. طبقات أعلام الشيعة، قرن: ١٣، ص: ٣٢-٨٠٩.

(٢) راجع في مصادر أسماء هؤلاء: أعيان الشيعة، ج: ٨، ص: ٤٠١. طبقات أعلام الشيعة، ج: ٢، ص: ٩١. إجازة الشيخ الأحسائي للشيخ أسد الله

←....

✪ مؤلفاته:

لقد خلَّف المترجم له عدداً كبيراً من الكتب والرَّسائل، في مختلف العلوم والمعارف، فقد كتب في الأدب بفروعه، من نحو وصرف وبلاغة ولغة ومنطق وعروض وغيرها، وفي الرياضيات من حساب وهندسة وهيئة وفلك، وفي الفقه وأصوله، وعلوم القرآن والحديث، والأخلاق والتاريخ، والحكمة الإلهية، والطب والعلوم الغريبة كالرمل والجفر والكيمياء وغيرها، وقد أفرد أكثر من مؤلِّف فهرساً خاصاً بأسماء تلك المؤلفات، إليك ذكر بعضها:

١) **التحقيق في مدرسة الأوحد**؛ لآية الله المولى الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي (دام ظله)، ذكر فيه ما يقرب من (١٧٣) مصنف، مع شرح مبسط لمحتوياتها وذكر مصادرها[١] .

٢) **فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي**؛ لرياض طاهر، وهو خاص بفهرسة مؤلفاته المطبوعة؛ التي بلغت «١٠٤ مؤلفاً» .

→...

الكاظمي، ص: ٦. روضات الجنات، ج: ١، ص: ٢٢٤. صحيفة الأبرار، ج: ١، ص: ٤٨٦. رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص: ٩٧.

(١) التحقيق في مدرسة الأوحد، ج١، ص٢٢٩ .

وفيه : (إنَّ مجموع ما صدر عن المترجم من رسائل وكتب وخطب وفوائد وقصائد «١٥٤»، ومجموع جوابــات المسائل «٥٥٥ مسألة»، من مخطوطة ومطبوعة على الأقل)(٣) .

٣) فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي وسائر مــشائخ عظــام؛ للشيخ أبو القاسم الكرماني، كتاب فارسي ضخم، طبع في «كرمــان» بإيران، وجاء فيه : (إنَّ مجموع آثار الشيخ أحمد تبلغ «١١٥رســالة»، و«٥ خطب»، و«٣٥ فائدة»، و«مراسلة واحدة»، تقع في ٣١ مجلداً، فُقِد منها «١١مجلداً»)(١) .

ومن أشهر تلك المؤلفات:

١- حياة النفس في حضرة القدس.

٢- شرح الزِّيارة الجامعة الكبيرة؛ في أربع مجلَّدات.

٣- شرح الفوائد؛ في الحكمة عليهم السلام -الكتاب الذي بين يديك-.

٤- شرح على العرشية والمشاعر؛ للملا صدر الدين الشيرازي.

٥- شرح على الرسالة العلمية؛ للملا محسن الفيض الكاشاني.

٦- صراط اليقين في شرح تبصرة المتعلمين؛ للعلامة الحلي.

٧- عجالة في أسرار تجويد القرآن.

٨- تفسير سورة التوحيد وآية النور.

---

(٣) فهرست تصانيف كتب الشيخ أحمد الأحسائي، ص٣ .

(١) فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي وسائر مشائخ عظام، ص: ٧٣٥ .

٩- رسالتي العصمة والرجعة.

١٠- حقيقة الرؤيا وأقسامها، ووسائل الهمم العليا في مسائل الرؤيا.

١١- ديوان شعر، يسمى بـ(الاثني عشرية)، أو (نشيد العوالي).

١٢- الكشكول؛ في أربع مجلدات، مرتب على حروف الهجاء.

وقد جُمع بعض رسائله تَدْشُ تحت عنوان: (جوامع الكلم)؛ طُبع في إيران على الحجر في مجلدين كبيرين، يحتوي الأول على حوالي (٤٠) رسالة، والثاني على حوالي (٥٢) رسالة.

۞ أسفاره وتنقلاته:

أول سفرٍ له تَدْشُ كان من (الأحساء) إلى العراق، في سنة: (١١٨٦هـ)، وعمره يومذاك عشرون سنة، وظل يتنقل بين كربلاء والنجف؛ لحضور دروس مشاهير الوقت.

وبعد حلول طاعون جارف في العراق؛ عاد إلى وطنه (المطيرفي) بالأحساء، وتزوج بها، وبعد مدَّة انتقل إلى مدينة (الهفوف) -عاصمة الأحساء- ولبث بها زمناً.

ثم لَمَّا أحس بما ستلاقيه الشيعة هناك من هجوم الظالمين؛ أنذر الأهالي وأمرهم بالهجرة، وهاجر مع عائلته إلى (البحرين) حدود عام: (١٢٠٨هـ)، وسكنها أربع سنين.

في عام (١٢١٢هـ) عاد إلى العتبات المقدسة بالعراق، وبعد الزيارة سكن البصرة وتنقّل في عدة قرى منها، وفي عام (١٢٢١هـ) زار النجف الأشرف مع جمعٍ من أصحابه، وزار سائر العتبات المشرَّفة.

ثم عزم على زيارة الإمام الرضا عليه السلام، فمر في طريقه بمدينة: (يزد)، فأعجب به أهلها، وعظم في صدورهم، وطلبوا منه البقاء عندهم، فامتنع ووعدهم بإنجاز طلبهم بعد عودته من الزيارة.

وبعد عودته إلى (يزد) أحاطه أهلها بالرعاية وأحبوه كثيراً، فلما ذاع صيته، وسمع به السلطان فتح علي شاه القاجاري؛ أرسل من يدعوه إلى طهران، وبعد ممانعة الشيخ قدس سره الشديدة من الحضور إلى طهران؛ وإصرار الشاه استجاب للدعوة، فتوجه بعد زيارته للإمام الرضا عليه السلام إلى العاصمة (طهران)، في موكب عظيم، وجرى له في كل مدينة أو قرية مرَّ بها تكريم وتعظيم، وحلَّ دار السلطان فتح علي شاه، فأعزه وأكرمه، واجتمع به علماء طهران وفضلاؤها.

وبعد أن أقام في (طهران) سنتين مكرَّماً محترماً؛ خيَّره الشاه في سكنى أي بلاد إيران، فاختار مدينة (يزد)، فنَزلها في سنة (١٢٢٤هـ)، وسكنها أكثر من خمس سنين مشتغلاً بالتدريس ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وبعد زيارة ثانية للإمام الرضا عليه السلام عزم على مغادرة (يزد) إلى العتبات المقدسة في العراق، فغادر المدينة على غير رضىً من أهلها، ومر موكبه بأصفهان حدود سنة (١٢٣٠هـ)، وبعد أربعين يوماً فيها غادر إلى (كرمانشاه)، وطلب منه (محمد علي ميرزا بن السلطان فتح علي شاه)

البقاء عندهم، وألح عليه، فوعده الشيخ قدس سره أن يعود بعد زيارة الأئمة عليهم السلام في العراق، وبعد الزيارة عاد إلى (كرمانشاه)، وبقي فيها ثلاث سنين، وقد عاد إلى العراق خلال تلك المدة غير مرة.

وفي سنة (١٢٣٢هـ) توجه قدس سره إلى الحج لأول مرة، وبعد الحج عاد إلى العراق، ثم إلى (كرمانشاه) وعاش فيها عدة سنين زار خلالها العراق عدة مرات.

ولمّا توفي الوالي محمد علي ميرزا؛ اضمحلت (كرمانشاه) فغادرها قدس سره إلى (قزوين) ثم إلى (طهران) و(شاه عبد العظيم)، ثم إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، وبعدها إلى (طبس) ثم (أصفهان)، ثم عاد إلى (كرمانشاه).

وبعد كل ذلك؛ عزم على مجاورة الأئمة بالعراق، فتوجه إلى (كربلاء)، ونَزلها مستوطناً، وبعد مدة حدثت خلافات شديدة بينه وبين بعض علماء الحائر الحسيني؛ بسبب ما وُجه له من اتهامات، ووقف عدد من العلماء، وجمع من الناس مدافعين عنه.

فرأى أن فتنة عظمى تكاد أن تقع على المؤمنين، فقرر أن يُهاجر من (كربلاء) -ابتعاداً عن الفتنة- وباع كل ما عنده من أسباب، وغادر بعد أن خلَّف تلميذه السيد كاظم الرشتي قدس سره نائباً عنه، وتوجه لاجئاً إلى بيت الله الحرام[1].

---

(١) في تفاصيل أسفار قدس سره، راجع: ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، للشيخ عبد الله نجل المترجم له، من ص: ٢٢، وما بعدها.

✿ وفاته ومدفنه:

كان عمره (٧٥ عاماً) وهو في سفره الأخير إلى بيت الله الحرام، وكان بصحبته ولداه الشيخ علي والشيخ عبد الله وبقية عائلته، وبصحبته أيضاً بعض تلامذته وأصحابه وغيرهم.

وفي الطَّريق أُصيب الشيخ الأحسائي بالمرض، فتوفي قدس سره في مكان يقال له (هَدْيَة) قُرْبَ المدينة المنورة، وكان ذلك ليلة الجمعة، أو يوم الأحد (٢٢ - ذو القعدة - ١٢٤١هـ)، ومادة تأريخه (مختار)[١].

ونُقل جثمانه إلى (المدينة المنورة)، فجهَّزه نجله الشيخ علي نقي، وصلَّى عليه، ثم دُفِن في (البقيع)، خلف قبور الأئمة عليهم السلام، في الطرف المقابل لبيت الأحزان.

وممن زار قبره العلاّمة الشهير؛ الشيخ عباس القمي، صاحب كتاب (مفاتيح الجنان)، وقال أنه رأى على قبره الشريف لوحاً مكتوباً عليه:

لَزَيْنُ الدِّيْنِ أَحْمَد نُـوْرُ عِلْـمٍ تُضِيء بِهِ القُلُوب المُدْلَهِمَّـة
يُرِيْـدُ الجَـاحِـدُوْنَ لِيُطْفِئُـوهُ وَيَـأْبَى الله إلاَّ أَنْ يُتِـمَّه[٢]

---

(١) راجع دليل المتحيرين، ص: ١٤-٥٢. الدين بين السائل والمجيب، ج: ١، ص: ١٠٦. الروضة البهية، ج: ١، ص: ٥٦. روضات الجنات، ج: ١، ص: ٨٩.

(٢) الفوائد الرَّضوية، ص: ٣٧.

وحين انتشر نبأ وفاته تتنُّ؛ عمّ الحزن والأسى أوساط المـؤمنين، وقام بمراسم عزائه المسلمون، وأقام له تلامذته ومريدوه مجالس العـزاء في أنحاء مختلفة من البلاد، قال في (الروضات): (وقام بمراسم عزائه أكثر أهل الإسلام، وجلس له الشيخ محمد إبراهيم الكرباسي بأصفهان ثلاثة أيـام، وحضر مجلسه في تلك الثلاثة من الخاص والعام)[1].

وقد قال الميرزا حسن الشهير بـ(كَوهر) تتنُّ في رثاء أستاذه تتنُّ:

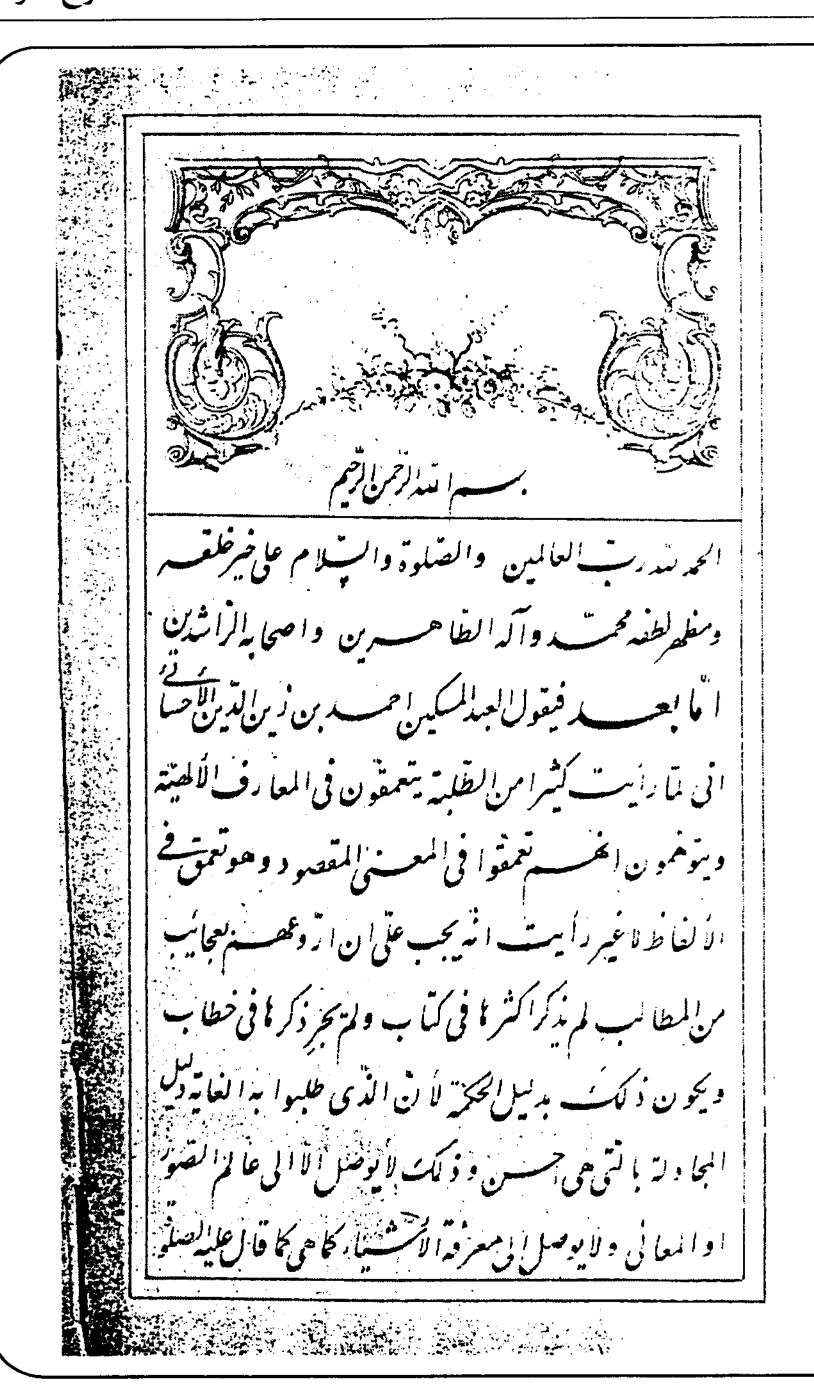
قل إن سحت عيناي طول الـدهر سـرمد	لنعي الرزء لَمّا بكّـر النـاعي وأنـشد
قلت: من تنعى؟ فقال: الطهر زين الدين أحمد	من لَه شمل الهدى والدين والدنيا تبـدَّد
ياسماءً في لحـود الأرض والتـرب توسَّـد	ما سمعنا قبل ذا أنَّ السما في الأرض تُلحد
أو يُواري الترب جسماً كان روحاً قد تجسَّد	يا فريداً جامعاً وهو من الجمـع تفـرَّد
أنت ذاك الجوهر الفرد الذي لا زال مُفـرد	مجدك السامي أشاد العلم في الدنيا وشـيَّد
يا فريداً لم يكن مَثَلٌ له في الكـون يُوجـد	وإليه الناس طُرًّا في علوم الدين تـصمد
عقمت أم العلـى مـن بعـده لَمـا تولَّـد	لا يُدانيه بتجريداتـه العقـل المُجـرَّد
كان نوراً منه مـصباح الظلامـات توقَّـد	فسمى نحو الفراديس وفي الخلد تخلَّـد

إلى أن قال في تأريخ وفاته:

فسألت الفكر عن تأريخـه يومـاً فأنـشد:	فزت بالفردوس فوزاً يا بن زين الدين أحمد[2]

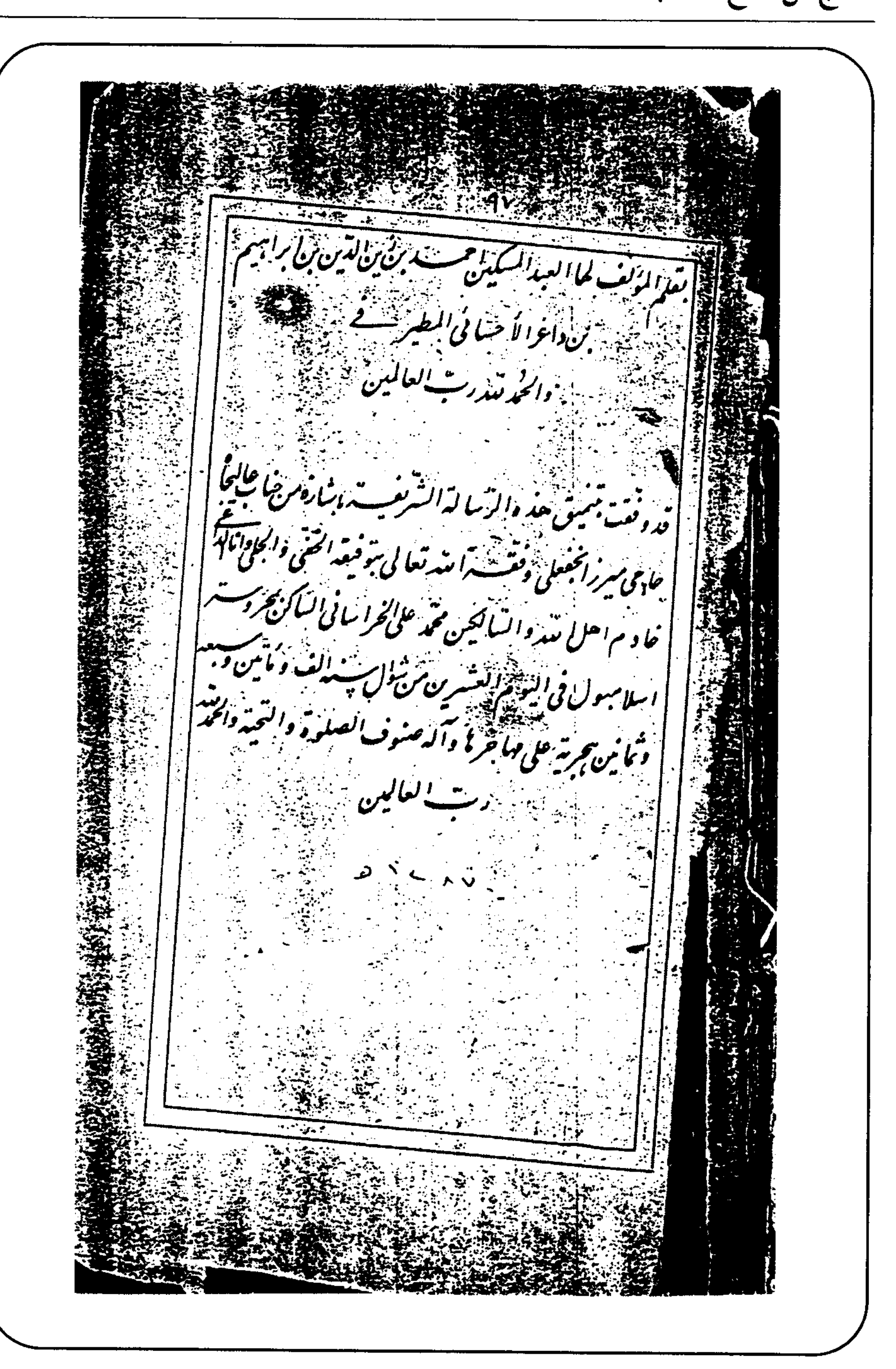
(١) روضات الجنات، ج: ١، ص: ٩٤.

(٢) التحقيق في مدرسة الأوحد، ص: ٢١٤. قصص من حياة الأوحد، ص: ٨٦.


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه ومظهر لطفه محمد وآله الطاهرين واصحابه الراشدين اما بعد فيقول العبد المسكين احمد بن زين الدين الاحسائي اني لما رايت كثيرا من الطلبة يتعمقون في المعارف الالهية ويتوهمون انهم تعمقوا في المعنى المقصود وهو تعمق في الالفاظ لاغير رايت انه يجب علي ان ازودهم بعجائب من المطالب لم نذكر اكثرها في كتاب ولم يجر ذكرها في خطاب ويكون ذلك بدليل الحكمة لان الذي طلبوا به الغاية دليل المجادلة بالتي هي احسن وذلك لايوصل الا الى عالم الصور او المعاني ولا يوصل الى معرفة الاشياء كما هي كما قال عليه الصلو

صورة الصفحة الأولى من نسخة كتاب (الفوائد)



٩٧

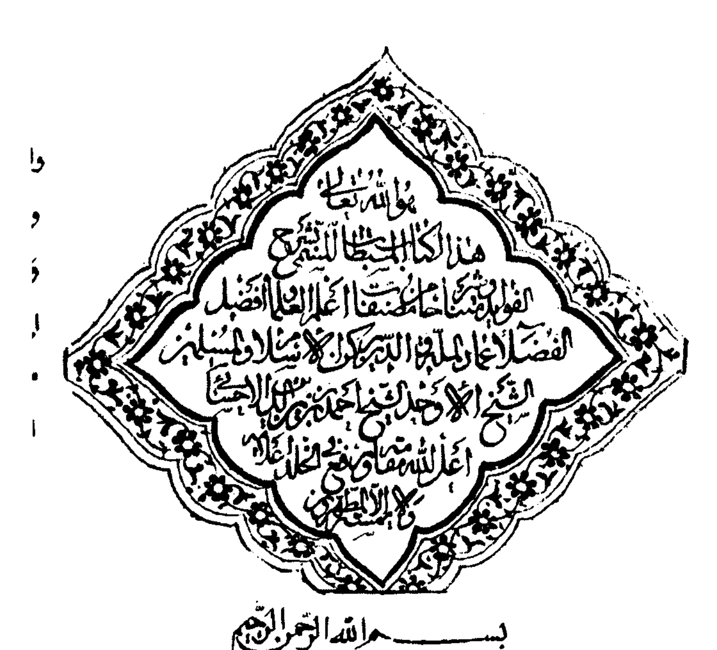
بقلم المؤلف لها العبد المسكين احمد بن زين الدين بن ابراهيم بن داغر الأحسائي المطيرفي

والحمد لله رب العالمين

قد وفقت بتنميق هذه الرسالة الشريفة باشارة من جناب عاليجاه حاجي ميرزا الجعفعلي وفقه الله تعالى بتوفيقه الخفي والجلي وانا الداعي خادم اهل الله والسالكين محمد علي الخراساني الساكن بمحروسة اسلامبول في اليوم العشرين من شوال سنة الف ومائتين وسبعة وثمانين هجرية على مهاجرها وآله صنوف الصلوة والتحية والحمد لله رب العالمين

١٢٨٧ هـ

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة كتاب (الفوائد)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين أما بعد فيقول العبد المسكين
أحمد بن زين الدين الأحسائي إن جناب الموفق المسدد والأكرم المجد جناب الآخوند الأوحد الملا
مشهد ابن المقدس العلي المرحوم حسينعلي سلمه الله بدوام رضاه وبلغه ما يتمناه من أمر آخرته ودنياه قد التمس
مني إثبات بعض الكلمات في بيان معنى ما ذكرته وأشرت إليه في الرسالة التي سميتها بالفوائد وهي مشتملة
على اثني عشر فائدة لأنها لما كانت مشتملة على معان لم يذكرها أحد من العلماء ولم يعثر عليها شخص
من الحكماء حتى كانت مع تأصلها في اليقين وابتناء الحق عليها في الدين غريبة مجهولة إذ لم تجر على الألسن
ولم تكتب في الدفاتر وإنما نبهوا عليها أئمة الهدى في الأخبار المروية عنهم عليهم السلام وفيما فسروه من كتاب
الله تعالى فأشار إلي سلمه الله وبلغه كل ما يتمناه من أمور دنياه وعقباه أن أبين له بيانا يفهم منه
عبارات الرسالة ويحصل منه صريح الدلالة وإن لم يذكر الدليل لأن الغاية معرفة عباراتها و
الوقوف على إشاراتها وكان ذلك الالتماس منه في طريق سفرنا مع جناب المحترم إلى مكة المشرفة وصلوا
إلى مثل تلك الحال لا يتمكن الإنسان من إثبات الاستدلال لكثرة الاشتغال والملال وغاية التشويش

صورة الصفحة الأولى من النسخة الأولى لكتاب (شرح الفوائد)

٣٢٣

لما ظهرت بالسنبلة كمنت في السنبلة كما ترى كذلك الجسم لما ظهرت النفس به وظهر كمنت فيه
وكان محلا لجميع شؤونها وهو المراد من قولنا فاذا انزل الى مرتبة الجسمية بظاهره ظهر جسمه وقولي
بظاهره اريد انه لا يظهر ولا يتنزل بباطنه وانما يظهر بآثاره لانه آية من آيات الله وجعله الله
دليلا على ظهوره تعالى بآثار فعله وقوله وهو ومادة جسمه ايضا هو المقبول اعني مادته في الخلق الثاني
الذي هو محل السعادة والشقاوة يكون مادة الخلق الاول وصورته هو مادة الخلق الثاني وذلك
مثاله في ايجاد السرير في الخلق الاول حصة من العناصر هي مادة الخشب وحصة من الصورة النوعية
التي هي الفصل اعني الخشبية ومجموعهما الخشب فصار الخشب الذي هو مادة السرير في الخلق
الثاني مركبا من مادة وصورة فالمادة حصة من العناصر الاربعة وحصة من الفصل وهي الصورة
الخشبية ومجموعهما مادة السرير في الخلق الثاني وصورة السرير والتربيع المعلوم الذي به كونه
سريرا فالمقبول في الخلق الاول والثاني هو المادة والقابل في الاول والثاني هو الصورة
فبالصورة يتنوع الشيء ويتشخص كل في رتبته فيتعين المجرد بماهيته التي هي الصورة والانفعال
وهي قبوله لفعل فاعله تعالى بحيث يتميز عن مماثله في رتبته تميزا معنويا عقليا وصوريا
وجوهريا وحصتيا هبائيا وصوريا مثاليا والقابل في الجسمية هو ظاهرها اي ظاهر الجسمية
الذي به تتعين وهو المشخصات اعني الكم والكيف والوقت والمكان والرتبة والجهة وما يلزم ذلك
كالاذن والاجل والكتاب والوضع وانما عبرنا القابلية بهذه الاشياء لانها تنشأ عن هذه
الاشياء وتتولد منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين اما بعد
فيقول العبد الجاني والاسير الفاني كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي ان هذه الكلمات زات
تبيين صدرت مني جوابا المسألة عويصة مشكلة بعث بها الاخ الروحاني الفريد الذي

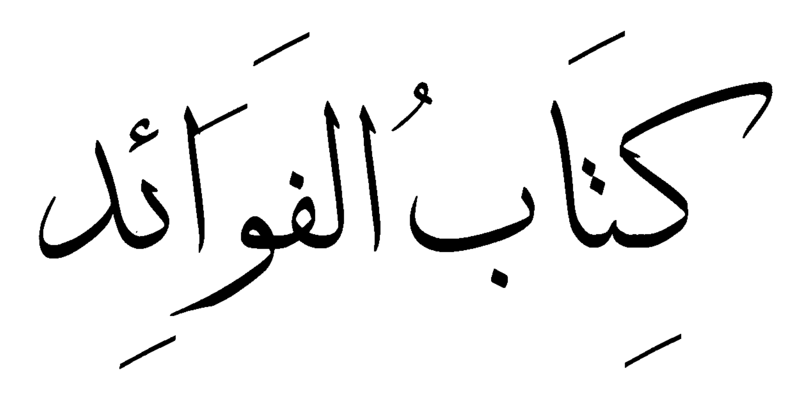
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الأولى لكتاب (شرح الفوائد)

صورة الصفحة الأولى من النسخة الثانية لكتاب (شرح الفوائد)

١٩١

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الثانية لكتاب (شرح الفوائد)





كِتَابُ الفَوَائِدِ

اثنا عشر فائدة في حكمة أهل البيت عليهم السلام

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

إعداد وتحقيق

الشيخ راضي ناصر السلمان الأحسائي

بسمه تبارك وتعالى

الفوائد الحكمية الاثنا عشرية، للشيخ العظيم الشأن، الساطع البرهان، مبيِّن أسرار الشريعة والطريقة على الحقيقة، ناموس الدَّهر، وتاج الفخر، وعلّامة العصر، المضيِّع لمبتدعات المشَّائين، المبطل لمخترعات الملحدين، قوام الملّة والدين، ركن الإسلام والمسلمين، أوحدي الموحِّدين، مجدِّد رأس المائة الثالثة عشر، بعد انقضاء الدورة الاثنا عشريَّة المتعلِّقة بظاهر العلوم في الشَّرع الأطهر، حامل الاسم السمائي لسيد البشر، صلوات الله عليه وآله وخلفائه وأوليائه النجوم الزاهرة لمن سار إلى الحق أو سفر؛ مولانا وشيخنا:

الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي

(قدَّس الله نفسه، وعطَّر رمسه)

فمن طلبها على تقوى ربِّه؛ وجدها للحكمة الإلهية مدرجاً، وللسالكين في منازل القرب منهجاً، تحوي من الحكم أصولها ومبانيها، ومن جوامع الكلم بيانها ومعانيها.

نسأل الله توفيق الهداية في البداية والنِّهاية، والارتقاء إلى حظيرة القدس ومأولى الأنس، والله سبحانه ولي التوفيق، والسلام على من اتبع الهدى.

[مقدِّمة المؤلِّف]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه، ومظهر لطفه؛ محمَّد وآله الطاهرين، وأصحابه الراشدين.

أمَّا بعد، فَيَقُوْلُ العَبْدُ المِسْكِيْن، أَحْمَدُ بْن زَيْنِ الدِّيْن الأَحْسَائي: إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ كَثِيْراً مِنْ الطَّلَبَة يَتَعَمَّقُوْنَ فِيْ المَعَارِفِ الإِلَهِيَّة، وَيَتَوَهَّمُوْنَ أَنَّهُمْ تَعَمَّقُوْا فِي المَعْنَى المَقْصُوْد، وَهْوَ تَعَمُّقٌ فِيْ الأَلْفَاظ لَا غَيْر، رَأَيْتُ أَنَّهُ يَجبُ عَلَيَّ أَنْ أُروِّعَهُمْ بِعَجَائِب مِنَ المَطَالِب، لَمْ يُذْكَرْ أَكْثَرُهَا فِيْ كِتَابٍ، وَلَمْ يَجْرِ ذِكْرُهَا فِيْ خِطَاب.

وَيَكُوْنُ ذَلكَ بِدَلِيْلِ الحِكْمَة، لأنَّ الَّذيْ طَلَبُوْا به الغَايَة؛ دَلِيْلُ المجَادَلَة بالَّتِي هِيَ أَحْسَن، وَذَلكَ لَا يُوْصِلُ إِلَّا إِلَى عَالَمِ الصُّوَرِ أَوْ المَعَانِي، وَلَا يُوْصِلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ، كَمَا قَال صلى الله عليه وآله وسلم: **«اللَّهُمَّ أَرِنِيْ الأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ»**[1]، وَلَا يُوْصِلُ إِلَى ذَلك إِلَّا دَلِيْلُ الحِكْمَة.

---

(١) رسائل المرتضى، ج: ٢، ص: ٢٦١.

وَأَرْجُو مِنَ اللهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَهْدِيْ بِهِ مَن الْتَمَسَ الْهُدَى بِهَذَا الدَّلِيْل سَوَاءَ السَّبِيْل، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْل.

الفَائدَةُ الأُوْلَى
فِيْ ذِكْرِ تَفْصِيْلِ الأَدِلَّة الثَّلَاثَة، وَذِكْرِ مُسْتَنَدِهَا وَشَرْطِهَا

اعْلَم أَنَّ الأَدِلَّة ثَلَاثَة؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّه صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِـظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**[1].

فَالأَوَّلُ: دَلِيْلُ الحِكْمَة، وَهْوَ آلَةٌ لِلْمَعَارِفِ الحَقِّيَّة، وَبِهِ يُعْرَفُ اللهُ، وَيُعْرَفُ مَا سِوَاه.

وَمُسْتَنَدُهُ: الفُؤَادُ، وَالنَّقْلُ.

أَمَّــا النَّقْلُ؛ فَهُوَ الكِتَابُ وَالسُّنَّة.

وَأَمَّا الفُؤَادُ؛ فَهْوَ أَعْلَى مَشَاعِرِ الإِنْسَان، وَهْوَ نُوْرُ اللهِ الَّذِيْ ذَكَرَهُ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: **«اتَّقُوْا فَرَاسَةَ الْمُؤْمِنْ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ»**[2].

---

(١) سورة النَّحل، الآية: ١٢٥.

(٢) الكـافي، ج: ١، ص: ٢١٨. وسـائل الـشِّيعة، ج: ١٢، ص: ٣٨. الاختصاص، ص: ٣٠٧. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٣٠. الأمَالي؛ للطوسـي، ص: ٢٩٤. بصائر الـدَّرجات، ص: ٣٥٥. تأويل الآيات الظَّـاهرة، ص: ٢، تفسير العيَّاشي، ج: ٢، ص: ٢٤٧. شـواهد التنـزيل، ج: ١، ص: ٤٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٢٠٠. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ١٢٣.

وَهْوَ الوُجُوْدُ؛ لأنَّ الوُجُوْدَ هُوَ الجِهَةُ العُلْيَا مِنَ الإِنْسَانِ؛ لأنَّ الوُجُوْدَ لَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ أَبَداً؛ بَلْ إِلَى رَبِّهِ، كَمَا أَنَّ المَاهِيَّةَ لَا تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا أَبَداً؛ بَلْ تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهَا.

أمَّا شَرْطُهُ: فَأَنْ تُنْصِفَ رَبَّكَ؛ لأَنَّكَ حِيْنَ تَنْظُرُ بِدَلِيْلِ الحِكْمَةِ أَنْتَ تُحَاكِمُ رَبَّكَ، وَهْوَ يُحَاكِمُكَ إِلَى فُؤَادِكَ، كَمَا قَالَ سَيِّدُ الوَصِيِّيْنَ عليه السلام: **«لَا تُحِيْطُ بِهِ الأَوْهَام، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا»**[1]، فَرَبُّكَ يُخَاصِمُكَ عِنْدَكَ، فَزِنْ بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيْمِ، ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيْلاً**﴾[2].

وَتَقَــفُ عِنْدَ بَيَانِكَ وَتَبَيُّنِكَ وَتَبْيِيْنِكَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[3].

وَتَنْظُرُ فِي تِلْكَ الأَحْوَالِ كُلِّهَا بِعَيْــنِهِ تَعَالَى، لَا بِعَيْنِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحــاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْــلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾[4]، فَهَذَا نَمَطُ دَلِيْلِ الحِكْمَةِ.

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. بحار الأنــوار، ج: ٤، ص: ٢٦١.

(٢) مقتبس من قوله تعالى: ﴿**وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْــرٌ وَأَحْــسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[سورة الإسراء، الآية: ٣٥].

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

وَأَمَّا دَلِيْلُ المَوْعِظَة الحَسَنَة: فَهُوَ آلَةٌ لِعِلْمِ الطَّرِيْقَة، وَتَهْذِيْبِ الأَخْلَاقِ، وَعِلْمِ اليَقِيْنِ وَالتَّقْوَى، وَإِنْ كَانَتْ هَذِه العُلُوْمُ تُسْتَفَادُ مِنْ غَيْرِه، وَلَكِنْ بِدُوْنِ مُلَاحَظَةِ هَذَا الدَّلِيْل لَا تَقِفْ عَلَى اليَقِيْنِ؛ لِأَنَّه أَقَلُّ مَا قَسَّمَ اللهُ عَلَى العِبَاد.

وَمُسْتَنَدُهُ: القَلْبُ وَالنَّقْلُ.

وَشَرْطُهُ: إِنْصَافُ عَقْلِكَ. بِمَعْنَى: أَنْ لَا تَظْلِمَهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وَمَا يُرِيْدُ مِنْكَ مِنَ الحَقِّ.

وَمِثَالُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾**[(١)]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[(٢)].

وَكَقَوْلِ الصَّادِقِ عليه السلام لِعَبْدِ الكَرِيْمِ ابْنِ أَبِي العَوْجَاء حِيْنَ أَنْكَرَ عَلَى الطَّائِفِيْنَ بِالبَيْتِ الحَرَامِ، قَالَ -مَا مَعْنَاهُ-: **«إِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا**

---

(١) سورة فصِّلت، الآية:٥٢.

(٢) سورة الأحقاف، الآية:١٠.

تَقُوْلُوْنَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُوْلُوْنَ؛ فَأَنْتُمْ وَهُمْ سَوَاء، وَإِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا يَقُوْلُوْنَ، وَهُوَ كَمَا يَقُوْلُوْنَ؛ فَقَدْ نَجَوْا وَهَلَكْتُمْ»(١).

فَهَذَا نَمَطُ دَلِيْلِ المَوْعِظَة الحَسَنَة.

وَأَمَّا دَلِيْلُ المُجَادَلَة بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن: فَهُوَ آلَةٌ لِعِلْمِ الشَّرِيْعَة.

وَمُسْتَنَدُهُ: العِلْمُ وَالنَّقْلُ.

وَشَرْطُهُ: إِنْصَافُ الخَصْمِ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ المُجَادَلَةُ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنْ.

وَهُوَ مِثْلُ مَا قَرَّرَهُ أَهْلُ المَنْطِق؛ مِنَ المُقَدِّمَات وَكَيْفِيَّةُ الدَّلِيْلِ، وَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الأُصُوْلِ وَغَيْرِهِمْ؛ مِنَ الأَدِلَّة وَكَيْفِيَّة الاسْتِدْلَال، عَلَى نَحْوٍ لَا يَكُوْنُ فِيْهِ إِنْكَارُ حَقٍّ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ خَصْمِكَ المُبْطِلْ فِيْ مَطْلَبِه، وَلَا اسْتِدْلَالٌ بِبَاطِلٍ عَلَى حَقٍّ، وَلَا عَلَى إِبْطَال بَاطِل.

وَلَا يَحْتَاجُ هَذَا إِلَى تَمْثِيْلٍ؛ لِأَنَّ الكُتُبَ مَشْحُوْنَة بِه، بَلْ لَا تَكَادُ تَجِدُ غَيْرَهُ إِلَّا نَادِراً، وَذَلِكَ لِضَعْفِ المُسْتَدِلِّيْنَ وَالمُسْتَدَلُّ لَهُمْ وَعَلَيْهِم، وَلَكِنْ لَا تَغْفَل عَنْ أَخْذ حَظٍّ مِنْ دَلِيْلِ المَوْعِظَة الحَسَنَة، فَإِنَّهُ بِشَرْط طَرِيْقِ السَّلَامَةِ وَالرَّاحَة فِي الدُّنْيَا، وَالنَّجَاة فِي الآخِرَة.

---

(١) ورد نصُّ هذه الرواية في خبرٍ طويل جدّاً، سنذكر قسماً منه في هامش شرح هذه الفائدة، ولمصدرها راجع: الكافي، ج: ١، ص: ٧٤-٧٥. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٤٢.

وَهَذَا إِذَا لَمْ تَنَلْ دَلِيْلَ الحِكْمَة؛ وَإِلَّا فَخُذْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ، فَـ"لَيْسَ وَرَاءَ عَبَّادَان قَرْيَةٍ"[1]، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَحْفَظُ لَكَ وَعَلَيْكَ.

---

(١) **عبَّادان** -على صيغة التثنية-: بلدٌ على بحر فارس بقرب البصرة شرقاً.

وعن الصنعاني أنَّ عَبَّادان: جزيرةَ أحاط بها شعبتا دجلة. [مجمع البحرين، ج: ٣، ص: ٩٢]، وقوله: (ليس وراء عبَّادان قرية)؛ مثلٌ يُضرب للشيء الذي ليس بعده غيره.

الفَائِدَةُ الثَّانِيَة
فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ الوُجُوْد

اعْلَم أَنَّ الَّذِي يُعبَّر عَنْهُ عِنْدَ طَلَبِ مَعْرِفَتِهِ بِالوُجُوْد، ثَلَاثَة أَقْسَام:

الأَوَّل؛ الوُجُوْدُ الحَقّ.

وَهَذَا الوُجُوْدُ؛ لَا يُدْرَكُ بِعُمُوْمٍ وَلَا خُصُوْصٍ، وَلَا إِطْلَاقٍ وَلَا تَقْيِيْد، وَلَا كُلّ وَلَا كُلِّيّ، وَلَا جُزْء وَلَا جُزْئِي، وَلَا بِمَعْنَى وَلَا لَفْظ، وَلَا كَمّ وَلَا كَيْف، وَلَا رُتْبَة وَلَا جِهَة، وَلَا وَضْعٍ وَلَا إِضَافَة، وَلَا نِسْبَة وَلَا ارْتِبَاط، وَلَا فِيْ وَقْتٍ وَلَا فِيْ مَكَان، وَلَا عَلَى شَيْء وَلَا فِي شَيْء، وَلَا فِيْه شَيْء وَلَا مِنْ شَيْء، وَلَا لِشَيْء وَلَا كَشَيْء، وَلَا عَنْ شَيْء، وَلَا بِلُطْف وَلَا بِغلْظ، وَلَا اسْتِدَارَةٍ وَلَا امْتِدَاد، وَلَا حَرَكَة وَلَا سُكُوْن، وَلَا اسْتِضَاءَة وَلَا ظُلْمَة، وَلَا بِانْتِقَال وَلَا بِمَكْث، وَلَا تَغيُّر وَلَا زَوَال، وَلَا يُشَابِهُهُ شَيء، وَلَا يُخَالِفُهُ شَيء، وَلَا يُوَافِقُهُ شَيء، وَلَا يُعَادِلُهُ شَيء، وَلَا يَبْرُزُ مِنْ شَيء، وَلَا يَبْرُزُ مِنْهُ شَيء، وَكُلُّ صِفَة أَوْ جِهَة، أَوْ صُوْرَة أَوْ مِثَال، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُمْكِن فَرْضُهُ أَوْ وُجُوْدُهُ، أَوْ تَمَيُّزُه أَوْ إِبْهَامُهُ؛ فَهُوَ غَيْرُهُ.

وَلَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ أَوْ غَيْرِه، وَلَا بِضِدِّه، وَلَا يُعْرَفُ بِمَا هُوَ فِيْ سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ، وَلَا طَرِيْق إِلَى مَعْرِفَتِه بِوَجْهٍ، لَا بِنَفْي وَلَا إِثْبَاتٍ، إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِه نَفْسَهُ.

وَلَا يُدْرِكُ أَحَدٌ كُنْهَ صِفَتِه؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ بِمَا تَعَرَّفَ لَهُ بِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّفْ لِأَحَدٍ بِنَحْوِ مَا عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَإِلَّا لَشَابَهَهُ سُبْحَانَهُ.

فَهْوَ المَعْلُوْمُ وَالمَجْهُوْلُ، وَالمَوْجُوْدُ وَالمَفْقُوْدُ، فَجِهَةُ مَعْلُوْمِيَّتِه نَفْسُ مَجْهُوْلِيَّتِهِ، وَنَفْسُ مَشْهُوْدِيَّتِهِ عَيْنُ مَفْقُوْدِيَّتِهِ، فَهْوَ لَا يُعْرَفُ بِغَيْرِهِ، وَغَيْرُهُ يُعْرَفُ بِه.

أَمَّا أَنَّهُ لَا يُدْرَكُ بِعُمُوْمٍ وَلَا خُصُوْصٍ..إلخ؛ فَلِأَنَّهَا جِهَاتُ الخَلْقِ وَصِفَاتُهُمْ، وَهْيَ لَا تَحُدُّ إِلَّا أَنْفُسَهَا، وَلَا يُدْرَكُ بِهَا إِلَّا مِثْلُهَا.

وَأَمَّا أَنَّهُ لَا يُدْرَكُ بِضِدٍّ؛ فَلِأَنَّ ضِدَّ المُمْكِنِ مُمْكِنٌ، إِذْ القَدِيْمَ لَا ضِدَّ لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَشَابَهَهَا فِيْ تَضَادِّهَا، وَلِأَنَّهُ إِنْ كَانَ قَدِيْماً؛ لَزِمَ تَعَدُّدُ القُدَمَاءِ، وَلَا يُمْكِنُ فَرْضُ ذَلِكَ فِيْ الأَزَلْ؛ لِأَنَّ الأَزَلَ هُوَ الذَّاتُ البَسِيْطُ البَحْتُ، وَلَا مَدْخَلَ فِيْهِ؛ لِأَنَّ الأَزَلَ صَمَدٌ، وَإِلَّا فَهْوَ إِمْكَانٌ، وَإِنْ كَانَ الضِّدُّ مُمْكِناً، لَمْ يَصِحَّ فَرْضُ كَوْنِ المُمْكِنِ ضِدّاً لِلْوَاجِبِ؛ لِحُدُوْثِه بِه.

وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّ ضِدَّ المُمْكِنِ مُمْكِنٍ؛ لِأَنَّ القَدِيْمَ وَالمُمْتَنِعَ لَا يَصْلُحَانِ لِمُطْلَقِ الضِّدِّيَّةِ، وَإِلَّا لَكَانَا مُمْكِنَيْنِ، وَأَمَّا فِيْ الوَاجِبِ؛ فَلِأَنَّ الضِّدَ جِهَةُ المُقَابَلَةِ وَطَرَفُهَا، وَهْوَ مُمْكِنٌ، وَأَمَّا فِيْ المُمْتَنِعِ؛ فَلِأَنَّ الضِّدَ إِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ ضِدّاً، وَإِنْ كَانَ شَيْئاً كَانَ مُمْكِناً، وَلِهَذَا لَا يَصْلُحُ العَدَمُ لِضِدِّيَّةِ الوُجُوْدِ، إِلَّا مَجَازاً؛ لِأَنَّ العَدَمَ المُمْكِنِ وُجُوْدٌ فِيْ الإِمْكَانِ، لَا فِيْ الأَعْيَانِ.

وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الصَّادِقْ عليه السلام لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ اخْتِلَافِ زُرَارَة وَهِشَام بْنِ الحَكَمِ فِيْ النَّفي، هَلْ هُوَ مَخْلُوْقٌ أَمْ لَا؟.

فَقَالَ زُرَارَة: لَيْسَ بِشَيْء.

وَقَالَ هِشَام: النَّفْيُ شَيْءٌ.

فَقَالَ عليه السلام: **«قُلْ بِقَوْلِ هِشَامٍ فِيْ هَذِهِ المَسْأَلَة»**(١).

وَأَمَّا المُمْتَنِعُ؛ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا عِبَارَةَ لَهُ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُ العِبَارَةَ لِجِهَةِ إِمْكَانِه، مِثْل: "لَا شَرِيْكَ لَهُ"؛ لِأَنَّ النَّفْيَ فَرْعُ الثُّبُوْت، وَذَلِكَ أَنَّ الأَوْهَامَ تُصَوِّرُ شَيْئاً وَتُسَمِّيْه شَرِيْكاً، مِنْ جِهَةِ تَجْوِيْزِهَا ذَلِكَ، أَوْ تَوَهُّمِ وُجُوْدِه، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾**(٢)، فَأَتَى بِهَذِهِ العِبَارَةِ مكنسَةً لِغُبَارِ الأَوْهَامِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ حَادِثَةٌ، وَارِدَةٌ عَلَى حَادِثٍ.

---

(١) عن علي بن يونس بن بهمن قال؛ قلت للرِّضا عليه السلام: جُعلت فداك، إنَّ أصحابنا قد اختلفوا، فقال: **«فِيْ أَيِّ شَيْءٍ اخْتَلَفُوْا...**

قلت: جُعلت فداك، من ذلك ما اختلف فيه زرارة وهشام بن الحكم، فقال: زرارة النَّفي ليس بشيء، و ليس بمخلوق. وقال هشام: إنَّ النَّفي شيء.

فقال لي: **قُلْ فِي هَذَا بِقَوْلِ هِشَامٍ، وَلَا تَقُلْ بِقَوْلِ زُرَارَة»** [بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٢٢].

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

وَأَمَّا المُمْتَنِعُ؛ فَلَيْسَ شَيْئاً، وَلَا عِبَارَةَ عَنْهُ، وَتَعْبِيْرِي عَنْهُ بِالعِبَارَةِ؛ لِهَذَا العُنْوَانِ المُتَوَهَّمِ، وَهْوَ حَادِثٌ، خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى بِمُقْتَضَى أَوْهَامِهِمْ؛ مِنْ بَابِ الحُكْمِ الوَضْعِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الأُصُوْلِ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ.

وَلَيْسَ هَذِهِ العِبَارَةَ عَنْ هَذَا العُنْوَانِ؛ كَالعِبَارَةِ عَنْ عُنْوَانِ حُكْمِ الوُجُوْبِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُدْرَكُ لِذَاتِهِ، إِلَّا أَنَّ العُنْوَانَ لِمَظَاهِرِهِ وَمَقَامَاتِهِ؛ الَّتِيْ لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِيْ كُلِّ مَكَانٍ.

وَلَيْسَ لِلْمُمْتَنِعِ مَظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ المَظَاهِرَ فَرْعُ الثُّبُوْتِ، وَإِنَّمَا سَمَّيْتُمْ مُمْكِناً بِمُمْتَنِعٍ، كَمَا لَوْ سَمَّيْتَ رَجُلاً بِمَعْدُوْمٍ، وَلَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا اللهُ وَصِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ.

وَأَمَّا أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ؛ فَلِأَنَّ الأَزَلَ لَيْسَ شَيْئاً غَيْرَهُ تَعَالَى، وَمَا سِوَاهُ فَهْوَ فِيْ الإِمْكَانِ، وَالأَزَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَدْخُلُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَيُخْبِرُ عَمَّا هُنَاكَ، وَيَصِفُ مَا فِيْهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ، إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَهْوَ كَمَا يَقُوْلُ، لَا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُ، فَلَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلَّا هُوَ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ بِنَفْسِهِ عَيْنُ ذَاتِهِ، فَإِذَا وَصَفَ نَفْسَهُ؛ كَانَ وَصْفُ الحَقِّ لِلْحَقِّ حَقّاً، وَيَقَعُ عَلَيْنَا وَصْفُهُ خَلْقاً، وَنَحْنُ ذَلِكَ الوَصْفُ؛ الوَاقِعُ عَلَيْنَا بِنَا، فَقَدْ تَعَرَّفَ لَنَا بِنَا، فَكَانَ وَصْفُهُ

لِلْخَلْقِ خَلْقاً، لِأَنَّ الخَلْقَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا خَلْقاً، إِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيْرُ الآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا[١]، فَلَا يُدْرِك شَيْءٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جِنْسِه.

وَمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَتَعَرَّف لِأَحَدٍ بِنَحْوِ مَا عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِه؛ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ عَرَّفَ الخَلْقَ لِلْخَلْقِ بِمَا هُمْ عَلَيْه، إِنَّهُم خَلْقٌ، وَهْوَ عَرَّفَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِخَلْقٍ، وَلَا يُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ الخَلْقِ، فَلَا يُدْرِكُ مَا تَعَرَّفَ لَهُمْ بِه بِشَيْءٍ مِنْ بَصَائِرِهِمْ، وَلَا مِنْ أَبْصَارِهِمْ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ بِبَصَرٍ مِنْهُ، قَالَ عليه السلام: **«اعْرِفُوْا اللَّهَ بِاللَّه»**[٢]، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا رَامَ عَاشِقُهَا نَظْرَةً ... وَلَمْ يَسْتَطِعْهَا فَمِنْ لُطْفِهَا

أَعَارَتْهُ طَرْفاً رَآهَا بِه ... فَكَانَ البَصِيْرُ بِهَا طَرْفَهَا

وَمَعْنَى فَهْوَ المَعْلُوْمُ وَالمَجْهُوْل...إلخ؛ أَنَّهُ المَعْلُوْمُ بِصُنْعِه، وَالمَجْهُوْلُ بِكُنْهِه، المَوْجُوْدُ بِآيَاتِه، المَفْقُوْدُ بِذَاتِه، فَظَهَرَ؛ فَلَا شَيْءَ أَظْهَرُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا ظَهَرَ كُلُّ شَيْءٍ بِأَثَرِ ظُهُوْرِه، وَبَطَنَ، فَلَا شَيْءَ أَبْطَنُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَظْهَرُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا خَفِيَ لِشِدَّةِ ظُهُوْرِه، وَاسْتَتَرَ لِعِظَمِ نُوْرِه.

---

(١) مقتبس من كلامٍ لأمير المؤمنين عليه السلام، راجع: الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٠. أعلام الدين، ص: ٥٩. تحف العقول، ص: ٦١. التوحيد، ص: ٣٩. نهج البلاغة، ص: ٢٧٣. عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص:١٥٢. شرح نهج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٧. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٩.

(٢) الكافي، ج: ١، ص: ٨٥. التوحيد، ص: ٢٨٦. روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٣٠. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٦. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٢٧٠.

وَمَعْنَى جِهَةُ مَعْلُوْمِيَّتِه نَفْسُ مَجْهُوْلِيَّتِه؛ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُعْرَفُ وَلَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هُوَ عَلَيْه، فَالطَّوِيْلُ يُعْرَفُ بِطُوْلِه، وَالعَرِيْضُ يُعْلَمُ بِعَرْضِه، وَالقَصِيْرُ يُعْرَفُ بِقِصَرِه، وَالأَبْيَضُ بِبَيَاضِه، وَالأَسْوَدُ بِسَوَادِه، وَذُوْ الهَيْئَةِ بِهَيْئَتِه، وَمَا لَا مِقْدَارَ لَهُ وَلَا لَوْنَ وَلَا هَيْئَةَ يُعْرَفُ بِذَلِكَ.

فَالوَاجِبُ سُبْحَانَهُ يُعْرَفُ بِأَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ وَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُدْرَكُ كُنْهُهُ، وَلَا تُعْلَمُ صِفَتُهُ، وَلَا يُحَاطُ بِه عِلْماً، وَأَنَّ كُلَّ مُدْرَكٍ فَهْوَ غَيْرُهُ؛ فَيُعْرَفُ بِأَنَّهُ لَا سَبِيْلَ إِلَى اكْتِنَاهِه، وَلَا إِلَى إِدْرَاكِ صِفَتِه، فَهْوَ يُعْرَفُ بِالجَهْلِ بِه، فَذَلِكَ مَا تَعَرَّفَ بِه لَنَا، فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا مِثْلَنَا، فَهْوَ الوَاجِبُ الحَقُّ، وَالمَجْهُوْلُ المُطْلَق.

وَهَذَا القِسْمُ يُعبَّرُ عَنْهُ: بِالذَّاتِ البَحْت، وَمَجْهُوْلُ النَّعْت، وَعَيْنُ الكَافُوْرِ، وَشَمْسُ الأَزَلِ، وَمُنْقَطِعُ الإِشَارَاتِ، وَالمَجْهُوْلُ المُطْلَق، وَالوَاجِبُ الحَقّ، وَاللَّاتَعَيُّن، وَالكَنْزُ المَخْفِيّ، وَالمُنْقَطِعِ الوِجْدَانِيْ، وَذَاتٌ سَاذَجٌ، وَذَاتٌ بِلَا اعْتِبَار..وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَكُلُّهَا عِبَارَاتٌ مَخْلُوْقَةٌ، تَقَعُ عَلَى مَقَامَاتِه وَعَلَامَاتِه؛ الَّتِيْ لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِيْ كُلِّ مَكَان[١]، وَهِيَ مَوْضُوْعُ عِلْمِ البَيَانِ، وَالَّذِيْ يُبْحَثُ فِيْه عَنْهُ هُوَ المَعَانِيْ، وَهِيَ أَرْكَانُ التَّوْحِيْد.

---

(١) مقتبس من دعاء الإمام الحجة عليه السلام في شهر رجب، راجع: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٩٣.

الفَائدَةُ الثَّالثَةُ
فِيْ الإشَارَةِ إلَى القِسْمِ الثَّاني

وَهوَ الوُجُودُ المُطْلَق؛ وَالتَّعيُّنُ الأَوَّلُ، وَالرَّحْمَة الكُلِّيْة، وَالشَّجَرَة الكُلِّيَّة، وَالنَّفَس الرَّحْمَاني الأَوَّلي، وَالمَشيْئَة، وَالكَاف المُسْتَديْرَة عَلَى نَفْسهَا، وَالإرَادَة، وَالكَلمَة الَّتي انْزجَرَ لَهَا العُمْق الأَكْبر، وَالإبْدَاع، وَالحَقيْقَة المُحمَّديَّة ﷺ، وَالولَايَة المُطْلَقَة، وَالأَزَليَة الثَّانيَة، وَعَالَمُ: **«فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف»**[1]، وَالمَحبَّة الحَقيْقيَّة، وَحَرَكَة بنَفْسهَا، وَالاسْمُ الَّذي اسْتَقَرَّ فِي ظلِّه، فَلَا يَخْرُج منْهُ إِلَى غَيْره، وَهْوَ المَكْنُوْن المَخزُوْن عنْدَه، وَصُبْحُ الأَزَل، وَفعْل بنَفْسه، وَعَالَم الأَمْر، وَمَا أَشْبَه ذَلكَ.

وَصفَةُ بَدْئه بنَفْسه: إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَبضَ منْ رُطُوْبَة الرَّحْمَة بتلْكَ الرُّطُوْبَة نَفْسهَا بهَا، أَرْبَعَة أَجْزَاء بهَا، وَمنْ هَبَائهَا به جُزْء به، فَقدرهُمَا بهمَا في تَعْفيْنِ هَاضمَتَها، وَانْحلَّا بهمَا، وَانْعَقَدَا بهمَا، وَتَرَاكَمَا بهمَا.

وَهَذَا هُوَ المَشيْئَة، وَهوَ المُسَمَّى بتلْكَ الأَسْمَاء المُتَقَدِّمَة.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الحديث القدسي: **«كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف»**،[شرح توحيد الصدوق، ج: ٤، ص: ٤٠. جامع الأسرار، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٩٩- ٣٤٤].

وَهٰذَا المَقَام فِي تَزْيِيْل الفُؤَاد أَرْبَع مَرَاتِب.

فَالأُوْلَى: الرَّحْمَةُ وَالنُّقْطَةُ، وَالسِّرُّ المُسْتَسِرُّ، وَالسِّرُّ المُجَلَّل بِالسِّرِّ.

وَالثَّانِيَةُ: الرِّيَاحُ، وَالنَّفَسُ الرَّحْمَانِي الأَوَّلِيّ -بِفَتْحِ الفَاءِ- المُشَار إِلَيْه بِالانْحِلَال الأَوَّل.

وَالثَّالِثَةُ: الحُرُوْفُ، المُشَارُ إِلَيْهَا بِالانْعِقَادِ الأَوَّل، وَهُوَ السَّحَابُ المُزْجَى، المُثَارُ مِنْ شَجَرِ البَحْرِ.

وَالرَّابِعَة: السَّحَابُ المُتَرَاكِمْ، وَالكَلِمَةُ التَّامَة، وَالكَلِمَةُ الَّتِي انْزَجَرَ لَهَا العُمْقُ الأَكْبَر، وَالكَافُ المُسْتَدِيْرَة عَلَى نَفْسِهَا.

وَهٰذِه المَرَاتِبُ إِنَّمَا تَعَدَّدَت؛ بِاعْتِبَارِ التَّفْصِيْلِ الفُؤَادِيّ فِي كَشْفِه، وَإِلَّا فَهُوَ شَيْء وَاحِدٌ بَسِيْطٌ، لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ أَبْسَطُ مِنْهُ، خَلَقَهُ اللهُ بِنَفْسِه، وَأَقَامَهُ بِنَفْسِه، وَأَمْسَكَهُ بِظِلِّه، وَذٰلِكَ فِي العُمْقِ الأَكْبَرِ عَلَى حَدِّه الأَعْلَى، فَهُوَ المُحَدِّد لِلعُمْقِ الأَكْبَرِ، وَالعُمْقُ الأَكْبَر مُحَدِّدٌ لَه، لَا يَفْضُلُ أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ، وَهٰذَا فِعْلُ اللهِ.

وَحَيْثُ عُلِمَ بِالضَّرُوْرَة؛ أَنَّ هَيْئَةَ المَفْعُوْلِ -مِنْ حَيْث هُوَ مَفْعُوْل- هَيْئَةُ الفِعْلِ، كَالكِتَابَة؛ فَإِنَّ هَيْئَتَها هَيْئَةُ حَرَكَة اليَد، فَعَلَى حَسَب هَيْئَة حَرَكَة يَد الكَاتِب تَكُوْنُ كِتَابَتُهُ؛ وَجَبَ أَنْ تَكُوْن تِلْكَ الجِهَات المُعْتَبَرَة فِي الفِعْلِ عَلَى جِهَة البَسَاطَة وَالاتِّحَاد، تَكُوْن بِنَحْوِهَا فِي المَفْعُوْل عَلَى جِهَة التَّرْكِيْب وَالتَّعَدُّد، وَإِنْ اخْتَلَفَت المَفْعُوْلَات بِحَسَب مَرَاتِبِهَا فِي قُوَّة التَّرْكِيْب وَضَعْفِه، وَظُهُوْرِه وَخَفَائِه، وَكَثْرَتِه وَقِلَّتِه، وَفِي كَثْرَة التَّعَدُّد وَقِلَّتِهَا، وَظُهُوْرِه وَخَفَائِه، لِأَنَّهَا فِي الفِعْلِ عَلَى نَحْوٍ أَشْرَف، لَيْسَ فِي

الإِمْكَانِ نَحْوٌ أَشْرَفُ مِنْهُ، وَلِهَــذَا كَانَ فِي أَكْمَلِ مَرَاتِبِ البَسَاطَةِ الإِمْكَانِيَّةِ، بِحَيْث لَا تَكَاد تُعْتَبَرُ فِيْهِ جِهَةُ تَعَدُّدٍ؛ إِلَّا مِنْ جِهَةِ التَّعَلُّقِ.

وَهَذَا هُوَ الجَوَازُ الرَّاجِحُ الوُجُوْدِ، وَهُوَ الوُجُوْدُ المُطْلَقُ، أَيْ: الوُجُوْدُ لَا بِشَرْطٍ، وَهْوَ المَشِيْئَة، وَالعَزْمُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ الإِرَادَة.

وَمَعْنَى أَنَّهَا خُلِقَتْ بِنَفْسِهَا؛ أَنَّهَا خُلِقَتْ لَا بِمَشِيْئَةٍ غَيْرِهَا.

وَنَظِيْرُهَا: أَبُوْنَا آدم عليه السلام؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ غَيْرِه، وَإِنَّمَا كَانَ بِنَفْسِهِ، وَكَانَ البَشَرُ مِنْهُ بِالتَّنَاكُحِ وَالتَّنَاسُلِ، فَكَذَلِكَ المَشِيْئَة مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ غَيْرِهَا، وَكَانَتْ الأَشْيَاء مِنْهَا بِالتَّنَاكُحِ وَالتَّنَاسُلِ.

وَمَعْنَى قَوْلِنَا: "مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ غَيْرِه" فِيْ آدَمَ عليه السلام؛ إِنَّهُ كَانَ مِنْ مَادَّتِه وَهْوَ الأَبُ، وَمِنْ صُوْرَتِه وَهْيَ الأُمُّ، وَكَذَا فِي المَشِيْئَةِ؛ إِلَّا أَنَّهُمَا فِي المَشِيْئَةِ وُجِدَا بِأَنْفُسِهِمَا، أَيْ: وُجِدَ كُلٌّ وَاحِدٍ بِنَفْسِه وَبِالآخَرِ.

وَمَعْنَى ذَلِكَ؛ أَنَّهُ وُجِدَ مَقْبُوْلُهُ بِنَفْسِه، وَقَابِلُهُ بِالآخَرِ، وَلَا إِيْجَادَ لَهُمَا إِلَّا بِأَنْفُسِهِمَا، وَمَا سِوَاهَا وُجِدَ مَقْبُوْلُهُ بِالفِعْلِ، وَقَابِلُهُ بِالتَّبَعِيَّةِ عَلَى مَا نُبَيِّنُهُ.

وَمَعْنَى أَنَّ الأَشْيَاء كَانَتْ بِالتَّنَاكُحِ وَالتَّنَاسُلِ؛ أَنَّ المَادَّةَ هِيَ الأَبُ، وَالصُّوْرَةُ هِيَ الأُمُّ -عَلَى مَا نُبَيِّنُ لَكَ- فَنَكَحَت المَادَّةُ الصُّوْرَة، عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِه صلى الله عليه وآله؛ فَوَلَدَت الصُّوْرَة الشَّيْء.

وَالمَشِيْئَة؛ هِيَ آدَمُ الأَوَّل، وَحَوَّاؤُهُ هِيَ الجَوَاز، وَهِيَ كُفْؤُه، لَا تَزِيْدُ عَلَيْهِ وَلَا تَنْقُصُ عَنْه، كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ سَابِقاً، فَافْهَم.

وَهـــذَا هُوَ النَّـــارُ المُشَارُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾(١)، فَمَكَانُهُ الإِمْكَان، وَوَقْتُهُ السَّرْمَد، فَهُوَ لِلسَّرْمَد كَالأَطْلَسِ لِلزَّمَان، فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُحَدَّبُهُ فِي مَكَانٍ وَلَا زَمَانٍ، وَإِنَّمَا المَكَانُ وَالزَّمَانُ انْتَهيَا بِهِ، لَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ عَنِ الآخَرِ، وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنْ مُحَدَّبِهِ مِنَ الجِسْمِ وَالزَّمَانِ وَالمَكَانِ لَطُفَ وَرَقَّ، وَكُلَّمَا بَعُدَ مِنْهُ كَثُفَ وَغَلُظَ.

كَذَلِكَ هَذَا الوُجُوْدُ، أَي: الجَوَازُ الرَّاجِحُ، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الفِعْلِ وَالإِمْكَانِ وَالسَّرْمَدِ لَطُفَ وَرَقَّ، حَتَّى يَكَادُ يَخْفَى عَنْ نَفْسِهِ، وَحَتَّى يَكَادُ يَظْهَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَكُلَّمَا بَعُدَ عَنْ نَفْسِهِ مِنْهَا غَلُظَ، أَيْ: ظَهَرَ حَتَّى يَكَادُ يَظْهَرُ فِي المَفْعُوْلَاتِ، وَحَتَّى يَكَادُ يَفْقِدُ مِنْهَا، فَالإِمْكَانِ وَالسَّرْمَدِ انْتَهيَا بِهِ.

وَكَمَا أَنَّ المُحَدَّدَ وَالمَكَانَ فِي الزَّمَانِ، وَهُوَ المُحَدَّدُ فِي المَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالمَكَانِ فِي المُحَدَّدِ، أَيْ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ حَاوٍ لِلاثْنَيْنِ، كَذَلِكَ الفِعْلِ وَالإِمْكَانِ وَالسَّرْمَدِ؛ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا حَاوٍ لِلاثْنَيْنِ الآخَرَيْنِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْتَهٍ بِالآخَرِ مِنْ الثَّلَاثَةِ، إِلَّا أَنَّ الوُجُوْدَاتِ الثَّلَاثَةِ عَلَى أَوْضَاعٍ ثَلَاثَةٍ:

فَالوَاجِبُ: أَزَلُهُ ذَاتُهُ، وَمَكَانُهُ ذَاتُهُ.

وَالمُمْكِنُ: الَّذِي هُوَ الوُجُوْدُ المُقَيَّدُ، وَهُوَ جَمِيْعُ المَفْعُوْلَاتِ، مَكَانُهُ غَيْرُ زَمَانِهِ، وَهُمَا غَيْرُ ذَاتِهِ.

وَأَمَّا الجَوَازُ الرَّاجِحُ: فَمَكَانُهُ وَزَمَانُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِ الاتِّحَادِ

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

وَالمُغَايَرَة بَيْنَ بَيْن، لَيْسَ عَلَى حَدِّ الوَاجِبِ فِي الاتِّحَادِ، وَلَا عَلَى حَدِّ المُمْكِنِ فِي التَّعَدُّدِ، هَذَا بِالنِّسْبَة إِلَى نَفْسه.

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى ارْتِبَاطِهِ بِالمُمْكِنِ؛ فَمُتَغَايِرَةٌ مُغَايَرَةً أَبْسَطَ مِنْ مُغَايَرَةِ المُمْكِنِ، فَافْهَم.

الفَائِدَة الرَّابِعَة
فِي الإِشَارَةِ إِلَى تَقسِيْمِ الفِعْل فِي الجُمْلَة

اعْلَمْ أَنَّ الفِعْلَ بِاعْتِبَارِ مَرَاتِبِهِ عِنْدَ تَعَلُّقِهِ بِالمَفْعُوْلَات يَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ.

فَالأَوَّل: مَرْتَبَةُ المَشِيْئَةِ؛ وَهْيَ الذِّكْرُ الأَوَّل، كَمَا قَالَ الرِّضَا عليه السلام لِيُوْنُس[1]، وَالمُرَادُ أَنَّ الشَّيء قَبْلَ المَشِيْئَة؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذِكْر فِي جَمِيْعِ مَرَاتِب الإِمْكَان، فَأَوَّلُ ذِكْرِهِ مَعْلُوْمِيَّتِه فِيْ كَوْنِه.

وَمِثَالُهُ: فِيْمَا يَبْدُو لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ، فَإِنَّه لَمْ يَكُ شَيْئاً قَبلَ أَنْ تَذْكُرَهُ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُ كَانَ ذِكْرُكَ لَهُ أَوَّلَ مَرَاتِب وُجُوْدَاتِه، وَهُوَ كَوْنُهُ.

وَالثَّانِي: الإِرَادَةُ؛ وَهِيَ العَزِيْمَةُ عَلَى مَا يَشَاء، وَهِيَ ثَانِي ذِكْرِهِ، وَمَعْلُوْمِيَّتِهِ فِي عَيْنِه، وَلَم يَكُنْ لَهُ وُجُوْدٌ قَبْلَهُ إِلَّا الذِّكْر الأَوَّل؛ الَّذي هُوَ كَوْنُهُ، وَهُوَ صُدُوْرُ الوُجُوْد قَبْلَ لُزُوْمِ المَاهِيَّةِ لَهُ، وَبِهَا تَلْزَمُهُ المَاهِيَّة، وَبِالمَشِيْئَةِ كَانَتْ الإِرَادَة لِتَرَتُّبِهَا عَلَيْهَا.

وَالثَّالِثُ: القَدَرُ؛ وَهُوَ الهَنْدَسَةُ الإِيْجَادِيَّة، وَفِيْهِ إِيْجَادُ الحُدُوْد؛ مِنَ

---

(١) سيأتي نقل نصّ الرواية في شرح هذه الفائدة، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-١١٧.

الأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، وَالبقَاء وَالفنَاء، وَضَبْط المَقَادِيْرِ وَالهَيْئَات الدَّهْرِيَّة وَالزَّمَانيَّة؛ منَ الوَقْتِ وَالمَحَلِّ، وَالكَمِّ وَالكَيْف، وَالرُّتْبَة وَالجهَة، وَالوَضْع وَالكتَاب، وَالإذْن وَالأَعْرَاضِ وَمَقَادِيْرِ الأَشعَّة، وَجَمِيْعِ النِّهَايَات إِلَى انْقطَاعِ وُجُوْدَاته.

وَفِي هَذَا أَوَّلُ الخَلْقِ الثَّانِي، وَبَدْء السَّعَادَة وَالشَّقَاوَة، وَبالإِرادَة كَانَ القَدَرُ؛ لِتَرَتُّبه عَلَيْهَا.

وَهَذه الأَشْيَاء المَذْكُوْرَة تَجْرِي فِي الخَلْقِ الأَوَّل عَلَى نَحْوٍ أَشْرَف، وَإِنَّمَا ذُكِرَت هُنَا؛ لأَنَّه مَحَلُّ الهَنْدَسَة، وَهُنَاكَ مَحَلٌّ بَسَاطَة.

وَالرَّابعُ: القَضَاءُ؛ وَهُوَ إِتْمَامُ مَا قدَّر، وَتَرْكيْبُهُ عَلَى النَّظْمِ الطَّبِيْعيّ.

فَالقَدَرُ؛ كَتَقْدِيْرِ آلَات السَّرِيْرِ من الطُّوْلِ وَالعَرْضِ وَالهَيْئَة.

وَالقَضَاءِ؛ تَرْكِيْبُها سَرِيْراً.

وَالخَامسُ: الإِمْضَاء؛ وَهُوَ لَازِمٌ لِلقَضَاء، وَهُو إِظْهَارُهُ مُبَيَّن العلَل، مَشْرُوْحَ الأَسْبَابِ؛ لِاجْتِمَاعِ مَرَاتبِ التَّعْرِيْف لِآثَارِ الصِّفَات الفعْلِيَّة الإِلَهِيَّة فيْه.

فَالأَرْبَعُ المَرَاتبُ الأُوَلُ؛ هِيَ الأَرْكَانُ لِلْفعْلِ، وَالخَامسُ بيَــانُها، وَبالقَدَرِ كَانَ القَضَاءُ، وَبِالقَضَاءِ كَانَ الإِمْضَاء، فَهَذِهِ الأَرْبَعةُ هِيَ صُبْحُ الأَزَلُ.

وَالنُّوْرُ الَّذي أَشْرَقَ منْ صُبْحِ الأَزَل أَرْبَعَةُ أَنْوَارٍ؛ هِيَ العَرْشُ الَّذي اسْتَوَى عَلَيْه الرَّحْمَانُ بِرحْمَانيَّته، الَّتِي هِيَ هَذه الأَرْبَعُ المَرَاتبُ منَ الفعْلِ.

فَالنُّوْرُ المُشْرِقُ عَن المَرْتَبَةِ الأُوْلَى؛ هُوَ رُكْنُ العَرْشِ الأَيْمَنِ الأَعْلَى،

وَهُوَ النُّوْرُ الأَبْيَضِ.

وَالنُّوْرُ المُشْرِقُ عَنْ المَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ؛ هُوَ رُكْنُ العَرْشِ الأَيْمَنِ الأَسْفَلِ، وَهُوَ النُّوْرُ الأَصْفَر.

وَالنُّوْرُ المُشْرِقُ عَنْ المَرْتَبَةِ الثَّالثَةِ؛ هُوَ رُكْنُ العَرْشِ الأَيْسَرِ الأَعْلَى، وَهُوَ النُّوْرُ الأَخْضَرُ.

وَالنُّوْرُ المُشْرِقُ عَن المَرْتَبَةِ الرَّابعَةِ؛ هُوَ رُكْنُ العَرْشِ الأَيْسَرِ الأَسْفَلِ، وَهُوَ النُّوْرُ الأَحْمَرُ.

فَالبَيَاضُ مِنَ المَشيْئَةِ؛ لِكَمَالِ البَسَاطَةِ، وَالصُّفْرَةُ مِنَ الإِرَادَةِ؛ لِزِيَادَةِ الحَرَارَةِ فِي البَيَاضِ، وَالخُضْرَةُ مِنَ القَدَرِ؛ لِاخْتِلَاطِ سَوَادِ الكَثْرَةِ مِنْ أَثَرِ القَدَرِ بِصُفْرَةِ أَثَرِ الإِرَادَةِ، وَالحُمْرَةُ مِنَ القَضَاءِ؛ لِاجْتِمَاعِ بَيَاضِ المَشيْئَةِ بِصُفْرَةِ الإِرَادَةِ فِي حَرَارَةِ حُكْمِ القَضَاءِ بِالإِمْضَاءِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا أُطْلِقَ "خَلَقَ" قَدْ يُرَادُ بِهِ جَمِيْعُ المَرَاتِبِ؛ لِصِدْقِهِ عَلَيْهَا لُغَةً، وَإِذَا قِيْلَ: "خَلَقَ، وَبَرَءَ وَصَوَّرَ"، فَـ"خَلَقَ" بِمَعْنَى: "شَاءَ"، أَيْ: أَوْجَدَ الكَوْنَ، أَيْ: الوُجُوْد، وَ"بَرَءَ" بِمَعْنَى: "أَرَادَ"، أَيْ: أَوْجَدَ العَيْنَ، أَيْ: المَاهِيَّة بِالوُجُوْدِ، وَ"صَوَّرَ" بِمَعْنَى: "قَدَّرَ"، أَيْ: أَوْجَدَ الحُدُوْدَ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾[1]، أَيْ: خَلَقَ كَوْنَهُ، أَيْ: وُجُوْدَهُ. فَسَوَّى عَيْنَهُ، بِمَعْنَى: سَوَّى مَاهِيَّتَهُ

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ٢-٣.

بِوُجُوْدِهِ، أَيْ: جَعَلَ فِيْهِ مَا إِذَا سُئِلَ أَجَابَ[١].

وَإِنَّمَا جِيْءَ بِالفَاءِ فِي عَطْفِ التَّسْوِيَةِ دُوْنَ الوَاوِ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ المُلَازَمَةِ كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ، وَهَذَا فِي الخَلْقِ الأَوَّلِ.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٢]، أَيْ: وَضَعَ حُدُوْدَهُ المُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا، وَهُوَ الخَلْقُ الثَّانِي، **﴿فَهَدَى﴾**، أَيْ: دَلَّ عَلَى سَبِيْلِ الهُدَى.

وَعَطَفَ بِالفَاءِ؛ لِأَنَّ القَدَرَ بِهِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، فَفِيْهِ دَلَّ عَلَى الهُدَى، فَهُمَا مُتَسَاوِقَانِ فِي الوُجُوْدِ، وَإِنْ كَانَتِ الهِدَايَةُ مُغَايِرَةً وَمُتَأَخِّرَةً فِي الذَّاتِ، فَعَطَفَ بِالفَاءِ.

ثُمَّ أَنَّ مَرَاتِبَ الفِعْلِ بِجَمِيْعِهَا؛ اخْتِرَاعٌ وَابْتِدَاعٌ، وَقَدْ يُطْلَقُ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ كَالمَشِيْئَةِ وَالإِرَادَةِ، وَكَالفَقِيْرِ وَالمِسْكِيْنِ فِي بَابِ الصَّدَقَاتِ، وَكَالجَارِّ وَالمَجْرُوْرِ عِنْدَ النُّحَاةِ؛ فَإِنْ افْتَرَقَا اجْتَمَعَا.

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: "اعْطِ الفَقِيْرَ خَمْسَةَ دَنَانِيْر"، لَمْ تَجِبْ عَلَيْكَ التَّفْرِقَةُ، وَكَذَا "اعْطِ المِسْكِيْنَ"، فَفِي الحَالَيْنِ أَيُّهُمَا أَعْطَيْتَ كَفَاكَ.

وَإِذَا قُلْتَ: "زَيْدٌ فِي الدَّارِ".

فَإِنْ قُلْتَ: زَيْدٌ مُبْتَدَأٌ، وَالجَارُّ خَبَرٌ؛ صَحَّ. أَوْ المَجْرُوْرُ خَبَرٌ؛ صَحَّ.

وَتَقُوْلُ: اخْتَرَعَ، أَيْ: ابْتَدَعَ وَبِالعَكْسِ، وَشَاءَ، أَيْ: أَرَادَ وَبِالعَكْسِ،

---

(١) مقتبس من قول الإمام عليه السلام: **«جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ»**. [الكافي، ج: ٢، ص: ١٢. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٣٧. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٥٧].

(٢) سورة الأعلى، الآية: ٣.

وَإِذَا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا. تَقُوْل: اخْتَرَعَ وَابْتَدَعَ، أَي: اخْتَرَعَ لَا مِنْ شَيْء، وَابْتَدَعَ لَا لِشَيء، وَاخْتَرَعَ الكَوْن، وَابْتَدَعَ العَيْن.

وَتَقُوْلُ: شَاء الكَوْن، وَأَرَادَ العَيْن.

فَاخْتَرَعَ بِمَعْنَى: شَاءَ لَا مِنْ شَيْء.

وَابْتَدَعَ بِمَعْنَى: أَرَادَ لَا لِشَيْء.

وَإِذَا قِيْلَ: "اعْطِ الفَقِيْرَ خَمْسَةَ دَنَانِيْر، وَالمِسْكِيْنَ أَرْبَعَةَ دَنَانِيْر"؛ وَجَبَ التَّفْرِقَة، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي الفِقْه.

وَالأَصَحُّ عِنْدِي: أَنَّ المِسْكِيْنَ أَسْوَء حَالاً.

وَإِذَا قِيْلَ: الجَارُّ وَالمَجْرُوْرُ؛ فُرِّقَ بَيْنَهُمَا.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قِيْلَ: أَنَّ الاخْتِرَاعَ اخْتِرَاعَان، وَالابْدَاعَ ابْدَاعَان.

فَالاخْتِرَاعُ الأَوَّلُ: المَشِيْئَةُ؛ وَهُوَ خَلْقٌ سَاكِنٌ لَا يُدْرَكُ بِالسُّكُوْن.

وَالاخْتِرَاعُ الثَّانِي: الأَلِفُ مِنَ الحُرُوْف.

وَالإِبْدَاعُ الأَوَّلُ: الإِرَادَةُ؛ وَهُوَ خَلْقٌ سَاكِنٌ لَا يُدْرَكُ بِالسُّكُوْن.

وَالإِبْدَاعُ الثَّانِي: البَاءُ مِنَ الحُرُوْف، وَذَلِكَ لِأَنَّ الإِبْدَاعَ وَالاخْتِرَاعَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ خَلْقَهُ بِنَفْسِه، ثُمَّ خَلَقَ الحُرُوْفَ بِالإِبْدَاعِ، وَجَعَلَهَا فِعْلاً مِنْهُ، يَقُوْلُ لِلشَّيْء: كُنْ؛ فَيَكُوْن.

فَيُشَارُ بِالكَاف إِلَى الاخْتِرَاعِ، أَيْ: المَشِيْئَة، وَهِيَ الكَافُ المُسْتَدِيْرَةُ عَلَى نَفْسِهَا؛ لِأَنَّهَا مَنْشَأ الكَوْنِ، وَبِالنُّوْنِ إِلَى الإِبْدَاعِ، أَيْ: الإِرَادَة؛ لِأَنَّهَا مَنْشَأ العَيْن.

وَبَيْنَ هَذَيْنِ الحَرْفَيْنِ حَرْفٌ حُذِفَ لِلإِعْلَال، فَهُوَ ثَابِتٌ بَاطِناً،

وَانْحَذَفَ ظَاهِراً؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى بَيَانِ المُرَادِ مِنْهُ، وَهُوَ المَاءُ الَّذي جُعِلَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ، وَهُوَ الوُجُوْدُ، وَهُوَ الدَّلَالَةُ مِنَ اللَّفْظِ، وَهُوَ المَاءُ مِنَ السَّحَابِ، وَهُوَ الأَجْزَاءُ الدُّخَّانِيَّة المُسْتَضِيْئَة مِنَ النَّارِ بِحِفْظِ الكَثَافَة الدُّهْنِيَّة المُقَارِبَة لِلدُّخَّانِيَّة، وَذَلِكَ الحَرْفُ هُوَ "الوَاو"، وَالأَصْلُ قَبْلَ حَذْفِ الإِعْلَالِ «كَوْن»، وَهُوَ السِّتَّةُ الأَيَّامُ الَّتِي خُلِقَ فِيْهَا الشَّيْء.

وَمَعْنَى أَنَّ "الأَلِفَ" هِيَ الاخْتِرَاعُ الثَّانِي؛ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِتَكَرُّرِهَا فَكَانَتْ عَنْهَا "البَاء"، فَـ"البَاء" تَأْكِيْدُهَا؛ لِأَنَّ نُزُوْلَهَا انْبِسَاطُهَا هَكَذَا: «ب»، وَقَدْ كَانَتْ قَائِمَةً هَكَذَا: «آ»، وَانْعَطَفَتْ عَلَى "البَاء"، وَمَالَتْ فَحَدَثَتْ "الجِيْم" هَكَذَا: «جـ».

وَمَعْنَى أَنَّ "البَاء" الإِبْدَاعَ الثَّانِي؛ أَنَّهَا تَنَزَّلَتْ بِتَكَرُّرِهَا فَكَانَتْ عَنْهَا الدَّالُ هَكَذَا: «د»، وَمَالَتْ عَلَى "الجِيْم"، فَكَانَتْ "الهَاء" هَكَذَا: «ه»، وَإِنَّمَا كَانَ مَيْلُ "البَاء" مُخَالِفاً لِمَيْلِ "الأَلِف"؛ لِأَنَّ "الأَلِف" قَائِم، وَمَيْلُ القَائِمِ إِلَى الانْبِسَاطِ، وَ"البَاء" مَبْسُوْطٌ، وَمَيْلُ المَبْسُوْط إِلَى الرُّكُوْد.

ثُمَّ اعْلَم؛ أَنَّ هَذِهِ الحُرُوْف المَعْنَوِيَّة الَّتِي هِيَ الحُرُوْفُ اللَّفْظِيَّة مَظَاهِرُهَا قِسْمَان:

أَحَدُهُمَا: المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الفِعْلِ؛ وَهُوَ السَّحَابُ المُزْجَى.

وَالثَّانِي: إِفْرَادُ الفِعْلِ فِي فِعْلِ الشَّيْء.

وَذَلِكَ لِأَنَّ فِعْلَ اللهِ سُبْحَانَهُ لِجَمِيْعِ الأَشْيَاء فِعْلٌ وَاحِدٌ، يَجْمَعُهَا عَلَى كَثْرَتِهَا فِي وِحْدَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ**

بِالْبَصَرِ﴾[١]، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٢].

وَلَهُ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِه بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ المَوْجُوْدَاتِ مِنْ ذَاتٍ أَوْ صِفَةٍ رَأْسٌ يَخْتَصُّ بِه؛ هُوَ مَشِيْئَةُ اللهِ الخَاصَّة بِه.

فَهَذِه الرُّؤُوْسُ حُرُوْفٌ بِإِضَافَة كُلِّ رَأْسٍ إِلَى فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الخَلْقِ، إِذَا نُسِبَتْ إِلَى الفِعْلِ المُطْلَقِ، وَالخَلْقُ مِنْ جِهَةِ الإِفْرَادِ حُرُوْفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المَجْمُوْعِ، وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا بِاعْتِبَارِ أَسْبَابِه وَشُرُوْطِه وَمُقَوِّمَاتِه المَذْكُوْرَة؛ مِنَ الوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّةِ وَالسِّتَّة المَذْكُوْرَة، وَالوَضْعِ وَالأَجَلِ وَالكِتَابِ وَالإِذْنِ..وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَنِهَايَاتِ تِلْكَ الأَشْيَاءِ المَذْكُوْرَة، وَأَعْرَاضِهَا وَأَشِعَّتِهَا إِلَى انْقِطَاعِ وُجُوْدَاتِه، كُلُّ وَاحِدٍ مُتَعَلِّقٌ بِوَجْه مُخْتَصٌّ بِه مِنْ ذَلِكَ الرَّأْسِ، المُخْتَصِّ بِذَلِكَ الفَرْدِ مِنْ الفِعْلِ الكُلِّي، نِسْبَةُ كُلِّ وَجْهٍ إِلَى ذَلِكَ الرَّأْسِ كَنِسْبَةِ ذَلِكَ الرَّأْسِ إِلَى الفِعْلِ الكُلِّي.

فَهَذِه حُرُوْفٌ لِهَذِه الكَلِمَة، وَالكَلِمَاتُ الجُزْئِيَّة حُرُوْفٌ لِلْكَلِمَة الكُلِّيَّة، فَهَذَا الحُكْمُ جَارٍ لِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الفِعْلِ، فِي كُلِّ مَفْعُوْلٍ، مَتْبُوْعٍ أَوْ تَابِعٍ، أَوْ مُسَاوِقٍ أَوْ مُسَاوٍ.

فَالفِعْلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ دُوْنَه ذَاتٌ وَاحِدَةٌ، اسْتَفَادَتْ الذَّوَاتُ مِنْ ذَاتِهَا تَذَوُّتَاتِهَا، وَالصِّفَاتُ مِنْ هَيْئَاتِهَا تَذَوُّتَاتِهَا، وَمِنْ صِفَاتِهَا تَوْصِيْفَاتِهَا، وَرُؤُوْسُ تِلْكَ الذَّوَاتِ الشَّرِيْفَةِ المُقَدَّسَة كَثِيْرَةٌ، وَكُلُّ رَأْسٍ فَلَهُ وُجُوْهٌ

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

كَثِيْرَةٌ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ الجَعْلَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي المَرَاتِبِ الأَرْبَعَة، فَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَرْتَبَةٍ اسْتُعْمِلَ فِيْهَا لُغَة، وَيَجْرِي حُكْمُه فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ بِمَالَهَــا، وَكَثِيْراً مَا يُسْتَعْمَلُ فِيْ إِيْجَــادِ اللَّوَازِمِ لِمَلْزُوْمَاتِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾[1]، لإِيْجَادِهِ النُّوْرَ مِنَ المُنِيْرِ، وَالظُّلْمَةَ مِنْ نَفْسِ النُّوْرِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَيَتَمَيَّزُ عَنْ تِلْكَ المَرَاتِبِ إِذَا اسْتُعْمِلَ مَعَ أَحَدِهِمَا، كَمَا فِي الآيَةِ الشَّرِيْفَةِ، وَيُسْتَعْمَلُ لِلتَّصْيِيْرِ، وَالقَلْبِ لِشَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ.

وَحُكْمُهُ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ حُكْمُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَفْعَالِ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ، فِي مَرَاتِبِهَا حَرْفاً بِحَرْف.

فَقَوْلُهُم: "الجَعْلُ البَسِيْطُ، وَالجَعْلُ المُرَكَّبُ"؛ لَيْسَ بِتَامّ، لأَنَّ التَّرْكِيْبَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ فِي شَيْءٍ ضُمَّ إِلَيْهِ مُسَاوٍ لَهُ، أَوْ مُخَالِف، أَوْ مُبَايِن، وَيَكُوْنُ ذَلِكَ المُرَكَّبُ شَيْئاً وَاحِداً، أَيْ: يَصْدُرُ عَنْهُ فِعْلٌ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ وَاحِد، وَلَيْسَ ثَمَّ مُمَاثِلٌ غَيْرَ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ، وَالشَّيْءُ لَا يَتَرَكَّبُ مِنْ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ فِي شَيْءٍ وَاحِد.

وَتَمْثِيْلُهُم بِقَوْلِهِم: "جَعَلْتُ الطِّيْنَ خَزَفاً".

فَإِنْ أُرِيْدَ: تَغْيِيْرُ الطِّيْنِ وَتَصْيِيْرُ المُتَغَيِّرِ خَزَفاً؛ فَهُوَ جَعْلَانِ، كُلٌّ وَاحِدٍ فِي مَادَّةٍ، وَهُمَا رَأْسَانِ مِنْ الجَعْلِ الكُلِّي.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.

وَإِنْ أُرِيْدَ: قَلْبُ الطِّيْنِ خزَفاً مِنْ غَيرِ اعْتِبَارِ تَغْيِيْرِه، وَإِنَّمَا هُوَ حَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَهُوَ جَعْلٌ وَاحِدٌ.

وَإِنْ أُرِيْدَ بِه: مَا يُسْتَعْمَلُ فِي تَكْوِيْنِ المَتْبُوْعِ وَتَكَوُّنِ التَّابِعِ بِه، كَجَعْلِ الوُجُوْدِ وَانْجِعَالِ المَاهِيَّةِ بِجَعْلِ الوُجُوْدِ؛ فَهَذَا فِي الظَّاهِرِ جَعْلٌ وَاحِدٌ لِشَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، لَكِنْ مَا انْجَعَلَتْ بِه المَاهِيَّةُ لَيْسَ بِجَعْلٍ كَجَعْلِ الوُجُوْدِ، وَلَا مُخَالِفٍ لَهُ، وَلَا مُعَانِدٍ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي جِهَتَيْنِ، فَلَا يَكُوْنُ الجَعْلُ مِنْهُمَا مُرَكَّباً؛ لِأَنَّ مَا جُعِلَتْ بِه المَاهِيَّةُ صِفَةٌ لِمَا جُعِلَ بِه الوُجُوْدُ وَأَثَرٌ لَهُ، وَلَا يَكُوْنُ الشَّيْءُ مُرَكَّباً مِنْ ذَاتِه وَأَثَرِه.

فَإِنَّ مَا جُعِلَ بِه الوُجُوْدُ؛ كَالشَّمْسِ لِلنُّوْرِ، وَمَا جُعِلَ بِه المَاهِيَّةُ؛ كَنَفْسِ النُّوْرِ لِلظِّلِّ، فَإِنَّ جَعْلَ الشَّمْسِ لِلنُّوْرِ جَعْلٌ وَحْدَه، وَجَعْلُ نَفْسِ النُّوْرِ مِنْ حَيْث نَفْسِه لِلظِّلِّ جَعْلٌ وَحْدَهُ مُغَايِرٌ لِلجَعْلِ الأَوَّلِ، وَكَوْنُهُ مُتَرَتِّباً عَلَيْه وَمُتَقَوِّماً بِه لَا يَلْزَمُ مِنْهُ التَّرْكِيْبُ؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَجْعَلْ لِنَفْسِهَا الظِّلَّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾**[1]، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا جَاعِلَةٌ لَهُ، إِذْ لَوْ جَعَلَتْهُ بِجَعْلِ النُّوْرِ لَكَانَ نُوْراً، إِذْ لَيْسَ فِيْهَا ظِلٌّ، وَإِنْ جَعَلَتْهُ بِجَعْلِ نَفْسِ النُّوْرِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الظِّلِّ وَاقِعاً دَلَّ عَلَى أَنَّهَا حَافِظَةٌ لِلنُّوْرِ الجَاعِلِ لِلظِّلِّ، لَا جَاعِلَةٌ لَهُ، فَلَا يَحْصَلُ التَّرْكِيْبُ حَقِيْقَةً، وَإِلَيْه

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

الإِشَارَةُ بِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾(١).

وَإِنْ أُرِيْدَ: أَنَّ الجَعْلَ الَّذي يَحْدُثُ عَنْهُ شَيْئَان فَصَاعداً؛ فَهُوَ مُرَكَّب، سَوَاء كَانَا فِي مَادَّتَيْنِ، أَمْ فِي حَالَتَيْنِ؛ كَجَعْلِ الطِّيْنِ خزَفاً، أَمْ فِي المَلْزُوْمِ وَاللَّازِمِ؛ كَالوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّة.

قُلْنَا: إِذَا اصْطَلَحْتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ، وَلَكِنْ لَا تَجدُوْنَ الجَعْلَ البَسِيْطَ قَطُّ؛ لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْداً قَائماً بِذَاته لِلَّذي أَرَادَ مِنَ الدِّلَالَة عَلَيْه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾(٢).

وَبِالجُمْلَة؛ لَا فَرْقَ فِي هَذه المَسْأَلَة بَيْنَ الجَعْلِ وَغَيْرِه مِنْ مَرَاتِبِ الفِعْلِ، وَعَلَى كُلِّ حَال؛ فَالجَعْلُ وَاحدٌ لَا تَعَدُّدَ فِيْه لِذَاته، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾(٣)، أَيْ: فِي الجَعْلِ، فَأَفْرَدَهُ وَجَمَعَ المَجْعُوْلَات، فَافْهَمْ.

نَعَمْ.. لَهُ رُؤُوْسٌ بِعَدَدِ المَجْعُوْلَاتِ، وَلِكُلِّ رَأْسٍ وُجُوْهٌ بِعَدَدِ أَحْوَالِه، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الفِعْلِ فَرَاجِعْ.

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ
فِي تَتِـــمَّةِ المُلْحَقَـــاتِ

اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الأَحَادِيْثِ عَنْهُمْ عليهم السلام تَعَدُّد العَوَالِمِ وَالآدَمِيِّيْنَ، وَأَكْثَرُ مَا ذُكِرَ أَنَّهَا: **«أَلْف أَلْف عَالَم، وَأَلْف أَلْف آدَم، أَنْتَ فِي آخِرِ تِلْكَ العَوَالِمِ، وَأُوْلَئِكَ الآدَمِيِّيْن»**[1].

وَمَرَاتِبُ العَوَالِمِ إِنَّمَا اخْتَلَفَتْ فِي الرِّوَايَاتِ لِاخْتِلَـــافِ المَقَامَـــاتِ، كَعَالَمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

وَالعَوَالِمُ الثَّلَاثَةُ.

عَالَمُ الوُجُوْبِ: وَهُوَ الأَزَلِي تَعَالَى.

وَعَالَمُ الرُّجْحَان: وَهُوَ عَالَمُ المَشِيْئَةِ وَالإِرَادَةِ وَالإِبْدَاعِ.

وَعَالَمُ الجَـــوَازِ: وَهُوَ الوُجُوْدُ المُقَيَّد، المُعَبَّرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ وُجُوْدٌ بِشَرْطِ لَا، وَبِشَرْطِ شَيْء، أَوَّلُهُ الدُّرَّة، وَآخِرُهُ الذَّرَّة.

وَأَرْبَعَة عَوَالِم.

وَهِيَ: عَالَمُ الخَلْقِ، وَعَالَمُ الرِّزْقِ، وَعَالَمُ المَوْتِ، وَعَالَمُ الحَيَاة.

---

(١) سيأتي ذكر نصوص تلك الروايات في شرح الفوائد، راجع: التوحيـــد، ص: ٢٧٧. الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤.

وَخَمْسَةُ عَوَالِم.

عَالَمُ الأَزَلِ تَعَالَى، وَعَالَمُ السَّرْمَدِ، وَهُوَ عَالَمُ الرُّجْحَانِ، وَعَالَمُ الجَبَرُوْتِ؛ وَهُوَ عَالَمُ المَعَانِي المُجَرَّدَة عَنِ المَادَّة وَالصُّوْرَة وَالْمُدَّة، وَعَالَمُ المَلَكُوْتِ؛ وَهُوَ عَالَمُ الصُّوَرِ المُجَرَّدَةِ عَنِ المَادَّةِ وَالْمُدَّة، وَعَالَمُ المُلْكِ؛ أَوَّلُهُ مُحَدَّدُ الجِهَاتِ، وَآخِرُهُ الأَرْض.

وَسِتَّةُ عَوَالِم.

عَالَمُ العُقُوْلِ، وَعَالَمُ النُّفُوْسِ، وَعَالَمُ الطَّبَائِعِ، وَعَالَمُ الهَبَاءِ، وَعَالَمُ المِثَالِ، وَعَالَمُ الأَجْسَامِ.

وَسَبْعَةُ عَوَالِم.

عَالَمُ النَّارِ، وَعَالَمُ الهَوَاءِ، وَعَالَمُ المَاءِ، وَعَالَمُ التُّرَابِ، وَعَالَمُ الجِسْمِ، وَعَالَمُ النَّفْسِ، وَعَالَمُ الرُّوْحِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِم: كُلُّ شَيء مِنَ الحَوَادِثِ مُثَلَّثُ الكِيَانِ، مُرَبَّعُ الكَيْفِيَّة.

وَثَمَانِيَةُ عَوَالِم.

إِذَا أُطْلِقَتْ يُرَادُ بِهَا أَحَدُ وُجُوْه كَثِيْرَة، نَذْكُرُ مِنْهَا وَاحِداً عَلَى سَبِيْلِ التَّمْثِيْلِ؛ عَالَمُ الخَلْقِ فِي الدُّنْيَا، وَعَالَمُ الخَلْقِ فِي الآخِرَة، وَعَالَمُ الرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا، وَعَالَمُ الرِّزْقِ فِي الآخِرَة، وَعَالَمُ المَوْتِ فِي الدُّنْيَا، وَعَالَمُ المَوْتِ فِي الآخِرَةِ، وَهُوَ الهَلَاكُ الأَكْبَرُ، نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، وَعَالَمُ الحَيَاةِ فِي

الدُّنْيَا، وَعَالَمُ الحَيَاةِ فِي الآخِرَةِ، وَإِلَيْهِ الإشَارَةُ بِقَوْلِه تَعَالَى فِي التَّأْوِيْـلِ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ..﴾[١].

وَتِسْعَةُ عَوَالِمُ.

وَهِيَ: عَالَمُ مُحَدّدِ الجِهَاتِ، وَعَالَمُ فَلَكِ الثَّوَابِتِ، وَعَالَمُ الأَفْلَـاكِ السَّبْعَةِ[٢]، وَهِيَ: عَالَمُ القُلُوْبِ، وَعَالَمُ النُّفُوْسِ، وَعَالَمُ العُقُوْلِ، وَعَـالَمُ العُلُوْمِ، وَعَالَمُ الأَوْهَامِ، وَعَالَمُ الوُجُوْدَاتِ الثَّانِيَةِ، وَعَالَمُ الخَيَالَاتِ، وَعَالَمُ الأَفْكَارِ، وَعَالَمُ الحَيَاةِ.

وَعَشْرَةُ عَوَالِم.

وَهِي هَذِهِ التِّسْعَة، وَعَالَمُ الأَجْسَادِ.

وَأَحَدَ عَشَرَ عَالَماً.

وَهِيَ مَيَادِيْنُ التَّوْحِيْدِ، سِتَّةٌ مِنْهَا كَثِيْرَةُ الحَيَّاتِ وَالعَقَارِبِ مُظْلِمَـةٌ، ذَاتُ أَهْوَالٍ مُنْكَرَةٍ، هَلَكَ فِيْهَا خَلْقٌ كَثِيْرٌ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِتَأْوِيْـلِ قَوْلِـهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُـمْ قُلُـوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَـسْمَعُونَ بِهـا أُولئِكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٢) في نُسخ شرح الفوائد: (وَعَوَالِمُ الأَفْلَاكِ السَّبْعَةِ).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

فَأَدْنَى مَرَاتِبِ السِّتَّة وَأَخسّها الأَجْسَامُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ جِسْماً، وَالثَّاني المِثَال، وَمِنْهُم مَنْ يَعْبُدُ شَبَحاً، وَمِنْهُم مَنْ يَعْتَقِد أَنَّهُ مَادَّة، وَمِنْهُم مَنْ يَعْتَقِد أَنَّ مَعْبُوْدَهُ طَبِيْعَة، وَمِنْهُم مَنْ يَعْتَقِد أَنَّهُ نَقْشٌ وَصُوْرَةٌ مُجَرَّدَةٌ، وَهَذِه الخَمْسَةُ دَرَكَاتُ الهَالِكِيْن.

أَمَّا السَّادِسُ: وَهُوَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْبُوْدَهُ مَعْنًى؛ كَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ كَثِيْرٍ مِنْ أَهْلِ العُقُوْل، فَإِنْ عَنَى مَا يُشِيْرُ إِلَيْه عَقْلُهُ، فَقَدْ أَبْطَل؛ لِأَنَّ الإِشَارَةَ العَقْلِيَّة لَا تَقَعُ إِلَّا عَلَى مَحْصُوْرٍ دَهْرِيٍّ، وَذَلِكَ حَادِثٌ.

وَإِنْ اعْتَقَدَهُ بِدُوْن تَخْصِيْصِ إِشَارَةٍ عَقْلِيَّة؛ فَذَلِكَ مُوَحِّدٌ، إِلَّا أَنَّ تَوْحِيْدَهُ أَسْفَل مَرَاتِبِ التَّوْحِيْد.

وَالخَمْسَةُ الأُخَرُ؛ هِيَ مَرَاتِبُ الفِعْلِ الأَرْبَعِ الأُوَل، وَالدَّوَاة الأُوْلَى خَامِسَة، الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ، الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ.

فَأَعْلَاهَا فِي التَّوْحِيْد أَنْ يَظْهَرَ لِعَبْدِه فِي الرَّحْمَة، ثُمَّ فِي الرِّيَاحِ، ثُمَّ فِي السَّحَابِ المُزْجَى، ثُمَّ فِي السَّحَابِ المُتَرَاكِمِ، ثُمَّ فِي المِدَادِ الأَوَّلِ المُسَمَّى بِالدَّوَاة الأُوْلَى.

فَالأُوْلَى: مَعْرِفَةُ البَاطِنِ بِالنُّقْطَة.

وَالثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ البَاطِنِ مِنْ حَيْث هُوَ بَاطِن بِالنَّفسِ الرَّحْمَانِي.

وَالثَّالثَةُ: مَعْرِفَةُ الظَّاهِرِ بِالسَّحَاب المُزْجَى.

وَالرَّابِعَةُ: مَعْرِفَةُ الظَّاهِرِ مِنْ حَيْث هُوَ ظَاهِرٌ، بِالسَّحَاب المُتَرَاكِم.

وَالخَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ الظُّهُوْرِ بِالمَاءِ. وَهِيَ المَقَامَاتُ المُشَارُ إِلَيْهَا سَابِقاً.

فَهَذِه أَحَدَ عَشْرَةَ عَالَماً، خَمْسَةٌ نُوْرٌ وَنَجَاةٌ، وَخَمْسَةٌ ظُلْمَةٌ وَهَلَاكٌ، وَوَاحِدٌ فِيْه ظُلُمَات وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ، يَكَادُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُم، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَشَوْا فِيْه، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوْا[1].

يَا نُوْرَ النُّوْرِ، اهْدِنَا مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِك، وَانْشُر عَلَيْنَا مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ[2].

وَاثْنَي عَشَرَ عَالَماً.

مِنْ نَارٍ وَتُرَابٍ، وَهَوَاءٍ وَمَاءٍ فِي الجَبَرُوْت، وَنَارٍ وَتُرَابٍ، وَمَاءٍ وَهَوَاءٍ فِي المَلَكُوْت، وَنَارٍ وَهَوَاءٍ، وَمَاءٍ وَتُرَابٍ فِي المُلْك.

وَهَكَذَا كُلُّ عِبَارَةٍ فِي الرِّوَايَاتِ، وَكَلَام العُلَمَاءِ، مِنْ ذِكْرِ العَــوَالِمِ، فَتُصْرَفُ إِلَى اعْتِبَار.

ثُمَّ اعْلَم؛ أَنَّ آدَمَ عليه السلام أَبُوْ العَالَمِ فِي كُلِّ عَالَمٍ، إِلَى أَلْـــفِ عَالَمٍ، وَأَوَّلُ عَالَمٍ وُجِدَ هُوَ المَشِيْئَة، وَهُوَ آدَمُ الأَكْبَـــرُ، وَفَلَـــكُ الوِلَايَـــةِ المُطْلَقَةِ، وَالحَقِيْقَةِ المُحَمَّدِيَّة، وَمَقَامُ أَوْ أَدْنَى، وَعَالَمُ أَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف.

---

(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَـــرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ ۞ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَـــيْهِمْ قَامُواْ..**﴾.[سورة البقرة، الآيتان: ١٩-٢٠].

(٢) مقتبس من أدعية تعقيبات صلاة الصبح، راجع: مصباح المتهجِّد، ص: ٢١٦. بحار الأنوار، ج: ٨٣، ص: ١٥٥.

وَكُلُّ آدَم فَهُوَ لَمْ يُخلَق مِنْ أَبٍ وَأُمٍّ، إِلَّا الأَب وَالأُمّ المَعْنَوِيَّيْن، الَّذِيْنَ ذَاتُهُ تَرْكِيْبٌ مِنْهُمَا عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ، وَهُمَا الوُجُوْدُ وَالمَاهِيَّة، أَيْ: المَادَّةُ وَالصُّوْرَةُ، فَالأَبُ: هِيَ المَادَّةُ، وَالأُمُّ: هِيَ الصُّوْرَةُ.

وَهَذَا هُوَ المُسْتَفَادُ مِنْ كَلَام أَهْلِ العِصْمَة عليهم السلام.

وَأَمَّا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْه المُتَقَدِّمُوْن وَالحُكَمَاء: مِنْ أَنَّ الأَبَ هُوَ الصُّوْرَةُ، وَالأُمَّ هِيَ المَادَّةُ، وَأَنَّ الصُّوْرَةَ إِذَا نَكَحَتْ المَادَّةَ تَوَلَّدَ عَنْهُمَا الشَّيء، تَوَهُّمٌ مِنْهُمْ أَنَّ النُّشُوْء وَالتَّخَلُّق فِي بَطْنِ المَادَّةِ فَهِي الأُمُّ؛ فَبَعِيْدٌ مِنْ جِهَةِ المُنَاسَبَة.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ مُجَرَّد الاصْطِلَاحِ التَّسْمِيَة، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ المُنَاسَبَة فَلَا مَحْذُوْرَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَنْفَتِحُ بِهِ كُلُّ بَابٍ، إِلَّا إِذَا أُرِيْدَ بِهِ هَذَا الاصْطِلَاح الصَّوَاب.

بَلْ رُبَّمَا يُقَالُ: أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِاصْطِلَاحٍ، وَإِنَّمَا الوَاضِعُ لِلُّغَة العَرَبِيَّة وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَضَعَ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

فَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مَا قَرَّرْنَا سَابِقاً وَنُقَرِّرُ لَاحِقاً؛ ظَهَرَ الحَالُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى اسْتِدْلَال، وَلَوْ سَلَّمْنَا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَصْلِ وَضْعِ اللُّغَة، قُلْنَا: أَنَّ الاصْطِلَاحَ المُنَاسِب لِلأَمْرِ الوَاقِعِ أَوْلَى بِالمَصِيْرِ إِلَيْه.

وَبَيَانُ الإِشَارَةِ إِلَى المُنَاسَبَة: أَنَّ الأَصْلَ فِي المَوْلُوْد هُوَ الأَبُ، وَالتَّخَلُّقُ وَالتَّقْدِيْرُ ظَاهِراً وَبَاطِناً إِنَّمَا هُوَ فِي بَطْنِ الأُمِّ، وَإِنْ كَانَ المَوْلُوْدُ مُرَكَّباً مِنْهُمَا، كَمَا رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام -مَا

مَعْنَاهُ-: «أَنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ أَرْبَعَة عَشَرَ شَيْئاً، أَرْبَعَة مِنْ أَبِيْه، وَأَرْبَعَة مِنْ أُمِّه، وَسِتَّة مِنَ اللهِ.

فَالَّتي مِنَ الأَب: العَظْمُ، وَالمُخُّ، وَالعَصَبُ، وَالعُرُوْقُ.

وَالَّتي مِنَ الأُمِّ: الدَّمُّ، وَاللَّحْمُ، وَالجلْدُ، وَالشَّعْرُ.

والَّتي مِنَ اللهِ: الحَوَاسُّ الخَمْسِ، وَالنَّفْسُ»[1].

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَا مِنَ الأَبِ؛ رَأَيْتَهُ هُوَ أَصْلُ الإِنْسَانِ؛ لأَنَّـــهُ هُـــوَ القِسْمُ الأَقْوَى، وَلِهَذَا كَانَ جَانِبُ الأَبِ أَقْوَى وَأَدْخَلُ فِي المِيْرَاثِ، وَفِـــي الوِلَايَة.. وَغَيْرِ ذَلِكَ.

كَالمَادَّة؛ لأَنَّهَا هِيَ الجَانِبُ الأَقْوَى فِي الشَّيْء، وَالصُّوْرَةُ هِيَ الجَانِبُ الأَضْعَفُ فِي الشَّيْء كَالأُمِّ، فَإِنَّ مَا مِنْهَا ظَاهِرُ المَوْلُوْد وَقِشْرُهُ، كَـــاللَّحْمِ وَالدَّمِ، وَالجِلْدِ وَالشَّعْرِ؛ يَتَعَلَّقُ بِمَا مِنَ الأَبِ، كَالصُّوْرَة تَتَعَلَّقُ بِمَا مِنَ المَادَّة بِحُلُوْلِهَا فِيْهَا.

لَكِنْ لَمَّا كَانَ التَّخَلُّقُ الَّذي هُوَ التَّصوِيْرُ إِنَّمَا يَكُوْنُ فِي بَطْـــنِ الأُمِّ، وَالأَحْكَامُ لَا تَعَلُّقُ لَهَا بِنَفْسِ المَادَّة وَإِلَّا لَتَسَاوَت وَجَمِيْع أَشْخَاصِ النَّـــوْعِ

---

(١) لم نُوفَّق للعثر على نصٍّ لهذه الرِّوايه، وإنما ورد عن أبي محمد العسكري عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال؛ سأل ابن صوريا النبي صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني يـــا محمـــد! الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**أَمَّا العِظَامُ وَالعَصَبُ وَالعُرُوْقُ فَمِنَ الرَّجُلِ، وَأَمَّا اللَّحْمُ وَالدَّمُ وَالشَّعْرُ فَمِنَ المَرْأَة..**».[الاحتجاج، ج: ١، ص: ٤٣. تفسير الإمام العـــسكري، ص: ٤٥٣. بحار الأنوار، ج: ٩، ص: ٢٨٦-٢٨٧].

فِي الأَحْكَامِ، وَإِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بالصُّوْرَةِ لِتَخُصَّ كُلَّ صُوْرَةٍ بِمَا يُنَاسِبُ لَهَا مِنَ الحُكْمِ؛ كَانَتْ الأَحْكَامُ مَنُوْطَةً بالصُّوَرِ، كَمَا أَنَّ حُكْمَ المَوْلُوْدِ مَنُوْطٌ بِصُوْرَتِهِ، وَلَا تَكُوْنُ إِلَّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

وَمِنْ هُنَا قَالَ عليه السلام: **«السَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»**[1]، لِأَنَّ بَطْنَ الأُمِّ هُوَ مَحَلُّ التَّخَلُّقِ وَالتَّصَوُّرِ، وَذَلِكَ هُوَ مَنَاطُ الأَحْكَامِ.

فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الصُّوْرَةَ مَنَاطُ الأَحْكَامِ؛ ثَبَتَ أَنَّهَا هِيَ الأُمُّ لَا المَادَّة، وَإِلَّا لَتَسَاوَتْ وَأَفْرَاد النَّوْعِ فِي الحُكْمِ؛ لِتَسَاوِيْهِمَا فِي المَادَّة كَمَا مَرَّ.

وَنَظِيْرُ ذَلِكَ: الخَشَبُ، فَإِنَّهُ مَادَّةُ السَّرِيْرِ وَالصَّنَمِ، فَإِنْ عُمِلَ صَنَماً؛ كَانَ فِعْلُهُ حَرَاماً، وَيَجِبُ كَسْرُهُ، وَإِنْ عُمِلَ سَرِيْراً؛ كَانَ جَائِزاً.

وَالحُكْمُ عَلَيْهِ بِالحُرْمَةِ وَالجَوَازِ إِنَّمَا هُوَ فِي الصُّوْرَةِ، فَصَارَت السَّعَادَةُ مَثَلاً كَالسَّرِيْرِ، وَالشَّقَاوَة كَالصَّنَمِ، إِنَّمَا هُوَ فِي بَطْنِ الصُّوْرَةِ، لَا فِي بَطْنِ المَادَّة.

وَذَكَرَ الأَصْحَابُ؛ فِي الكَلْبِ: إِذَا نَزَا عَلَى شَاة فَأَتَتْ بِوَلَد، فَإِنْ كَانَ كَلْباً؛ فَهُوَ حَرَامٌ وَنَجِسُ العَيْنِ، وَإِنْ كَانَ شَاةً؛ كَانَ حَلَالاً وَطَاهِرَ العَيْنِ، وَالمَادَّةُ وَاحِدَةٌ، وَإِنَّمَا الحِلُّ وَالحُرْمَةُ فِي بَطْنِ الصُّوْرَة، وَهِيَ الأُمُّ.

وَهَذَا ظَاهِرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيْدٌ.

---

(١) تفسيرالقمي، ج: ١، ص: ٢٢٧. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٣٥. الزهد، ص: ١٤. التوحيد، ص: ٣٥٦. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٥.

وَإِلَى مَا ذَكَرْنَا وَرَدَ التَّصْرِيْحُ بِهِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: **«إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ نُوْرِهِ، وَصَبَغَهُم مِنْ رَحْمَتِهِ، [وَأَخَذَ مِيْثَاقَهُم لَنَا بِالوِلَايَةِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ يَوْمَ عَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ]، فَالْمُؤْمِنُ أَخُ الْمُؤْمِنِ لِأَبِيْهِ وَأُمِّهِ، أَبُوْهُ النُّـورُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ»**[1]، فَانْظُر إِلَى صَرَاحَةِ هَذَا الحَدِيْثِ فِي الْمُدَّعَى.

لِأَنَّ النُّوْرَ هُوَ الْمَادَّةُ، وَالْمُرَادُ بِهِ الوُجُوْدُ؛ لِقَوْلِ الصَّادِقِ عليه السلام فِـي تَفْسِيْرِ قَوْلِهِ عليه السلام: **«اتَّقُوْا فَرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ»**، قَـالَ عليه السلام: **«يَعْنِي بِنُوْرِهِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ»**[2].

وَالرَّحْمَةُ: هِيَ الصُّوْرَةُ؛ لِأَنَّ الصُّوْرَةَ صِبْغٌ لِلْمَادَّةِ، فَالرَّحْمَةُ صِـبْغُ الوُجُوْدِ، وَهِيَ الْمَاهِيَّةُ الثَّانِيَةُ؛ لِأَنَّ الْمَاهِيَّةَ الأُوْلَى شَرْطٌ لِتَحَقُّقِ الوُجُوْدِ فِـي الخَلْقِ الأَوَّلِ قَبْلَ التَّكْلِيْفِ.

وَأَمَّا فِي الخَلْقِ الثَّانِي حِيْنَ قَالَ لَهُم: **﴿أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾**[3]؟.

فَمَنْ أَجَابَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ؛ خَلَقَهُ مِنْ صُوْرَةِ الإِجَابَةِ، وَهِيَ الـصُّوْرَةُ الإِنْسَانِيَّةُ حَقِيْقَةً، وَهِيَ الصِّبْغُ فِي الرَّحْمَةِ، فَافْهَم.

---

(١) بصائر الدرجات، ص: ٨٠. المحاسن، ج: ١، ص: ١٣١. بحار الأنـوار، ج: ٦٤، ص: ٧٣، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

(٢) بصائر الدرجات، ص: ٨٠. فضائل الشيعة، ص: ٢٧. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

وَمَنْ عَصَى بِقَلْبِه؛ خَلَقَهُ مِنَ الصُّوْرَةِ الشَّيْطَانِيَّة، وَهِيَ الصَّبْغُ فِي الغَضَب، فَالسَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي صبْغِ الرَّحْمَة، كَمَا قَالَ عليه السلام، وَهِيَ الأُمُّ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي صبْغِ الغَضَب.

وَنَظِيْرُهُ: مِنَ المَعْرُوْف عِنْدَ النَّاسِ فِي الإِنْسَان أَنَّه: "حَيَوَانٌ نَاطِقٌ"، فَالحَيْوَانُ مَادَّةٌ تَصْلُحُ لِلإِنْسَانِ وَالكَلْب، وَالصُّوْرَة فَهِيَ النَّاطقيَّة، فَالنُّطْقُ: هُوَ الصُّوْرَة، وَهِيَ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الإِنْسَانُ مِنْ الكَلْب، فَهِيَ الأُمُّ الَّتِي يَشْقَى فِي بَطْنِهَا الشَّقِيُّ، وَيَسْعَدُ فِي بَطْنِهَا السَّعِيْدُ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ الحصَّةَ الَّتِي فِي الإِنْسَانِ مِنَ الحَيْوَانِ الَّتِي هِيَ المَادَّة، وَالحِصَّةُ الَّتِي فِي الكَلْبِ مِنَ الحَيْوَانِ الَّتِي هِيَ مَادِّيَّة؛ تَجْمَعُهَا حَقِيْقَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الظَّاهِر، بِلحَاظ أَنَّ الحَيْوَانَ هُوَ المُتَحَرِّكُ بِالإِرَادَة المَعْرُوْفَة عِنْدَ العَوَامِّ، وَعَلَيْه جرَتْ اصْطِلَاحَاتُ العُلَمَاءِ فِي أَكْثَر كُتُبِهِم وَمُحَاوَرَاتِهِم.

وَأَمَّا فِي الحَقِيْقَة؛ فَهَلْ هُمَا كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَا بِإِضَافَة الصُّوْرَة مِنْ جهَة قَابِلِيَّة كُلٍّ مِنْهُمَا وَاسْتِعْدَادهِمَا؟، أَمْ لَا؟، بَلْ كُلُّ حصَّة مِنْ حَقِيْقَة؛ لأَنَّ مَرَاتِبَ الوُجُوْد مُتَفَاوِتَةٌ، وَلَا يَنْحَصِرُ تَفَاوُتُهَا فِي مَرَاتِب المُشَكِّك بِالقُوَّة وَالضَّعْف، لِيُقَال: أَنَّ مَا اخْتَلَفَ مِنَ المُشَكِّك تَجْمَعُهُ حَقِيْقَةٌ وَاحِدَةٌ، بَلْ مِنْهُ المُشَكِّكُ، وَمِنْهُ الأَعْرَاضُ، كَالأَضْوَاءِ وَالأَنْوَار، وَالصِّفَات وَالأَفْعَال وَالنِّسَب، وَذَلِكَ لَا تَجْمَعُهُ مَعَ مَعْرُوْضِه حَقِيْقَةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ قُلْنَا أَنَّ كُلَّ أَثَرٍ يُشَابِهُ صِفَةَ مُؤَثِّرِه؛ لأَنَّ جِهَةَ المُشَابَهَة هِيَ الهَيْئَة فِي الصِّفَة وَالأَثَر.

أَمْ هُمَا مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَتَفَاوَتَت الحِصَصُ بِمَا تَكْتَسِبُ مِنَ الصُّوَرِ، لَا بِقَابِلِيَّتِهَا وَاسْتِعْدَادِهَا؟.

وَالحَقُّ فِي المَسْأَلَة: أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْهَا كَالحِصَصِ المُتَّخَذَة مِنَ الذَّات الوَاحِدَة أَوْ مِنْ العَرَضِ؛ فَهِي فِي الحَقِيْقَة وَاحِدَةٌ، وَاخْتِلَافُ الحِصَصِ إِذَا كَانَتْ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ إِنَّمَا هُوَ بِاخْتِلَاف اكْتِسَابِهَا مِنَ الصُّوَرِ مِنَ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَة، النَّاشِئَة عَنِ اخْتِلَاف مَرَاتِبِ الإِجَابَةِ فِي عَالَمِ الذَّرِّ.

وَاخْتِلَافُ الصُّوَرِ فِي القَابِلِيَّةِ وَالاسْتِعْدَاد بِسَبَب اخْتِلَاف انْفِعَالِهَا مِنَ الحِصَصِ بِسَبَبِ تَفَاوُت مَرَاتِبِهَا وَمُشَخِّصَاتِهَا، فَتَتَفَاضَلُ إِذَا اجْتَمَعَتْ فِي الدَّرَجَات، لَكِنَّهَا لَا تَتَجَاوَزُ الحَقِيْقَةَ الجَامِعَة لِتِلْكَ الحِصَصِ.

وَمَا كَانَ مِنْ شَيْئَيْنِ مَعَ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ اجْتَمَعَا فِي الرُّتْبَة الجَامِعَة، كَالإِنْسَان وَالفَرَس، يَجْتَمِعَان فِي الحِصَّة الحَيْوَانِيَّة الفَلَكِيَّة الحَسَّاسَة، وَيَتَفَارَقَان فِيْمَا فَوْقَهَا.

فَالإِنْسَانُ فِيْه مِنَ الحَيْوَانِيَّة حِصَّتَان: ذَاتِيَّةٌ، وَعَرَضِيَّةٌ، وَفِي الفَرَسِ حِصَّةٌ وَاحِدَةٌ، ذَاتِيَّةٌ لَهَا، وَهِيَ عَرَضِيَّةٌ لِلإِنْسَان، وَالحِصَّةُ الذَّاتِيَّةُ لِلإِنْسَان هِيَ حِصَّةٌ مِنَ النَّاطِقَة القُدْسِيَّة.

فَالحَيْوَانِيَّة الفَلَكِيَّة الحَسَّاسَة لَا تَقْبَلُ الصُّوْرَةَ الإِنْسَانِيَّة، وَتَقْبَلُ صُوَرَ جَمِيْعِ الحَيْوَانَات، وَيَلْزَمُ حُكْمُ الصُّوْرَة تِلْكَ الحِصَّة، سَوَاءً قَرَّتْ؛ كَمَا فِي سَائِرِ الحَيْوَانَات إِلَّا نَادِراً، أَمْ تَغَيَّرَتْ؛ كَمَا فِي الإِنْسَان، فَإِنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةً؛ تَكُونُ تِلْكَ الحِصَّة الحَيْوَانِيَّة الفَلَكِيَّة الحَسَّاسَة أَبَداً تَلْبَسُ

صُوَرَ الحَيْوَانَاتِ، فَتَلْبَسُ فِي الغَضَبِ صُوْرَةَ سَبُعٍ، وَفِي الشَّهْوَةِ صُوْرَةَ خِنْزِيْرٍ، وَفِي النَّمِيْمَةِ صُوْرَةَ عَقْرَبٍ.. وَهَكَذَا.

وَالحِصَّةُ النَّاطِقَةُ القُدْسِيَّةِ لَا تَقْبَلُ شَيْئاً مِنْ صُوَرِ الحَيْوَانَاتِ، وَإِنَّمَا تَقْبَلُ صُوْرَةَ الإِنْسَانِيَّةِ فَقَطْ، وَلَا تَقْبَلُ صُوْرَةَ الجَامِعِيَّةِ الكُلِّيَّةِ.

وَلِلْأَوْلِيَاءِ فِيْهِم[١] ثَلَاثُ حِصَصٍ، عَرَضِيَّتَانِ؛ وَهُمَا مَا فِي الإِنْسَانِ، وَلَكِنَّهُمَا فِيْهِ قَرَّتَا وَاطْمَأَنَّتَا، فَلَا يَخْرُجَانِ عَنْ حُكْمِ الثَّالِثَةِ أَبَداً.

وَالحِصَّةُ المَلَكُوْتِيَّةِ الإِلَهِيَّةِ تَقْبَلُ صُوْرَةَ التَّوْحِيْدِ، وَهِيَ العِصْمَةُ، وَمَرْتَبَةُ القُطْبِيَّةِ لِلوُجُوْدِ، وَالصُّوْرَةُ الجَامِعَةِ الكُلِّيَّةِ، فَالحِصَّةُ الحَيْوَانِيَّةُ الفَلَكِيَّةُ مُرَكَّب لِلنَّاطِقَةِ القُدْسِيَّةِ وَأَثَرٌ لَهَا خُلِقَتْ مِنْ فَاضِلِهَا، وَالنَّاطِقَةُ القُدْسِيَّةُ أَثَرٌ لِلْمَلَكُوْتِيَّةِ الإِلَهِيَّةِ، خُلِقَتْ مِنْ فَاضِلِهَا، فَلَا تَجْمَعُ هَذِهِ الثَّلَاثُ حَقِيْقَةٌ وَاحِدَةٌ.

نَعَمْ.. إِذَا نَظَرْنَا بِنَظَرٍ آخَرَ: بِأَنَّ الكُلَّ مِنْ مَرَاتِبِ الوُجُوْدِ، وَأَنَّهُ حَيَاةٌ وَشُعُوْرٌ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ مَظَاهِرِهِ؛ جَازَ عَلَى هَذَا إِطْلَاقُ الاتِّحَادِ فِي الجُمْلَةِ، إِلَّا أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ مَا ذَكَرْنَا لَكَ مِنْ اخْتِلَافِ الحَقَائِقِ؛ ظَهَرَ لَكَ التَّغَايُرُ.

---

(١) في شرح الفوائد: (وَالمَعْصُوْمُ عليه السلام فِيْهِ).

الفَائدَةُ السَّادسَةُ
فِي الإشَارَةِ إلَى القِسْمِ الثَّالث

وَهُوَ الوُجُوْدُ المُقَيَّدُ؛ أَوَّلُهُ الدُّرَّةُ، وَآخرُهُ الذَّرَّةُ.

وَكَيْفيَّةُ بَدْئه: وَهيَ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ اللهُ تَعَالَى بفعْله باسْمه القَابض منْ رُطُوْبَة هَوَاء الجَوَاز أَرْبَعَةَ أَجْزَاء؛ قَدْ صَعَدَتْ مِـــنْ أَرْضِ الإمْكَـــان أَرْضِ الجُرُز، وَمنْ هَبَاء أَرْضِ الجَوَاز جُزْءً، فَقَدَّرَهُمَا فِي تَعْفيْنِ هَاضِـــمَة اسْـــمِ البَديْع، فَانْحَلَّت اليُبُوْسَةُ فِي الرُّطُوْبَة، وَانْعَقَدَت الرُّطُوْبَةُ باليُبُوْسَة فَاتَّحَدَا، وَذَلكَ لمَا بَيْنَهُمَا منَ المُشَاكَلَة.

فَارْتَفَعَ منْ ذَلكَ البَحْر سَحَاباً مُزْجَى، فَتَرَاكَمَ تَحْتَ المَشيْئَة، فَانْحَلَّ منْ ذَلكَ السَّحَاب المُتَرَاكم بحَرَارَة الإرَادَة مَاءً، فَدَفَعَهُ باسْمه البَاعـــث، فَوَقَعَ عَلَى البَلَد المَيِّت، وَالأَرْض الجُرُز، وَهِـــيَ أَرْضُ الجَـــوَاز، وَالعُمْـــق الأَكْبَر.

فَانْحَلَّ منْهُ جُزْءَآن بمَا يُشَاكلُه منْ أَرْضِ ذَلكَ العُمْق الأَكْبَر بجُزْءٍ، فَأَخْرَجَ منْهُمَا تلْكَ الزُّرُوْع وَالثَّمرَات.

وَمَا فَضُلَ منْ رُطُوْبَته بَعْدَ تَقْديْره وَسَقْيه في ظُلُمَات ثَلَاث يَأْخُـــذُهُ بالاسْمِ القَابضِ، مَعَ قَدر رُبْعه منْ لَطيْف هَبَاء أَرْضِ الإمْكَان، وَيَعْمَلُ فيْه

كَمَا مَرَّ؛ **﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**(١)، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾**(٢).

وَهَذَا المَاءُ النَّازِلُ مِنَ السَّحَابِ المُتَرَاكِمِ؛ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**(٣)، وَهُوَ الوُجُوْدُ المُقَيَّدُ، وَهُوَ مِنْ بَعْدِ المَشِيْئَةِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ المَشِيْئَةِ، وَهَذَا الوُجُوْدُ المُسَمَّى بِالمَاءِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ المَذْكُوْرِ يَكُوْنُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِه.

وَمِثَالُهُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ مَنْ تُخَاطِبهُ بِقِيَامِ زَيْدٍ، أَخَذْتَ مِنَ الهَوَاءِ الَّذِي هُوَ إِمْكَانُ اللَّفْظِ هَوَاء، وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ الرُّطُوْبَةِ الهَوَائِيَّةِ، وَعَلَى جُزْءٍ مِنَ اليُبُوْسَةِ الهَبَائِيَّةِ، بِالقُوَّةِ القَابِضَةِ إِلَى جَوْفِكَ، الَّذِي هُوَ نُقْطَةُ قَلْبِكَ، أَيْ: وَجْهُهُ فِي الهَوَاءِ.

فَتُؤَلِّفُ مِنْهُمَا -بَعْدَ التَّقْدِيْرِ بِالضَّغْطِ وَالقَلْعِ وَالقَرْعِ- حُرُوْفاً مُشْتَمِلَةً عَلَى الأَجْزَاءِ الخَمْسَةِ، مُتَّصِفَةً بِصِفَاتِ مَادَّةِ مَقْصُوْدِكَ، فَتُؤَلِّفُ مِنْهَا لَفْظاً؛ هَيْئَتُهُ كَهَيْئَةِ مَقْصُوْدِكَ، فَتَدْفَعُهُ إِلَى الهَوَاءِ الَّذِي هُوَ مَكَانُ إِمْكَانِهِ، فَيَقَعُ جُزْءَآنِ مِنْ رُطُوْبَةِ لَفْظِكَ، وَهِيَ مَادَّتُهُ المُنَاسِبَةُ لِمَادَّةِ مَقْصُوْدِكَ، وَجُزْءُ يُبُوْسَتِهِ، وَهِيَ هَيْئَتُهُ المُنَاسِبَةُ لِهَيْئَةِ مَقْصُوْدِكَ، عَلَى مَا يُشَاكِلُهُ مِنْ أَرْضِ هَذَا العُمْقِ وَالجُرُزِ وَهُوَ الهَوَاءِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ١٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

لَفْظَكَ، وَيُوْصِلُهُ إِلَى أُذُنِ مُخَاطِبِكَ.

لِيَرْتَسِمَ فِي الحِسِّ المُشْتَرَكِ مِنْهُ صُوْرَةَ مَادَّةِ لَفْظِكَ، وَصُوْرَةِ هَيْئَتِــهِ، فَإِنَّهُ لِلَفْظِكَ كَالأُمِّ لِلْجَنِيْنِ، وَكَالأَرْضِ لِلْمَاءِ الَّذِي يَنْزُلُ مِنَ الــسَّحَابِ، فَيَنْبُتُ مِنْهُ النَّبَاتُ، فَوَقَعَ مِنْ لَفْظِكَ مَاءٌ عَلَى أَرْضِ ذَلِكَ المَعْنَى، وَهَذَا المَاءُ هُوَ الوُجُوْدُ لِذَلِكَ المَعْنَى، وَهُوَ دَلَالَةُ لَفْظِكَ بِمَادَّتِهِ وَهَيْئَتِهِ الوَاقِعَةِ فِي الحِسِّ المُشْتَرَكِ، الَّذِي هُوَ الأُمّ، فَيَنْبُتُ المَعْنَى فِي بَطْنِ تِلْكَ الأُمِّ، وَهُــوَ الخَيَــالُ بِذَلِكَ المَاءِ، الَّذِي هُوَ الدِّلَالَةِ، وَيَحيى بِهَا.

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ المَعْنَى قَبْلَ تِلْكَ الدِّلَالَةِ شَيْئاً؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا سُمِّيَ شَيْئاً لِأَنَّهُ مُشَاءٌ، وَالمَشِيْئَةُ هِيَ أَصْلُ الإِرَادَةِ، فَافْهَم.

الفَائدَةُ السَّابعَةُ

[تَكْوِيـــنُ الخَلْقِ الثَّـــانِي]

اعْلَمْ؛ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ المَاءُ الأَوَّلُ المُسَمَّى بِالوُجُوْدِ المُقَيَّدِ عَلَـــى الأَرْضِ الجُرُزِ؛ تَكَوَّنَ مِنْهُ الشَّيْءُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: الكَمّ، وَالكَيْف، وَالوَقْت، وَالمَكَان، وَالجِهَة، وَالرُّتْبَة، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الظُّهُوْرِ قَبْلَ الآخَرِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ مَـــعَ المَادَّةِ الَّتِي هِيَ حِصَّةُ الوُجُوْد، وَمَعَ الصُّوْرَةِ الَّتِي هِيَ حِصَّةُ المَاهِيَّـــة هِـــيَ الشَّيْء، ظَهَرَ الجَمِيْع دُفْعَة؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّمَانِيَة شَرْطٌ لِكُلِّهَـــا فِي الظُّهُوْرِ، وَالشَّيْء المَوْجُوْد مُرَكَّبٌ مِنَ الوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّة، وَالسِّتَّةُ قُيُـــوْدٌ مُقَوِّمَاتٌ لَهَا.

وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا السِّتَةَ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ غَيْرَهَا كَالأَوْضَاعِ وَالإِذنِ لَهَا فِـــي الظُّهُوْرِ وَأَجَلِ الفَنَاء، وَالكُتُبِ الحَافِظَة لِهَذِهِ المَذْكُوْرَات مِنْ حَيْث هِـــيَ حَافِظَةٌ، وَمِنْ حَيْث هِيَ مَحْفُوْظَة، وَكَالإِمْضَاءِ الَّذِي هُوَ شَـــرْحُ العِلَـــلِ وَالأَسْبَاب.. وَغَيْرُ ذَلِكَ، كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى السِّتَّة.

فَلِذَا اقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِهَا فِي ذِكْرِ البَدْء؛ لِأَنَّ الأَوْضَاعَ لَازِمَةٌ لِلْمَكَان وَالجِهَة وَالرُّتْبَة، وَالإِذْن وَالأَجَل لَازِمَان لِلْوَقْت، وَالكُتُب لَازِمَـــةٌ لِلـــسِّتَّة، وَالإِمْضَاء لَازِمَةٌ لِمَا سَبَقَ، وَمُتَفَرِّعٌ عَلَيْه؛ لِأَنَّ حُصُوْلَ هَذِهِ السِّتَّة لِلمَاهِيَّة

وَالوُجُوْدِ وَلَوَازِمِهَا المُشَارِ إِلَيْهَا يَلْزَمُ مِنْهُ الإِمْضَاء فِي الحِكْمَةِ، وَيَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا، وَالبَاقِي نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فِيْمَا بَعْدُ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَفَتْ الآرَاءُ فِي الشَّيْءِ اخْتِلَافاً كَثِيْراً، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ، وَلَاعِبْرَةَ بِذِكْرِ غَيْرِهَا:

الأَوَّلُ: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الوُجُوْدُ، وَالمَاهِيَّةُ عَرَضٌ حَالٌّ بِالوُجُوْدِ.

الثَّانِي: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ المَاهِيَّةُ، وَالوُجُوْدُ عَرَضٌ عَلَى المَاهِيَّةِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الوُجُوْدُ، وَالمَاهِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بِتَبَعِيَّةِ الوُجُوْدِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الوُجُوْدُ وَالمَاهِيَّةُ، فَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا.

لِأَنَّ الوُجُوْدَ شَرْطُ كَوْنِهِ صُدُوْراً وَاسْتِمْرَاراً المَاهِيَّةُ، وَالمَاهِيَّةُ شَرْطُ تَكَوُّنِهَا انْصِدَاراً وَاسْتِمْرَاراً الوُجُوْدُ، فَمَا دَامَا مَوْجُوْدَيْنِ مُنْضَمَّيْنِ فَالشَّيْءُ مَوْجُوْدٌ، وَلَا شَيْئِيَّةَ لِلشَّيْءِ مَعَ فَقْدِ أَحَدِهِمَا وَلَا لِلآخَرِ.

وَالوُجُوْدُ مَادَّتُهُ نَفْسُهُ، وَصُوْرَتُهُ لِنَفْسِهِ ارْتِبَاطُ المَاهِيَّةِ بِهِ، وَالمَاهِيَّةُ مَادَّتُهَا نَفْسُهَا، وَصُوْرَتُهَا رَبْطُ الوُجُوْدِ بِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾**(١)، فَهُمَا الشَّيْءُ، فَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا أَبَداً.

فَالوُجُوْدُ جِهَةُ فَقْرِهِ إِلَى اللهِ، وَهُوَ جِهَةُ اسْتِغْنَائِهِ، [وَالمَاهِيَّةُ جِهَةُ اسْتِغْنَائِهِ](٢)، وَهِيَ جِهَةُ فَقْرِهِ، وَافْتِقَارِهِ اسْتِغْنَاءٌ وَوُجُوْدٌ، وَاسْتِغْنَائِهِ فَقْرٌ وَعَدَمٌ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢) ما بين المعقوفتين نقلناه من متن شرح الفوائد.

فَنَظَرُهُ بِالفُؤَادِ حَقٌّ، وَبِالقَلْبِ حَقِيْقَةٌ، وَنَظَرُهُ بِالتُّرَابِ بَاطِلٌ، وَبِالنَّفْسِ سَرَابٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الوُجُوْدَ مُتَقَوِّمٌ بِالوُجُوْدِ، المُتَقَوِّمِ بِالحَقِّ، وَالمَاهِيَّةُ مُتَقَوِّمَةُ بِالوُجُوْدِ نَفْسِهِ، مِنْ دُوْنِ الوُجُوْدِ المُتَقَوِّمِ بِالحَقِّ؛ **﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾**[1].

وَهَذَا هُوَ الهَيُوْلَى لِلْإِنْسَانِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةُ المِدَادِ المُرَكَّبِ مِنْ صَمْغٍ وَسَوَادٍ، وَزَاجٍ وَعَفْصٍ، وَمِلْحٍ وَصَبْرٍ، وَنَبَاتٍ وَآسٍ، فَكَمَا أَنَّ المِدَادَ مِنْ حَيْثُ هُوَ صَالِحٌ لِلاسْمِ الشَّرِيْفِ وَالاسْمِ الوَضِيْعِ، وَإِنَّمَا تُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا الصُّوْرَةُ الثَّانِيَةُ، أَيْ: الكِتَابَةُ بِهَيْئَتِهَا، وَهِيَ المَاهِيَّةُ الثَّانِيَةُ.

كَذَلِكَ هَذِهِ الهَيُوْلَى المُرَكَّبَةُ مِنَ الوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّةِ، صَالِحَةٌ لِلمُؤمِنِ وَالكَافِرِ، وَلَا يَتَمَيَّزُ إِلَّا بِالصُّوْرَةِ الثَّانِيَةِ، الَّتِي هِيَ الخَلْقُ الثَّانِي، وَهِيَ المَاهِيَّةُ الثَّانِيَةُ.

فَسَأَلَهُمْ لِعِلْمِهِ بِهِمْ حِيْنَ سَأَلُوْهُ أَنْ يَسْأَلَهُم؛ فَقَالَ: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّكُمْ، وَآلُهُ وَخُلَفَاؤُهُ أَوْلِيَائِكُم[2]؟.

فَقَالُوْا بِأَجْمَعِهِم: بَلَى.

مِنْهُمْ مَنْ قَالَهَا مُصَدِّقاً بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ عَنْ عِلْمٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[3]، فَخَلَقَهُم مِنْ صُوْرَةِ التَّصْدِيْقِ

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٤.

(٢) في متن شرح الفوائد: (وعَلِيٌّ وَلِيِّكُمْ؟).

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

وَالمَعْرِفَة، وَهِيَ الصُّوْرَةُ الإِنْسَانِيَّة، وَهِيَ هَيْكَلُ التَّوْحِيْد، وَهِيَ مِنْ فَلَك البُرُوْجِ، وَهُمُ المُرْسَلُوْن وَالأَنْبِيَاء، وَالصِّدِّيْقُوْنَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحُوْن.

وَمِنْهُم مَنْ قَالَهَا بِلِسَانِه، وَقَلْبُهُ مُنْكِرٌ مُكَذِّبٌ غَيْرُ قَائِل، فَخَلَقَهُم مِنْ صُوْرَةِ التَّكْذِيْبِ وَالإِنْكَارِ وَالجُحُوْد، وَهِيَ الصُّوْرَةُ الحَيْوَانِيَّةُ الشَّيْطَانِيَّةُ، وَهُمُ الكَافِرُوْن وَالمُنَافِقُوْن، وَأَتْبَاعُهُم مِمَّنْ تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى، فَأَعْرَضُوْا عَنْهُ، وَهِيَ مِنْ طِيْنَةِ خَبَالٍ، وَهِيَ سِجِّيْن.

وَإِنَّمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا صُوَرُهُمْ صُوْرَةَ الإِنْسَان؛ لِإِجَابَتِهِم بِاللِّسَان، الَّذِي هُوَ أَدْنَى، وَفِي الآخِرَةِ تُسْلَبُ مِنْهُم، وَتَظْهَرُ صُوَرُهُم الحَقِيْقِيَّة التَّابِعَة لِلقَلْب.

وَمِنْهُم مَنْ قَالَهَا بِلِسَانِه، وَقَلْبُهُ وَاقِفٌ، لَمْ يُقِرّ وَلَمْ يَجْحَد، وَهَؤُلَاء خَلَقَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الصُّوْرَةِ الإِنْسَانِيَّة ظَاهِراً؛ لِإِقْرَارِ أَلْسِنَتِهِم، وَلَمْ يَخْلُقْ بَوَاطِنَهُم حَتَّى يُقِرُّوْا وَيَجْحَدُوْا، فَخَلَقَهُم مِنْ حَالِهِم.

وَهُمْ مُخْتَلِفُوْنَ، مِنْهُم فِي الدُّنْيَا، وَمِنْهُم فِي البَرْزَخِ، وَمِنْهُم فِي الآخِرَةِ، فَمَنْ خَلَقَ بَاطِنَهُ إِنْسَاناً دَخَلَ الجَنَّة، وَمَنْ خَلَقَ غَيْرَ ذَلِكَ دَخَلَ فِي النَّارِ.

فَهَذِه الصُّوْرَةُ الَّتِي خُلِقَتْ مِنَ الإِجَابَةِ أَوْ الإِنْكَارِ هِيَ الطِّيْنَةُ، وَهِيَ الأُمُّ الَّتِي يَسْعَدُ فِي بَطْنِهَا مَنْ سَعُدَ، وَيَشْقَى فِي بَطْنِهَا مَنْ شَقِيَ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَهُم بِالطِّيْنَةِ الطَّيِّبَةِ؛ الَّتِي هِيَ الإِجَابَةُ، وَالطِّيْنَة الخَبِيْثَة؛ الَّتِي هِيَ الإِنْكَارُ.

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلُقُهُم إِلَّا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْه، وَلَوْ خَلَقَهُم عَلى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْه لَمْ يَكُونُوْا إِيَّاهُم، بَلْ كَانُوْا غَيْرهم.

وَلَوْ لَمْ يَقْبَلُوْا وَخَلَقَهُم مِنَ الإِنْكَارِ، وَجَعَلَ لَهُمْ مَا جَعَلَ لِلْمُقِرِّيْنَ؛ لَوَقَعَ التَّنَافِي فِي خَلْقِهِم، وَخَلْقِه إِيَّاهُم؛ لِأَنَّ خَلْقَهُم كَمَا هُمْ مُنَافٍ لِجَعْلِهِم كَالْمُطِيْعِيْنَ، وَجَعْلُهُم كَالْمُطِيْعِيْنَ مُنَافٍ لِخَلْقِه كَمَا هُمْ، وَخَلْقُهُ كَمَا هُمْ مُنَافٍ لِخَلْقِه لَهُم لَيْسَ كَمَا هُمْ، **﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾**[1].

فَهَذَا هُوَ الخَلْقُ الثَّانِي، تَحْتَ النُّوْرِ الأَخْضَرِ، فِي عَالَمِ الأَظِلَّة، فِي وَرَق الآسِ، فَكَانُوْا فِي الذَّرِّ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: **«لِلْجَنَّة وَلَا أُبَالِي، وَلِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي»**[2]، ثُمَّ كَثَّرَهُم[3] فِي النُّوْرِ الأَحْمَرِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِه عليه السلام: **«ثُمَّ رَجَعَهُم إِلَى الطِّيْنِ»**، أَيْ: إِلَى طِيْنِ الطَّبِيْعَة.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٢) عَنْ حَبِيب السِّجِسْتَانِيِّ قَالَ؛ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَر عليه السلام يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ عزّ وجلّ لَمَّا أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ عليه السلام مِنْ ظَهْرِه لِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالرُّبُوبِيَّة لَهُ وَبِالنُّبُوَّة لِكُلِّ نَبِيٍّ..قال عزّ وجلّ: إِنَّمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُون، وَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَبَدَنِي مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي، وَخَلَقْتُ النَّارَ لِمَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي وَلَمْ يَتَّبِعْ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي..»**.[الكافي، ج: ٢، ص: ٩. الاختصاص، ص: ٣٣٢-٣٣٣. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٠-١١. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٢٦].

(٣) في متن شرح الفوائد: (ثُمَّ كَسَرَهُم).

الفَائدَةُ الثَّامنَةُ

[أَجْزَاء المُحْدَث عَلَى جِهَةِ الإجْمَالِ]

كُلُّ شَيْءٍ لَا يُجَاوِزُ وَقْتَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُوْجَدْ إِلَّا فِيْهِ، وَلَا ذِكْرَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذِي وَقْت فَوَقْتُهُ مُسَاوِقٌ لِمَكَانِه وَكَوْنِه، لِأَنَّ الوَقْتَ وَالمَكَانَ وَالكَوْنَ مُتَسَاوِقَة، إِذْ كُلُّ وَاحِد شَرْطٌ لِلآخَرِ.

وَكَذَا بَاقِي المُعَيَّنَاتِ وَالمُشَخّصَات، فَيَلْزَمُهَا التَّضَايُفُ، كَالمَشِيْئَة وَالسَّرْمَدِ، وَكُلُّ الإِمْكَانِ، وَكَالعَقْلِ الأَوَّلِ [وَالدَّهْرِ][1]، وَكُلُّ المُمْكِنِ، وَكَالجِسْمِ وَالزَّمَان وَالمَكَان.

وَمَرَاتِبُ المَشِيْئَة -كَمَا مَرَّ- أَرْبَعٌ، وَالسَّرْمَدُ وَالإِمْكَانُ يَكُوْنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الأَرْبَعِ بِنِسْبَتِهَا، فَلِلرَّحْمَةِ بِالسَّرْمَدِ وَالإِمْكَان رُتْبَةُ الذَّاتِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَلِلأَلِف بِهِمَا رُتْبَةُ الأَصْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَلِلسَّحَابِ المُزْجَى، أَيْ: الحُرُوْف بِهِمَا رُتْبَةُ الفَرْعِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَلِلسَّحَابِ المُتَرَاكِمِ، أَيْ: الكَلِمَة بِهِمَا رُتْبَةُ الكُلِّ مِنَ الشَّجَرَةِ.

فَنِسبَةُ السَّرْمَدِ وَالإِمْكَانِ إِلَى المَشِيْئَة بِجَمِيْعِ مَرَاتِبِهَا؛ كَنِسْبَةِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ إِلَى مُحَدَّبِ مُحَدّدِ الجِهَاتِ، يَعْنِي: نِهَايَةَ المُسَاوَقَة بِلَا حِوَايَةٍ غَيْرِ المُسَاوَقَة، إِذْ المُسَاوَقَةُ هِيَ التَّحَاوِي، لَا مُطْلَق الحِوَايَة.

---

(١) ما بين المعقوفتين نقلناه من متن شرح الفوائد.

وَلِلعَقْلِ الأَوَّلِ فِي أَكْوَارِهِ الأَرْبَعَة بالدَّهْرِ وَالْمُمْكِنِ مَا للمَشيْئَة بِالسَّرْمَدِ وَالإِمْكَان، وَمَا لَهُمَا مِنَ الْمُسَاوقَة وَالتَّحَاوِي، وَلِلجِسْمِ فِي أَدْوَارِهِ الأَرْبَعَة بِالزَّمَانِ وَالمَكَان مَا ذَكَرْنَا سَابِقاً حَرْفاً بِحَرْف.

وَكَذَا فِي الْمُسَاوقَة، أَيْ: التَّحَاوِي، يَعْنِي: أَنَّ الجِسْمَ حَاوٍ لِلزَّمَان وَالمَكَان، لَا يَخْرجُ مِنْهُمَا عَنْهُ شَيْء، وَالزَّمَان حَاوٍ لِلجِسْمِ وَالزَّمَان[1]، لَا يَخْرجُ مِنْهُمَا عَنْهُ شَيْء، وَالمَكَان حَاوٍ لِلجِسْمِ وَالزَّمَان، لَا يَخْرج مِنْهُمَا عَنْهُ شَيْء، وَذَلكَ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيه فِي المَشيْئَة وَفِي العَقْلِ حَرْفاً بِحَرْف.

أَمَّا المَاءُ الأَوَّلُ الَّذي به حَيَاةُ العَقْلِ وَمَا بَعْدَهُ، فَوَجْهُهُ فِي السَّرْمَدِ وَالإِمْكَان، وَهُوَ فِي الدَّهْرِ وَالْمُمْكِنِ.

وَأَمَّا النُّفُوس؛ فَإِنَّهَا مِنْ وَسَط الدَّهْرِ وَالْمُمْكِنِ، وَهُوَ الأَظلَّة، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ العَقْلِ النُّورُ الأَصْفَرُ، وَهُوَ البَرْزَخ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ الأَرْوَاحُ، وَهُو مِنَ الطَّرَفِ الأَعْلَى، وَآخرهُ النُّوْرُ الأَحْمَرُ، وَجَوْهَرُ الهبَاء.

فَالكَسْرُ فِي النُّوْرِ الأَحْمَرِ، وَالامْتِزَاجُ فِي جَوْهَرِ الهَبَاء، وَالعَقْدُ فِي المثَال، وَالمثَالُ بَيْنَ الزَّمَان وَالدَّهْر، فَوَجْهُهُ فِي الدَّهْرِ، وَأَسْفَلُهُ فِي الزَّمَان، أَيْ: بِالعَرَضِ لِتبَعيَّةِ الجِسْمِ، فَلَهُ الجِهَتَان: الذَّاتِيَّة، وَالعَرَضيَّة، وَبِهمَا مَعاً تَحقَّقَتْ بَرْزَخيَّتُهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ ذَوِي رُوْحٍ وَغَيْرِهِ قَدْ بَدَأَ مِنْ فعْلِ الله تَعَالَى عَلَى الاسْتِدَارَة، وَيَعُوْدُ إِلَى الله كَذَلكَ، وَيُقْبل مِنَ الله كَذَلكَ،

---

(١) في متن شرح الفوائد ورد بدل كلمة: (وَالزَّمَان)، كلمة: (وَالمَكَان).

وَسُرْعَةُ تَدْوِيْرِهِ وَبُطْئِهِ عَلَى حَسَبِ كَوْنِهِ وَوَقْتِهِ، وَهِيَ تَنَقُّلَات تعدُّ وَقْتَهُ، وَلَا يُسْرِع لِذَاتِه أَزْيَد مِنْ نِسْبَة كَوْنِه وَوَقْتِه.

فَإِذَا حَصَلَ لَهُ شَيْءٌ أَسْرَع بِه فَلَيْسَ قَاسِراً لِذَاتِه مِنْ حَيْثُ هِيَ، فَلَا يَحْدُثُ لَهَا تَغْيِيْرٌ، وَإِنَّمَا يُعِيْنُ ذَاتَهُ بِمَا يُمْكِنُ لَهَا، إِذْ مَا يُمْكِنُ لِلْشَيْءِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

قِسْمٌ يُمْكِنُ لِذَاتِه بِذَاتِه.

وَقِسْمٌ يُمْكِنُ لَهَا بِخَارِجٍ عَنْهَا، وَهُوَ المُعِيْنُ.

وَلَوْ حَصَلَ بِالخَارِجِ عَكْسُ مُقْتَضَى ذَاتِه؛ فَهْوَ مُعِيْنٌ أَيْضاً لَا قَاسِرٌ، مَا دَامَ لِمُقْتَضَاهَا فِعْلٌ، وَإِلَّا فَهْوَ قَاسِرٌ، وَحِيْنَئِذ لَا يَكُوْنُ الشَّيْءِ ذَلِكَ الشَّيْء، بَلْ هُوَ غَيْرُهُ، وَهَذَا يُسَمَّى قَاسِراً بِاعْتِبَارِ قَلْبِ الذَّاتِ المَوْجُوْدَة.

وَإِلَّا فَفِي الحَقِيْقَة: أَنَّ الشَّيْءَ لَا يَنْقَلِبُ إِلَى مَا لَا يُمْكِنُ فِي ذَاتِه فِي جَمِيْعِ الوُجُوْد، بَلْ لَيْسَ ذَلِكَ شَيْئاً، فَلَا تَتَعَلَّق بِهِ قُدْرَة؛ لِأَنَّ القُدْرَةَ لَا تَتَعَلَّقُ إِلَّا بِالشَّيء.

وَالشَّيْءُ المُمْكِنُ لَهُ خَمْسَةُ مَقَامَات:

الأَوَّلُ: فِي الإِمْكَانِ وَلَا يَكُوْنُ أَبداً، وَهُوَ فِيْ المَشيْئَة مُمْكِنُ الكَوْنِ.

وَالثَّانِي: فِي الإِمْكَانِ وَسَيَكُوْنُ، وَفِي المَشِيْئَة يُمْكِنُ أَلَّا يَكُوْنُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ كَانَ وَلَا يَزَالُ أَبداً، وَهُوَ فِي المَشِيْئَة يُمْكِنُ مَحْوُهُ فِيمَا بَعْدُ، وَإِثْبَاتُهُ وَمَحْوُهُ.. وَهَكَذَا.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ كَانَ وَسَوْفَ يُعْدَمُ، أَيْ: يَرْجِعُ إِلَى مَا قَبْلَ كَوْنِه، وَفِي المَشِيْئَة يُمْكِنُ أَلَّا يُعْدَمَ، وَأَنْ يُعْدَمَ وَيُعَادُ.. وَهَكَذَا.

وَالخَامِسُ: أَنَّهُ قَدْ كَانَ كَوْنُهُ وَلَا يَكُوْنُ عَيْنُهُ، وَكَانَتْ عَيْنُهُ وَلَا يَكُوْنُ قَدَرُهُ، وَكَانَ قَدَرُهُ وَلَا يَكُوْنُ قَضَاؤُهُ، وَيَكُوْنُ قَضَاؤُهُ وَيسْتَرُ إِمْضَاؤُهُ، وَظَهَرَ إِمْضَاؤُهُ وَيُعْدَمُ مِنْهُ مَا كَانَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا يُمْكِنُ فِي ذَاتِهِ.

وَأَمَّا مَا لَا يُمْكِنُ فِي ذَاتِهِ؛ بِأَنْ يَكُوْنَ مُسْتَحِيْلاً، أَيْ: لَا شَيْءَ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، أَوْ يَكُوْنُ وَاجِباً لِذَاتِهِ، أَيْ: هُوَ الشَّيْءُ لَا سِوَاهُ، فَيَسْتَحِيْلُ عَلَيْهِ فَرْضُ الإِمْكَانِ، فَلَا يُمْكِنُ فَرْضُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَلَا تَصَوُّرُهُ؛ لِأَنَّ التَّصَوُّرَ وَالفَرْضَ مِنَ الإِمْكَانِ، بَلْ لَا يُفْرَضُ وَلَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا مَا هُوَ مَوْجُوْدٌ فِي الإِمْكَانِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ.

فَفِي الحَقِيْقَةِ لَا يَتَحَقَّقُ القَاسِرُ إِلَّا بِقَلْبِ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِ مَا يَقْتَضِيْهِ مِنْ ذَاتٍ أَوْ صِفَةٍ، وَهْوَ مِمَّا يُمْكِنُ لَهُ، فَهُوَ مُطَاوِعٌ، فَلَا قَلْبَ، فَلَا امْتِنَاعَ فِي الإِمْكَانِ، فَلَا قَسْرَ وَلَا إِمْكَانَ فِي الوَاجِبِ وَلَا فِي المُسْتَحِيْلِ.

فَالشَّيْءُ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ لَا سِوَاهُ لَا إِمْكَانَ فِيْهِ وَلَا رُجْحَانَ، وَلَا يَمْنَعُ النَّقِيْضَ، بَلْ هُوَ وُجُوْبٌ بَحْتٌ، وَالمُسْتَحِيْلُ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ -أَيْ: سَوَاء اعْتبرتَ شَيْئِيَّة خَارِجِيَّة أَمْ وَاقِعِيَّة، أَمْ ذِهْنِيَّة، أَمْ إِمْكَانِيَّة، أَمْ وَهْمِيَّة، أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَعْتَبِرُهُ مُعْتَبِر- لَا إِمْكَانَ فِيْهِ، فَلَا يُعْتَبَرُ بِحَالٍ.

فَافْهَمْ هَذِهِ العِبَارَاتِ المُكَرَّرَةِ المُرَدَّدَةِ لِلتَّفْهِيْمِ.

الفَائِدَةُ التَّاسِعَةُ

كُلُّ شَيْءٍ لَا يُدْرِكُ مَا وَرَاءَ مَبْدَئِه

لِأَنَّ الإِدْرَاكَ إِنْ كَانَ بِالفُؤَادِ فَهُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الذَّاتِ، وَأَوَّلُ جُزْئِيِّهَا، وَأَعْلَاهُمَا وَأَشْرَفُهُمَا، وَلَيْسَ لَهُ وَرَاءَ ذَلِكَ ذِكْرٌ فِي حَالٍ، فَلَا يَجِدُ نَفْسَهُ هُنَاكَ، وَلَا يَجِدْهُ غَيْرُهُ؛ إِذْ أَوَّلُ وُجْدَانِه ذَلِكَ الإِدْرَاك، وَإِنْ كَانَ بِالعَقْلِ وَالنَّفْسِ وَالحِسِّ المُشْتَرَكِ وَبِالحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ، فَهِيَ بِجَمِيْعِ إِدْرَاكَاتِهَا وَمُدْرَكَاتِهَا دُوْنَ ذَلِكَ، فَلَا يُدْرِكُ الشَّيْءُ مَا وَرَاءَ كَوْنِه، فَإِذَا تَصَوَّرَ شَيْئاً بِغَيْرِ الفُؤَادِ أَدْرَكَ مَا وَرَاءَهُ، أَيْ: أَنَّ مَا وَرَاءَهُ شَيْءٍ يُدْرِكُهُ.

فَإِذَا أَدْرَكَ ذَلِكَ الأَعْلَى؛ أَدْرَكَ وَرَاءَهُ شَيْئاً.. وَهَكَذَا، لَا يَقِفُ عَلَى حَدٍّ لَا يَجِدُ وَرَاءَهُ شَيْئاً.

وَهَذِهِ حُرُوْفُ نَفْسِهِ وَمَرَاتِبِهَا، وَتِلْكَ الحُرُوْفُ وَالمَرَاتِبُ لَا تَتَنَاهَى نَفْسُهُ، أَيْ: لَا تَقِفُ عَلَى حَدٍّ، لَا تَتَوَهَّم أَنْ لَا قَبْلَ لَهُ، فَهِيَ لَا تَفْقِدُ نَفْسَهَا فِي تِلْكَ المَرَاتِبِ.

فَإِذَا نَظَرَتْ ذَاتَهَا بِذَاتِهَا -أَيْ: نَظَرَتْ بِفُؤَادِهَا- انْقَطَعَ وُجُوْدُهَا، وَيَتَنَاهَى كَوْنُهَا إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهَا نَظَرَتْ مِنْ مِثْلِ سَمِّ الإِبْرَةِ، فَاسْتَدَارَتْ عَلَى نَفْسِهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ طَاشَت[١] النُّقْطَةُ فِي الدَّائِرَة   وَلَمْ تَزَلْ فِي ذَاتِهَا حَائِرَة

وَقَالَ عليه السلام: **«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ؛ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»**[٢]، وَقَالَ عليه السلام لِكُمَيْلٍ رحمه الله: **«مَحْوُ المَوْهُوْمِ، وَصَحْوُ المَعْلُوْمِ»**[٣].

وَكُلَّمَا وَصَلَ العَبْدُ إِلَى مَقَامٍ ظَهَرَ لَهُ الجَبَّارُ فِيْه؛ حَصَلَ لَهُ المَحْوُ وَالصَّحْوُ، فَهُنَاكَ عَرَفَ رَبَّهُ؛ لأَنَّهُ عَرَفَ نَفْسَهُ بالمَحْوِ وَالصَّحْوِ.

فَإِذَا اسْتَقَامَ فِيْه كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا﴾**[٤]، حَتَّى ظَهَرَ لَهُ الأَثَرُ، ظَهَرَ لَهُ الجَبَّارُ فِي مَقَامٍ أَعْلَى مِنَ الأَوَّلِ، فَيَعْرِفُ فِيْه رَبَّهُ بِحُكْمِ المَحْوِ وَالصَّحْوِ بطَوْرٍ أَعْلَى، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ المَقَامَ الأَوَّل مَقَام "خَلَقَ" قَدْ تَعَرَّفَ لَهُ فِيْه بِه، ثُمَّ تَعَرَّفَ لَهُ فِي الأَعْلَى، قَالَ عليه السلام: **«تُدْلِجُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُدْلِجِ مِنْ خَلْقِكَ»**[٥].

فَإِذَا عَرَفَ رَبَّهُ فِي الأَعْلَى بِظُهُوْرِهِ لَهُ فِيْه بِه، وَنَظَرَ إِلَى الأَسْفَلِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ مَقَامُ خَلَقَ؛ **﴿وَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ**

---

(١) في بعض النُّسخ: (قد ضلّت).

(٢) مصباح الشريعة، ص: ١٣. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٢.

(٣) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وَص: ١٧٠.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٠. وَسورة الأحقاف، الآية: ١٣.

(٥) من أدعية قيام الليل، مروي عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، راجع: الكافي، ج: ٢، ص: ٥٣٨. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ١٢٣. وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٣٤. مفتاح الفلاح، ص: ٢٩٣. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٨٧.

الْحِسَاب﴾[١]، وَهَكَذَا أَبَداً يَسِيْرُ بِلَا نِهَايَة.

قَالَ تَعَالَى فِي الحَدِيْث القُدْسِيِّ -حَدِيْث الأَسْرَار-: **«كُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُمْ عِلْماً، وَضَعْتُ لَهُمْ حِلْماً، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ»**[٢].

وَهَذِهِ المُشَارُ إِلَيْهَا هِيَ المَقَامَاتُ الَّتِي لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان، قَالَ الحُجَّةُ عليه السلام فِي الإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ فِي دُعَاءِ رَجَب: **«وَمَقَامَاتك الَّتِي لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤُهَا مِنْكَ،**

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٢) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ أنّ النبي صلى الله عليه وآله سأل ربَّه سبحانه ليلة المعراج فقال: **«يَا رَبِّ! أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟.**

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: لَيْسَ شَيْء أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمْتُ. يَا مُحَمَّدُ! وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَعَاطِفِيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَكِّلِيْنَ عَلَيَّ، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي عِلْمٌ وَلَا غَايَة وَلَا نِهَايَة، وَكُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُم عِلْماً وَضَعْتُ لَهُم عِلْماً.

أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ نَظَرُوْا إِلَى المَخْلُوْقِيْنَ بِنَظَرِي إِلَيْهِم، وَلَمْ يَرْفَعُوْا الحَوَائِجَ إِلَى الخَلْقِ، بُطُوْنُهُم خَفِيْفَةٌ مِنْ أَكْلِ الحَرَامِ، نَعِيْمُهُم فِي الدُّنْيَا ذِكْرِي وَمَحَبَّتِي، وَرِضَائِي عَنْهُم». [إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٩٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٢١-٢٢].

وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ... إِلَخ»[١].

وَقَالَ الصَّادقُ عليه السلام: **«لَنَا مَعَ اللهِ حَالَاتٌ نَحْنُ فِيْهَا هُوَ، وَهُوَ نَحْنُ، وَهُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ»**[٢].

وَهَذَا طَرِيْقٌ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ لَا نِهَايَةَ لَهُ وَلَا غَايَةَ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَقَامٍ ظَهَرَ اللهُ فِيْهِ لِعَبْدِهِ فَهُوَ مَظْهَرُهُ وَصِفَتُهُ، وَهِيَ حُرُوْفُ ذَاتِ العَبْدِ، لَا حَقِيْقَةَ لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ ظَهَرَ لَكَ بِكَ، وَبِكَ احْتَجَبَ عَنْكَ.

فَلَا سَبِيْلَ لَكَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِمَا تَعَرَّفَ لَكَ بِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّف لَكَ إِلَّا فِيْكَ وَبِكَ، قَالَ عليه السلام فِي نَهْجِ البَلَاغَةِ: **«لَا تُحِيْطُ بِهِ الأَوْهَامَ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا»**[٣].

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ المُتَجَلِّي نُقْطَةٌ يَدُوْرُ عَلَيْهَا التَّجَلِّي، فَهُوَ كُرَةٌ مُجَوَّفَةٌ لِفِعْلِ التَّجَلِّي، وَفِي الإِنْجِيْلِ: **«أَيُّهَا الإِنْسَانُ!، اعْرِف نَفْسَكَ تَعْرِفُ**

---

(١) إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٩٣.

(٢) اللمعة البيضاء، ص: ٢٨.

(٣) نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. شرح نهج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٦١.

رَبَّكَ، ظَاهِرُكَ لِلفَنَاءِ، وَبَاطِنُكَ أَنَا»[١].

فَلِجَمِيْعِ الخَلْقِ اسْتِدَارَةٌ عَلَى فِعْلِ اللهِ وَاحِدَةٌ كرّيه، فَكُلُّ الخَلْقِ كُرَةٌ وَاحِدَةٌ مُجَوَّفَةٌ، تَدُوْرُ عَلَى نُقْطَةٍ هِيَ فِعْلُهُ تَعَالَى.

وَأُصُوْلُ الخَلْقِ كُرَاتٌ مُجَوَّفَةٌ كَذَلِكَ، كُلُّ أَصْلٍ كُرَةٌ تَامَّةٌ تَدُوْرُ عَلَى نُقْطَةٍ، هِيَ وَجْهُ ذَلِكَ الأَصْلِ مِنَ المَشِيْئَةِ، وَلَا تَدُوْرُ عَلَى مِحْوَرٍ؛ لِأَنَّ الاسْتِدَارَةَ عَلَى مِحْوَرٍ تُحْدِثُ مِنْ أَجْزَاءِ الكُرَةِ دَوَائِرَ لَا كُرَاتَ، فَتَكُوْنُ الاسْتِدَارَةُ عَلَى [إلى] جِهَةٍ، فَلَا تَكُوْنُ العِلَّةُ مُحِيْطَةً بِالمَعْلُوْلِ، وَلَا تَتَسَاوَى الأَجْزَاءُ المُتَسَاوِيَةُ فِي الرُّتْبَةِ إِلَى مُنْتَصَفِ المِحْوَرِ، الَّذِي هُوَ النُّقْطَةُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ مَا كَانَ مِنَ الأَجْزَاءِ فِي جِهَتَي القُطْبَيْنِ لِلْمِحْوَرِ لَا تَدُوْرُ عَلَى النُّقْطَةِ، وَوَجْهُ الكُرَةِ مِنَ العِلَّةِ لَيْسَ مِحْوَراً مُسْتَطِيْلاً، بَلْ نُقْطَةٌ.

وَالأَصْلُ الثَّانِي يَدُوْرُ عَلَى الأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ لِلثَّانِي نُقْطَةٌ، وَيَدُوْرُ عَلَى النُّقْطَةِ الأُوْلَى، **فَلَهُ اسْتِدَارَتَانِ:**

اسْتِدَارَةٌ ذَاتِيَّةٌ: تَدُوْرُ عَلَى نُقْطَةِ الأَصْلِ الأَوَّلِ.

وَعَرَضِيَّةٌ: تَدُوْرُ عَلَى الأَوَّلِ إِذَا كَانَ مُتَرَتِّباً عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَعَلَى جِهَةِ لَوَازِمِهِ مِنْ وَضْعٍ وَإِضَافَةٍ.. وَغَيْرِهِمَا.

وَهُمَا اسْتِدَارَةٌ وَاحِدَةٌ بِلِحَاظِ وِحْدَةِ الدَّائِرَةِ، وَلِهَذَا كَانَ أَبْطَأَ مِنَ

---

(١) قال الحافظ رجب البرسي؛ يقول الرب الجليل في الإنجيل: **«أَيُّهَا الإِنْسَانُ!، اعْرِفْ نَفْسَكَ تَعْرِفُ رَبَّكَ، ظَاهِرُكَ لِلفَنَاءِ، وَبَاطِنُكَ لِلبقاءِ»**. راجع: الجواهر السنية، ص: ١١٦.

الأَصْلِ الأَوَّلِ، كَاسْتِدَارَةِ الكَوْكَبِ عَلَى قُطْبِ تَدْوِيْرِه، وَاسْتِدَارَتُهُ عَلَى قُطْبِ الخَارِجِ المَرْكَزِ، فَإِنَّ اسْتِدَارَتَهُ فِي التَّدْوِيْرِ عَلَى نَفْسِه، فَهِيَ عَرَضِيَّةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَحَقُّقِه وَأَصَالَتِه، وَاسْتِدَارَتُهُ عَلَى قُطْبِ الخَارِجِ المَرْكَزِ ذَاتِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا وَجْهُهُ إِلَى أَصْلِ تَحَقُّقِه؛ لِأَنَّ هَذِهِ أَصْلٌ لِاسْتِدَارَتِه عَلَى تَدْوِيْرِه، فَائِضَةٌ عَنْهَا، مُتَفَرِّعَةٌ عَلَيْهَا.

وَإِنَّمَا كَانَتْ اسْتِدَارَةُ الثَّانِي بَطِيْئَةً؛ لِحُصُوْلِ الكَثْرَةِ فِيْهَا، وَكُلَّمَا كَثُرَتْ الوَسَائِطُ كَثُرَتْ الاسْتِدَارَاتُ وَكَانَ أَبْطَأَ، وَتَتَرَتَّبُ العَرَضِيَّاتُ فِي القُوَّةِ وَالضَّعْفِ، فَمَا قَرُبَ مِنَ الدَّائِرَةِ كَانَ أَضْعَفَ، وَالذَّاتِيَّةُ أَبَداً وَاحِدَةٌ.

وَهَكَذَا حُكْمُ كُلِّ أَصْلٍ، وَلِفُرُوْعِ ذَلِكَ الأَصْلِ هَذَا الحُكْمُ، كُلُّ فَرْعٍ كُرَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُ دَوْرَاتٌ، دَوْرَةٌ عَلَى أَصْلِه، وَعَلَى كُلِّ مَا سَبَقَهُ دَوْرَةٌ، وَعَلَى القُطْبِ الأَوَّلِ كَذَلِكَ، وَقِسْ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ بِنِسْبَةِ حَالِ ذَاتِه وَعَوَارِضِهَا، فَكُلُّ عَالَمٍ كُرَةٌ، وَكُلُّ نَوْعٍ كُرَةٌ، وَكُلُّ صِنْفٍ كُرَةٌ، وَكُلُّ شَخْصٍ كُرَةٌ، وَكُلُّ جُزْءٍ كُرَةٌ.

وَهَكَذَا أَحْكَامُهَا فِي الأَوْضَاعِ وَالتَّضَايُفِ وَالنِّسَبِ كُلِّهَا، فِي التَّسَاوِي وَالتَّعَارُفِ وَالتَّنَاكُرِ، إِلَّا أَنَّهَا فِي التَّنَاكُرِ تَدُوْرُ عَلَى التَّعَاكُسِ هَكَذَا: (< >)، وَفِي التَّعَارُفِ عَلَى جِهَةِ التَّوَاجُهِ هَكَذَا: (> <)، وَفِي التَّسَاوِيْ عَلَى جِهَةِ المُمَاثَلَةِ: (<<).

وَأَمَّا فِي التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ وَحَدهَا هَكَذَا: (٨ <)، وَفِي الصِّفَاتِ وَحَدهَا هَكَذَا: (٧٨)، وَفِيْهِمَا مَعاً هُوَ التَّنَاكُرُ كَمَا مَرَّ، قَالَ عليه السلام: **«الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا**

اخْتَلَفَ»[1].

وَمَعْنَى التَّعَارُفُ: يَنْظُرُ أَحَدُهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ.

وَمَعْنَى التَّنَاكُر: ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِ صَاحِبِهِ.

وَالْمُسَاوَاةُ: مِنَ التَّعَارُفِ فِي التَّبَعِيَّة.

وَالْمُغَايَرَة: أَحْوَال، وَانْظُر إِلَى تَمْثِيلِ الأَشْكَال؛

وَلِكُلٍّ رَأَيْتَ مِنْهُمْ مَقَاماً   شَرْحُهُ فِي الْكِتَابِ مِمَّا يَطُولُ

ثُمَّ اعْلَم؛ أَنَّ الكُرَةَ إِنْ كَانَتْ اسْتِدَارَتُهَا عِبَارَةٌ عَنْ اسْتِدَارَةِ قَوْسٍ مِنْ مُحِيْطِهَا؛ فَهِيَ تَدُوْرُ عَلَى مِحْوَر، وَتُحْدِثُ مِنَ الأَجْزَاءِ الدَّوَائِر لَا الكُرَات، وَلَيْسَ تِلْكَ الاسْتِدَارَةُ الصُّدُوْرِيَّةُ عَنِ العِلَّةِ البَسِيْطَةِ، الَّتِي هِيَ فِعْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَمَشِيْئَتُهُ.

بَلْ الاسْتِدَارَةُ الصُّدُوْرِيَّة: أَنْ يَكُوْنَ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ الكُرَةِ عَلَى قُطْبِهَا، فَتَكُوْنُ اسْتِدَارَةُ الكُرَةِ عَلَى قُطْبِهَا لَيْسَتْ إِلَى خُصُوْصِ جِهَةٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَوَاصِّ الأَجْسَامِ فِي حَرَكَاتِهَا الجِسْمَانِيَّة.

وَأَمَّا الحَرَكَاتُ الوُجُوْدِيَّة الصُّدُوْرِيَّة؛ فَلَيْسَتْ جِسْمَانِيَّة، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الأَجْسَامِ فَهِيَ دَوْرَات دَهْرِيَّة وَسَرْمَدِيَّة، وَإِلَّا لَمْ تَحطْ جِهَةَ العِلَّةِ بِجَمِيْعِ جِهَاتِ المَعْلُوْلِ، وَلِهَذَا قُلْنَا: "كُلُّ جُزْءٍ كُرَةٌ"، فَافْهَمْ فَهَّمَكَ اللهُ

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٨٠. الأمالي للصدوق، ص: ١٤٥. جامع الأخبار، ص: ١٧١. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٨٤. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٢٨٨. المسائل السروية، ص: ٣٧. مصباح الشريعة، ص: ١٥٦.

تَعَالَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الطَّوْرُ مِنَ الاسْتِدَارَةِ لَا تُدْرِكُهُ النَّفْسُ وَلَا العَقْلُ، وَإِنَّمَا يُدْرِكُهُ الفُؤَادُ؛ لِأَنَّهُ جِهَةُ الصُّدُوْرِ، وَهِيَ جِهَةُ الرَّبْطِ بِالسَّرْمَدِ، وَالسَّلَامُ.

الفَائِدَةُ العَاشِرَةُ
فِي خَلْــقِ الأَشْــيَاءِ

اعْلَمْ؛ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِفِعْلِه وَإِبْدَاعِه، مِنْ غَيْرِ سَبْقِ فِكْرٍ أَوْ رَوِيَّةٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَاللهُ خَالِقُهُ، سَوَاء كَانَ فِي الوُجُــوْدِ الخَــارِجِيِّ أَم الذِّهْنِيّ، وَمَا فِي الذِّهْنِي لَمْ يُوْجَد عَلَى احْتِذَاءِ سَبْقِ ذِهْــنٍ، فَــالوُجُوْدُ الذِّهْنِيّ فِي الوَاقِعِ وُجُوْدٌ خَارِجِيٌّ.

وَإِنَّمَا قُسِّمَ الوُجُوْدُ إِلَى: الذِّهْنِيّ وَالخَارِجِيّ؛ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الوُجُــوْدِ الظِّلِّي الانْتِزَاعِي، وَالأَصْلِي اصْطِلَاحاً، وَلَا مُشَاحَةَ فِي الاصْطِلَاحِ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي الحَقِيْقَةِ قِسْمٌ مِنَ الوُجُوْدِ، خَلَقَهُ اللهُ لِحَاجَةِ الخَلْقِ إِلَيْهِ فِــي التَّفَــاهُم وَالتَّعَارُفِ، لِيَحْصَلَ لَهُم إِدْرَاكُ مَا غَابَ عَنْ حَوَاسِّهِم الظَّاهِرَة، وَذَلِكَ مِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ تَكْلِيْفُهُم، وَنِظَامُ أُمُورِهِم وَمَعَاشِهِم.

وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّهُ مَخْلُوْقٌ للهِ؛ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيْلُ القَاطِعُ، بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُوم﴾**[1].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

فَإِنْ قُلْتَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ فِي النَّفْسِ قُدْرَةً عَلَى اخْتِرَاعِ مَا شَآءَتْ مِنَ الصُّوَرِ، فَهِيَ تَخْتَرِعُ تِلْكَ الصُّوْرِ مِمَّا يُمْكِنُ لَهَا، فَلَا يَكُوْنُ الوُجُوْدُ الذِّهْنِيُّ فِي الحَقِيْقَةِ خَارِجِيّاً.

قُلْتُ: إِنَّمَا جَعَلَهُ فِيْهَا وَفِي غَيْرِهَا مِمَّا تَجْرِي فِيْهِ عَلَى اخْتِيَارِهَا، لَيْسَ حَيْثُ أَعْطَاهَا رَفع يَده عَنْه، بَلْ هُوَ [فِي] يَده بَعْد الإِعْطَاء كَمَا هُوَ قَبْلَ الإِعْطَاء، بَلْ هُوَ حَالٌ وَاحِدَةٌ بِلَا تَعَدُّدٍ إِلَّا فِي العِبَارَةِ، كِنَايَةً عَن ظُهُوْرِ العَطِيَّةِ فِي نَفْسِهَا.

وَتِلْكَ القُوَّةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا فِعْلُهَا وَانْفِعَالُهَا، وَإِضَافَتُهَا وَتَعَلُّقُهَا بِمُخْتَرِعِهَا، إِنَّمَا كَانَ شَيْئاً فِي نَفْسِه بِكَوْنِه فِي يَدِه، فَإِذَا قَابَلَت المِرْآةُ الشَّيء؛ أَوْجَدَ اللهُ تَعَالَى بِهَا فِيْهَا الصُّوْرَة، وَإِنَّمَا لَهَا اخْتِيَارُ الْمُقَابَلَة وَانْتِزَاعُ الصُّوْرَة، اللَّذَان هُمَا شَيْء بِكَوْنِهِمَا فِي يَدِه، فَافْهَم.

وَإِلَى هَذَا الإِشَارَة بِقَوْلِه عليه السلام: «**كُلّ مَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم فِي أَدَقِّ مَعَانِيْه، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوْعٌ] مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم**»[1].

فَافْهَم قَوْلَهُ عليه السلام: «**مَخْلُوْقٌ مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم**».

---

(١) روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «**كُلّمَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم، وَأَدْرَكْتُمُوْهُ مُمَثّلاً فِي نُفُوْسِكُم، وَمُصَوَّراً فِي أَذْهَانِكُم؛ فَهُوَ مُحْدَثٌ مَصْنُوْعٌ مِثْلُكُم**». [إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢].

فَإِنْ قُلْتَ: يَلْزَمُكُم أَنَّ اللهَ خَلَقَ المَعَاصِي وَالكُفْرَ وَسَائِرَ القَبَائِحِ.

قلتُ: نَعَم.. كَذَلِكَ اللهُ رَبُّنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحدُ الْقَهَّارُ**﴾[1]، وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَى مَا تَفْهَمُ، وَذَلكَ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلُقُ شَيْئاً إِلَّا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْه فِي ذَاته وَصفَاته وَأَفْعَاله، وَإِلَّا لَـمْ يَكُـن المَخْلُوْقُ كَذَلكَ، بَلْ يَكُوْنُ قَدْ خُلقَ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْه، فَحيْنَئذٍ لَم يَكُنْ هُوَ إِيَّاهُ، وَإِنَّمَا يَكُوْنُ غَيْرُهُ، هَذَا خُلْفٌ.

وَإِذَا خَلَقَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْه؛ فَإِنَّمَا خَلَقَهُ عَلَى مُقْتَضَى سَبَب إِيْجَاده وَقَبُوْله للوُجُوْد، وَذَلكَ بالأَسْبَاب الخَارجَة عَنْ حَقيْقَة مَا أَفَاضَهُ اللهُ بذَات فعْله، وَإِنْ كَانَتْ بعَوَارضه، وَتلْكَ الأَسْبَابُ مُقْتَضَيَاتٌ لتَغَيُّـر الحَقَـائق بحُكْم الوَضْع، وَتلْكَ المُقْتَضَيَاتُ منْ أَفْعَال الخَلْق وَأَوْضَاعهم، فَلَوْ خلـقَ عَلَى غَيْر المُقْتَضى؛ لَكَانَ قَدْ مَنَعَ مَا أَعْطَى، وَأَبْطَلَ مَا قَدَّرَ.

مَثلاً: خَلَقَ الحَديْدَ يَقْطَع، وَلَا يَقْطَعُ إِلَّا بالله، فَإِذَا ذَبَحَ زَيْدٌ عَمْـرواً بالسَّيْف، فَإِنْ لَمْ يُوْجد اللهُ الذَّبْحَ بمُقْتَضَى فعْل زَيْد وَالحَديْد؛ لَكَانَ قَـدْ مَنَعَ الحَديْدَ مَا خَلَقَهُ عَلَيْه، فَلَمْ يَكُنْ الحَديْدُ حَديْداً، وَمَنَعَ زَيْداً مُقْتَـضَى فعْله، فَلَمْ يُمَكّن زَيْداً مَنْ فَعَل المَعْصيَة، فَلَمْ يَقْدر عَلَى الطَّاعَة؛ لأَنَّهَا لَـا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بالتَّمَكُّن منَ المَعْصيَة، وَإِذَا لَم يَكُنْ ذَلكَ لَمْ يَحْسُنْ إِيْجَـادُهُ، وَيَبْطُلُ الإِيْجَادُ منْ أَصْله، وَالوُجُوْدُ الذِّهْنيّ حَدَثَ عَنِ الله بهَذَا النَّحْو.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٦.

ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾(١)، حَيْثُ أَتَى الشَّيْءِ مِنْ جِهَةِ إِفْرَادِهِ بِجَمْعِ خَزَائِنَ؛ سِرّاً نَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ خَزَائِن، فَأَعْلَى خَزَائِنه الرَّحْمَةُ، ثُمَّ الرِّيَاحُ، ثُمَّ السَّحَابُ المُزْجَى، ثُمَّ السَّحَابُ المُتَرَاكِمُ، ثُمَّ البَحْرُ المُمْكِنُ وَهَبَاؤُهُ، ثُمَّ سَحَابَهُ المُزْجَى، ثُمَّ المُتَرَاكِمُ.

ثُمَّ الأَكْوَانُ السِّتَّة، الَّتِي أَشَارَ عليه السلام إِلَيْهَا:

الكَوْنُ النُّورَانِي: وَهُوَ المَاءُ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ حِجَابُ السِّرِّ.

ثُمَّ الكَوْنُ الجَوْهَرِي: وَهُوَ الحِجَابُ الأَبْيَضُ، وَهُوَ الرُّكْنُ الأَيْمَنُ الأَعْلَى، عَنْ يَمِينِ العَرْشِ.

ثُمَّ الكَوْنُ الهَوَائِي: وَهُوَ الحِجَابُ الأَصْفَرُ، وَهُوَ الرُّكْنُ الأَسْفَلُ الأَيْمَنُ، عَنْ يَمِينِ العَرْشِ.

ثُمَّ الكَوْنُ المَائِي: وَهُوَ الحِجَابُ الأَخْضَر، وَهوَ حِجَابُ الزُّمُرُّد، وَهُوَ الرُّكْنُ الأَيْسَرُ الأَعْلَى، عَنْ يَسَارِ العَرْشِ.

ثُمَّ الكَوْنُ النَّارِي: وَهُوَ الحِجَابُ الأَحْمَرُ، وَقَصَبَةُ اليَاقُوتِ، وَهُوَ الرُّكْنُ الأَيْسَرُ الأَسْفَلُ، عَنْ يَسَارِ العَرْشِ.

ثُمَّ الكَوْنُ الأَصِلَّة: وَهُوَ الهَبَاءُ الآخَر، وَكَوْنُ الذَّرِّ الثَّانِي.

ثُمَّ العَرْشُ مُحَدَّدُ الجِهَات، ثُمَّ الكُرْسِيّ، ثُمَّ فَلَكُ البُرُوْجِ، ثُمَّ فَلَكُ

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

المَنَازِل، ثُمَّ فَلَكُ الشَّمْس فِي زُحَل وَفِي القَمَرِ، ثُمَّ مِـنَ الـشَّمْسِ فِـي المُشْتَرِي وَعَطَارِد، ثُمَّ مِن الشَّمْسِ فِي المِرِّيْخِ وَفِي الزُّهْرَة، ثُمَّ تَنْزِلُ إِلَـى الأَذْهَانِ صُوْرَتُهُ، بِتَسْخِيْرِ شَمْعُوْن وَسَيْمُون وَزَيْتُوْن لِجُنُوْدِهِم وَأَعْـوَانِهِم مِن المَلَائِكَة المُوَكَّلِيْن بِفَلَك عَطَارِد، وَمَا حَمَل مِـن مُتَمِّمَاتِـه وَحَامِلِـه، وَمُدِيْرِهِ وَتَدْوِيْرِهِ، وَكَوْكَبِهِ وَأَشعَّتِه.

وَإِنَّمَا يَنزِلُ إِلَى الذِّهْنِ بَعْدَ أَنْ يَنْزِلَ مِنَ الخِزَانَـةِ العُلْيَـا إِلَـى مَـا دُوْنَهَا..وَهَكَذَا، إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الذِّهْنِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وما نُنَزِّلُـهُ إلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُوْمٍ﴾**(١)؛ يُشِيْرُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ النَّازِل مِنْ كُلِّ مَرْتَبَة إِنَّمَا يَنْزِلُ بِإِذْنٍ وَأَجَلٍ وَكِتَاب.

وَهَذِهِ المَرَاتِبُ كُلُّهَا مِن الوُجُوْدِ الخَارِجِيِّ، وَمَا فِي الذِّهْنِ كَمَا فِـي المِرْآة، فَإِنَّهُ وُجُوْدٌ خَارِجِيٌّ.

ثُمَّ مَا فِي هَذِهِ المَرَاتِبِ الَّتِي هِيَ الخَزَائِنِ قِسْمَان: أَصْلٌ، وَظِلٌّ.

وَالمُنْتَقِشُ فِي مِرْآة الذِّهْنِ إِنْ كَانَ مِنَ الأَصْلِ؛ انْتَقَشَتْ فِيْهِ صُوْرَتُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الصُّوْرَةِ انْتَقَشَتْ صُوْرَةُ الصُّوْرَة مَعَ مِرْآتِها، إِلَّا أَنَّ الـذِّهْنَ إِنَّمَا يَنْتَقِشُ فِيْهِ عَلَى قَدْرِهِ مِنَ الكَمِّ وَالهَيْئَة وَالكَيْف.

فَإِنْ كَانَ صَافِياً مُسْتَقِيْماً؛ حَكَى مَا فِي المُقَابِل بِلَا تَغْيِيْرٍ، وَإِلَّا اخْتَلَفَ المُنْتَقِشُ فِيْه فِي الكَمِّ بِكَمِّ هَذَا الذِّهْن، وَفِي الهَيْئَة بِهَيْئَة الذِّهْنِ فِي الطُّـوْلِ

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

وَالعَرْضِ، وَالاعْوِجَاجِ وَالانْحِرَافِ، وَفِي الكَيْفِ بِكَيْفِهِ؛ مِنْ بَيَاضٍ أَوْ سَوَادٍ.. أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، كَاخْتِلَافِ صُوَرِ الوَجْهِ الوَاحِدِ فِي المَرَايَا المُتَعَدِّدَةِ المُخْتَلِفَةِ كَذَلِكَ.

هَذَا إِذَا كَانَ مَا فِي الذِّهْنِ مِنْ ظِلِّ الحَقِّ، فَإِنْ كَانَ مَا فِيهِ مِنْ ظِلِّ البَاطِلِ؛ انْعَكَسَ إِلَى الأَسْفَلِ، فَقَابَلَ الَّذِي فِي خَزَائِنِ الشِّمَالِ، وَهِيَ ثَمَانِي عَشَرَ خزانَة مَنْكُوسَة، كُل مَا فِيهَا دَعَاوَى لَا حَقَائق، إِلَّا أَنَّه تُشْبه مَا فِي الحَقِّ، كُل خزَانَة تُشْبِه ضِدَّهَا، فَيَنْتَقِش فِيهِ مَا قَابَلَهُ مَعَ مَا فِي الذِّهْن مِن الهَيْئَةِ فِي الكَيْفِ، وَمَا لَهُ مِنَ الكَمِّ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا: (أَنَّهُ ظِلِّيّ انْتِزَاعِيّ فِي غَيْرِ ذِهْنِ عِلَّةِ المَوْجُودَات)؛ لأَنَّكَ لَا تُدْرِك مَا غَابَ عَنْ بَصَرِكَ بِخَيَالِكَ، إِلَّا فِي وَقْتِه وَمَكَانِه، وَلَا يُمْكِنُكَ أَنْ تُدْرِكَ شَيْئاً سَمِعْتَهُ أَوْ نَظَرْتَه إِذَا غَابَ عَنْكَ، أَوْ غِبْتَ عَنْه، إِلَّا إِذَا الْتَفَتَّ فِي نَفْسِكَ إِلَى زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ الَّذِي أَدْرَكْتَهُ فِيهِ أَو لا فَتُدْرِكُهُ فِيهِ، وَإِنْ ذَهَبَتْ شَهَادَتُهُ، فَإِنَّ غَيْبَهُ لَمْ يَذْهَبْ، كُلَّمَا طَلَبْتَهُ وَجَدْتَهُ فِيْه.

كَمَا لَوْ ذُكِرَ لَكَ: أَنَّكَ كَلَّمْتَ عَمْرواً أَمْس بِكَذَا، فَإِنَّكَ لَمْ تَذْكُرْهُ حَتَّى تَلْتَفتْ نَفْسُكَ بِخَيَالِكَ إِلَى ذَلِكَ الوَقْت وَالمَكَان، فَتَرَى فِيْه عَمْرواً بِعَيْنِه وَكَلَامك بِعَيْنِه مَوْجُودَيْنِ فِي الكِتَابِ الحَفِيْظ، فَيُعْطِي الكِتَاب الحَفِيْظ ذِهْنك صُوْرَةَ الشَّخْصِ وَالكَلَام وَالوَقْت وَالمَكَان، فَتُخْبِر عَمَّا انْتَقَشَ فِي ذِهْنِكَ مِنْ ذَلِكَ، عَلَى نَحْوِ مَا أَشَرْنَا إِلَيْه مِنْ كَيْفِيَّةِ الانْتِقَاش.

وَاعْلَم؛ أَنَّ الوَقْتَ الَّذي ذكرْتَ فيْه، وَالمَكَان الَّـذي رَأَيْـتَ فيْـه الشَّخْص، وَالكَلَام؛ هِيَ نَفْس مَا رَأَيْتَ أَوَّلاً فِي الزَّمَان، إِلَّـا أَنَّ الجِـسْمَ المَرْئي بِالبَصَرِ، وَالكَلَام المَسْمُوْع بِهَذِهِ الأُذُن قَبْل هَذَا الذِّكْر فِي الزَّمَـان، وَهُوَ شَهَادَتُهمَا.

وَأَمَّا إِدْرَاكُكَ لِحَالَتَيْهِمَا فِي ظَرْفَيْهِمَا؛ فَفِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَمَكَـانٍ وَاحِدٍ.

وَنَظِيْرُهُ -فِي غَيْرِ الوَقْت-: لَوْ كَانَ عِنْدَكَ كِتَابَةٌ فِـي قِرْطَـاسٍ فَنَظَرْتَ إِلَيْهَا فِي وَقْتَيْنِ، فَإِنَّ المَرْئِيَّ وَالمَكَان وَاحد.

وَمَا نَحْنُ فِيْهِ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ الوَقْتَ وَاحِدٌ، وَهُوَ وَقْتُ الأَظِلَّة مِنْ يَوْمِ الجُمعَة، وَقْت العَصْرِ بَعْدَ الأَذَانِ وَالصَّلَاة، فَإِنْ كَانَ بَصَرُكَ حَدِيْداً عَرَفْتَ هُنَاكَ ذَلِكَ الشَّخْص، هَلْ صَلَّى أَمْ لَا؟، فَافْهَم.



الفَائِدَةُ الحَادِيَة عَشَر
فِي بَيَانِ صُدُوْرِ الأَفْعَالِ مِنَ الإِنْسَانِ، وَالإِشَارَةِ إِلَيْه

اعْلَمْ؛ أَنَّ الإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ من الوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّة، وَالمَخْلُوْقُ أَبَداً مُحْتَاجٌ فِي بَقَائِه إِلَى المَدَدِ مِنْ أَحَدِ الطَّرَفَيْن؛ طَرَفُ الوُجُوْد، وَطَرَفُ المَاهِيَّة، فَمَدَدُ الوُجُوْدِ بِفعْلِ اللهِ الذَّاتي، فَهُوَ أَبداً قَائمٌ بِأَمْرِهِ قِيَامَ صُدُوْرٍ وَمِنْ فعْله للأَعْمَالِ الصَّالحَة.

فَالحَافظُ أَمْرُ الله، وَالمَدَدُ من الأَعْمَالِ الصَّالحَةِ مِنْ فِعْلِ اللهِ وَمِنْ فِعْلِ العَبْدِ، فَمَا بِفعْلِ اللهِ مَقْبُوْلٌ، وَمَا بِفعْلِ العَبْدِ قَبُوْلٌ.

وَمَدَدُ المَاهِيَّة بِفعْلِ اللهِ العَرَضِيّ، فَهِي أَبداً قَائمَة بِفعْلِ اللهِ العَرَضِيّ قِيَامَ صُدُوْر وَمِنْ فِعْلِهَا من الأَعْمَالِ الخَبِيْثَة، فَالحَافظ أَمْر اللهِ التَّابِع وَالمَدَد بالأَعْمَالِ الخَبِيْثَة بِفعْلِ اللهِ وَمِنْ فِعْلِ العَبْدِ، فَمَا بِفعْلِ اللهِ مُقَرّرٌ وَمُقَوّم، وَمَا مِنْ فِعْلِ العَبْدِ مُتَكوّن وَمُتَقوّم.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ الإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ مُرَكَّباً مِنْ ضِدَّيْنِ مُتَعَادِيَيْنِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَة وَالانْبِعَاث، مُحْدَثَيْن مُحْتَاجَيْنِ فِي تَقَوّمِهِمَا إِلَى المَدَدِ مِنْهُمَا أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا.

فَإِنْ كَانَ مِنْهُمَا؛ جَرَى عَلَى ذَلِكَ الإِنْسَان الوَزْن يَوْمَ القِيَامَة وَالحِسَاب، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ ضَعُفَ الآخَر، وَلَمْ يَبْقَ عَنْهُ إِلَّا قَدْر مَا يَحْفَظ الآخَر، وَيَكُوْنُ حُكْمُهُ حُكْمُ القَوِيِّ.

فَإِنْ كَانَ القَوِيُّ الوُجُوْدُ؛ اطْمَأَنَّت النَّفسُ، وَكَانَتْ أُخْتَ العَقْل، وَرَقَّت المَاهِيَّة، وَشَابَهَت الوُجُوْد، كَالحَدِيْدَةِ المَحْمِيَّة بالنَّارِ، فَلَا فَرْقَ فِي الفِعْلِ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ كَانَ مَا بِهَا بِالعَرَضِ كَالحَدِيْدة، قَالَ الشَّاعِرُ:

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الخَمْرُ ... فَتَشَاكَلَا وَتَشَابَهَ الأَمْرُ

فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ ... وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

وَإِنْ كَانَ القَوِيُّ المَاهِيَّة؛ كَانَ الأَمْرُ عَلَى العَكْسِ، وَكُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِنَّمَا يَسْتَمِدُّ وَيَقْوَى بِمَدَدٍ مِنْ جِنْسِه، إِذْ لَا يَسْتَمِد مِنْ نَحْوِ مَا هُوَ مِنْ ضِدِّه، فَلَا يَسْتَمِدُّ النُّوْر مِن الظُّلْمَة وَلَا العَكْس، وَمِنْ حَيْث هُوَ كَذَلِك، وَمَيْلُ الآخَر مَعَهُ إِنَّمَا هُوَ لِبَقَائِهِمَا.

فَالوُجُوْدُ يَسْتَمِدُّ مِنْ أَنْوَاعِ الخَيْرَات؛ لِأَنَّهَا مِنْ نَوْعِه، وَالمَاهِيَّةُ تَسْتَمِدُّ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُوْرِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ نَوْعِهَا، وَالمُرَكَّبُ الوَاحِدُ لَا يَسْتَمِدُّ مِنْ طَرَفَيْه مَعاً إِذَا كَانَا مُتَعَانِدَيْنِ إِلَّا عَلَى التَّعَاقُب.

وَإِذَا كَانَ وُجُوْد أَحَد الجُزْأَيْنِ شَرْطاً لِوُجُوْد الآخَرِ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُوْنَ فِعْلُ ذَلِكَ الشَّيْء وَاحِداً، فَلَوْ فَعَلَ الوُجُوْد الخَيْر وَالمَاهِيَّة الشَّر فِي حَالٍ وَاحِدٍ؛ لَزِمَ الانْفِرَاد المُسْتَلْزِم للانْفِكَاك، المُسْتَلْزِمِ لِفَنَاء الشَّيْء؛ لِأَنَّه عِبَارَة عَنْهُمَا مُنْضَمَّيْن، وَيَفْنَيَان هُمَا أَيْضاً؛ لِتَوَقُّفِ وُجُوْدِ كُلٍّ مِنْهُمَا عَلَى انْضِمَامِ الآخَرِ إِلَيْه.

وَلَكِن يَتَعَارَضَان فِي المَيْلِ المُنْبَعث عَنْ شَهْوَة كُلٍّ إِلَى الاسْتِمْدَاد مِنْ جِنْسِه؛ لأَنَّ مَيْلَ أَحَدهِمَا إِلَى شَيْء يَقْتَضِي مَيْلَ الآخَرِ إِلَى ضِدِّه، لأَنَّهُمَا ضِدَّانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلِهَذَا يَضْعُفُ أَحَدُهُمَا بِفعْلِ الآخَرِ؛ لانْجذَابه مَعَ الفَاعِلِ عَلَى خلَاف مَا يَتقَوَّى بِه، وَمِنْ ثَمَّ يَتَعَارَضَان، وَيَطْلُب كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَ الآخَرِ أَنْ يَكُوْنَ مَعَهُ فِي مَحَبَّتِه لِتَوَقُّفِ فِعْلِه لِمَا يُرِيْدُ عَلَى تَحَقُّقِه فِي نَفْسِه، وَإِذَا فَارَقَهُ الآخَرُ لَم يَتَحَقَّق.

وَأَمَّا مُجَرَّدُ المَيْلِ؛ وَهُوَ الالْتِفَاتُ لِشَهْوَة المُشَاكِل، فَلَيْسَ كَالفِعْلِ يَحْصُلُ بِه نَيْلُ المَدَد المُسَكِّن لِلشَّهْوَة، فَلَا يَحْصلُ بِه السُّكُوْنُ، وَلا تَرْجِيْحُ أَحَد المَيْلَيْن، وَلَا يُمْكنُ انْبعَاثُهُمَا مَعاً مُجْتَمعَيْن؛ إِلَّا أَنْ يَكُوْنَ أَحَدُهُمَا ذَاتِيّاً وَالآخَرُ عَرَضِيّاً، وَلَا مُخْتَلفَيْن؛ لِاسْتِلْزَامِ ذَلِكَ المُفَارَقَة، لِاسْتِحَالَة انْبِعَاثَيْنِ مُتَضَادَّيْن مِنَ المُرَكَّبِ الوَاحد، الَّذي لَا يُوْجَدُ إِلَّا بِالانْضِمَامِ دُفْعَةً، لِاسْتِلْزَامِ ذَلِكَ عَدَمهَا، لِتَوَقُّفِ تَحَقُّقِهِمَا عَلَى الانْضِمَامِ؛ فَوَجَبَ أَنْ يَكُوْنَا عَلَى التَّعَاقُب.

وَإِذَا مَالَ الوُجُوْدُ إِلَى الخَيْرِ مَالَ بِالمَاهِيَّة؛ فَمَالَتْ مَعَهُ بِالعَرَضِ عَلَى خلَاف مَحَبَّتِهَا، فَإِذَا مَالَتْ إِلَى الشَّرِّ مَالَتْ بِالوُجُوْد؛ فَمَالَ مَعَهَا بِالعَرَضِ عَلَى خلَاف مَحَبَّته، وَيَتَعَاقَبَان عَلَى هَذه الحَال.

فَمَنْ رَجَحَ مَيْلُهُ، بِحَيْث لَا يَمِيْلُ مَعَ الآخَرِ؛ غَلَبَ، وَمَالَ مَعَهُ الآخَرُ بِالعَرَضِ، وَفَعَلَ الغَالبُ مَطْلُوْبَهُ بِالذَّات؛ فَيَقْوَى الفَاعلُ، وَيَضْعُفُ التَّابِعُ بِنِسْبَة مَا يَقْوَى بِه المَتْبُوْعُ.

وَلَا يَحْصُلُ السُّكُوْنُ لِلمُرَكَّبِ إِلَّا بالفعْلِ، وَلَا يَزَالُ كَذَلكَ حَتَّى يَنْمَحِقَ مَيْلُ الضَّعِيْفِ فِي مَيْلِ القَوِيِّ، إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى مِنَ الضَّعِيْفِ إِلَّا مَا يَتَقَوَّمُ وَيَتَحقَّقُ بِهِ القَوِيُّ.

لِأَنَّ وُجُوْدَ الضَّعِيْفِ شَرْطٌ فِي تَحَقُّقِ وُجُوْدِ القَوِيِّ، وَيَكْفِي فِيْهِ رَأْسُ نُقْطَةِ المَخرُوْطِ؛ لِأَنَّ الضَّعِيْفَ المُتَنَاسِب يَقْتَضِي حُصُوْلَ هَيْئَةِ المَخرُوْطِ، لِأَنَّهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَضْعُفُ التَّابِعُ، وَيَقْوَى الفَاعِلُ.

وَشَرْحُ حَالِ ذَلِكَ: أَنَّ الوُجُوْدَ لَهُ وَجْهٌ إِلَى مَيْلِهِ وَمَطَالِبِهِ الطَّيِّبَة؛ وَهُوَ العَقْلُ، وَهُوَ وَزِيْرُهُ، وَلِلْمَاهِيَّةِ وَجْهٌ إِلَى مَيْلِهَا وَمَطَالِبِهَا الخَبِيْثَة؛ وَهُوَ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ، وَهِيَ وَزِيْرُهَا.

وَلَمَّا كَانَ الإِنْسَانُ هُوَ ذَلِكَ المُرَكَّبُ مِنْهُمَا؛ ظَهَرَتْ فِيْهِ الوَاحِدِيَّةُ بِصُوْرَتِهَا، فَوَجَبَ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ جِسْمٌ وَاحِدٌ، وَجَسَدٌ وَاحِدٌ، وَاسْمٌ وَاحِدٌ، وَآلَةٌ وَاحِدَةٌ، فَوَجَبَ فِي ذَلِكَ أَنْ تَكُوْنَ كُلُّهَا صَالِحَة لِاسْتِعْمَالِ الوُجُوْدِ لَهَا عَلَى الانْفِرَادِ بِمُقْتَضَى فِعْلِهِ، كَمَا قُلْنَا.

وَصَالِحَةٌ لِاسْتِعْمَالِ المَاهِيَّةِ لَهَا عَلَى الانْفِرَادِ بِمُقْتَضَى فِعْلِهَا، وَكَذَلِكَ مُتَعَلِّقَاتُ أَفْعَالِهَا مِنَ المَآكِلِ وَالمَشَارِبِ، وَالمَلَابِسِ وَالمَنَاكِحِ.. وَغَيْر ذَلِكَ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا صَالِحٌ لِاسْتِعْمَالِهَا عَلَى الانْفِرَادِ، وَهِيَ كَافِيَةٌ لِلوُجُوْدِ إِذَا اسْتَعْمَلَهَا بِوَاسِطَةِ العَقْلِ، بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ فِي جَمِيْعِ مُيُوْلَاتِهِ لَا يُوْجَد فِي مُقْتَضَى العَقْلِ مِن الخَيْرَات، وَكَذَلِكَ المَاهِيَّة، بَلْ تَكُوْنُ تِلْكَ الأُمُوْرُ مُغْنِيَةٌ لِكُلٍّ مِنْهُمَا فِي كُلِّ شَيْءٍ.

ثُمَّ اعْلَم؛ أَنَّ العَقْلَ فِي الإِنْسَانِ وَالنَّفْس الأَمَّارَة مِرْءَاتَان:

مِرْآةُ العَقْلِ؛ عَنْ يَمِيْنِ القَلْبِ، وَوَجْهُهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَنْطَبِعُ فِيْهِ صُوْرَةُ الرَّأْسِ المُخْتَصِّ بِهِ مِنَ العَقْلِ الأَوَّلِ، وَعَلَى الأُذُنِ اليُمْنَى مِنَ القَلْبِ الَّتِي هِيَ بَابُ وَحْيِهِ مَلَك مُؤَيِّد، وَتَحْتَهُ جُنُوْدٌ كَثِيْرَةٌ مِنَ المَلَائِكَةِ، بِعَدَدِ أَفْعَالِ العَقْلِ وَمُيُوْلَاتِ الوُجُوْدِ، تُعِيْنُهُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ.

وَمِرْآةُ النَّفْسِ؛ عَنْ يَسَارِ القَلْبِ، وَجْهُهَا إِلَى الأَرْضِ، فَتَنْطَبِعُ فِيْهَا صُوْرَةُ الرَّأْسِ المُخْتَصّ بِهَا مِن الجَهْلِ الأَوَّلِ، وَعَلَى الأُذُنِ اليُسْرَى مِنَ القَلْبِ، الَّتِي هِيَ بَابُ وَحْيِهَا شَيْطَانٌ مُقَيِّض، وَتَحْتَهُ جُنُوْدٌ كَثِيْرَةٌ مِنَ الشَّيَاطِيْنِ، بِعَدَدِ أَفْعَالِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ، وَمُيُوْلَاتِ المَاهِيَّةِ تُعِيْنُهُ عَلَى كُلِّ شَرٍّ.

وَكُلُّ مَلَكٍ مُوَكَّلٌ بِشَيْءٍ مِنَ الخَيْرِ لَا غَيْر، وَضِدُّه شَيْطَان مُوَكَّل بِضِدِّ مَا وُكِّل بِهِ المَلَك مِنَ الشَّر لَا غَيْر، فَإِذَا طَلَبَ الوُجُوْدُ مِنَ العَقْلِ شَيْئاً مِنَ الخَيْرِ، وَطَلَبَهُ العَقْلُ بِجُنُوْدِهِ؛ طَلَبَت المَاهِيَّةُ ضِدَّه مِنَ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِجُنُوْدِهَا، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا الحَرْبُ.

فَإِنْ غَلَبَ العَقْلُ؛ قَتَلَ ذَلِكَ المَلَك ذَلِكَ الشَّيْطَان الخَاصّ بِمُضَادَّتِه، وَذَلِكَ بِعَوْنِ اللهِ سُبْحَانَه، وَإِنْ غَلَبَ النَّفْسُ الأَمَّارَة؛ ذَهَبَ ذَلِكَ المَلَكُ عَنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ، وَلَحِقَ بِمَرْكَزِهِ مِنَ الوُجُوْدِ يَعْبُدُ اللهَ، وَاسْتَوْلَى ذَلِكَ الشَّيْطَانُ الخَاصُّ عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ، وَذَلِكَ بِتَخْلِيَةٍ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ.

وَلِذَلِكَ مِثَالٌ وَبَيَانٌ عَلَى سَبِيْلِ الإِشَارَةِ.

فَالأَوَّلُ: اعْلَم أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الجِدَار اسْتَنَارَ وَجْهُهُ بِشُعَاعِ الشَّمْسِ، وَظَهَرَ الظِّلُّ مِنْ خَلْفِهِ، وَلَوْلَا الجِدَارُ لَمَا ظَهَرَ نُوْرُ

الشَّمْسِ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا، وَلَوْلَا الشَّمْسُ لَمَا ظَهَرَ الظِّلُّ مِنَ الجِدَارِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُ، فَالاسْتِنَارَةُ مِنَ الشَّمْسِ بِالجِدَارِ، وَالظِّلُّ مِنَ الجِدَارِ بِالشَّمْسِ.

وَاعْلَم؛ أَنَّا نُرِيْدُ بِالجِدَارِ نَفْس النُّوْرِ مِنْ حَيْث نَفْسِهِ، لَا مِنْ حَيْث الشَّمْس.

فَالاسْتِنَارَةُ تَقَوَّمَتْ بِنُوْرِ الشَّمْسِ تَقَوُّم صُدُوْر، وَبِالجِدَارِ تَقَوُّم تَحقُّق، وَالظِّلُّ تَقَوَّمَ بِالجِدَارِ تَقَوُّم صُدُوْر، وَبِنُوْرِ الشَّمْسِ تَقَوُّم تَحقُّق؛ **﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْه دَلِيلًا﴾**[1].

فَالاسْتِنَارَةُ آيَةُ الحَسَنَة بِفِعْلِ العَبْدِ مِنْ قَدَرِ اللهِ، وَالظِّلُّ آيَةُ المَعْصِيَة مِنْ فِعْلِ العَبْدِ بِقَدَرِ اللهِ.

وَالثَّانِي: قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الحَدِيْثِ القُدْسِيِّ: «**وَذَلِكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي**»[2]، وَهُوَ مَعْنَى: **﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَة فَمِنَ اللَّهِ﴾**، أَي: أَنَا أَوْلَى بِهَا، **﴿وَمَا أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾**[3]، أَي: أَنْتَ أَوْلَى بِهَا.

---

(١) اقتباس من سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

(٢) ورد بطرق متعدِّده، وبألفاظ مختلفه، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٢. تفسير العياشي، ج: ١، ص: ٢٥٨. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٢١٠. التوحيد، ص: ٣٣٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٣. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩-٣٥٠. قرب الإسناد، ص: ١٥١. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.

كَمَا فِي المِثَالِ؛ تَقُوْلُ الشَّمْسُ: يَاجِدَارُ! أَنَا أَوْلَى بِالاسْتِضَاءَةِ مِنْكَ؛ لِأَنَّهَا مِنْ نُوْرِي، وَإِنْ كَانَتْ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِالظِّلِّ مِنِّي؛ لِأَنَّهُ مِنْكَ، وَإِنْ كَانَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِي.

فَالحَسَنَةُ مِنَ اللهِ أَوَّلاً وَبِالذَّاتِ، بِمَعْنَى: رَاجِحِيَّةِ جِهَةِ الوُجُوْدِ فِيْهَا؛ لِرُجُوْعِهَا مِنْ جِهَةِ قَدَرِ اللهِ إِلَى فِعْلِهِ، وَبِالعَبْدِ ثَانِياً وَبِالذَّاتِ أَيْضاً؛ لِأَنَّهَا مِنْ وُجُوْدِهِ بِاللهِ، فَهِيَ مِنْ جِهَةِ فِعْلِ العَبْدِ، يَرْجِعُ إِلَى وُجُوْدِهِ الرَّاجِحِ إِلَى فِعْلِ اللهِ تَعَالَى.

وَالسَّيِّئَةُ مِنَ العَبْدِ أَوَّلاً وَبِالذَّاتِ، بِمَعْنَى: رَاجِحِيَّةِ مَاهِيَّتِهِ فِيْهَا، وَبِاللهِ ثَانِياً وَبِالعَرَضِ، بِمَعْنَى: المُسَاوَقَةِ فِي الوُجُوْدِ، وَتَحَقُّقِ المَاهِيَّةِ بِالوُجُوْدِ المُتَقَوِّمِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى.

فَمَشِيْئَةُ العَبْدِ لِلحَسَنَةِ بِالذَّاتِ مِنْ مَشِيْئَةِ اللهِ لَهَا بِالذَّاتِ، وَمَشِيْئَةُ العَبْدِ لِلسَّيِّئَةِ بِالذَّاتِ مِنْ مَشِيْئَةِ اللهِ لَهَا بِالعَرَضِ، عَلَى نَحْوِ مَا أَشَرْنَا لَكَ إِلَيْهِ.

وَاسْلُكْ طَرِيْقاً بَيْنَ هَذِهِ الحُدُوْدِ جَامِعاً لَهَا عَلَى نَحْوِ مَا يَأْتِي، وَهَذَا الطَّرِيْقُ الجَامِعُ هُوَ سَبِيْلُ اللهِ، ﴿**فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً**﴾[1].

وَأَصْلُ المَسْأَلَةِ: هُوَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الشَّيْءَ يَتَحَقَّقُ بِوُجُوْدِهِ وَمَاهِيَّتِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا قِيَامَ لَهُ بِنَفْسِهِ، لَا فِي أَفْرَادِهِ وَلَا فِي المَجْمُوْعِ، وَإِنَّمَا يَتَقَوَّمُ بِأَمْرِ اللهِ قِيَامَ صُدُوْرٍ، فَهُوَ قَائِمٌ بِهِ قِيَامَ صُدُوْرٍ، فَهُوَ طَرِيٌّ أَبَداً.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٩.

وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾**(١)، وَفِي دُعَاءِ يَوْمِ السَّبْتِ -رَوَاهُ فِي المِصْبَاحِ- قَالَ عليه السلام: «**كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ**»(٢).

إِلَّا أَنَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ نَهْرٌ يَجْرِي مُسْتَدِيْراً اسْتِدَارَةً صَحِيْحَةً.

وَلَيْسَ قَوْلُنَا: "أَنَّهُ نَهْرٌ يَجْرِي"؛ أَنَّهُ دَائِرَةٌ، بَلْ هُوَ كُرَةٌ مُجَوَّفَةٌ، وَأَفْعَالُهُ أَيْضاً قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ مِنْ جِهَةِ مَا تَقَوَّمَتْ بِهِ ذَاتُهُ تَقَوُّماً تَبَعِيّاً عَلَى نَحْوِ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ سَابِقاً.

وَالمُرَادُ بِالتَّبَعِيِّ: أَنْ يَكُوْنَ نِسْبَةُ مَا تَقَوَّمَتْ بِهِ الأَفْعَالُ إِلَى مَا تَقَوَّمَتْ بِهِ الذَّاتُ نِسْبَةُ الشُّعَاعِ إِلَى المُنِيْرِ نِسبَة وَاحِدٍ مِنْ سَبْعِيْنَ.

فَالذَّاتُ قَامَتْ بِأَمْرِ اللهِ، وَأَفْعَالها قَامَتْ بِنُوْرِ ذَلِكَ الأَمْرِ، وَاخْتِلَافُهَا عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِ مِنْ ذَلِكَ الأَمْرِ، فَالأَمْرُ هُوَ الحَفِيْظُ لَهَا كَمَا ذَكَرْنَا، وَالفِعْلُ المَحْفُوْظُ مُسْتَنِدٌ إِلَى فَاعِلِهِ المَحْفُوْظِ، وَحفظ الاسْتِنَادِ مِنْ ذَلِك الأَمْرِ أَيْضاً.

وَإِلَى هَذَا المَعْنَى إِشَارَةٌ بِقَوْلِ الرِّضَا عليه السلام: «**هُوَ المَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُم، وَالقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُم عَلَيْهِ**»(٣).

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٢) مصباح المتهجد، ص: ٤٣١. البلد الأمين، ص: ٩٧. بحار الأنوار، ج: ٨٧، ص: ١٤٨.

(٣) عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ذُكر عنده الجبر

←....

وَالاخْتِيَارُ الَّذي فِي العَبْدِ نَشَأَ من اقْتضَاء الضِّدَّيْن: الوُجُوْد وَالمَاهيَّة؛ لاقْتضَاء مَا لَهُمَا كَمَا مَرَّ، وَمِنْ خَلْقِ الآلَة الصَّالحَة للمُتَضَادّيْن، وَمِنَ الاسْتطَاعَة للفعْلِ فِي الفعْلِ، وَمن إِمْكَانها قَبْل الفعْلِ -أَيْ: الصِّحَّة- وَهي الَّتي يَكُوْنُ العَبْدُ بهَا مُتَحَرِّكاً مُسْتَطيْعاً للْفعْلِ؛ وَلأَنَّهُ أَثَرُ المُخْتَار فَيَكُوْنُ مُخْتَاراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[1].

فَإِذَا فَعَلَ العَبْدُ المُخْتَارُ المُتَقوّم بِأَمْرِ الله فعْله المُتَقوِّم بنُوْرِ أَمْرِ الله وَهُوَ قَادرٌ عَلَى تَرْكه، كَانَ قَدْ فَعَلَ فعْلَه وَحْدَه بقَدَرِ الله؛ لأَنَّ الفعْلَ المَحْفُوْظ

...←

والتَّفويض فقال: «أَ لَا أُعْطِيْكُم فِي هَذَا أَصْلاً لَا تَخْتَلفُوْنَ فيْه، وَلَا تُخَاصِمُوْنَ عَلَيْه أَحداً إِلَّا كَسَرْتُمُوْهُ. قلنا: إن رأيت ذلك.

فقال: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُطَعْ بِإِكْرَاه، وَلَمْ يُعْصَ بغَلَبَة، وَلَمْ يُهْمل العِبَادَ فِي مُلْكه، هُوَ المَالكُ لمَا مَلَّكَهُم، وَالقَادرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُم عَلَيْه، فَإِنْ ائْتَمَرَ العبَادُ بطَاعَته لَم يَكُن اللهُ عَنْهَا صَادّاً، وَلَا منْهَا مَانعاً، وَإِنْ ائتَمَرُوا بمَعْصيَته، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَحُوْلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلكَ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوْهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذي أَدْخَلَهُمْ فيْه.

ثُمَّ قالَ عليه السلام: مَنْ يَضبط حُدُوْدَ هَذَا الكَلَام فَقَدْ خَصَمَ مَنْ خَالَفَهُ». [التوحيد، ص: ٣٦١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤١٤. الاختصاص، ص: ١٩٨. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٦٣. تحف العقول، ص: ٣٧. العدد القوية، ص: ٣٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٤. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩].

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢.

مُسْتَنِدٌ إِلَى فِعْلِهِ المَحْفُوْظ وَحْدَه، فَبِقَدرِ اللهِ تَقَوَّمَ الفَاعِلُ وَالفِعْلُ، وَتَقَوَّم اسْتِنَادُهُ إِلَى فَاعِلِهِ.

وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيْرُ تَأوِيْل قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً**﴾[1]، فَقَدر اللهِ روْح فِعْلِ العَبْدِ، وَفِعْل العَبْدِ جَسَدُهُ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُوْن، وَهُوَ سِرُّ الأَمْرِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ التَّقَوُّم: كَمَا تَقَوَّمَتْ الاسْتِضَاءَة فِي الجِدَارِ بِنُوْرِ الشَّمْسِ، فَالأَمْرُ: وَجْهُ الشَّمْسِ.

وَالنُّوْرُ الَّذي هُوَ المَاء: نُوْرُ الشَّمْسِ المُنْبَثّ.

وَالاسْتِضَاءَةُ فِي الجِدَارِ: وُجُوْدُ الإِنْسَان.

وَالجِدَارُ الَّذي أَشَرْنَا إِلَيْهِ، وَهُوَ نَفْسُ الاسْتِضَاءَة مِنْ حَيْث هِيَ هِيَ مَاهِيَّته وَفِعْله المَنْسُوْب إِلَيْهِ؛ هُوَ مَثَلُ الانْعِكَاسِ عَن الاسْتِضَاءَة، وَهُوَ نَوْعَان: فَمَا انعْكَسَ عَنْهَا مِنْ جِهَةِ نُوْرِ الشَّمْسِ؛ فَهُوَ خَيْرٌ وَنُوْرٌ، وَحَسَنَةٌ وَطَاعَةٌ. وَمَا انْعَكَسَ عَنْهَا مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا؛ فَهُوَ شَرٌّ وَظُلْمَةٌ، وَسَيِّئَةٌ وَمَعْصِيَةٌ.

فَالنَّوْعُ الأَوَّلُ: فِعْلُ العَقْلِ عَن الوُجُوْدِ.

وَالثَّانِي: فِعْلُ النَّفْسِ عَن المَاهِيَّةِ، فَتَفَهَّم.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٦.

وَاعْلَم؛ أَنَّ المَاهيَّةَ مَوْجُوْدَةٌ بِوُجُوْدِ الوُجُوْدِ مَا دَامَ مَوْجُوْداً، وَإِذَا لَم تُوْجَد لَمْ يُوْجَد الوُجُوْدُ؛ لِأَنَّهَا شَرْط لِإِيْجَادِه، وَتَمَام القَابليَّة للإِيْجَادِ كَالعَكْسِ.

وَإِنَّمَا قَالُوْا: "أَنَّهَا عَدَمٌ مَا شَمَّتْ رَائحَةَ الوُجُوْد"؛ لِأَنَّهُم يُرِيْدُوْنَ أَنَّهَا لَمْ تُوْجَد أَوَّلاً وَبِالذَّات قَطْ؛ لَا أَنَّهَا لَمْ تُوْجَد أَصْلاً، بَلْ هِيَ مَوْجُوْدَةٌ بِفَاضِلِ إِيْجَادِ الوُجُوْد كَمَا قُلْنَا آنفاً.

وَذَلكَ الفَاضِلُ إِذَا نُسبَ إِلَى إِيْجَادِ الوُجُوْد كَانَ نِسْبَةُ الوَاحِدِ مِنْ سَبْعِيْن، كَمَا هُوَ شَأْنُ الآثَارِ وَالصِّفَات، هَذَا فِي الظَّاهِرِ.

أَمَّا فِي الحَقِيْقَة المُطَابِقَة للوَاقِعِ: فَهِي مَوْجُوْدَةٌ بِوُجُوْدِ آخَر، مُسْتَقِلٌّ فِي نَفْسِه، وَإِنْ كَانَ مُتَرَتِّباً عَلَى الأَوَّل، فَإِنَّ نِسْبَةَ وُجُوْدِه إِلَى الأَوَّل كَنِسْبَةِ وُجُوْدِ الانْكسَارِ إِلَى وُجُوْدِ الكَسْرِ، وَذَلكَ لِأَنَّ الأَوَّل مِنْ تَمَامِ قَابليَّة وُجُوْدهَا للإِيْجَاد، فَالوُجُوْدُ فِي الأَوَّلِ مَوْجُوْدٌ بِالإِيْجَادِ الَّذِي هُوَ الفِعْلُ، أَوْجَدَهُ بِنَفْسِه، لَا بِوُجُوْدٍ مُغَايرٍ لِنَفْسِه.

وَإِنَّ إِيْجَادَهُ بِنَفْسِه إِدَارَته بِنَفْسِه كُرَة تَدُوْر عَلَى نُقْطَةٍ هِيَ الحَرَكَة الكَوْنِيَّة مِنَ الفِعْلِ، وَالكُرَةُ الظَّاهِرَة تَدُوْرُ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَالبَاطِنَةُ عَلَى التَّوَالِي، وَفِي الثَّانِي مَوْجُوْد بِنُوْرِ إِيْجَادِ الأَوَّل مِنَ الفِعْلِ، وَهُوَ نُقْطَةٌ تَدُوْرُ نَفْس المَاهيَّة عَلَيْهَا عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَالمَاهيَّةُ تَدُوْرُ عَلَى نَفْسهَا عَلَى خِلَافِ هَيْئَتهَا، وَخِلَاف التَّوَالِي، وَعَلَى الوُجُوْد فِي جِهَةٍ غَيْرِ جِهَته.

فَحَصَلَ مِنَ الوُجُوْد وَالمَاهيَّة كُرَتَان مُتَدَاخلَتَان فِي الأَجْزَاء، مُتَمَازِجَتَان فِي الذَّرَّات، مُتَقَابِلَتَان فِي السُّطُوْحِ، مُخْتَلفَتَان فِي الدَّوَرَان،

وَتَمَازُجِهِمَا مِنْ غَيْرِ اسْتِهْلَاك شَيْء مِنْ أَجْزَائِهِمَا وَذَرَّاتِهِمَا فِي الآخَر، وَلَا اسْتِبَانَةَ شَيْء مِنْ شَيْء، إِلَّا فِي الاعْتِبَارِ وَالأَفْعَالِ وَالمَيْلِ؛ لِاخْتِلَافِ الشَّهْوَتَيْن، لِتَعَانُد الذَّاتَيْن.

وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنَ النُّقْطَة الكَوْنِيَّةِ كَانَ أَنْوَر؛ لِغَلَبَة الوُجُوْد، وَكُلَّمَا بَعُدَ كَانَ أَشَدَّ ظُلْمَةً؛ لِغَلَبَة المَاهِيَّة، حَتَّى تَنْتَهِي الشِّدَّة وَالضَّعْف إِلَى نُقْطَة الحَرَكَة الكَوْنِيَّة، وَإِلَى مُحَدَّب الكُرَة، فَتَنْتَهِي الظُّلْمَة فِي جِهَة الحَرَكَة الكَوْنِيَّة إِلَى نُقْطَة عِنْد وَجْه الحَرَكَة الكَوْنِيَّة، فَتَبْعُد مُنْفَرِجَة عَلَى هَيْئَة مُخْرُوْطَة قَاعِدَته مُحَدَّب الكُرَة الظَّاهِرَة، وَيَنْتَهِي النُّوْر فِي جِهَة مُحَدَّب الكُرَة إِلَى نُقْطَة عَلَى هَيْئَة مَخْرُوْط قَاعِدَته عِنْد وَجْه الحَرَكَة الكَوْنِيَّة.

فَتَدُوْرُ الكُرَتَان المُمْتَزِجَتَان عَلَى وَجْه الحَرَكَة الكَوْنِيَّة فِي الخَلْق تَحْتَ الحِجَاب الأَحْمَر بِثَلَاث حَرَكَات أَبَداً:

حَرَكَةُ الوُجُوْد الذَّاتِيَّة عَلَى التَّوَالِي.

وَحَرَكَةُ المَاهِيَّة الذَّاتِيَّة عَلَى خِلَاف التَّوَالِي.

وَالحَرَكَة الثَّالِثَة عَرَضِيَّة؛ فَفِي حَال الطَّاعَة تَدُوْرُ المَاهِيَّة بِالحَرَكَة العَرَضِيَّة عَلَى التَّوَالِي، وَبِحَرَكَتِهَا الذَّاتِيَّة عَلَى خِلَاف التَّوَالِي، وَفِي حَال المَعْصِيَة يَدُوْرُ الوُجُوْدُ بِالحَرَكَة العَرَضِيَّة عَلَى خِلَاف التَّوَالِي، وَبِحَرَكَته الذَّاتِيَّة عَلَى التَّوَالِي.

فَإِذَا تَتَابَعَت الطَّاعَات ضَعُفَتْ حَرَكَة المَاهِيَّة الذَّاتِيَّة وَأَبْطَأَتْ، وَأَسْرَعَتْ عَرَضِيَّتِهَا، وَإِذَا تَتَابَعَتْ المَعَاصِي ضَعُفَت حَرَكَة الوُجُوْد الذَّاتِيَّة وَأَبْطَأَتْ، وَأَسْرَعَتْ عَرَضِيَّتُهُ؛ وَلِأَجْلِ أَنَّ الحَرَكَةَ الذَّاتِيَّة لَا تَتْبَع الذَّاتِيَّة أَبَداً،

وَإِنَّمَا تَتْبَع بِالعَرَضِيَّة؛ ثَقُلَت الطَّاعَة وَالمَعْصِيَة لِحُصُوْلِ التَّعَاكُسِ، حَتَّى يَفْنَى اعْتِبَارُ أَحَدِهِمَا لِمَيْلِه، فَيَخُفّ مُقْتَضَى المَوْجُوْد المَيْل.

وَتَدُوْرُ الكُرَتَانِ عَلَى وَجْهِ الحَرَكَةِ الكَوْنِيَّةِ فِي الرِّزْقِ تَحْتَ الحِجَابِ الأَبْيَضِ بِثَلَاث حَرَكَات:

حَرَكَةُ الوُجُوْدِ الذَّاتِيَّة لِمَدَدِ الرِّزْقِ عَلَى التَّوَالِي.

وَحَرَكَةُ المَاهِيَّة الذَّاتِيَّة لِمَدَدِ الحِرْمَان عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي.

وَالحَرَكَةُ الثَّالِثَة عَرَضِيَّة؛ فَفِي حَالِ الرِّزْقِ تَدُوْرُ المَاهِيَّة بِالحَرَكَات العَرَضِيَّة عَلَى التَّوَالِي، وَبِالذَّاتِيَّة بِالعَكْسِ، وَفِي حَالِ الحِرْمَانِ يَدُوْرُ الوُجُوْدُ بِالعَرَضِيَّة عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَبِالذَّاتِيَّة بِالعَكْسِ.

وَتَدُوْرُ الكُرَتَانِ عَلَى وَجْهِ الحَرَكَةِ الكَوْنِيَّةِ تَحْتَ الحِجَابِ الأَخْضَرِ بِثَلَاث حَرَكَاتٍ فِي المَوْت:

حَرَكَةُ الوُجُوْدِ الذَّاتِيَّة عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي.

وَحَرَكَةُ المَاهِيَّة الذَّاتِيَّة عَلَى التَّوَالِي.

وَعَرَضِيَّتِهِمَا عَلَى العَكْسِ.

وَتَدُوْرُ الكُرَتَانِ عَلَى وَجْهِ الحَرَكَةِ الكَوْنِيَّةِ فِي الحَيَاة، تَحْتَ الحِجَابِ الأَصْفَرِ بِثَلَاثِ حَرَكَاتٍ، كُلٌّ وَاحِدَةٍ بِعَكْسِهَا فِي المَوْتِ فِي الذَّاتِيَّة وَالعَرَضِيَّة.

فَكَانَ لِلوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّة فِي مَرَاتِبِ الوُجُوْدِ الأَرْبَعَة الَّتِي بَنَى اللهُ عَلَيْهَا العَرْش، وَتَجَلَّى الرَّحْمَن بِأَفْعَالِه عَلَى العَرْشِ بِهَا، وَهِيَ: الخَلْقُ وَالرِّزْقُ، وَالمَوْتُ وَالحَيَاةُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ**

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[(١)]؛ اثْنَتَا عَشَرَةَ حَرَكَة، ثَمَان ذَاتِيَّات، وَأَرْبَع عَرَضِيَّات فِي عَالَمِ المَعَانِي عَالَم الجَبَرُوْت.

وَاثْنَتَا عَشْرَة حَرَكَة كَذَلِكَ فِي عَالَمِ الصُّوَرِ عَالَم المَلَكُوْت اثْنَتَا عَشْرَةَ حَرَكَة كَذَلِكَ فِي عَالَمِ الأَجْسَامِ عَالَم المُلْك، وَفِي عَالَمِ الرَّقَائِقِ عَالَمِ الأَظِلَّة كَذَلِكَ، وَفِي عَالَمِ الأَشْكَالِ عَالَم المِثَال كَذَلك، إِلَّا أَنَّ عَرَضِيَّتهمَا فِي عَالَمِ الجَبَرُوْتِ بِالقُوَّةِ، وَفِي عَالَمِ الأَظِلَّةِ بِالتَّهَيُّؤ، وَفِي مَا دُوْنَ ذَلكَ بِالفعْلِ.

فَهَذِهِ سُتُّوْنَ حَرَكَةٍ لِلوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّةِ، مِنْهَا أَرْبَعُوْنَ ذَاتِيَّة، وَعِشْرُوْن عَرَضِيَّة.

وَاعْلَم؛ أَنَّ لِلوُجُوْد وَالمَاهِيَّة باعْتِبَارِ ذَرَّاتِهِمَا حَرَكَة دَهْرِيَّة غَيْر حَرَكَة الكُلِّ، فَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنَ الوُجُوْدِ تَدُوْرُ عَلَى وَجْهِهَا لَا إِلَى جِهَة، وَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنَ المَاهِيَّةِ تَدُوْرُ عَلَى وَجْهِهَا لَا إِلَى جِهَة، وَكَذَلكَ نِهَايَات كُلٍّ مِنْهُمَا.

وَلِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا بِالنِّسْبَة إِلَى المَجْمُوْعِ حُكْمُ فَلَكِ التَّدْوِيْرِ فِي الحَامِلِ مِنَ الإِسْرَاعِ وَالإِبْطَاء، وَالإِقَامَةِ وَالرُّجُوْعِ، وَحُكْمُ المَجْمُوْعِ فِي الحَاجَة وَالاسْتِمْدَاد وَالكُرَوِيَّة.

فَكُلٌّ مُتَوَجِّهٌ إِلَى مَبْدَئِهِ، وَاقِفٌ بِمَسْأَلَتِهِ بِبَابِ رَبِّه، لَائِذٌ فِي فَقْرِهِ بِجَنَابِ غِنَاه.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٠.

ثُمَّ اعْلَم؛ أَنَّ عَرَضِيَّةَ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا هِيَ جِهَةُ فَقْرِهِ إِلَى ضِدِّهِ، فَعَرَضِيَّةُ الوُجُوْدِ جِهَةُ فَقْرِهِ إِلَى المَاهِيَّةِ فِي الظُّهُوْرِ، وَعَرَضِيَّتُهَا جِهَةُ فَقْرِهَا إِلَى الوُجُوْدِ فِي التَّحَقُّقِ، فَلِهَذَا تَتْبَعُ عَرَضِيَّةُ كُلٍّ وَاحِدٍ ذَاتِيَّةَ الآخَرِ.



قلتُ:

الفَائدَةُ الثَّانيَة عَشَر
فِي بَيَانِ ثُبُوْتِ الاخْتِيَارِ

اعْلَمْ؛ أَنَّ الاخْتِيَارَ نَشَأَ مِنْ مَيْلِ الوُجُوْدِ إِلَى مَا يُنَاسِبُهُ، وَمِنْ مَيْلِ المَاهِيَّةِ إِلَى مَا يُنَاسِبُهَا كَمَا ذَكَرْنَا مِرَاراً، وَهُوَ ذَاتِيٌّ وَفِعْلِيٌّ.

فَالأَوَّلُ: هُوَ اسْتِدَارَةُ الشَّيْءِ بِوَجْهِ افْتِقَارِهِ عَلَى قُطْبِ اسْتِغْنَائِهِ، أَيْ: مَا يطْلب مِنْهُ الاسْتِغْنَاء، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى هَذَا فِيْمَا سَبَقَ مِنْ حَرَكَتِهِ عَلَى قُطْبِهِ.

وَالثَّانِي: اسْتِدَارَتُهُ بِآلَاتِهِ عَلَى جِهَةِ قُطْبِهِ لِحَاجَةٍ مِنْ أَحَدِهِمَا.

وَحَيْثُ كَانَ لِلشَّيْءِ مَيْلَانِ مُتَعَاكِسَانِ يكْتَفِي بِمُتَعَلّقِ أَحَدِهِمَا؛ جَاءَ الاخْتِيَارُ، فَهُوَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، هَذَا فِي المَيْلِ الفِعْلِي.

وَأَمَّا المَيْلُ الذَّاتِي: فَهُوَ مُخْتَارٌ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ شِقَّيْهِ، أَيْ: مُخْتَارٌ فِي مَيْلِ الوُجُوْدِ نَفْسِهِ إِلَى مَا يَقْتَضِيْهِ، وَفِي مَيْلِ المَاهِيَّةِ نَفْسِهَا إِلَى مَا تَقْتَضِيْهِ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ الوُجُوْدَ لَا يَشْتَهِي إِلَّا النُّوْرَ، وَلَا يَشْتَهِي لِذَاتِهِ الظُّلْمَةَ، وَإِنْ اشْتَهَاهَا بِالعَرَضِ وَالاعْتِبَارِ الَّذِي هُوَ عَرَضِيٌّ.

وَلَا يُمْكِنُ فِي ذَاته منْ حَيْث صُدُوْرِه بفعْلِ اللهِ أَنْ يَشَاءَ الظُّلْمَةَ لأَنَّهَا جِهَةُ المَاهيَّة منْهُ، فَلَا يُمْكِنُ أَنَّ يَشَاءَ أَلَّا يَشَاءَ مَا يَشَاؤُهُ، إِذْ المَشيْئَةُ وَاحدَةٌ، فَلَا تَنْبَعث حَيْث لَا تَنْبَعث.

وَكَذَا الكَلَامُ فِي المَاهيَّة نَفْسها منْ حَيْث هِيَ.

وَلَا تَظُنّ أَنَّ هَذَا مُنَاف لمَا نَذْكُرُهُ؛ منْ أَنَّهُ لَا يَكُوْنُ شَيْء منْ شَيْء إِلَّا باخْتيَار، وَلَا جَبْرَ فِي جَمِيْعِ الأَشْيَاء، لَا لَهَا وَلَا منْهَا؛ لأَنَّ الوُجُوْدَ لَا شَيْئيَّةَ لَهُ إِلَّا فِي المَاهيَّة، وَالمَاهيَّةُ لَا شَيْئيَّةَ لَهَا إِلَّا بالوُجُوْد، وَمَا لَيْسَ لَهُ فِي حَقيْقَته حَقيْقَةٌ بكُلِّ اعْتبَارٍ إِلَّا جِهَة وَاحدَة لَا يُمْكِنُ فِيْه تَعَددُ مَيْل أَوْ اخْتلَافُ انْبعَاث.

وَلَيْس هَذَا جَبْراً؛ لأَنَّ الجَبْرَ: أَنْ يميل الشَّيْء غَيْرَه عَلَى خلَاف مُقْتَضَى ذَاته بغَيْرِ مَيْل ذَاته، وَهَذَا بمَيْلِ ذَاته، فَلَيْسَ جَبْراً، فَهُو اخْتيَارٌ، إِذْ لَا وَاسطَةَ بَيْنَهُمَا.

إِلَّا أَنْ يُقَالَ عَلَيْه: أَنَّهُ جُزْءُ اخْتيَارٍ؛ لأَنَّ المَعْرُوْفَ منَ الاخْتيَار: هُوَ المَيْلُ إِلَى جِهَتَيْنِ مُخْتَلفَتَيْنِ، لدَاعِيَيْنِ مُخْتَلفَيْن عَنِ الإِرَادَة المُرَكَّبَة منْ ذَلكَ الشَّيْء المُرَكَّب، فَهَذَا الاخْتيَارُ هُوَ الاخْتيَارُ النَّاقص.

وَنَظيْرُهُ: المَعْنَى الَّذي هُوَ فِي الحَرْف، فَإِنَّهُ إِذَا ضُمَّ إِلَى غَيْرِه تَمَّ المَعْنَى.

وَلَا يُقَالُ: أَنَّ هَذَا هُوَ اخْتيَارُ الوَاجب لبَسَاطَة ذَاته، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا اخْتيَار جِهَة، كَمَا قَالَهُ كَثيْرُوْنَ؛ منْ أَنَّ وِحْدَةَ مَشيْئَته تُنَافِي الاخْتيَارَ، وَإِنَّ

أَمْرَ "إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ"؛ فَحُكْمٌ رَاجِعٌ إِلَى الْمُمْكِنِ مِنْ حَيْث هُوَ.

لأَنَّ هَذَا بَاطِلٌ، وَذَلِكَ لأَنَّ الاختِيَار المَنْسُوْب إِلَى الْمُمْكِن بحَيْث إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ فَإِنَّمَا ذَلِكَ؛ لأَنَّ كُلَّ أَثَرٍ مُشَابِهٌ لصفَة مُؤَثِّرِه، وَهُوَ مَا فِي المَشيْئَة فِي نَفْسِهَا، إِذْ جَمِيْعُ مَا يُمْكِن أَنْ يُنْسَب إِلَى الْمُمْكِن مِن فِعْلٍ وَانْفعَال وَإِضَافَة أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ صِفَةٌ لذَات ذَلِكَ الْمُمْكِن.

فَمَا لَا يُمْكِنُ فِي تِلْكَ الذَّات لَا يُمْكِن أَنْ يَكُوْنَ مِنْه أَوْ يُنْسَب إِلَيْه بِكُلِّ اعْتبَار، وَلَا يُمْكِنُ فِي ذَاته إِلَّا مَا يُمْكِنُ فِي المَشِيْئَة، وَلَا يُمْكِن فِي المَشِيْئَة إِلَّا مَا يُمْكِنُ فِي العِلْم، وَهُوَ الذَّاتُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَاخْتِيَارُ الْمُمْكِن أَثَرٌ لاختِيَار المَشيْئَة، وَاختِيَارُ المَشيْئَة أَثَرٌ لاختِيَار الوَاجِب.

فَإِنْ قِيْلَ: هَلْ يَعْلَمُ فِي الأَزَل زَيْداً فِي الحُدُوْث أَنَّهُ حَيْوَانٌ نَاطِقٌ، أَمْ لَا؟، فَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ؛ لَمْ يَجزْ أَلَّا يَخْلقهُ، أَوْ يَخْلقهُ فَرَساً، وَإِلَّا انْقَلَبَ عِلْمُهُ جَهْلاً، وَإِنْ لَمْ يَعْلَم؛ لَزِمَ الجَهْلُ بِمَا سَيَكُوْن، وَهُوَ بَاطِلٌ بِالضَّرُوْرَة، فَوَجَبَ أَنْ يَعْلَم أَنَّهُ حَيْوَانٌ نَاطِقٌ.

وَالمَشِيْئَةُ صِفَةٌ تَابِعَةٌ لِلعِلْمِ، فَيَجِبُ أَنْ يَخْلقَهُ كَذَلِكَ، وَلَا يُمْكِنُ فِي حَقِّه غَيْرُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ زَيْدٌ فِي نَفْسِه مِنْ حَيْث هُوَ مُمْكِناً فِي حَقِّه التَّغْيِيْر.

قُلْنَا: هُوَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ مَا يَكُوْن، وَمَا يَشَاء أَنْ يُغَيِّرَ إِلَى مَا شَاءَ، فَكُلُّ طَوْرٍ يُمْكِن أَنْ يَكُوْن الْمُمْكِن عَلَيْه فَهُوَ يَعْلَمُهُ، وَكُلُّ احْتِمَالٍ فِيمَا يَشَاء فَهُوَ يَعْلَمُهُ، وَيَعْلَمُ مَا يَكُوْن مِمَّا يَشَاء، حِيْنَ يَشَاء، كَيْفَ يَشَاء.

فَإِذَا عَلِمَ زَيْداً أَنَّهُ سَيَكُوْنُ حَيْوَاناً نَاطِقاً فَهُوَ فِي عِلْمِهِ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُغَيِّرَ إِلَى مَا يَشَاء فَهُوَ فِي عِلْمِهِ، فَإِذَا أَرَادَ غَيَّرَ مَا شَاءَ كَيْفَ يَشَاء، وَفِي كُلِّ تَغْيِيْرٍ وَتَقْرِيْرٍ، وَمَحْوٍ وَإِثْبَاتٍ، فَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِ، فَتَغْيِيْرُ مَا عَلِمَ إِذاً تَقْرِيْرٌ لِمَا عَلِمَ؛ لِأَنَّهُ شَاءَ مَا عَلِمَ، فَإِذَا شَاءَ تَغْيِيْرَهُ كَانَ شَائِياً لِمَا عَلِمَ، سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ، لَا يَقْدِر الوَاصِفُوْنَ وَصْفَهُ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيْعَ مَا يُمْكِن فِي المُمْكِن فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مَشِيْئَتِهِ، وَمَا فِي مَشِيْئَتِهِ فِي عِلْمِهِ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ زَيْداً يَكُوْن فِي الوَقْتِ المَخْصُوْصِ، فِي المَكَانِ المَخْصُوْصِ، ثُمَّ انْتَقَلَ زَيْدٌ عَنِ المَكَانِ؛ كَانَتْ الحَالَةُ الأُوْلَى فِي عِلْمِهِ، وَالحَالَةُ الثَّانِيَة فِي عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيْرٍ، بَلْ هُوَ الثَّبَات، إِلَّا أَنَّهُ فِي المَكَانِ الأَوَّلِ فِي عِلْمِهِ فِي المَكَانَيْنِ، فَإِذَا كَانَ فِي الأَوَّلِ وَقَعَ غَيْبُهُ عَلَى شَهَادَتِهِ، فَإِذَا انْتَقَلَ إِلَى الثَّانِي؛ فَارَقَتْ شَهَادَته غَيْبه، وَوَقَعَ غَيْبُ الثَّانِي عَلَى شَهَادَتِهِ بِغَيْرِ تَغَيُّرٍ فِي العِلْمِ عَلَى الحَالَيْنِ، وَإِنَّمَا تَغَيَّرَ زَيْدٌ بِتَغَيُّرِهِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّكَ إِذَا عَلِمْتَ زَيْداً فِي مَكَانٍ فِي وَقْتٍ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى آخَر؛ لَا يَتَغَيَّر عِلْمُكَ إِذَا انْتَقَلَ كَمَا عَلِمْتَ، بَلْ كَانَ عِلْمُكَ ثَابِتاً، وَعِلْمُكَ بِهِ أَوَّلاً لَمْ يَتَغَيَّر بِتَغَيُّرِ حَالِ زَيْدٍ، بَلْ لَمْ تَزَلْ تَعْلَم أَنَّهُ كَانَ فِي الأَوَّلِ، وَالصُّوْرَة العِلْمِيَّة مِنْ حَالَتِهِ الأُوْلَى بَاقِيَة عِنْدَك، وَالثَّانِيَةُ الَّتِي طَابَقَهَا زَيْدٌ بِانْتِقَالِهِ بَاقِيَةٌ لَمْ تَتَغَيَّر، وَإِنَّمَا انْطَبَقَتْ وَوَقَعَتْ عَلَى المَعْلُوْمِ حِيْنَ انْتَقَلَ، فَافْهَم.

ثُمَّ إِنَّكَ تَقُوْلُ بِالبَدَآء، وَأَنَّ اللهَ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبِت[١]، وَهَذَا شَرْحُ مَا نَحْنُ فِيْهِ، وَتَفْصِيْلُ الأَشْيَاء يَطُوْلُ بِهِ الكَلَامُ، فَلَا فَائِدَةَ فِيْهِ مَعَ ظُهُوْرِ المرَامِ.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ مُخْتَارٌ، بِمَعْنَى: إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، وَلَيْس عَلَى حَدِّ اخْتِيَارِ مَا ذَكَرْنَا فِي الوُجُوْد البَسِيْط.

وَلَا يُقَالُ: أَنَّ العِلَّةَ فِي الوُجُوْدِ إِنَّمَا كَانَتْ لِبَسَاطَته، وَذَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ أَشَدُّ بَسَاطَةً مِنْ كُلِّ شَيْء، فَيَجْرِي فِيْه ذَلِكَ بِالطَّرِيْقِ الأَوْلَى، فَيَكُوْنُ مَعْنَى أَنَّهُ مُخْتَار: أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء بِقَصْد وَرِضَاء بِمَا فَعَلَ؛ لِأَنَّهُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مُقْتَضَى المُرَكَّب مِنَ الضِّدَّيْن كَمَا قَرَّرْتُمْ سَابِقاً.

لِأَنَّا نَقُوْلُ: قَدْ قَرَّرْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَّصِفُ بِجِهَتِي النَّقِيْضَيْن، وَبِجِهَتِي ارْتِفَاعِهِمَا، وَبِجِهَةِ المُرَكَّبِ مِنْ حَيْث بَسَاطَتِه؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا يُمْكِن فِي غَيْرِه يَمْتَنِع عَلَيْه، وَكُلَّمَا يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِه يَجِبُ لَهُ.

وَلِهَذَا قَالَ الرِّضَا عليه السلام: «**كُنْهُهُ تَفْرِيْقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِه، وَغُيُوْرُهُ تَحْدِيْدٌ لِمَا سِوَاه**»[٢]، فَالبَسِيْطُ مِنْ حَيْث بَسَاطَتِه لَا تَصْدُرُ عَنْهُ آثَارُ المُرَكَّبِ وَبِالعَكْسِ، هَذَا فِي الخَلْقِ.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِت**﴾، سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) رواه محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، راجع: عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. الاحتجاج، ....←

وَأَمَّا فِي ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَذَلِكَ بِخِلَافِ مَا يُمْكِنُ فِي الخَلْقِ، فَهُوَ العَالِي فِي دُنُوِّهِ، وَالدَّانِي فِي عُلُوِّهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، الظَّاهِرُ بِبُطُوْنِهِ، البَاطِنُ بِظُهُوْرِهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، القَرِيْبُ فِي بُعْدِهِ، وَالبَعِيْدُ فِي قُرْبِهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، الأَوَّلُ بِآخِرِيَّتِهِ، الآخِرُ بِأَوَّلِيَّتِهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يَجْرِي ذَلِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ فِيْمَا سِوَاهُ وَيَجِبُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ.

فَهُوَ فِي بَسَاطَتِهِ أَحَدِيُّ المَعْنَى، فَلَا تَكَثُّرَ فِي ذَاتِهِ وَلَا تَعَدُّدَ، وَلَا حَيْث وَحَيْث، وَلَا جِهَة وَجِهَة، وَلَا اخْتِلَاف فِي ذَاتِهِ بِكُلِّ اعْتِبَار، لَا فِي الإِمْكَانِ وَلَا فِي الفَرْضِ وَالتَّوَهُّمِ، وَلَا فِي الوَاقِعِ.

فَـ**«كُلُّ مَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم فِي أَدَقِّ مَعَانِيْهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوْعٌ] مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم»**[1]، يَعْنِي: مِنْكُم إِلَيْكُم، **﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾**[2].

→....

ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٨. وورد في بعض المصادر قوله عليه السلام: **«وَغبُوْرُهُ تَجْدِيْدٌ لِمَا سِوَاهُ»**. راجع: التوحيد، ص: ٣٦.

(١) روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: **«كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم، وَأَدْرَكْتُمُوْهُ مُمَثّلاً فِي نُفُوْسِكُم، وَمُصَوَّراً فِي أَذْهَانِكُم؛ فَهُوَ مُحْدَثٌ مَصْنُوْعٌ مِثْلُكُم»**.[إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢].

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

وَمَعَ هَذَا فَهُوَ المُؤَلِّفُ بَيْنَ المُتَعَادِيَات، وَالجَامِعُ بَيْنَ المُعَانِدَات، وَتَصْدُرُ عَنْهُ الأَفْعَالُ المُتَضَادَّة، فَلَيْسَ بَيْنَ فِعْلِه وَبَيْنَ مَا سِوَاهُ مُوَافَقَة وَلَا مُخَالَفَة؛ لِأَنَّهُ أَثَرُ ذَاتِه الَّتِي لَا يُضَادّهَا شَيْء، وَلَا يُنَادّهَا شَيْء، هُوَ هُوَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

إِنَّمَا الشَّيْء مِنْ مَشِيْئَتِه، فَفِعْلُ الشَّيْء وَتَرْكه بِالنِّسْبَة إِلَى مَشِيْئَتِه سَوَاء، فَهُوَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَشِيْئَةٍ وَاحِدَةٍ، كَذَلِكَ اللهُ رَبِّي، كَذَلِكَ اللهُ رَبِّي.

وَالتَّنْظِيْرُ بِالخَلْقِ تَشْبِيْهٌ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَفِي الدُّعَاء: «**بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْد هَيْئَة يَا سَيِّدِي، فَشَبَّهُوْكَ وَاتَّخَذُوْا بَعْضَ آيَاتكَ أَرْبَاباً يَا إِلَهِي، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوْكَ يَا إِلَهِي**»(١)، فَهَذَا حَالُ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ هيئة فَعَرَفَ بِهَا رَبَّهُ، وَالرَّبُّ لَا يُعْرَفُ بِخَلْقِه، بَلْ الخَلْقُ يعْرَفُوْنَ بِه.

فَإِنْ قُلْتَ: أَنَا عَالِمٌ وَهُوَ عَالِمٌ، وَأَنَا حَيٌّ وَهُوَ حَيٌّ، أَنَا مَوْجُوْدٌ وَهُوَ مَوْجُوْدٌ، وَلَا يستَدل عَلَى شَيْء مِنْ وَصْفه بِتِلْكَ الصِّفَات إِلَّا بِمَا نَجِدُهُ.

هَذَا مَعْنَى قَوْلِه عليه السلام: «**بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْد هَيْئَة..إلخ**»(٢)، إِنَّمَا وَصَفْنَاهُ بِالعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَ فِيْنَا العِلْمَ، وَبِالحَيَاة لِخَلْقِه فِيْنَا الحَيَاة، وَبِالوُجُوْد لِإِيْجَادِنَا.

---

(١) ورد باختلافات يسيرة، راجع: مصباح المتهجد، ص: ١١٦. فلاح السائل، ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١١٠.

(٢) راجع المصدر السابق.

وَلَيْسَ هَذَا كَمثل مَا هُوَ عَلَيْه، وَإِنَّمَا قَبلَ منْكُمْ هَـذه التَّوْصيفَات وَتَعَبَّدَكَم بِهَا؛ لأَنَّهَا مَبْلَغ وُسْعكُم، وَحَقيْقَة ذَوَاتكُم، الَّتي تَعَرَّفَ لَكُم بِهَا، بِمَا هُوَ كَمَالٌ عنْدَكُم، وَأَنَّ الذَّرَّةَ لَتزْعَم أَنَّ للهِ زَبَانَيْن؛ لأَنَّ كَمالَهَا فـي وُجُوْدهمَا لَهَا[١]، وَلهَذَا قَالَ الرِّضَا عليه السلام: «**وَأَسْمَاؤُهُ تَعْبِيْرٌ، وَصِفَاتُهُ تَفْهِيْمٌ**»[٢]، ﴿**سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّة عَمَّا يَصفُونَ**﴾[٣].

ثُمَّ اعْلَم؛ أَنَّ مَا نَجدُ منَ الاخْتيَارِ التَّام فَهُوَ أَثَرُ اخْتيَارِ فعْله، وَاخْتيَارُ فعْله أَثَرُ اخْتيَارِ ذَاته، وَالوُجُوْدُ بأَثَرِه لَيْسَ في شَيْء منْهُ اضْطرَارٌ مَحْضٌ، وَلَا جَبْرٌ خَالصٌ، بَلْ كُلُّهُ مُخْتَارٌ، وَكُلُّ ذَرَّةٍ منَ الوُجُوْد مُخْتَارَةٌ؛ لأَنَّ أَثَرَ المُخْتَارِ مُخْتَارٌ.

وَهَذه الحَقيْقَة اشْتَرَكَ فيْهَا جَميْعُ مَا خُلقَ؛ الإِنْسَانُ وَغَيْره، إِلَّا أَنَّـهُ كُلَّمَا قَرُبَ منَ الفعْلِ كَانَ أَقْوَى اخْتيَاراً وَأَظْهَر، وَكُلَّمَا بَعُدَ كَانَ أَضْعَفَ

---

(١) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «**كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم فِي أَدَقِّ مَعَانِيْه؛ مَخْلُوْقٌ مَصْنُوْعٌ مثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم، وَلَعَلَّ النَّمْلَ الصِّغَارَ تَتَوَهَّم أَنَّ للهِ تَعَالَى زَبَانِيَتَيْن، فَإِنَّ ذَلكَ كَمَالُهَا، وَتَتَوَهَّم أَنَّ عَدَمَهَا نُقْصَان لِمَنْ لَا يَتَّصفْ بِهِمَا، وَهَذَا حَالُ العُقَلَاء فِيْمَا يَصفُوْنَ اللهَ تَعَالَى بِه**».[كلمات مكنونة، ص: ١٩. بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢-٢٩٣].

(٢) التوحيد، ص: ٣٦. الأمالي للمفيد، ص: ٢٥٥. الأمالي للطوسي، ص: ٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. العدد القوية، ص: ٢٩٥. تحف العقول، ص: ٦٣. أعلام الدين، ص: ٦٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٩.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

اخْتِيَاراً وَأَخْفَى، كَالنُّوْرِ المُتَشَعْشعِ مِنَ المُنِيْرِ، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْهُ كَانَ أَشَدّ نُوْراً، وَأَقْوَى إِظْهَاراً أَوْ ظُهُوْراً، وَكُلَّمَا بَعُدَ كَانَ أَضْعَفَ وَأَخْفَى، حَتَّى يَنْتَهِي الوُجُوْدُ، فَيَفْنَى الاخْتِيَار حَيْث يَفْنَى الوُجُوْد، سَوَاء كَانَ ذَاتِيّاً أَمْ عَرَضِيّاً، كُلٌّ بِحَسَبِه.

وَمَا تَرَى مِنَ المَجْبُوْل؛ كَنُزُوْلِ الحَجَرِ الَّذِي لَا يَقْوَى ظَاهِراً عَلَى الصُّعُوْدِ، فَاعْلَم أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَكَّلَ بِهِ مَلَكاً يَضَعُهُ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ، وَذَلِكَ مِمَّا يُمْكِنُ فِي الحَجَرِ مِنَ النُّزُوْلِ.

وَمَا تَرَى مِنَ المَجْبُوْرِ ظَاهِراً؛ كَالحَجَرِ الَّذِي يَدْفَعُهُ الشَّخْصُ إِلَى جِهَةِ العُلُوِّ فَيَصْعَد، مَعَ أَنَّ شَأْنَهُ النُّزُوْل، فَاعْلَم أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَكَّلَ بِهِ مَلَكاً مُوَكَّلاً بِعُضْوِ الشَّخْصِ الدَّافِع، هُوَ أَقْوَى مِنَ المَلَك المُوَكَّلِ بِالنُّزُوْلِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ المَلَكَ المُوَكَّل بِالنُّزُوْلِ أَنْ يَمْتَثِلَ أَمْرَ المَلَك المُوَكَّلِ بِالدَّفْعِ إِلَى انْتِهَاء شُعَاعِ ذَلِكَ المَلَك، وَشَهْوَة الحَجَر فِي شَهْوَةِ المَلَك المُوَكَّلِ بِالنُّزُوْلِ.

وَإِذَا انْتَهَى شُعَاعُ الدَّافِع اشْتَهَى المُنْزَل النُّزُوْل، وَاشْتَهَى الحَجَر مَا اشْتَهَاهُ المَلَك، وَلَيْسَتْ فِي الحَقِيْقَة قَسْراً، وَإِنَّمَا هِيَ شَهْوَة اخْتِيَار، كَشَهْوَةِ الجَائِعِ لِلْأَكْلِ، فَإِنَّهُ يَأْكُل لَكِنَّهُ مُخْتَار.

مَعَ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الجَائِعَ الَّذِي يَحْصَل لَه الطَّعَام، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الأَكْلِ مِنْهُ، وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا مِن خَارِج بِكُلِّ فَرْض، لَا بُدَّ أَنْ يَأْكُل، مَعَ أَنَّهُ مُخْتَار قَطْعاً.

هَذَا كَمَثَالِ الحَجَرِ حَرْفاً بِحَرْف، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَلَكِنَّ الطَّرَف الآخَر مِنَ اخْتِيَارِ الحَجَرِ -وَهُوَ عَدَمُ النُّزُوْل مِنْهُ باخْتِيَاره- مَخْفِيٌّ جِدّاً؛ لِأَنَّ الاخْتِيَارَ مِنَ الجَمَادَات وَالنَّبَاتَات لَا يَعْرِفُهُ الإِنْسَانُ، إِلَّا بِطَوْرٍ وَرَاءَ طَوْرِ العَقْلِ، وَذَلِكَ لِأُنْسِه بِأَبْنَاءِ نَوْعِه وَجِنْسِه، فَلَا يَعْرِف من الاخْتِيَارِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَوْعِه كَالإِنْسَان، وَمِنْ جِنْسِه كَالحَيْوَان، وَإِذَا كَانَ مِمَّنْ لَهُ طَوْرٌ مِنَ المَشَاعِرِ وَرَاءَ العَقْلِ؛ عَرَفَ اخْتِيَارَ النَّبَاتَات وَالجَمَادَات.

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ شَيْئَيْنِ: مِثَالاً، وَبَيَاناً، تَسْتَدِلُّ بِهِمَا عَلَى إِثْبَاتِ اخْتِيَارِ النَّبَاتَات وَالجَمَادَات وَشُعُوْرِهِمَا.

فَالأَوَّل: اعْلَمْ أَنَّ الوُجُوْدَ الصَّادِر عَن المَشِيْئَة كَالنُّوْرِ الصَّادِر عَنْ السِّرَاجِ، وَمَعْلُوْمٌ أَنَّ أَجْزَاءَ النُّوْرِ كُلَّمَا قَرُبَ مِنَ السِّرَاجِ كَانَ أَقْوَى نُوْراً وَحَرَارَةً وَيُبُوْسَةً مِمَّا كَانَ أَبْعَد مِنْه.. وَهَكَذَا، حَتَّى يَكُوْن أَجْزَاء النُّوْرِ أَضْعَف الأَجْزَاء نُوْراً وَحَرَارَةً وَيُبُوْسَةً، فَإِذَا فُقِدَ النُّوْرُ فُقِدَتْ الحَرَارَة وَاليُبُوْسَة، لَا يُمْكِن وُجُوْدُ أَحَد هَذِه الأَوْصَاف بِدُوْنِ الآخَرَيْن، بَلْ إِذَا وُجِدَ وَاحِدٌ وُجِدَتْ الثَّلَاثَة، وَإِذَا فُقِدَ فُقِدَتْ الثَّلَاثَة.

فَكَذَلِكَ الوُجُوْدُ الصَّادِرُ عَنْ المَشِيْئَة؛ كُلَّمَا قَرُبَ مِنْهَا كَانَ أَقْوَى وُجُوْداً وَشُعُوْراً وَاخْتِيَاراً كَالعَقْلِ الأَوَّل، وَكُلَّمَا بَعُدَتْ ضَعُفَتْ الثَّلَاثَة عَلَى حَدٍّ سَوَاء إِلَى الجَمَادَات، فَتَكُوْن الجَمَادَات أَضْعَفُ وُجُوْداً وَشُعُوْراً وَاخْتِيَاراً.

كَمَا قُلْنَا فِي نُوْرِ السِّرَاجِ؛ لِأَنَّهُ آيَةُ اللهِ فِي الآفَاقِ لِهَذَا المَطْلَب، لِمَن وَرَدَ هَذَا المَشْرَب، قَالَ تَعَالَى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**[1]، فَافْهَم.

وَالثَّانِي: اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْءِ الجَمَاد مَثَلاً كَالحَجَرِ إِذَا أَتَاهُ شَيْءٌ دَفَعَهُ إِلَى العُلُوِّ لَا يَنْدَفِع، إِلَّا إِذَا كَانَ يُمْكِنُهُ الانْدِفَاع، وَلَا يُمْكِنُهُ مَا لَيْسَ فِي حَقِيْقَتِه، بَلْ إِنَّمَا يَنْدَفِعُ إِلَى العُلُوِّ لِأَنَّ ذَاتَهُ قَابِلَةٌ لِذَلِكَ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ قَابِلَةٌ لِلنُّزُوْلِ بِنِسْبَةٍ وَاحِدَة، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ عِلَّةَ النُّزُوْلِ وَشَهْوَته وَاخْتِيَاره رَاجِحَة مُلازِمَة لِلجَمَاد بِتَسْخِيْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَجْلِ مَنْفَعَةِ الخَلْق، وَأَبَانَ عِلَّةَ الصُّعُوْد وَشَهْوَته وَاخْتِيَاره بِوُجُوْد المُقْتَضِي لَهُ، كَمَا أَنَّ عِلَّةَ النُّزُوْلِ وَشَهْوَته بِوُجُوْد المُقْتَضِى لَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّوْنَهُ العَوَامُّ بِالثِّقْل.

وَإِذَا دَفَعَهُ إِلَى العُلُوِّ دَافِعٌ؛ فَلَيْسَ فِي الحَقِيْقَة قَاسِراً، بَلْ هُوَ مُعِيْنٌ لِمَا تَقْتَضِيْه ذَاتُهُ؛ لِأَنَّ القَاسِرَ: هُوَ مَا يَسْلُكُ بِالشَّيْء مَا لَا يُمْكِن فِي ذَاتِه، وَهَذَا مُحَالٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَفَعَهُ، وَكَانَ الانْدِفَاعُ غَيْرَ مُمْكِن فِي ذَاتِه، فَإِنْ لَمْ يَنْدَفِع لَمْ يَقَع قَسْرٌ، فَإِذَا انْدَفَعَ فَلَيْسَ هُوَ ذَلِكَ، بَلْ المُنْدَفِعُ غَيْرُهُ.

لِأَنَّهُ إِذَا أَمْكَنَ فِيْه مَا لَا يُمْكِنُ فِيْه؛ لَا يَكُوْنُ حَتَّى تَتَغَيَّر حَقِيْقَتُهُ إِلَى مَا يُمْكِن فِيْه، فَلَا يَكُوْنُ هُوَ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ مَا لَا يُمْكِنُ فِيْه لَا يُمْكِنُ أَنْ يُمْكِن فِيْه.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

فَإذَا دَفَعَهُ فَانْدَفَعَ كَانَ الانْدفَاعُ مُمْكناً فيْه، وَلَكن لَطيْفَتُهُ منَ الوُجُوْد قَصُرَتْ عَمَّا يُمْكنُ فيْه أَنْ يَكُوْنَ بنَفْسه، فَكَانَ هَذَا الدَّافعُ مُعيْناً لمَا يُمْكنُ أَنْ يَنْدَفعَ، وَمُتَمِّماً لَهُ، فَكَانَ به الانْدفَاعُ مُمْكناً في ذَاته، وَهُوَ مُطَاوعَةٌ، وَهُوَ اختيَارٌ لمَنْ يَفْهَم.

فَالاخْتيَارُ لَازمٌ لجَميْع ذَرَّات الوُجُوْد، وَلَكنَّ الأَمْرَ المُحْكَم: أَنْ يَكُوْنَ الشَّيْء عَلَى كَمَال مَا يَنْبَغي، وَكَمَالُ مَا يَنْبَغي أَنْ يَكُوْنَ التَّابعُ تَابعاً باخْتيَاره لأَحْوَال المَتْبُوْع من حَيْث المَتْبُوْعيَّة، وَإلَّا لَمْ يَكُنْ التَّابعُ تَابعاً، وَلَا المَتْبُوْعُ مَتْبُوْعاً، إذ التَّابعيَّةُ وَالمَتْبُوْعيَّةُ نسْبَةُ ارْتبَاط بَيْنَهُمَا، وَمُشَابَهَةٌ في الذَّوَات تَقْتَضي المُجَانَسَةُ، المُقْتَضيَةٌ للمَيْل الذَّاتيّ، المُقْتَضي للاخْتيَار بسَبَب اخْتلَاف جهَة كُلٍّ منْهُمَا، كَمَا أَشَرْنَا إلَيْه مرَاراً.

وَلَوْ كَانَ تَابعاً بغَيْر اخْتيَاره لَمْ يَكُنْ تَابعاً؛ لمَا قُلنا.

وَالنَّبَاتُ وَالجَمَادُ في الوُجُوْد تَابعَان للْحَيْوَان؛ لأَنَّهُمَا منْ فَاضل طيْنَته، فَيَجبُ أَنْ يَكُوْنَ تَابعاً في تلْكَ الأَحْوَال، فَيَجبُ في الحكْمَة -لانْتظَام الوُجُوْد- أَنْ يَكُوْنَ تَابعٌ يَحْملُهُ وَيُقلُّه؛ كَالمَاء وَالتُّرَاب، وَتَابعٌ يُظلُّه؛ كَالنَّار وَالسَّمَاء، وَتَابعٌ يُحيْطُ به؛ كَالهَوَاء، لأَنَّ جَميْعَ الأَكْوَان تَابعٌ للإنْسَان، فَعلَّةُ الصُّعُوْد وَالنُّزُوْل لتَسْخيْر وَليّ التَّدْبيْر؛ لأَنَّهُ إعَانَةٌ منْهُ لَهَا فيْمَا أَرَادَ منْهَا.

فَكَمَالُ التَّابع عَلَى مَا يَنْبَغي، وَكَمَالُ مَا يَنْبَغي أَنْ يَخْتَارَ المَتْبُوْعُ مَتْبُوْعيَّةَ التَّابع وَيُريْدُهَا، وَيَخْتَارُ التَّابعُ تَبعيَّةَ المَتْبُوْع وَيُريْدُهَا، وَهُوَ المُرَادُ منَ الاخْتيَار، وَسَخَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ كُلّاً منْهُمَا مَعُوْنَةً منْهُ لمَا أَحَبَّا، وَإلَّا لَمْ

يَكُوْنَا إِيَّاهُمَا، إِذْ لَا يَكُوْنُ الشَّيْءُ إِيَّاهُ إِلَّا بِمَا يُمْكِنُ لَهُ، فَافْهَم مَا كَرَّرْنَا لَكَ.

وَلَيْسَ تَسْخِيْرُهُ تَعَالَى قَسْراً، وَإِنَّمَا خَلَقَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَمَا هِيَ عَلَيْهِ إِلَّا سَأَلَتْهُ، وَلَمْ يُجْبِرْهَا عَلَى السُّؤَال، بَلْ سَأَلَهَا بِاخْتِيَارِهَا، وَلِهَذَا قَالَ: **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾**[1]، اسْتِخْبَاراً وَتَقْرِيْراً لِمَا عَلِمُوْا، فَآتَاهُمْ بِذِكْرِهِم، وَمَا انْطَوَوْا عَلَيْهِ، وَرَضَوْا بِه.

فَلَمَّا آتَاهُمْ بِالاخْتِيَارِ وَخَيَّرَهُم؛ أَقَرَّ مَنْ أَقَرَّ، وَجَحَدَ مَنْ جَحَدَ، وَلَوْ قَسَرَهُمْ لَمْ يَمْتَنِع مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَهَذَا المِثَالُ وَالبَيَانُ، إِنَّمَا هُوَ بِاللِّسَان الظَّاهِرِي.

وَأَمَّا المَعْنَى البَاطِنِيُّ؛ فَهُوَ مَا ذَكَرْنَا لَكَ، مِنْ أَنَّهُ مِنَ المَلَائِكَة، وَكَمَالُ البَيَان يَطُوْلُ بِه الكَلَامُ، لِمَا فِي المَقَامِ مِنَ الدَّقَائِقِ الخَفِيَّة، وَلَكِن هَذَا تَلْوِيْحٌ وَتَمْثِيْلٌ وَإِشَارَةٌ.

وَاعْلَمْ؛ أَنَّ هَذَا التِّكْرَارُ فِي العِبَارَات وَالتَّرْدِيْدُ؛ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّفَهُّم، وَلَوْ هَذَّبْتُ العِبَارَةَ، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى الإِشَارَةِ، لَكَلَّت البَصَائِرُ، وَانْسَدَّت المَذَاهِبُ إِلَى هَذِه المَطَالِب.

وَمَعَ هَذَا فَإِنْ عَرَفْتَ فَأَنْتَ أَنْتَ، وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيْق.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

[خاتمة كتاب الفوائد الاثني عشر]:

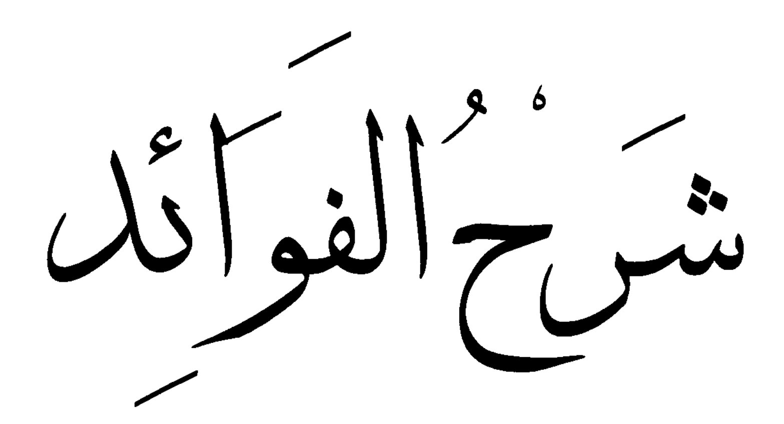
إلى هنا انتهت هذه الفوائد، في الليلة التاسعة من شهر شوَّال، سنة: (١٢١١)، احدى وعشرة بعد المائتين والألف من الهجرة النبويَّة، على مهاجرها أفضل الصلاة وأزكى السلام، بقلم مؤلفها لها؛ العبد المسكين أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن داغر الأحسائي المطيرفي.

والحمد لله رب العالمين .

قد وُفقت بتنميق هذه الرسالة الشريفة، بإشارة من جناب عالي الجاه، حاجي ميرزا نجف علي (وفّقه الله تعالى بتوفيقه الخفيِّ والجلي).

وأنا الداعي، خادم أهل الله والسالكين؛ محمد علي الخراساني، الساكن بمحروسة إسلام بول، في اليوم العشرين من شوال، سنة ألف ومائتين وسبعة وثمانين هجرية، على مُهاجرها وآله صنوف الصلاة والتحية.

والحمد لله رب العالمين.



شرح الفوائد

في حكمة أهل البيت عليهم السلام

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

إعداد وتحقيق

الشيخ راضي ناصر السلمان الأحسائي



[مقدّمة المؤلّف]:

بِسْــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِــيْم

وبه ثقَــتي - وبه نستعين

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أمَّا بعد: فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي؛ أنَّ جناب الموفق المسدَّد، والأكرم الممجَّد، جَناب الآخوند الأوحد، الملَّا مشهد، ابن المقدَّس العليِّ المبرور حسين علي -سلك الله به رضاه، وبلَّغه ما يتمناه، من أمر آخرته ودنياه- قد التمس منِّي إثبات بعض الكلمات؛ في بيان معنى ما ذكرته وأشرت إليه في الرِّسالة التي سميتها بـــ: (**الفوائد**)، وهي مشتملة على اثني عشرة فائدة.

❁[دواعي شرح متن كتاب الفوائد]:

لأنها لَّما كانت مشتملة على معانٍ لم يَذكرها أحدٌ من العلماء، و لم يعثر عليها شخصٌ من الحكماء، حتى كانت -مع تأصُّلها في اليقين، وابتناء الحق عليها في الدِّين- غريبة مجهولة، إذ لم تجر على الخواطر، و لم

تُكتب في الدَّفاتر، وإنما نبَّهوا عليها أئمَّة الهدى في الأخبار المرويَّة عنهم عليهم السلام، وفيما فسَّروه من كتاب الله تعالى.

فأشار إليَّ -سلّمه الله، وبلَّغه كلَّ ما يتمناه، من أمور دنياه وعقباه- أن أُبيِّن ذلك بَياناً يُفهم منه عبارة تلك الرِّسالة، ويحصل منه صريح الدِّلالة، وإنْ لم يُذكر الدَّليل؛ لأنَّ الغاية معرفة عباراتها، والوقوف على إشاراتها.

وكان ذلك الالتماس منه في طريق سَفرنا مع جنابه المحترم إلى مكة المشرَّفة، ومعلومٌ أنَّ في مثل تلك الحالة، لا يتمكَّن الإنسان من إثبات الاستدلال؛ لكثرة الاشتغال والملال، وغاية التَّشويش والاستعجال بالحلِّ والارتحال، وذكر لي -أيَّده الله تعالى- أنَّ هذا أمرٌ واجبٌ؛ لتوقُّف الانتفاع بها، وفهم عباراتها عليه.

فحيث كان ذلك عندي معلوماً؛ لعدم الأنس بها، ولم تكن تلك المعاني مذكورة في كتاب، ولا جارية[1] في سؤال ولا جواب؛ ليراجع الطالب ذلك الكلام، ليفهم منه المراد، وإنَّما هي أشياءٌ بالنِّسبة لما ذكره العلماء والحكماء غريبة مبتكرة، وإنْ كانت بين أئمَّة الهدى عليهم السلام وبين خواصِّ شيعتهم مذكورة مشتهرة[2].

---

(١) في بعض النُّسخ: (ولا طارية).

(٢) في بعض النُّسخ: (مشهورة).

۞[لا يسقط الميسور بالمعسور]:

وكان -سلَّمه الله- على ما ألزمت نفسي من حقِّه ملتمساً لذلك، أوْجَبت ذلك الالتماس عليَّ، إلَّا أنِّي آتٍ بما يسهل الإتيان به؛ لأنَّ هذا منِّي في مثل هذه الحال غاية المقدور، ولا يَسقط الميسور بالمعسور، مستعيناً بالله على الأداء، وسائلاً منه ﷻ الرِّضا، إنَّه على كلِّ شيء قدير.

وَصدَّرت المتن بقولي: (قُلت)، والبيان بقولي: (أقُول)؛ ليتبيَّن من ذلك الفروع والأصول.

[الغاية من تأليف الكتاب]

قلتُ: (إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ كَثِيْراً مِنْ الطَّلَبَةِ يَتَعَمَّقُوْنَ فِيْ المَعَارِفِ الإِلَهِيَّةِ).

أقول: وذلك لشدَّة تحقيقاتهم، وكثرة تدقيقاتهم، وإيراداتهم للإشكالات، وإثباتهم للاعتراضات، حتَّى لا تكاد تجد شخصين متوافقين؛ وذلك لاختلاف أفهامهم وأنظارهم، وتغاير مذاقاتهم واعتباراتهم، والسَّبب في ذلك أنَّهم يقولون: "أنَّ الاعتقادات أمورٌ عقلية، ولا يجوز التَّقليد فيها".

ويلزم من هذا؛ أنَّ كلَّ واحدٍ يثبت ما يفهمه، وحيث كان الظَّاهر تابعـاً للباطن، ودليلاً عليه، كما قال الرِّضا عليه السلام [في كلامه مع عمران الصَّابي، وهو طويل مروي في التَّوحيد والعيون][1]: **«قَدْ عَلِمَ أُوْلُوْا الأَلْبَابِ؛ أَنَّ الاسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَاهُنَا»**[2].

وأنت إذا نظرت إلى صُور أجسامهم وكلامهم وأفعالهم الطبيعية؛ رأيتها كلَّها مختلفة، وهي صفة بواطنهم، وإذا جرى كلٌّ واحد منهم على مقتضى طبيعته خاصة، كما هو معنى قولهم: "أن الاعتقادات أمور عقلية،

(١) ما بين المعقوفتين ورد في حاشية بعض النُّسخ.

(٢) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

لا يجوز فيها التَّقليد"، وَجب أنْ يختلفوا ولا يتَّفقوا، بخلاف الَّذين يعتقدون بعقولهم بما يفهمونه من شيء واحد، بأن يكون كلّ واحدٍ منهم طالباً للمُراد من ذلك الشَّيء الواحد، فإنَّهم لا يختلفون؛ لاجتماعهم عليه.

مثاله: إذا نظر جماعة إلى شخص حاضر عندهم، فإنهم لا يختلفون في وصفه اختلافاً كثيراً؛ لأنَّ أفهامهم في إدراك صفاته تابعة لأبصارهم، فيفهمون مما رأوا.

وهؤلاء أمثال العلماء الَّذين يعتقدون بعقولهم بما علَّمهم الله تعالى، وأخبرهم نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم وأوصياؤه عليهم السلام، فإنَّهم لا يكادون يختلفون؛ لأنَّ كلام الله سبحانه وكلام نبيه وأهل بيته (عليه وعليهم السلام) يجمعهم.

وأمَّا الَّذين يعتقدون ما يخطر على خواطرهم، من غير أمرٍ جامعٍ ترجع تلك الخواطر إليه، بل كل واحد منفرد عن غيره، فإنَّهم كما كانوا مختلفين في الصُّور -بحيث لا تجد اثنين على صورة واحدة- كذلك هم في اعتقاداهم.

۞[توهُّمات باطلة]:

قلت: (وَيَتَوَهَّمُوْنَ أَنَّهُمْ تَعَمَّقُوْا فِي المَعْنَى المَقْصُوْد).

أقول: المراد أهم يتوهَّمون أنَّ تدقيقاهم إنَّما هي في تحقيق الحقِّ الذي هو المقصود، وليس كذلك؛ لأنَّ المعنى المقصود هو معرفة الله سُبحانه، كما وصف نفسه به على ألسنة أوليائه، لا على ألسنة المتكلِّمين والحكماء، فإذا كان تعالى أكمل الدِّين لنبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم، ونبيُّه قد استحفظه

كلّه عند أوصيائه (عليه وعليهم السلام)، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[١]، فمن أراد أنْ يعرف الله بعقـــله؛ فليعرفه بما وصف به نفسه، ولا وصف نفسه إلّا على ألسنة أوليائه عليهم السلام، فالواجب أن يَنظر فيما قالوا، ويفهم ما أرادوا.

وأمَّا مَنْ لم ينظر في ذلك، ويريد أن يعرف الله سبحانه، فإنَّه لا يقع فهمه إلّا على الباطل؛ لأنَّه ما وصل إلى الأزل، ولم يره ليصف ما رأى، والعقول لا تدرك تلك الأمور المقدَّسة عن الإدراك، فكيف يعرف الله مَنْ لم يأخذ عن الله سُبحانه وتعالى؟!.

۞[تعمّقٌ في الألفاظ]:

قلت: (وَهْوَ تَعَمُّقٌ فِيْ الأَلْفَاظِ لَا غَيْر).

أقول: وذلك لأنَّهم إذا لم يَصلوا إلى القديم تعالى، ولم ينـــزل إليهم؛ كان ما يعرفون ما يَدلهم اللّفظ عليه، ولهذا قالوا: (أنَّ الوجود يُطلق على الله تعالى وعلى المخلوق بالإشتراك المعنوي)[٢]. لأنهم يقولون: (أنَّ المفهوم منه هو المعنى المصدَريِّ الرَّابطي، أو النِّسبي أو البَسيط، المعبَّر عنه بالفارسية بـــ"هست"). وهذا عندهم هو حقيقة الشَّيء، سواء كان واجباً أم مُمكناً.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) راجع: نص النصوص، ص: ٤٢٤. الأسفار، ج: ١، ص: ٣٥. شرح المواقف، ج: ١، ص: ٢٣٣. نهاية المرام، ج: ١، ص: ٣٠.

فيلزمهم أنْ يكون الخالق ﷻ والمخلوق من سنخٍ واحد؛ فيلتزمون به، ولا شكَّ أنَّ من كان كذلك فهو مشابه لغيره، ويلزم منه القول بالحدوث في الواجب تعالى.

ولو أنَّهم رَجعوا في تعقُّلهم وفهمهم إلى ما وصف به نفسه؛ لاستقام اعتقادهم، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1]، فإنَّ من صدَّق الله بما أنزل في كتابه؛ بأنَّه تعالى ليس كمثله شــيء، لم يقل بأنَّ الوجود يصدق على الرَّب والعبد حقيقة بطريقة الاشتراك المعنوي؛ لاستلزام ذلك المساواة، الَّتي هي أشدُّ من المماثلة.

وَمنْ قال بالإشتراك المعنوي؛ فإنَّه إنَّما عوَّل على مَدلولات الألفاظ، فإنَّ وجود الله تَعالى عنده وجودٌ في الحقيقة، ووجودُ العبد المخلوق الفاني وجودٌ في الحقيقة.

وهذا هو مَعنى قولي: (وَهْوَ تَعَمُّقٌ فِي الأَلْفَاظِ لَا غَيْر).

۞ [الترويع أسلوب في تفهيم هذه المطالب]:

قلت: (رَأَيْتُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُرَوِّعَهُمْ بِعَجَائِب مِنَ المَطَالِب).

أقول: إنِّي لمَّا أردتُ هداية مَنْ سَبقت له العناية بالنَّجاة، لا يمكن ذلك منِّي في حقٍّ من عنده علمٌ بشيء، خُصوصاً من تسمَّى نفسه بالعلم، فإنَّه قد أنس بأشياء لا تقدر نفسه على مفارقتها، ولا يقدر أن يُقال فيه:

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

"أنَّه كان لا يعلم حتَّى تعلَّم". فَإذا سمع خلاف ما عنده؛ ردَّه بمثله من كلامهم، فترضى نفسه بالبقاء على الحالة الأولى.

وأمَّا إذا ذكرت أشياء لم يُسمع بها، ولم تُذكر قَطُّ؛ فلا يكون له سبيل إلى فهمها، فَضلاً عن ردِّها؛ لأنَّ نفسه ترتاع إذا سمع شيئاً غريباً، فتطلب الإطِّلاع عليه، مع الغفلة عن مُعارضته، فيكون حينئذٍ قلبه فَارغاً، فيتمكن من فهم هذا الأمر الجديد؛ الَّذي فيه نجاته.

وهذا معنى قولي: (أَنْ أُرَوِّعَهُمْ بِعَجَائِب مِنَ المَطَالِب).

۞[هل ذُكرت هذه المطالب سابقاً في كتاب؟]:

قلت: (لَمْ يُذْكَرْ أَكْثَرُهَا فِيْ كِتَاب، وَلَمْ يَجْرِ ذِكْرُهَا فِيْ خِطَاب).

أقول: إنَّما قُلت: (لَمْ يُذْكَرْ أَكْثَرُهَا فِي كِتَاب)، يعني: أنَّه قد يُذكر بعضٌ منها في كتاب؛ إلَّا أنَّه ليس على هذا النَّحو منَ البيان، أو يُذكر مُجْملاً.

مثل ما يَأتي: في ذكر الحصص الحيوانيَّة في الإنسان والفرس والطير، فإنَّهم يَذكرون أنَّها من حقيقة واحدة هي: (الحيوانيَّة)(١)، وأنها متساوية، وإنما تُميِّزها الفصول. وأنَا قد ذكرتها على نحوٍ مَا عثر عليه الحكماء، ولا وقف عليه العلماء؛ لأنَّهم يأخذون تحقيقات علومهم بعض عن بعض.

---

(١) في بعض النُّسخ: (الحيوان).

[من أخذ عنهم عليهم السلام لا يُخطئ]:

وأنا لمّا لم أسلك طريقهم، وأخذت تحقيقات ما علمت عن أئمّة الهُدى عليهم السلام؛ لم يتطرّق على كلماتي الخطأ؛ لأنّي ما أثبتُّ في كُتبي فهو عنهم، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ، والغفلة والزلل، ومن أخذ عنهم لا يُخطئ؛ من حيث هو تابع، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[1].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٨. وهذا التأويل هو ما أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام في الرواية عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام؛ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: «نَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عزّ وجلّ لِمَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِنَا، حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتُونَا؛ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً﴾، وَالْقُرَى الظَّاهِرَةُ: الرُّسُلُ وَالنَّقَلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا وَفُقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ﴾؛ فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ يَسِيرُ بِهِ.
﴿لَيَالِيَ وَأَيَّاماً﴾؛ مَثَلًا لِمَا يَسِيرُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْفَرَائِضِ.
﴿آمِنِينَ﴾ فِيهَا إِذَا أَخَذُوا عَنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَأْخُذُوا عَنْهُ، آمِنِينَ مِنَ الشَّكِّ وَالضَّلَالِ، وَالنُّقْلَةِ إِلَى الْحَرَامِ مِنَ الْحَلَالِ، فَهُمْ أَخَذُوا الْعِلْمَ عَمَّنْ وَجَبَ لَهُمْ بِأَخْذِهِمْ عَنْهُمُ الْمَغْفِرَةُ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا، ذُرِّيَّةٌ مُصَفَّاةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ..». [الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٢٧. تأويل الآيات الظّاهرة، ص: ٤٦٢. وسائل الشيعة، ج: ٢٧، ص: ١٥٢. مستدرك الوسائل، ج: ١٧، ص: ٣١٦].

وقولي: (وَلَمْ يَجْرِ ذِكْرُهَا فِيْ خِطَاب)، يَعني: في خطاب أحدٍ غيرهم عليهم السلام، وإلَّا فإنها قد ذكرت في الأحاديث بالإشارة والتلويح لأهله[1]، وَعلى الله قصدُ السَّبيل.

(١) اختلفت في هذا المقطع عبارات النسخ المخطوطة، إلّا أنّ معنى الجميع واحد، وما أثبتناه هو نص ما هو موجود في أحدها، ولعله هو الأنسب من غيره.



[منهجيَّة الاستدلال]

قلت: (وَيَكُوْنُ ذَلِكَ بِدَلِيْلِ الحِكْمَة).

أقول: الحكمة قد تُطلق ويُراد بها الحكمة العلميَّة، وقد يُراد بها الحكمة العمليَّة، ونحن نُريد بها الحكمة العلميَّة والعمليَّة معاً؛ لأنَّ دليل الحكمة هو الدَّليل الكشفي العَياني، الَّذي يُخبر به المستدل بعد معاينة ما أراد من معاني ألفاظه، لا مجرَّد الألفاظ، والكلُّ يدَّعي ذلك، ولكنَّ الدَّعوى بغير شروط المدَّعى باطلة.

۞[دليل الحكمة العلميَّة والعمليَّة وشروطهما]:

فنقول: دليل الحكمة؛ هو الحكمة العلميَّة والعمليَّة معاً بشروطهما[1]، لأنَّ أحدهما لا يكفي عن الآخر، وإنْ كان بشروطه.

وشروط العلميَّـــة:

[الأوَّل]: أن يجمع قلبه على استماع المقصود، والتَّوجه إليه من غير أنْ يريد العناد والرَّد؛ لأنَّه لو استمع وهو يُريد الرَّد والعناد، كان مُشتغلاً بغير ما هو بصدده، فيتفرَّق قلبه، ولا يفهم المراد.

---

(١) هذا ما ورد في إحدى نسخ الكتاب، وأما في غيرها فقد اختلفت العبارات، وفي بعضها قال: (دليل الحكمة العلمية والعملية)، وفي نفس هذه النُّسخة جاء في حاشيتها ما نصه: (قوله -أعلى الله مقامه- دليل الحكمة: مبتدأ، والإضافة بيانيَّة. والعلمية والعملية: خبره. والتَّأنيث باعتبار المضاف إليه).

و[الثَّاني]: أن لا تركن نفسه إلى ما أنست به، فإنَّ حُبَّ الشيء يُعمي ويُصم، حتَّى أنَّه يصعب عليه مفارقة ما عنده؛ وإنْ ظهر له كونه مرجوحاً، فيتكلَّف في الجواب عمَّا يُخالفه.

و[الثَّالث]: أنْ لا يعتمد على مجرَّد ما عنده من القواعد والضَّوابط، فإنَّ من اعتمد على ذلك غالباً لا يكاد يُصيب الحق، بل يَرى كل ما يُوافق قواعده صحيحاً، وإنْ كان عند نفسه مرجوحاً، فإذا التَفتَ إلى مرجوحيَّته؛ أغمض عنه اعتماداً على قواعده، ويرى كل ما يُخالفها باطلاً، وإنْ كان وجد في نفسه راجحيَّته أو حَقِّيته اتكالاً على قواعده، ولعلَّ الغلط إنما هو في قواعده، إمَّا في أصل صِحَّتها، أو في عمومها.

فإذا ترك العناد والرُّكون والأنس بالمسألة، وعدم الإلتفات إلى القواعد، وإنَّما ينظر فيما يَرد عليه من الكتاب والسُّنة، وفيما أراه الله تعالى من آياته في الآفاق وفي نفسه[١]، بمحض فهمه وذكائه، بحيث يكون متعلِّماً من الكتاب والسنة وآيات الله سبحانه، قابلاً منها، مصدِّقاً لها، فيكون تابعاً، ولا يكون مُؤوِّلاً للكتاب والسُّنة وآيات الله سبحانه على ما يُلائم مراده وشهوته، فَيكون متبوعاً، وهي تابعة لــــه.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.[سورة فصِّلت، الآية: ٥٣].

وشروط العمليَّـــة:

أنْ يكون مخلصاً لله ﷻ في توحيده وعبادته، بحيث لا يكون له غرض إلَّا رضى الله سُبحانه في كلِّ شيء.

فإذا تمَّت له شروط العلم وشروط العمل جميعاً على الوجه المطابق للكتاب والسُّنة؛ حصل له دليل الحكمة، الَّذي لا يُعرف الله إلَّا به.

۞[هل يمكن معرفته ﷻ بدليل المجادلة؟]:

قلت: (لِأنَّ الَّذِيْ كَانُوْا طَلَبُوْا بِهِ الغَايَة؛ دَلِيْلُ المجَادَلَة بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن).

أقول: وأعني بدليل المجادلة بالَّتي هي أحسن؛ ما ذكره العلماء في كتبهم من البراهين والأقيسة بكل أنواعها -كما هو مقرَّر في المنطق، وفي علم الأصول- وهذه الأدلَّة إنَّما هي مستنبطة من إدراكات عقولهم وأفهامهم، ولو عُرف بها الله تعالى؛ لكان مُدرَكاً بعقولهم وأفهامهم، تعالى الله عن ذلك عُلَّواً كبيراً.

هذا إذا كانت المجادلة بالَّتي هي أحسن؛ بأن يكون[1] الدَّليل على نحو ما قد قُرِّر في محلِّه، وأمَّا لو كان بخلاف ذلك؛ لم يُنتفع به، وإنْ كان في غير معرفة الله سبحانه.

---

(١) في بعض النُّسخ: (بأن يُحكِّم).

قلت: (**وَذَلِكَ لَا يُوْصِلُ إِلَّا إِلَى عَالَمِ الصُّوَرِ أَوْ المَعَانِي**).

أقول: يَعني أنَّ دليل المجادلة بالَّتي هي أحسن -على كمال ما ينبغي فيه- لا يُوصل إلَّا إلى عالم الصُّور؛ الَّتي هي المحدودة بالأبعاد، سواء كانت جوهريَّة كالنُّفوس، أو عرضيَّة كالأشباح المثاليَّة، أو إلى المعاني الَّتي هي الذَّوات الماديَّة سواء كانت مادهّا عنصريَّة، أم نوريَّة، أم غيرهما، كمعاني المصادر؛ لأنَّ المراد بها ما هو أعم من الذَّوات الإصطلاحية، أعني: ما وُضعت الألفاظ بإزائها، أو ما ليس بجثة، وسواء كانت كليَّة أم جزئــيَّة؛ لأنَّ المراد منها حقائق الأشياء المطلقة، سواء كانت هي المواد خاصة أم الأشياء المركبة منها ومن الصُّور، مع قطع النَّظر عن التركيب.

والحَاصل: أنَّ جميع ذلك -أعني: ما يكون مُدركاً ومُتحصِّلاً بدليل المجادلة- لا ينفك عن الإشارة العقلية أو الحسِّية، وكل ذلك مستلزم للحصر والإحاطة، وكلُّ شيء من ذلك غير جائز في معرفة الَّذي لا تُدركه الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار.

فلذا قُلنا: (بِأَنَّ هَذَا الدَّلِيْل لَا يُوْصِل إِلَّا إِلَى عَالَمِ الصُّوَرِ أَوْ المَعَانِي)، وما كان كذلك؛ امتنع استعماله فيما ليس كذلك.

قلت: (**وَلَا يُوْصِلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ، كَمَا قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَرِنِيْ الأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ»**[1]).

(١) رسائل المرتضى، ج: ٢، ص: ٢٦١.

أقول: إنَّ دليل الحكمة يُوصل من استعمله إلى معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، وهي الَّتي سألها ﷺ من ربِّه أن يُريه إيَّاها؛ لأنَّ الأشياء إذا نظرت إليها من حيث هي -مع قطع النَّظر من مشخَّصاتها ومميِّزاتها- كانت مجرَّدة عن كلِّ ما سوى ذواتها، والشَّيء إذا نظرت إليه مع قطع النَّظر عن جميع مشخَّصاته ومميِّزاته؛ خَلُصَ من جميع الجهات والكيفيَّات والنِّسب.

وإذا خلص من ذلك كلِّه؛ تجرَّد عن الإشارات والهيئات والأوضاع، فلا يكون معنى ولا صورة؛ لاستلزامهما الإشارة.

۞[لا سبيل إلا بدليل الحكمة لمن التمس الهُدى]:

قلت: **(وَلَا يُوْصِلُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا دَلِيْلُ الحِكْمَةِ)**.

أقول: لأنَّه يُوصل إلى معرفة الشَّيء مُعرَّى عن كلِّ شيء، حتَّى عن جهة التَّعري، والتَّجرد عن الكيف والإشارة، بخلاف غيره من دليل الموعظة الحسنة، ودليل المجادلة بالَّتي هي أحسن.

قلتُ: **(وَأَرْجُو مِنَ اللهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَهْدِيْ بِهِ مَن الْتَمَسَ الهُدَى بِهَذَا الدَّلِيْل سَوَاءَ السَّبِيْل، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْل)**.

أقول: وإنَّما قلتُ: (مَنِ الْتَمَسَ الهُدَى بِهَذَا الدَّلِيْل)؛ لأنَّ منْ كان كذلك لا بُدَّ أن يكون همُّه رضا الله لا غير، ومن كان كذلك لا يَقصد العناد، ولا الرُّكون إلى ما أنست به نفسه، وإنْ تبيَّن له أنَّه مرجوح، ولا يرجع إلى قواعده لا غير؛ مع أنَّ ما خالفه فهو أيضاً جارٍ على قواعد

تعارض قواعده، وربما تكون أصح منها، وإنما يَطلب الحق، وهو حينئذٍ محسنٌ؛ لعدم تقصيره.

وقد ضمن الله سبحانه لمثل هذا أنْ يهديه إلى الحقِّ الذي يَرضى به، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ولا يكون في الحقيقة مجاهداً في الله؛ إلَّا إذا وُفِّق لاستعمال هذا الدليل، وذلك لأنَّ الله سُبحانه لا يُخلف وَعده، فلو كان ما يدَّعونه يصدق باستعماله أنَّه مجاهد في الله؛ لكان كل مَنْ فعل ذلك وَصل إلى العلم الذَّوقي؛ لضمان الله تعالى للمجاهد فيه [أن يهديه سبيله][2]، فلمَّا لم يَصل أولئك إلى العلم العَياني بمثل استعمال المجادلة بالَّتي هي أحسن، علم بأنَّ ذلك لا تتحقَّق به المجاهدة في الله.

وإنَّما تتحقَّق باستعمال دليل الحكمة، بشروطه الَّتي يتحقَّق بها دليل الحكمة، مِنْ مثل الشُّروط الَّتي ذكرناها؛ الَّتي هي الصِّدق في العلم والعمل، كما أشرنا إليه سَابقاً.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

شرح
الفائدة الأولى
فِيْ ذِكْرِ تَفْصِيْلِ الأَدِلَّةِ الثَّلَاثَة

قلتُ:

(الفَائِدَةُ الأُوْلَى
فِيْ ذِكْرِ تَفْصِيْلِ الأَدِلَّةِ الثَّلَاثَةِ)

أقول: يعني في ذكر بيان أقسامها، وأنها تنقسم -باعتبار أنواعها- إلى ثلاثة أدلَّة.

قلتُ: (**وَذِكْرِ مُسْتَنَدِهَا وَشَرْطِهَا**).

أقول: يعني في ذكر منشئها الَّذي تتحصَّل هي منه، وشرطها الَّذي يتحقَّق به على كمال ما ينبغي.

۞ [عددها وموقعها في القرآن الكريم]:

قلتُ: (**اعْلَم أَنَّ الأَدِلَّة ثَلَاثَة؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِـظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**[1]).

---

(١) سورة النَّحل، الآية: ١٢٥.

[دَلِيْلُ الحِكْمَة]

(فَالأَوَّلُ: دَلِيْلُ الحِكْمَة).

أقول: يعني أنَّ قوله تعالى: **﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾**(١)، أي: إلى ما يُريد الله سُبحانه من عباده المكلَّفين بأحد أدلَّة ثلاثة؛ لأنَّ المدعوِّين من المكلَّفين ثلاثة أنواع، فإنْ كانوا من الحكماء العقلاء، والعلماء النُّبلاء؛ ادعهم إلى الحق الَّذي يُريد الله منهم من معرفته بدليل الحكمة، يعني: بالدَّليل الذَّوقي العياني، الَّذي تلزم منه الضَّرورة والبداهة بالمستدل عليه؛ لأنَّه نوع من المعاينة.

مثل ما قلنا في كثير من كتبنا ومباحثاتنا لمن يقول: (إنَّ حقائق الأشياء كامنة في ذاته تعالى بنحوٍ أشرف، ثمَّ أفاضها...إلخ).

بأن قُلنا: لا بدَّ أنْ يكون لذاته تعالى قبل الإفاضة حالٌ مغاير لِمَا بعد الإفاضة، سواء كان التَّغير في نفس الذَّات، أمْ فيما هو في الذَّات؛ لأنَّه إنْ حصل التَّغير(٢) في الذَّات، لزم حدوث الذَّات، وإنْ حصل التَّغير(٣) فيما هو في الذَّات -أعني: حقائق الأشياء- فقد كانت الذَّات محلاً للمتغيِّر المختلف، ويلزم حدوث الذَّات.

---

(١) سورة النَّحل، الآية: ١٢٥.

(٢) في بعض النُّسخ: (حصل التَّغيير).

(٣) في بعض النُّسخ: (حصل التَّغيير).

وهذا شيء قطعي ضروري، من نوع دليل الحكمة، وهو أشرف الأدلة؛ ولهذا قدَّمه الله سبحانه، وقلنا: (فَالأَوَّلُ دَلِيْلُ الحِكْمَةِ).

۞[آلية دليل الحكمة]:

قلتُ: (وَهْوَ آلَةٌ لِلْمَعَارِفِ الحَقِّيَّة).

أقول: يعني أنَّ دليل الحكمة آلة لتحصيل المعارف الإلهيَّة الحقيَّة، وبه يُعرف الله لا بغيره من الأدلَّة، والَّذين يطلبون معرفة الله بغيره؛ مثل دليل الموعظة الحسنة، [لا يحصل بهم المعرفة الحقة وذلك][1] كما إذا قلت: إنْ اعتقدت أنَّ لك صانعاً، فلا شك في كونك ناجياً من عقوبته، وإنْ لم تعتقد لم تقطع بنجاتك من عقوبته، بل يجوز أنْ يُعذِّبك، فلا يحصل لك القطع بالنَّجاة؛ إلَّا مع اعتقاد وجوده تعالى.

فهذا مثل نحو دليل الموعظة الحسنة، ومثل ذلك لا تحصل به المعرفة الحقَّة وإنَّما هو بيان طريق السَّلامة، وكذلك مثل دليل المجادلة بالَّتي هي أحسن كما إذا قلت: إنْ كان في الموجودات قديمٌ خالق وليس بمخلوق؛ ثبت الواجب تعالى، وإلَّا فلا بُدَّ لها من صانع، إذ يستحيل أن تُوجد نفسها، أو تُوجَد بغير مُوجد لَها، وكِلا الوجهين مُحال.

وهذا مثل دليل المجادلة بالَّتي هي أحسن، ومثل هذا لا تحصل به المعرفة الحقَّة، وإنَّما يقطع حجَّة المخالف، بخلاف مثل دليل الحكمة؛ كما

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

إذا قلت: أنَّ كل أثر يُشابه صفة مؤثِّره، وأنَّه قائمٌ به -أي: بفعله- قيام صدور، كالكلام؛ فإنَّه قائم بالمتكلِّم قيام صدور، وكالأشعة بالمنيرات، والصُّور في المرايا.

فالأشياء هي ظهور الواجب بها لها؛ لأنَّه تعالى لا يظهر بذاته، وإلَّا لاختلفت حالتاه، ولا يكون شيء أشدُّ ظهوراً وحضوراً وبياناً من الظَّاهر في ظهوره؛ لأنَّ الظَّاهر أظهر من ظهوره، وإنْ كان لا يمكن التَّوصل إلى معرفته إلَّا بظهوره.

مثل القيام والقعود؛ فإنَّ القائم أظهر في القيام من القيام، وإنْ كان لا يمكن التَّوصل إليه إلَّا بالقيام، فتقول: يا قائم!، ويا قاعد!، فأنت إنَّما تعني القائم لا القيام؛ لأنَّه بظهوره لك بالقيام غيَّب عنك مشاهدة القيام أصلاً، إلَّا أن تلتفت إلى نفس القيام فيحتجب عنك القائم بالقيام.

فبهذا الاستدلال الَّذي هو من دليل الحكمة؛ يكون سبحانه عند العارف أظهر من كلِّ شيء، كما قال سيِّد الشُّهداء عليه السلام: **«أَ يَكُوْنُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُوْرِ مَا لَيْسَ لَكَ؛ حَتَّى يَكُوْن هُوَ الُمظْهِر لَكَ»**[(١)]، وتحْصل به المعرفة الحقَّة، ولا تحصل بغيره أصلاً.

قلتُ: (وَبِهِ يُعْرَفُ اللهُ، وَيُعْرَفُ مَا سِوَاه).

أقول: يعني أنَّ دليل الحكمة به يُعرف الله، ويُعرف ما سواه، أي: ما سوى الله سُبحانه؛ مثل آياته الدَّالة عليه تعالى، كمعرفة النَّفس، فإنَّك

---

(١) إقبال الأعمال، ص: ٣٤٩. بحار الأنوار، ج:٩٥، ص:٢٢٦.

إذا عرفتها مجرَّدة عن كلِّ نسبة وإضافة، وعن جميع العوارض والمشخّصات، بأن تعتبرها مجرَّدة عن جميع سُبُحَاتها من غير إشارة، عرفت الله تَعالى؛ لأنَّها حيْنئذٍ هي وصفه لنفسه تعالى لعبده، فمن عرف وصفه لنفسه عرفه، وهي حيْنئذٍ حقيقة ذلك الوصف.

۞[مستند دليل الحكمة]:

قلتُ: (**وَمُسْتَنَدُهُ: الفُؤَادُ وَالنَّقْلُ**).

أقول: يَعني أنَّه يَنشأ عن الفُؤاد؛ لأنَّـــه إنَّما يدرك بنظره.

والمراد بالفُؤاد في كلام الأئمَّة عليهم السلام: هو الوجود بالمعنى الثَّاني، الَّذي ذكرته في شرح مشاعر الملا صدر الدِّين الشِّيرازي[1]، أعني الشَّيء من حيث كونه أثراً لفعل الله تعالى، فإنَّ الشَّيء لَه اعتباران:

اعتبار من ربِّه: وهو أنَّه آية الله، وأثر فعله.

واعتبار من نفسه: وهو هويَّته من حيث نفسه، وهو الماهيَّة الثَّانية.

ويُحتَمل أنْ يُراد بالفؤاد: ما ذكرناه بالمعنى الأوَّل، وهو أوَّل فائض من فعل الله، وهو عندنا هو المادَّة المطلقة، وانفعاله عند فعل الله؛ هو الماهيَّة الأوْلى، الَّتي هي قابليته.

---

(١) ذكر ذلك في مواطن عديدة من شرح المشاعر، منها في شرح قوله: (ومعرفـــة النفس..)، ص: ٣٤، وفي ص: ٨٥. وفي ص: ٢٨١. وفي ص: ٦٥٧، وغيرها.

والحاصل: أنَّ الفُؤاد هو الوجود، وهو الَّذي يعرف الله، وبه يعرف الله، وهو في الإنسان بمنْزلة المَلِك في المدينة، والقلب بمنْزلة الوزير.

وإنَّما انحصر دليل الحكمة الاصطلاحي في إدراك الفؤاد؛ لأنَّـه هو الَّذي يُدرك الشَّيء مجرَّداً عن جميع ما سوى محض وجود الشَّيء، مع قطع النَّظر عن جميع عوارض الشَّيء الذَّاتية، كأركان القابليَّة ومتمِّماتها والعارضية، بلا إشارة ولا كيف، ولا يحصل من غير الفؤاد؛ فلذا كان محلُّ المعرفة. ولذا قلنا: (مُستنده الفؤاد).

وأمَّا النَّقل؛ والمراد به الكتاب والسُّنة، ومعنى كونهما مستنداً لذلك الدَّليل؛ أنَّهما محلُّ استنباطه، لاشتمالهما على الاحتجاج به على وجه لا يحتمل الخطأ والغفلة، وسيأتي الإشارة إلى بيان ذلك.

قلتُ: (أَمَّـا النَّقْلُ؛ فَهُوَ الكِتَابُ وَالسُّنَّة).

أقول: إنَّما قدَّمنا ذكر النَّقل على ذكر الفؤاد؛ لكونه أصلاً لاستنباط ذلك الدَّليل، ومتبوعاً للفؤاد؛ ولأنَّ الكلام في النَّقل قليل، إذ لا يُراد بيان ذلك، وإنَّما المراد مجرَّد ذكره، وأخَّرنا الفؤاد في البيان لطول الكلام عليه بالنِّسبة إلى النَّقل.

والمراد بمُستنده منهما؛ هو المحكم منهما، لا المتشابه.

قلتُ: (وَأَمَّا الفُؤَادُ فَهْوَ؛ أَعْلَى مَشَاعِرِ الإِنْسَان).

أقول: لأنَّ مشاعر الإنسان [ثلاثة]:

[الأوَّل]: الصَّدر؛ والمـراد به الخيال والنَّفس الكلية، الَّـتي هي محلُّ الصُّور العلميَّة، كليَّة أو جُزئية، فهو محل العلم، ويُقابله الجهل.

و[الثَّاني]: القلب؛ وهو محـلُّ المعاني واليقـين بالنسب الحكميـَّة، ويُقابله الشك والرَّيب.

و[الثَّالث]: الفؤاد؛ وهو محل المعارف الإلهية، المجردة عن جميع الصُّور والنِّسب، والأوضاع والإشارات، والجهات والأوقات، ويُقابله الإنكار؛ فهو إذن أعلى مشاعر الإنسان.

قلتُ: (**وَهْوَ نُوْرُ اللهِ الَّذيْ ذَكَرَهُ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: «اتَّقُوْا فَرَاسَةَ المُؤْمِنْ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ»**[1]).

أقول: لأنَّه عليه السلام يُريد بهذا النُّور هو الفؤاد؛ لأنَّ الصَّادق عليه السلام ذكر أنَّ ضياء المعرفة ينجلي في الفؤاد، وذكر عليه السلام في حديث آخر:

---

(١) الكـافي، ج: ١، ص: ٢١٨. وسـائل الـشِّيعة، ج: ١٢، ص: ٣٨. الاختصاص، ص: ٣٠٧. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٣٠. الأمَالي؛ للطوسـي، ص: ٢٩٤. بصائر الـدَّرجات، ص: ٣٥٥. تأويل الآيات الظَّـاهرة، ص: ٢، تفسير العـيَّاشي، ج: ٢، ص: ٢٤٧. شـواهد التنـزيل، ج: ١، ص: ٤٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٢٠٠. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ١٢٣.

«أَنَّهُ هُوَ نُوْرُ اللهِ الَّذِي خَلَقَ اللهُ مِنْهُ المُؤْمِن، وَأَنَّهُ هُوَ نُوْرُ اللهِ الَّذِي هُوَ الفَرَاسَةُ»[1]، كما في الحديث.

۞[ماهيَّة دليل الحكمة]:

قلتُ: (وَهْوَ الوُجُوْدُ؛ لِأَنَّ الوُجُوْد هُوَ الجِهَةُ العُلْيَا مِنَ الإِنْسَان).

أقول: يعني وجهه من ربِّه، كما ذكرنا قبل؛ من أنَّ كلَّ شيء له اعتباران: اعتبار من ربه؛ وهو الوجود، وهو الفؤاد، وله وزير يُعينه على ما يقتضيه من الطَّاعات، وهو العقل.

واعتبار من نفسه؛ وهو الماهيَّة، ولها وزير يُعينها على ما تقتضيه من المعاصي، وهو النَّفس الأمارة بالسُّوء.

قلتُ: (لِأَنَّ الوُجُوْد لَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِه أَبَداً؛ بَلْ إِلَى رَبِّه، كَمَا أَنَّ المَاهِيَّةَ لَا تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا أَبَداً؛ بَلْ تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهَا).

أقول: يعني أنَّ الوجود أثر وصفة، والأثر والصِّفة لا تتحقق -ولو في النَّقل- إلَّا تابعاً متقوِّماً بغيره، بخلاف الماهيَّة؛ فإنها هي هوية الشيء

---

(١) عن ابن عباس أنه قال، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اتَّقُوْا فِرَاسَةَ المُؤْمِن؛ فَإِنَّه يَنْظُر بِنُوْرِ اللهِ، قال؛ فقلت: يا أمير المؤمنين! كيف ينظر بنور الله عزّ وجلّ؟!.
قال عليه السلام: لِأَنَّا خُلِقْنَا مِنْ نُوْرِ اللهِ، وَخُلِقَ شِيْعَتُنَا مِنْ شُعَاعِ نُوْرِنَا؛ فَهُم أَصْفِيَاء أَبْرَار، أَطْهَار مُتَوَسِّمُوْن، نُوْرُهُم يُضِيءُ عَلَى مَنْ سِوَاهُم، كَالبَدْرِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاء»[بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢١].

من حيث هو، فهي لا تعقل إلا مستقلة، ولهذا قيل: إنها عدميَّة الأصل؛ ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1].

وقد أشار الصَّادق عليه السلام إلى هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[2]، قال عليه السلام: «الظَّالِم؛ مَنْ يَحُوْم حَوْلَ نَفْسِه، وَالْمُقْتَصِد؛ يَحُوْم حَوْلَ قَلْبِه، وَالسَّابِق؛ يَحُوْمُ حَوْلَ رَبِّه»[3].

فالأول في هذا الحديث: العامل بمقتضى ماهيَّته، فإنَّها ناظرة إلى نفسها لا غير.

والثَّاني فيه: العامل بعقله، فإنَّه بمقتضاه ناظر إلى قلبه لا غير.

والثَّالث فيه: العامل بفؤاده ووجوده، فإنَّه بمقتضاه ناظر إلى ربِّه لا غير.

---

(١) اقتباسٌ من سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٣) عن أبي عبد الله العلوي، بإسناد متَّصل إلى الصَّادق جعفر بن محمد عليه السلام، أنَّه سُئل عن قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[سورة فاطر، الآية:٣٢]، فقال: «الظَّالِم يَحُوْم حَوْمَ نَفْسِهِ، وَالْمُقْتَصِد يَحُوْم حَوْم قَلْبِه، وَالسَّابِق يَحُوْم حَوْم رَبِّه عز وجل» [معاني الأخبار، ص: ١٠٤. بحار الأنوار، ج: ٢٣، ص: ٢١٤].

۞[شرط دليل الحكمة]:

قلتُ: (أمَّا شَرْطُهُ: فَأَنْ تُنْصِفَ رَبَّكَ؛ لِأَنَّكَ حِيْنَ تَنْظُرُ بِدَلِيْلِ الحِكْمَةِ أَنْتَ تُحَاكِمُ رَبَّكَ، وَهْوَ يُحَاكِمُكَ إِلَى فُؤَادِكَ، كَمَا قَالَ سَيِّدُ الوَصِيِّيْن عليه السلام: «لَا تُحِيْطُ بِهِ الأَوْهَام، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا»[1]).

أقول: والمراد من شرط دليل الحكمة؛ ما يتوقَّف عليه فتح باب النُّور على فؤادك، لأنَّك إذا لم تنصف ربَّك؛ لم يفتح باب النُّور والبصيرة، مثلاً هو تعالى قال: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾[2]، وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[3]، يعني: أنَّ الشيطان يدعوكم إلى النَّار، والله يدعوكم إلى الجنة والمغفرة بإذنه، فإذا بيَّن لك في نفسك شيئاً حقاً، فالله تعالى يحاكمك عند نفسك ويقول: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[4].

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٦١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٣) سورة يس، الآية: ٦٠-٦١.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٥.

فإنْ قبلتَ منه؛ فتح لك باب النُّور والهدى، وإن لم تقبل منه، واتَّبعت شهوة نفسك، أو ما تعوَّدت به نفسك، أو مَا يُطابق قواعدك وهي بخلاف ما ظهر لك؛ لم تنصف ربك، فإذا لم تنصفه بعد ما بيّن لك من الحقِّ في نفسك، حجب عنك نور الهدى والفهم، فلم تنتفع بما ظهر لك في نفسك.

فشرطه: أنْ تُنصف ربَّك، بأن تتَّبع ما بيَّن لك من الحق.

ومعنى قول أمير المؤمنين: **«بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا»**، يعني: أنَّه سُبحانه لا يظهر بذاته لخلقه، وإلَّا لتغيَّرت أحواله، فإنَّه لم يظهر ثم ظهر، ومتغير الأحوال حادث، وإنما يظهر للشيء بصنعه له، فإذا وجد المصنوع، ونظر في نفسه أنَّه مصنوع؛ عرف أنَّ له صَانعاً، فقد ظهر له به.

ومعنى قَوْله: **«وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا»**، أنَّه تَعالى لَمَّا خلقها وَجَب أنْ تظهر متلبِّسة بصورة المصنوعيَّة؛ من التَّركيب والتَّأليف، والحاجة والعجز، فإذا كانت كذلك؛ لا تعرف إلَّا ما هي عليه، فلا تعرف إلَّا ما كان مثلها، فكان وجودها حجاباً لها عن إدراك كنه عزَّته.

قلتُ: (فَرَبُّكَ يُخَاصِمُكَ عِنْدَكَ).

أقول: يَعني أنَّه تعالى يُقيم عليك الحجَّة في نفسك، حتى تعرف في نفسك صحة ما يُريد منك، فإنْ أجبته، وأقررت بما عرَّفك إقراراً لا بخصوص اللسان، بل باللسان في الأقوال، وبالجنان في الاعتقادات، وبالأركان في الأعمال؛ فقد أنصفت ربَّك، وحينئذٍ ينفعك استدلالك

بدليل الحكمة، حتى تصل به إلى عالم الأنوار، وتقف به على خفايا الأسرار، وإلَّا فلا.

قلتُ: (**فَزِنْ بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيْمِ، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيْلاً﴾**[1]).

أقول: يعني أنك تجتهد بدليل الحكمة في النَّظر في الآفاق وفي الأنفس، مع اجتهادك في إخلاص النِّية في العلم والعمل، ولا تسامح في كثير ولا قليل.

قلتُ: (**وَتَقِفُ عِنْدَ بَيَانِكَ وَتَبَيُّنِكَ وَتَبْيِيْنِكَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾**[2]).

أقول: إنَّك تقف عند بيانك، أي: عندما أثبتَّ لنفسك من البيان، في معارفك واعتقاداتك.

وعند تبيُّنك، أي: عند تحصيلك البيان، وطلبك له.

وعند تبْيِينك، أي: عند تبيينك لغيرك ما خفي عليه.

تقف عند ذلك كلِّه، أي: تكون حينئذٍ ذاكراً لقوله تعالى: **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾**[3]؛ ليكون ذلك زاجراً لك عن القول على

---

(١) مقتبس من قوله تعالى: **﴿وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**.[سورة الإسراء، الآية: ٣٥].

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

الله بغير علم، فإنَّك مسؤول عمَّا سمعته أذنك، ورأته عينك، ووَعاه فؤادك.

قلتُ: (**وَتَنْظُر فِي تِلْكَ الأَحْوَالِ كُلِّهَا بِعَيـــنِه تَعَالَى، لَا بِعَيْنِكَ؛ لِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحـــاً إِنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْــلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾**[1]).

أقول: تنظر في تقدير معارفك على حسب احتمالك، واحتمال من تعلمه، وفي استماعك وإبصارك وإفهامك، فيما لك ولغيرك؛ تنظر في تلك الأمور كلِّها بعينه تعالى، أي: بالعَين الَّتي هي وصف نفسه لك. أعني: وجودك من حيث كونه أثراً ونوراً، وهو حالة معرفتك لنفسك، إذا كشفت عنها جميع السُّبحات من غير إشارة، فإنها حينئذٍ عينٌ من الله سُبحانه أعارك إياها؛ لتعرفه بها، إذ لا يعرف إلا بها، لا بعينك التي هي أنت من حيث أنك أنت أنت، فإنَّك لا تعرف بهذه العين إلا الحادثات، المحتاجة الفانية.

فلا تمش في أرض قابليتك من حيث هي هي، فإنَّه هو المشي المرح؛ لأنه مشيٌ في ظلمة الماهية، فإنَّك حينئذٍ عَاجزٌ ذليل، ليس لك قدرة على حال ولا استقلال، فلا تقدر على أن تثقب الأرض؛ فتتصرَّف فيها بنوريَّتك، الَّتي من ذاتك، إذ لا نوريَّة لك إلَّا من عطاء الله، الَّذي لا يناله إلا الخاشعون العابدون، ولا على أن تبلغ طول الجبال من نفسك كذلك.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

قلتُ: (**فَهَذَا نَمَطُ دَلِيْلِ الحِكْمَةِ**).

أقول: يعني أنَّ هذه الوصية؛ بأنَّك لا تتساهل في تحقيق الأشياء، بل تزنها بالقسطاس المستقيم، ولا تتَّبع فيه ما ليس لك علم، فلا تقل: (سمعتُ). ولم تسمع، أو (رأيتُ). ولم ترَ، أو (فهمتُ). ولم تفهم، و[نحو] ذلك، فإنَّك مسؤول عن ذلك كلِّه، وإذا أدركت شيئاً، فلا تنسب شيئاً من ذلك إلى نفسك؛ إذ لا حول لك ولا قوة إلَّا بالله، فإنَّ هذه وأمثالها من نوع دليل الحكمة.

[دليل الموعظة الحسنة]

قلتُ: (وَأَمَّا دَلِيْلُ المَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ؛ فَهُوَ آلَةٌ لِعِلْمِ الطَّرِيْقَةِ، وَتَهْذِيْبِ الأَخْلَاقِ، وَعِلْمِ اليَقِيْنِ وَالتَّقْوَى).

۞[آلية دليل الموعظة الحسنة]:

أقول: وذلك لأنّه طريق الاحتياط، وما منه السَّلامة والنَّجاة والظفر بالمطلوب.

وعلم الطَّريقة، أي: علم طريق السلوك العملي، الذي هو روح السُّلوك العلمي، وذلك بمعرفة تهذيب الأخلاق، والظَّفر بالمطلوب؛ من تعديل أحوال النَّفس، بأنْ تعرف التَّخلُّق بأخلاق الله، وتتخلَّق بها، على نحو ما تخلَّق بها الرَّوحانيون؛ من الدَّوام عليها، والملازمة لها بالأعمال والآداب[1]، بامتثال أخلاق الله؛ من دوام الذِّكر، وعدم الغفلة عنه تعالى، وتجنُّب ما فيه الضَّرر، كالأخلاق الذَّميمة؛ من الطَّمع والحرص، والبُخل

---

(١) في بعض النُّسخ: (بالأعمال والأداء).

والشُّح، والسَّرف والتبذير، والجبن والتَّهور، والبلادة والجربزة[1]...وأمثال ذلك.

وعلم اليقين: الاستقامة على الطَّاعات، والأعمال الصَّالحات، والتَّقوى والزُّهد، حتى تتخلَّق بأخلاق الرَّوحانيين، وأنفع الأشياء لتحصيل هذه وأمثالها؛ دليل الموعظة الحسنة.

قلتُ: **(وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ العُلُوْمُ تُسْتَفَادُ مِنْ غَيْرِهِ).**

أقول: يَعني أنَّ علم اليقين والتَّقوى، وتهذيب الأخلاق؛ قد تستفاد من غير هذا الدَّليل، الذي هو دليل الموعظة الحسنة.

قلتُ: **(وَلَكِنْ بِدُوْنِ مُلَاحَظَةِ هَذَا الدَّلِيْل لَا تَقِفْ عَلَى اليَقِيْن؛ لِأَنَّه أَقَلُّ مَا قَسَّمَ اللهُ عَلَى العِبَادِ).**

أقول: يَعني أنَّ اليقين والاطمئنان، الَّذي هو أصل علم الأخلاق، لا يكاد يتحقَّق إلَّا بهذا الدَّليل؛ لأنَّه باعثٌ إلى العمل، ومانع من الشَّك والرَّيب، فلا بدَّ في حصول اليقين من ملاحظة هذا الدَّليل.

---

(١) جربز الرجل: ذهب، أو انقبض.[القاموس المحيط، ج: ٢، ص: ١٦٨]. ويُقال: (رجل جربز بين الجربزة)، أي: خبث، خبيث. [تاج العروس، ج: ٤، ص: ١٤].
وقال ابن ميثم البحراني: (الحكمة محتوشة برذيلتين:
أحدهما: البله، وهو جانب التفريط منها، ونعني به تعطيل القوة الفكرية واطراحها.
الثاني: السفه، وهو طرف الإفراط منها، ونعني به استعمال تلك القـوة فيمـا لا ينبغي، وتسمى (الجربزة)..).[شرح مئة كلمة، ص: ٢٣].

۞[مستند دليل المَوعظة الحسنة]:

قلتُ: (**وَمُسْتَنَدُهُ؛ القَلْبُ وَالنَّقْلُ**).

أقول: يعني أنَّ منشأه -المرتَّب لَه والمقوِّم لأركانه- القلب؛ لأنَّه مقر اليقين، ودليل الموعظة الحسنة، ثمرته اليقين.

والنَّقل: هو الكتاب والسُّنة؛ لأنَّهما مستند كلِّ شيء، ومبدأ كلِّ خير.

۞[شرط دليل الموعظة الحسنة]:

قلتُ: (**وَشَرْطُهُ إِنْصَافُ عَقْلِكَ. بِمَعْنَى: أَنْ لَا تَظْلِمَهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وَمَا يُرِيْدُ مِنْكَ مِنَ الحَقِّ**).

أقول: يَعني أنَّ شَرط صحَّته وصحَّة الانتفاع به، وتمام تأثيره؛ إنصاف عقلك، بمعنى: أنَّه إذا ورد عليك هذا الدَّليل، فإنَّ مفاده الحق والنَّجاة والاحتياط، والعقل يحكم عليك بما يقتضي أمثال ذلك، فإنْ أنصفته؛ أطعت عقلك، بأن تلتزم ما ألزمك به من هذا الدَّليل؛ لِمَا بينهما من كمال المجانسة والاتحاد.

ولَمَّا كان العقل أشدُّ الأشياء صداقة ونُصحاً؛ كان مُستحقّاً للقبول منه، فإذا لم تقبل منه، فقد ظلمته ما يستحقه.

[مثال دليل الموعظة الحسنة]:

قلتُ: (وَمثالُهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

وَكَقَوْلِ الصَّادقِ عليه السلام لِعَبْدِ الكَرِيْمِ ابْنِ أَبِي العَوْجَاء حِيْنَ أَنْكَرَ عَلَى الطَّائفِيْن بِالبَيْتِ الحَرَام، قَالَ -مَا مَعْنَاهُ-: «إِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَقُوْلُوْنَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُوْلُوْنَ؛ فَأَنْتُمْ وَهُمْ سَوَاء، وَإِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا يَقُوْلُوْنَ، وَهْوَكَمَا يَقُوْلُوْنَ؛ فَقَدْ نَجَوْا وَهَلَكْتُمْ»[٣]).

---

(١) سورة فصِّلت، الآية:٥٢.

(٢) سورة الأحقاف، الآية:١٠.

(٣) ورد نصُّ هذه الرواية في خبرٍ طويل جدّاً، نذكر هنا قسماً منها إتماماً للفائدة؛ فعَنْ أَبِي مَنْصُورٍ الْمُتَطَبِّبِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: تَرَوْنَ هَذَا الْخَلْقَ -وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعِ الطَّوَافِ- مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أُوجِبُ لَهُ اسْمَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْجَالِسُ -يَعْنِي: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام- فَأَمَّا الْبَاقُونَ فَرَعَاعٌ وَبَهَائِمُ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَكَيْفَ أَوْجَبْتَ هَذَا الِاسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ؟.

قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَهُمْ.

←...

أقول: هذا وأمثاله من نوع هذا الدَّليل المشار إليه.

←...
فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاء: لَا بُدَّ مِن اخْتِبَارِ مَا قُلْتَ فيه منْهُ.
قَالَ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقفعِ: لَا تَفعَلْ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ.
فَقَالَ: لَيْسَ ذَا رَأْيَكَ، وَلَكِنْ تخَافُ أَنْ يَضْعُفَ رَأْيُكَ عِنْدِي، فِي إِحْلَالِكَ إِيَّاهُ الْمَحَلَّ الَّذي وَصَفْتَ.
فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: أَمَّا إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ هَذَا فَقُمْ إِلَيْه، وَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الزَّلَلِ، وَلَا تَثْنِي عِنَانَكَ إِلَى اسْتِرْسَال؛ فَيُسَلِّمَكَ إِلَى عِقَالٍ، وَسِمْهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ.
قَالَ؛ فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَبَقِيتُ أَنَا وَابْنُ الْمُقَفَّعِ جَالِسَيْنِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْنَا ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَالَ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْمُقَفَّعِ! مَا هَذَا بِبَشَرٍ، وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِيٌّ يَتَجَسَّدُ، إِذَا شَاءَ ظَاهِراً، وَيَتَرَوَّحُ إِذَا شَاءَ بَاطِناً، فَهُوَ هَذَا.
فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟.
قَالَ: جَلَسْتُ إِلَيْه، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي ابْتَدَأَنِي فَقَالَ: «**إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ، وَهُوَ عَلَى مَا يَقُولُونَ** -يَعْنِي: **أَهْلَ الطَّوَافِ- فَقَدْ سَلِمُوا وَعَطِبْتُمْ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَقُولُونَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ فَقَد اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ**».
فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَيَّ شَيْءٍ نَقُولُ، وَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُونَ، مَا قَوْلِي وَقَوْلُهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ.
فَقَالَ: «**وَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ وَاحِداً؛ وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ لَهُمْ مَعَاداً وَثَوَاباً وَعِقَاباً، وَيَدِينُونَ بِأَنَّ فِي السَّمَاءِ إِلَهاً، وَأَنَّهَا عُمْرَانٌ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ خَرَابٌ، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ...**». [الكافي، ج: ١، ص: ٧٤-٧٥. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٤٢].

وهذا قلتُ: (فَهَذَا نَمَطُ دَلِيْلِ المَوْعِظَةِ الحَسَنَة).

أقول: إنَّما مثَّلتُ بهذه الآيات؛ ليعرف هذا النَّمط، وهو كثير الأصناف في الاحتجاجات.

[دليل المجادلة بالتي هي أحسن]

قلتُ: (وَأَمَّا دَلِيْلُ المُجَادَلَة بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن).

۞[دليل المجادلة؛ رتبته وخصائصه]:

أقول: أمَّا دليل المجادلة بالتي هي أحسن؛ فهو مشهور معروف بين العلماء، بل ربما يُقال أنَّ الدليل منحصرٌ فيه؛ لأنَّه محل المناقشات والمعارضات.

وأمَّا الدليلان الأوَّلان، فليس فيهما مناقشة ولا معارضة؛ لأنَّه لو استدل شخصٌ بأحد الدليلين الأوَّلين، وعارض فيه شخصٌ آخر؛ كانت المعارضة فيه ليست منه، وإنما هي من دليل المجادلة بالَّتي هي أحسن؛ لأنَّه لَّما كان مَبنياً على المقدِّمات، وفيها حملٌ بالمتعارف الشايع وحملٌ أوَّلي، ومعانيها منها مفاهيم، ومنها معاني، ومنها مصاديق، ومنها معان مصدريَّة، ومنها لغويَّة، ومنها اصطلاحية، ومنها مدلولات، فيحصل في كثير من القضايا الاشتباه لبعضها ببعض.

على أنَّ تلك النِّسب إنما تترتَّب على حَسَب أفهامهم، وأفهامهم مختلفة، فترد فيها الإشكالات والإشتباهات؛ بخلاف الدَّليلين الأولين؛ فإنهما لم يبنيا على شيء من ذلك، فإذا اعترض عليهما معترض، فقد اعترض فيهما بغيرهما.

۞[دليل المجادلة: طبيعة آلته وغايته]:

قلتُ: (**فَهْوَ آلَةٌ لِعِلْمِ الشَّرِيْعَة**).

أقول: يعني أنَّ هذا في الغالب أعظم منفعة في الأحكام الشرعيَّة الفرعية، والأصل في ذلك أنَّ العلوم النافعة ثلاثة؛ كما في الحديث النبوي ﷺ: «**آيَةٌ مُحْكَمَة، وَفَرِيْضَةٌ عَادِلَة، وَسُنَّةٌ قَائِمَة؛ وَمَا خَلَا ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ**»[1].

والأدلة ثلاثة كمَا مر، ومعلوم عند أهل العلم العياني أنَّ دليل الحكمة للآية المحكمة، أي: علم التَّوحيد وما يلحق به.

ودليل الموعظة الحسنة للفريضة العادلة، أي: علم الأخلاق وتهذيب النَّفس.

ودليل المجادلة بالتي هي أحسن للسُّنة القائمة، أي: علم الشَّريعة؛ ولأجل هذا أشرت إلى التَّوزيع بأن يكون كل دليل لعلم من العلوم الثلاثة.

---

(١) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُـنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ**»[الكافي، ج: ١، ص: ٣٢. وسـائل الـشيعة، ج: ١٧، ص: ٣٢٧. بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٢١١. عـوالي الـلآلي، ج: ٤، ص: ٧٩. منية المريد، ص: ١١٣].

۞[مستند دليل المجادلة بالتي هي أحسن]:

قلتُ: (وَمُسْتَنَدُهُ؛ العِلْمُ وَالنَّقْلُ).

أقول: أيّ؛ منشأ هَذا الدَّليل (العلم)، أعني: حصول المعلوم به أو بصورته، وهو عبارة عن المكتوب في النَّفس، كما أنَّ اليقين عبارة عن المجموع في القلب من المعاني اليقينية، وأنَّ المعرفة عبارة عن انجلاء نور المعرفة في الفؤاد، على نحو ما أشرنا إليه، ويأتي -إن شاء الله- كثيرٌ من بيان ذلك.

۞[شرط دليل المجادلة بالتي هي أحسن]:

قلتُ: (وَشَرْطُهُ؛ إِنْصَافُ الخَصْمِ).

أقول: بأنْ يُقيم الدَّليل على النَّحو المقرَّر في علم الميزان، وقد ذكره العلماء في كتبهم الأصوليَّة والفروعية، بل لا يكاد يسمع منهم غير هذا الدَّليل.

ولو قرَّر على خصمه في إقامة الدَّليل على المدَّعى أو على إبطال دعوى خصمه بنوع من المغالطات؛ فقد ظلم الخصم، وإنْ كان مبطلاً في دعواه، ولا تكون المجادلة بالتي هي أحسن؛ بل تكون بالتي هي أسوأ.

ولهذا قلتُ: (وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ المُجَادَلَةُ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنْ) .

۞[مثال دليل المجادلة بالتي هي أحسن]:

[قلتُ]: (وَهْوَ مِثْلُ مَا قَرَّرَهُ أَهْلُ المَنْطِقِ؛ مِنَ المُقَدِّمَاتِ وَكَيْفِيَّةِ الدَّلِيْلِ، وَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الأُصُوْلِ وَغَيْرِهِمْ؛ مِنَ الأَدِلَّةِ وَكَيْفِيَّةِ الاسْتِدْلَالِ، عَلَى نَحْوٍ لَا يَكُوْنُ فِيْهِ إِنْكَارُ حَقٍّ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ خَصْمِكَ المُبْطِلْ فِيْ مَطْلَبِهِ، وَلَا اسْتِدْلَالٌ بِبَاطِلٍ عَلَى حَقٍّ، وَلَا عَلَى إِبْطَالِ بَاطِلِ.

وَلَا يَحْتَاجُ هَذَا إِلَى تَمْثِيْلٍ؛ لِأَنَّ الكُتُبَ مَشْحُوْنَةٌ بِهِ، بَلْ لَا تَكَادُ تَجِدُ غَيْرَهُ إِلَّا نَادِراً، وَذَلِكَ لِضَعْفِ المُسْتَدِلِّيْنَ وَالمُسْتَدَلُّ لَهُمْ وَعَلَيْهِمِ، وَلَكِنْ لَا تَغْفَلِ عَنْ أَخْذِ حَظٍّ مِنْ دَلِيْلِ المَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، فَإِنَّهُ بِشَرْطِ طَرِيْقِ السَّلَامَةِ وَالرَّاحَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّجَاةِ فِي الآخِرَةِ.

وَهَذَا إِذَا لَمْ تَنَلْ دَلِيْلَ الحِكْمَةِ؛ وَإِلَّا فَخُذْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ، فَـ"لَيْسَ وَرَاءَ عَبَّادَانِ قَرْيَةٌ"[1]، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَحْفَظُ لَكَ وَعَلَيْكَ).

أقول: وهذه الكلمات معناها ظاهر.

---

(١) **عبَّادان** -على صيغة التثنية-: بلدٌ على بحر فارس بقرب البصرة شرقاً.

وعن الصنعاني أنَّ عَبَّادان: جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة. [مجمع البحرين، ج: ٣، ص: ٩٢]، وقال ابن نجم المصري: (عبادان: حصن صغير على شط البحر، وفي المثل: (ما وراء عبَّادان قرية).[البحر الرائق، ج: ٥، ص: ١٧٧]، وهذا المثل: يُضرب للشيء الذي ليس بعده غيره.

شرح

الفائدة الثانية

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ الوُجُوْد
وَالإِشَارَةَ إِلَى القِسْمِ الأَوَّل



قلتُ:

(الفَائِدَةُ الثَّانِيَة
فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ الوُجُوْد،[وَالإِشَارَة إِلَى القِسْمِ الأَوَّل])

أقول: يعني في بيان تقسيم ما يُسمَّى بهذا الاسم عند الطَّالبين؛ لمطلق معرفته، وبيان رسمه، سواءً كان لذاته أو لعنوانه.

قلتُ: (اعْلَم أَنَّ الَّذِي يُعَبَّر عَنْهُ عِنْدَ طَلَبِ مَعْرِفَتِهِ بالوُجُوْد).

أقول: يعني إذا أريد رسمه بشيء يعرف به عند الطلب، سواء كان بحدِّه أو برسمه، أم بتعريف عنوانه، كما في الواجب؛ لأنَّه المجهول المطلق، والواجب الحق، ولا يُعرف إلَّا بما وصف به نفسه، وإذا وصف نفسه؛ كان ذلك الوصف من جملة مخلوقاته، وهو تعالى لا يُعرف بمخلوقاته، ولا بشيء من صفاتهم.

۞[أقسام الوجود، ووجه الحصر]:

قلتُ: (ثَلَاثَة أَقْسَام).

أقول: وجه الحصر في الثَّلاثة؛ أنَّ الشيء إمَّا صانع أو صُنْع أو مصنوع، فالصَّانع؛ هو الواجب تعالى. والصُّنع؛ فعله. والمصنوع؛ ما سوى الله سُبحانه من مصنوعاته.

۞[القسم الأول: الوجود الحق، الذي ليس كمثله شيء]:

قلتُ: (**الأَوَّل: الوُجُوْدُ الحَقّ**).

أقول: نعني بالوجود الحق: الوجود الواجب، المقدَّس عن كلِّ ما سواه، ومن جملة ما هو مقدَّس عنه إطلاق العبارة عليه، فإذا أطلقت عليه العبارة تقع على العنوان، أعني: الـدَّليل عليه، وهو ما أُوجده الله تعالى من وصفه لعباده، وهو -أي: ذلك العنوان الَّذي هو الوصف- ليس كمثله شيء: ولهذا يُعرف به أنَّه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[1]، ولو كان لذلك الوصف الذي يعرف به مثل: لكان يُعرف الله بأنَّ له مثلاً.

فإن قُلتَ: قد قال عليٌّ عليه السلام: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ: فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه**»[2]، وعلى قولكم: يلزم أن يكون النَّفس ليس كمثلها شيء، وهو خلاف المعروف من مذهب أهل الإسلام.

قلتُ: إنَّما يعرف الله سبحانه بمعرفة النَّفس، إذا جُرِّدت عن جميع السُّبحات: حتَّى عن التَّجريد، كما قال عليه السلام: «**كَشْفُ سُبُحَاتِ الجَلَالِ مِنْ غَيْرِ إِشَارَة**»[3]، ولا شك إنها حينئذٍ ليس كمثلها شيء:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ١٥٦. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٨، ص: ٩٩٢.

(٣) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وَص: ١٧٠.

لأنَّك تجردها عن كل شيء، حتى من المماثلة لشيء من الأشياء، وحينئذٍ تكون ليس كمثلها شيء، فإنها حينئذٍ تكون آية معرفته، فإذا عرفت الله بها؛ عرفت أنَّه ليس كمثله شيء.

فافهم هذا؛ ولا تفهم من هذا الكلام ما فهمه الصُّوفية، فإنهم يقولون: إذا جرَّدتها هكذا فهي الله. ولهذا يقول قائلهم: "أنا الله بلا أنا".

وهذا كفرٌ صريحٌ، ولكن إذا جرَّدتها؛ تكون آية الله وعلامة معرفته، كما قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[1]، ولم يقل: سنريهم ذاتنا، فافهم واعتبر.

۞[لا يُدرَكُ الواجبُ بصفاتِ خلقه]:

قلتُ: (**وَهَذَا الوُجُوْدُ؛ لَا يُدْرَكُ بِعُمُوْمٍ وَلَا خُصُوْصٍ، وَلَا إِطْلَاقٍ وَلَا تَقْيِيْدٍ**).

أقول: يعني هذا الوجود الحق تعالى؛ لا يَعرفه أحد ممن سواه من نحو ذاته، وإنَّما يعرف بما وصف به نفسه، وهو قد وصف نفسه بما يدل عليه، وكل ما فيه جهة من صفات الخلق، لا يعرف به؛ فلا يصف به نفسه.

وممَّا فيه جهة من صفات الخلق ما ذكرناه هنا؛ وهو العموم: وهو اشتمال لفظٍ أو معنى لأفراد غير متناهية، يكون كل فرد منها مصداقاً

---

(١) سورة فصِّلت، الآية: ٥٣.

لذلك العام، المنْتشر على جهة البدلية، من غير تعيين أو بتعيين قيود ومشخصات.

والخصوص: وهو بعكس العموم، وهما من أحوال الخلق.

والإطلاق: وهو أن يكون للشيء اعتباران:

اعتبار لذاته بشرط لا شيء.

واعتبار لِمَا يلحقه بشرط شيء، وهو التَّقييد.

فالعموم: فردٌ لَه بالاعتبار الأوَّل، والخصوص: فردٌ لَه بالاعتبار الثَّاني.

والأحوال الأربعة كلّها جهات الخلق وصفاهم، كلها مستلزم للتركيب؛ بالقوة أو بالفعل.

قلتُ: (**وَلَا كُلّ وَلَا كُلِّيّ، وَلَا جُزْء وَلَا جُزْئِي**).

أقول: لأنَّ الكلَّ لَه بعض، والجزء بعضٌ منه، والكلِّي له أفراد متعدِّدة يوجد فيها، والجزئي فرد منها، وكلّها صفات الخلق، لا يُعرف بها الخالق تعالى؛ لأنَّه هو سنَّها وأبداها وأجراها، ولا يجري عليه ما هو أجراه.

قلتُ: (**وَلَا بِمَعْنَى وَلَا لَفْظ، وَلَا كَمّ وَلَا كَيْف، وَلَا رُتْبَة وَلَا جِهَة**).

أقول: يعني ولا يُعرف تعالى **بمعنى**؛ لأنَّ المعنى ما وُضع اللَّفظ بإزائه، أوما تولَّد من دلالته، أو حلَّ في المدرِكة.

فالأوَّل: يلزمه الاقتران باللَّفظ.

والثّاني: يلزمه، مع كونه[1] كان ناشيئاً من اللّفظ وهو المفهوم؛ كما قال الرِّضا عليه السلام: «..**لَأَنَّهُ لَا يُؤَلّف شَيء مِنْ ثَلَاثَة أَحْرُف أَوْ أَرْبَعَة أَحْرُفٍ، أَوْ أَكْثَر أَوْ أَقَلّ؛ إلَّا لِمَعْنَىً مُحْدَث لَمْ يَكُنْ قَبلَ ذَلِك..**»[2]، فالمعنى المفهوم متولّد من دلالة اللفظ، كما حُقِّق في محلّه.

والثّالث: المجرَّد الذاتي الحال في الدَّهر، والحال العرضي الحال في العقل، فالأوَّل مقترن باللفظ، والثاني متولد منه، والثالث الجوهري والعرضي الدّهريّان.

والاقتران والتّولد والحلول صفَات الحوادث، ولا يُعرف بها إلّا الحادث.

---

(١) في بعض النُّسخ: (مع ذلك).

(٢) مقطوعة من مناظرات الإمام الرِّضا علي بن موسى (صلوات الله عليه) واحتجاجه على أرباب الملل المختلفة، والأديان المتشتتة في مجلس المأمون، قال عليه السلام: «..**وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَابِقٌ لِلإِبْدَاعِ؛ لأَنَّه لَيْسَ قَبْلَهُ عزّ وجلّ شَيء، وَلَا كَانَ مَعَهُ شَيء، وَالإِبْدَاعُ سَابِقٌ لِلحُرُوْفِ، وَالحُرُوْف لَا تَدلُّ عَلَى غَيْرِ نَفْسِهَا.**

قال المأمون: وكيف لا تدل على غير نفسها؟.

قال الرِّضا عليه السلام: **لأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَجْمَع مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ مَعْنَى أَبداً، فَإِذَا أَلَّفَ مِنْهَا أَحْرُفاً أَرْبَعَة، أَوْ خَمْسَة أَوْ سِتَّة، أَوْ أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَقَلّ؛ لَمْ يُؤَلِّفْهَا لِغَيْرِ مَعْنى، وَلَمْ يَك إِلَّا لِمَعْنَى مُحْدَث، لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئاً..**».[التَّوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٥].

ولا يُعرف **بلفظ**؛ لأنَّ اللفظ مؤلَّف من الحروف والأصوات المسموعة(١)، والكلُّ حادث.

والكمُّ: مقدار متصل أو منفصل أو مقداري؛ كالموزونة والمكيلة، والمعدودة والممسوحة، وكلُّها حادث.

والكيف: كالهيئات والألوان، وهي حادثة مفتقرة إلى الحوادث.

والرُّتبة: نسبة المسافة من المنتسبين.

والجهة: مقصد الطالب من ناحية المطلوب، سواءً كانت من الجهات السِّت الشُّهودية؛ الَّتي هي متعلق الإشارة الحسِّية، أم من الجهات الغيبية؛ الَّتي هي متعلق الإشارة الخيالية أو العقلية، وكلُّ ذلك صفَات الحادثات.

قلتُ: (**وَلَا وَضْعٍ وَلَا إِضَافَةٍ، وَلَا نِسْبَةٍ وَلَا ارْتِبَاطٍ**).

أقول: الوضع -بمعانيه الثَّلاثة- حادثٌ؛ لافتقاره إلى الحوادث.

فالأوَّل: في البسيط كالمحلِّ للجوهر البسيط المجرَّد، والجوهر الفرد.

والثَّاني: ترتب أجزاء الشَّيء بين بعضها إلى بعض.

والثَّالث: ترتب أجزاء الشيء بينها وبين الأجزاء الخارجة عنه.

والإضافة: فيما يتوقف تحقُّقه على ما يتوقَّف تحقُّقه عليه، على نحو المعيَّة والتَّساوق، الَّذي به التحاوي؛ كالأبوَّة والبنوَّة، وظهور الكسر والانكسار.

---

(١) في بعض النُّسخ: (الأصوات المصنوعة).

والنِّسبة: هي اعتبار حال الشيء في جهة شيء، سواء كان على جهة اللُّزوم أو الاتفاق، وسواء تحقَّق اللُّزوم من الطرفين أم من أحدهما، وسواء كان ذلك الاعتبار الذَّاتي كل من المنتسبين أم لعرضيِّهما، أم لذاتيِّ أحدهما وعرضي الآخر.

والارتباط: مطلق التَّعلق من الطَّرفين أو من أحدهما.

وكلُّ ذلك من صفات الخلق، الَّتي لا تعتبر إلَّا في الحادث؛ لإستلزامها التركيب والاحتياج.

قلتُ: ﴿**وَلَا فِيْ وَقْتٍ وَلَا فِيْ مَكَانٍ، وَلَا عَلَى شَيْءٍ وَلَا فِي شَيْءٍ، وَلَا فِيْهِ شَيْءٍ وَلَا مِنْ شَيْءٍ، وَلَا لِشَيْءٍ وَلَا كَشَيْءٍ، وَلَا عَنْ شَيْءٍ**﴾.

أقول: يعني هو تعالى **لا يُعرف بأنَّه في وقت ولا في مكان**؛ وإلَّا لكان محصوراً فيهما.

ولا على شيء؛ وإلَّا لكان محمولاً، وحامله أقوى منه.

ولا في شيء؛ وإلَّا لكان ذلك الشَّيء محيطاً به.

ولا فيه شيء؛ وإلَّا لكان محلاً لغيره، وغيره حادث، ومحلُّ الحادث حادث.

ولا من شيء؛ وإلَّا لكان مولوداً.

ولا لشيء؛ وإلَّا لكان معلَّلاً ومسبوقاً.

ولا كشيء؛ وإلَّا لكان شبيهاً لغيره.

ولا عن شيء؛ وإلَّا لكان متجاوزاً عنه، منتقلاً زائلاً.

وكلُّ ذلك من صفات مخلوقاته.

قلتُ: (وَلَا بِلُطْف وَلَا بغلْظ، وَلَا اسْتدْارَة وَلَا امْتدَاد، وَلَا حَرَكَة وَلَا سُكُوْنٍ، وَلَا اسْتِضَاءَة وَلَا ظُلْمَة، وَلَا بِانْتِقَال وَلَا بِمَكْث، وَلَا تَغْيُّر وَلَا زَوَال).

أقول: إنه تَعالى أيضاً **لا يُعرف بلطف،** أي؛ رقّة ودقة ونعومة، وما أشبه ذلك؛ فإنّها صفات الأجسام.

ولا بغلظ: وهو عكس اللُّطف.

ولا استدارة: كالدائرة والكرة.

ولا امتداد: وهو مطٌّ الشيء؛ ويكون في الذّات والأوقات[1]، والأمكنة والصِّفات، والأفعال والتأثيرات؛ أو ما أشبه ذلك.

ولا حركة ولا سكون: لأنهما من الأكوان الأربعة؛ الّتي تلزم الحادث.

ولا استضاءة ولا ظلمة: لأنهما من نوع الحركة والسُّكون المعنويين.

ولا انتقال: كالحركة أو ما يلزمها.

ولا بمكث: كالسكون أو ما يلزمه.

ولا تغيُّرٍ: من حال إلى حال.

ولا زوال: كالانتقال.

---

(١) في بعض النُّسخ: (في الذّوات والأوقات).

وكلُّ هذه أحوال الخلق وصفاهم، فلا يُعرف بشيء منها؛ وإلّا لعُرف بخلقه، فيكون مثلهم.

قلتُ: (وَلَا يُشَابِهُهُ شَيء، وَلَا يُخَالِفُهُ شَيء، وَلَا يُوَافِقُهُ شَيء، وَلَا يُعَادِلُهُ شَيء، وَلَا يَبْرُزُ مِنْ شَيء، وَلَا يَبْرُزُ مِنْهُ شَيء).

أقول: ولا يشابهه شيء[١]؛ وإلّا لكان حادثاً مثله.

ولا يخالفه شيء؛ وإلّا لما صدر عن فعله.

ولا يوافقه شيء؛ وإلّا لأشبهه في جهة الموافقة.

ولا يُعادله شيء؛ وإلّا لكان ندّاً له أو ضداً له، فيكون حادثاً.

ولا يبرز من شيء؛ وإلّا لكان مولوداً.

ولا يبرز منه شيء؛ وإلّا لكان والداً، ومن كان مولوداً كان مشاركاً، ومن كان مولوداً والداً كان مورثاً هالكاً[٢].

قلتُ: (وَكُلُّ صِفَةٍ أَوْ جِهَةٍ، أَوْ صُوْرَةٍ أَوْ مِثَالٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُمْكِنِ فَرْضُهُ أَوْ وُجُوْدُهُ، أَوْ تَمَيُّزُه أَوْ إِبْهَامُهُ؛ فَهْوَ غَيْرُهُ).

أقول: وكلُّ صفة أو جهة، أو صورة أو أمثال ذلك لا يُعرف بها؛ لأنها فروع وتوابع، ولو عُرِف [بها] [٣]؛ كان معروفاً بمتبوعيَّة غيره، وتابعيته لغيره تعالى عن ذلك.

---

(١) في بعض النُّسخ: (ولا يُشبهه شيء).

(٢) في بعض النُّسخ: (كان موروثاً هالكاً).

(٣) ما بين المعقوفتين ورد في بعض النُّسخ.

أو غير ذلك مما ذكر، **مِمَّا يمكن فرضه**؛ لأنَّه حادث، إذ ما يعرف بالممكن ممكن.

أو وجوده: أي ما يمكن وجوده؛ لأنَّ ممكن الوجود حادث.

أو تميزه؛ لأنَّ ما يتميَّز فقد أحاطت به حدود التَّميز[1]، وأحصته مدارك التعيين، فهو محدود معين، وكلّ محدود معين فهو حادث، تشخَّص بالمشخصات.

أو إبهامه؛ لأنَّ الإبهام طالب للتعيين والتميز، فهو محتمل الزِّيادة ومحتمل، الزِّيادة محتمل النقصان، فهو ممكن.

فهو غيره: أيّ كلُّ ما يلحقه الإمكان والفرض، والتَّمييز والإبهام لا يُعرف به؛ لأنَّها صفات الحوادث.

[لا يُعرَفُ بِغيْرِهِ، وَغَيْرهُ يُعرَفُ بِهِ]:

قلتُ: (وَلَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَا بِضِدِّهِ).

أقول: هو تعالى لا يُعرف بشيء مما ذكرنا من هذه الأوصاف؛ وإلَّا لكان مدركاً بها، والمدرك بغيره حادث.

ولا بغير المذكورات، مما يصدق عليها الغيرية؛ لأنَّها حدود الحوادث.

---

(١) في بعض النُّسخ: (أحاطت به صُور التَّمييز).

ولا بضد ذلك، وإلّا لكان حادثاً؛ لأنّ الغــيرية والضّدية صفات الخلق، كما يأتي.

قلتُ: (وَلَا يُعْرَفُ بِمَا هُوَ فِيْ سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَة، وَلَا طَرِيْق إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِوَجْهٍ، لَا بِنَفْيٍ وَلَا إِثْبَاتٍ، إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).

أقول: يعني لا يُعرف بإشارة وتلويحٍ، ورمز وتصريح وبيان، ولا طريقة إلى معرفته بوجه من الوجوه.

نعم.. يُعرف بما وصف به نفسه، وذلك لأنّ معرفة الشيء لا تمكن إلّا لمن أحاط بالمعروف بالكنه بالعلم العياني، أو بدعوى الرُّؤيا والسَّماع بالوصول إلى الأزل؛ ليشاهد ما هنالك وينْزل ويخبر عمَّا عاين ورأى، وإذا لم يكن أحد وصل إلى الأزل، لا بعروج جسد ولا روح، ولا بإدراك خيال ولا عقل، فكيف يمكن له أن يصفه؟!.

نعم.. لَمَّا تعذّر ذلك على الخلق، والحال أنّه تعالى يُريد ذلك منهم؛ وجب في الحكمة واللُّطف بالعباد الضُّعفاء أنْ يصف نفسه لهم؛ ليعرفوه بما وصف به نفسه، ولَمَّا لم يجز أن تدركه الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار؛ خلق خلقاً أقــوياء، يقدرون على تلقّي التَّعريف والوحي منه، ويبلّغونه إلى الضُّعفاء، فأرسل الرُّسل مبشّرين ومنذرين، فتمَّت كلمته، وبلغت حجّته؛ **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**(١).

---

(١) اقتباسٌ من الآية: ٤٦، في سورة فصّلت.

قلتُ: (وَلَا يُدْرِكُ أَحَدٌ كُنْهَ صِفَتِهِ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ بِمَا تَعَرَّفَ لَهُ بِهِ).

أقول: وهذا -إن شاء الله- بالغ الحجَّة ظاهر الدَّلالة.

قلتُ: (وَلَمْ يَتَعَرَّفْ لِأَحَدٍ بِنَحْوِ مَا عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَإِلَّا لَشَابَهَهُ سُبْحَانَهُ).

أقول: إنَّه تعرَّف لك نفسه، يعني: وصف لك سبحانه نَفسه، وعرَّفك نفسه، وعرَّفك غيره من خلقه؛ ولكنَّه عَجَّلَ لم يصف نفسه لأحد بمثل ما وصف غيره له.

مثلاً: عرَّفه نفسه بأنَّه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1]، وعرَّفه غيره بأنَّ الزنجفر[2] أحمر، والقرطاس أبيض، والمداد أسود، والرُّمح طويل، والنَّار حارَّة، والماء بارد، وأمثال ذلك.. ولم يصف نفسه بشيء من تلك الأوصاف، وإلَّا لشابهه، فلو وصف نفسه بالحمرة لشابهه الزَّنجفر، ولو وصف نفسه بالبياض لشابهه القرطاس، فهو تعالى لم يصف نفسه بوصفٍ يُشابهه شيء من أوصاف الخلق، فافهم.

ولهذا قلنا: (أنَّ وصف نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]).

---

(١) سورة الشُّورى، الآية: ١١.

(٢) الزنجفر -بالضم-: صبغ معروف، وهو أحمر، يُكتب به ويُصبغ، وهو معدني ومصنوع، أما المعدني: فهو استحالة شيء من الكبريت إلى معدن الزئبق، وأما المصنوع: فأنواع. راجع: تاج العروس، ج: ٣، ص: ٢٤٤.

(٣) سورة الشُّورى، الآية: ١١.

قلتُ: (فَهْوَ المَعْلُوْمُ وَالمَجْهُوْلُ، وَالمَوْجُوْدُ وَالمَفْقُوْدُ).

أقول: فهو تعالى المعلوم بما وصف به نفسه، والمجهول بحقيقة كنهه؛ لأنَّه لم يبين حقيقة كنهه لأحد من خلقه، فهو مجهول الكنه.

والموجود بآياته وآثار صُنعه؛ فإنَّ الأثر يَدل على وجود مؤثِّر صنعه، والمفقود بذاته لمن طلب حقيقة ذاته، فإنَّه تعالى ذاته فات كلَّ شيء من خلقه.

قلتُ: (فَجِهَةُ مَعْلُوْمِيَّتِهِ نَفْسُ مَجْهُوْلِيَّتِهِ، وَنَفْسُ مَشْهُوْدِيَّتِهِ عَيْنُ مَفْقُوْدِيَّتِهِ).

أقول: يعني أنه من حيث هو معلوم هو نفس من حيث هو مجهول؛ لأنَّك إنما تعرفه بأنه لا يُوصف ولا يُحاط به علماً، وأنَّه ليس كمثله شيء، وأنَّ كل معلوم بنفسه مصنوع له وأمثال هذا، فلا يُعرف سبحانه إلَّا بمثل هذه الأوصاف.

وهذه الأوصاف هي الموجبة لكونه ﷻ مجهول الكنه.

وقولنا: (ونفس مشهوديته عين مفقوديته)؛ نُريد به أنَّ حقيقة مشاهدته أنَّ كل ما يشاهد فهو صنعه وأثره، المتقوِّم بفعله قيام صدور، مثل: صوت الكلام[1].

---

(١) في بعض النُّسخ: (مثل: صوت المتكلِّم).

فإنَّ كلَّ شيء يُدرك ويُشاهد بالأبصار أو البصائر، وجميع المدارك والمشاعر؛ فإنَّه أثر فعله، بمنْزلة صوت الكلام إذا سمعته من متكلِّم خلف الجدار مثلاً، وهو دالٌّ على وجوده بذلك الصَّوت في حال غيبته، فحال إدراكه إنما هو أثره(١) مع غيبة ذاته، فمشاهدته إنما هي بآثار صنعه حال غيبته، فوجدانه عين فقدانه.

قلتُ: (فَهُوَ لَا يُعْرَفُ بِغَيْرِهِ، وَغَيْرُهُ يُعْرَفُ بِهِ).

أقول: أنَّه تعالى لا يُعرف بغيره؛ لأنَّ كنهه تفريقٌ بينه وبين خلقه، وغيره يُعرف به، يعني: أنَّ غيره لمَّا عرفتَه بنفسه؛ دلَّك على أنَّه مصنوع، قد عرفك إيَّاه صانعه بأنَّه مصنوعه وأثر فعله.

قلتُ: (أَمَّا أَنَّهُ لَا يُدْرَكُ بِعُمُوْمٍ وَلَا خُصُوْصٍ...إلَخ؛ فَلأَنَّهَا جِهَاتُ الخَلْقِ وَصِفَاتُهُمْ، وَهِيَ لَا تَحدُّ إِلَّا أَنْفُسَهَا، وَلَا يُدْرَكُ بِهَا إِلَّا مِثْلُهَا).

أقول: يعني أن كونه تعالى لا يُدرك بعموم...إلخ؛ فلأنَّ تلك الصِّفات من صفات الخلق، وصفة الشَّيء لا يُعرف بها غيره.

مثلاً: الأحمر صفة الحمرة، ولا يُعرف بالحمرة الأبيض؛ لأنَّها غير صفته، والصِّفات إنما تصدق على موصوفاتها لا على غيرها، ولا يُدرك بها غيرها، وإنَّما يُدرك بها مثلها، وذاته تعالى وصفاته مخالفة لذوات خلقه وصفاتهم، فلا يُعرف بصفاتهم؛ إذ لا يُعرف بصفاتهم إلَّا الحادث.

---

(١) في بعض النُّسخ: (إنما هو بأثره).

۞[لماذا لا يُدْرَك الواجب بضدٍّ؟]:

قلتُ: (وَأَمَّا أَنَّهُ لَا يُدْرَكُ بِضِدٍّ؛ فَلأَنَّ ضِدَّ الْمُمْكِنِ مُمْكِنٌ، إِذْ الْقَدِيْمَ لَا ضِدَّ لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ شَيْء، وَلَشَابَهَهَا فِيْ تَضَادِّهَــا).

أقول: يعني أنه لا يُدرك بضدٍّ[1]؛ لأنَّ الضدَّ إنما يُعقل للشيء إذا كان في رتبته، وهو الأزل، وليس في رتبته غيره، وما ليس في رتبته -كالممكن- لا يكون ضداً للقديم، وأيضاً يكون مشابهاً للمخلوقات؛ الّتي لها ضدٌّ.

والضِّد -على الأصحِّ المشهور-: هو المعاكس في الصِّفات الذاتية، مع الاتفاق في الرُّتبة مثلاً يكونان أزليين، هذا في الرتبة، ويكون إذا حرَّك أحدهما شيئاً طلب الآخر تسكينه، وذلك بمقتضى الطبع الذاتي، ومقتضى الرُّتبة؛ أن يكون كل منهما نسبته إلى كلِّ شيء على السَّواء، فتساوى المقتضيان[2] منهما إلى كل شيء، فلا يصدر شيء عنهما، ولا عن أحدهما؛ للتضاد المذكور.

فإن وقع مقتضى أحدهما دون الآخر، لم يكن الآخر ضداً؛ لنقض ضدِّيته في الرتبة، أو في الطبع الذاتي.

---

(١) في بعض النُّسخ: (لا يُدرك بضدِّه؛ إذ لا ضدَّ له).

(٢) في بعض النُّسخ: (فيتساوى المقتضيان).

وقولي: (فلأنَّ ضدَّ الممكن)، و لم أقل: (فلأنَّ ضدَّ القديم)، أريد به: أنَّ القديم يَستحيل فرض صدقه[١] في العقل، ومن تصوَّر ضده فإنما تصور ضد الممكن؛ لأنَّه إذا تصور معه غيره فليس ذلك بقديم، فمهما فُرض وقع في الممكن؛ ولذا قلتُ: (إذ القديم لا ضدَّ له).

قلتُ: (وَلِأنَّهُ إِنْ كَانَ قَدِيْماً؛ لَزِمَ تَعَدُّدُ القُدَمَاء).

أقول: يعني أن الضِّد -لو فُرض؛ وإنْ لم يصح الفرض- لزم تعدُّد القدماء، المتفق على بطلانه، على ما هو مقرَّر في أدلة التَّوحيد.

قلتُ: (وَلَا يُمْكِنُ فَرْضُ ذَلِكَ فِيْ الأَزَلْ؛ لِأَنَّ الأَزَلَ هُوَ الذَّاتُ البَسِيْطُ البَحْتُ، وَلَا مَدْخَلَ فِيْه؛ لِأَنَّ الأَزَلَ صَمَدٌ).

أقول: لا يمكن فرض الضد والكثرة في الأزل مطلقاً، سواء كان ضداً أو نداً؛ لمنافات ذلك الأزل[٢]، وذلك لأنَّ الأزل هو الذَّات البحت البسيط، الَّذي لا كثرة فيه بكلِّ اعتبار، وما خرج عن تلك الذات البحت فهو ممكن، والذَّات البحت صمدُ لا مدخل فيه؛ لأنَّ من كان فيه مدخل لغيره، فهو مؤلَّف محتاج.

ولهذا قلتُ: (وَإِلَّا فَهْوَ إِمْكَانٌ).

---

(١) في بعض النُّسخ: (فرض ضدِّه).

(٢) في بعض النُّسخ: (ذلك للأزل).

أقول: يعني إذا كان شيء بخلاف ما وصفنا؛ بأنْ يكون فيه مدخل لغيره، أو ليس ببسيط، أو أنَّه -كما يتوهمونه- ظرفٌ قد حلَّ فيه الواجب الحق، وفيه فضل[١] يسع أن يُفرض فيه غيره، كما هو شأن كلّ ظرف؛ فهو ظاهر البطلان.

قلتُ: (**وَإِنْ كَانَ الضِّدُ مُمْكِناً، لَمْ يَصُحَّ فَرْضُ كَوْنِ الْمُمْكِنِ ضِدّاً لِلْوَاجِبِ؛ لِحُدُوْثه بِه**).

أقول: وإذا فرض الضِّد ممكناً، لم يصح كونه ضداً للواجب؛ لتغاير الرُّتبة -كما ذكرنا سابقاً- لأنَّه إذا فرض الضد ممكناً، كان إنما وجد بإحداث الواجب تعالى، فكيف يحدث ما هو ضده، وما ذلك إلَّا كمثل أنَّ النار من جهة كونها حارة؛ أحدثت برودة بتأثيرها الحار.

قلتُ: (**وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّ ضِدَّ الْمُمْكِنِ مُمْكِن؛ لِأَنَّ الْقَدِيْمَ وَالْمُمْتَنِعَ لَا يَصْلُحَانِ لِمُطْلَقِ الضِّدِّيَّة، وَإِلَّا لَكَانَا مُمْكِنَيْنِ**).

أقول: لأنَّ القديم لا يُعرف بالتَّعدد والضِّدية؛ لأنَّهما من صفات الخلق، فلا يفرض كون القديم ضداً إلَّا على تحقُّق الإمكان، وأمَّا الممتنع فليس شيئاً ليُفرض كونه ضدّاً للشيء، أو كون شيء ضدّاً له، ولهذا قلنا: (وإلَّا لكانا ممكنين).

---

(١) في بعض النُّسخ: (وفيه فصل).

قلتُ: (وَأَمَّا فِيْ الوَاجِبِ؛ فَلِأَنَّ الضِّدَ جِهَةَ المُقَابَلَة وَطَرَفهَا، وَهُوَ مُمْكِنٌ).

أقول: يعني إنما امتنع الضِّد من الواجب؛ لأنَّ الضِّد مأخوذ في مفهومه جهة ضده، فلأجل الالتفات لم يصح أن يكون بسيطاً؛ ولذا يقولون: أنَّ الضِّد يحضر في الذهن عند ذكر ضده.

والأصل فيه هذا، أي: أنَّه مأخوذ في مفهومه جهة مقابلة ضده.

قلتُ: (وَأَمَّا فِيْ المُمْتَنِعِ؛ فَلِأَنَّ الضِّدَ إِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ ضِدَّاً، وَإِنْ كَانَ شَيْئاً، كَانَ مُمْكناً).

أقول: إنَّ الممتنع ليس شيئاً، لا في الخارج ولا في الذهن، ولا في نفس الأمر، فإذا لم يكن شيئاً لم يكن ضداً، فإنْ وُجد ضدّ فهو ممكن، فلا يُعقل كونه ضداً.

ومَنْ فرَض ذلك؛ فإنما فرض ممكناً سماه بهذا الاسم، ومجرَّد التَّسمية لا يثبت الشيء ولا يحققه في الواقع؛ ولذا قال تعالى لمن يدَّعي أنه له شريكاً: **﴿قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾**[1]، ولو كانت التَّسمية تثبت الشيء، وتجعل ما ليس ثابتاً ثابتاً؛ لما

---

(١) سورة الرعد، الآية:٣٣.

قال تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ﴾(١)، حين سَمُّوا أصنامهم شركاء؛ لأنّهم لو ثبتوا بالتّسمية؛ لعلمهم، وقد أخبر أنّه لا يَعلم ذلك.

۞[لماذا لا يصلح العدم لضدّية الوجود؟]:

قلتُ: (وَلِهَذَا لَا يَصْلُحُ العَدَمُ لِضِدِّيَّةِ الوُجُوْدِ، إِلَّا مَجَازاً؛ لِأَنَّ العَدَمَ المُمْكِن وُجُــوْدٌ فِيْ الإِمْكَانِ، لَا فِي الأَعْيَانِ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الصَّادِقْ عليه السلام -لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ اخْتِلَافِ زُرَارَة وَهِشَام بْنِ الحَكَمِ فِيْ النَّفي، هَلْ هُوَ مَخْلُوْقٌ أَمْ لَا؟، فَقَالَ زُرَارَة: لَيْس بِشَيْء. وَقَالَ هِشَام: النَّفْيُ شَيْءٌ- فَقَالَ عليه السلام: «قُلْ بِقَوْلِ هِشَامٍ فِيْ هَذِهِ المَسْأَلَة»(٢)).

أقول: ولأجل أنّ العدم ليس بشيء؛ لا يصلح لضدِّيّة الوجود، نعم الوجود الذي هو المعنى البسيط، المعبَّر عنه بالفارسية: بـ(هست) يصلح العدم، الّذي هو عدم الكون للضِّدِّيّة؛ لأنّ هذا العدم شيء ممكن، ولو أريد به المفهوم المطلق صلح مجازاً، لأنّ العدم الممكن وجود في الإمكان لا

---

(١) سورة الرعد، الآية:٣٣.

(٢) عن علي بن يونس بن بهمن قال؛ قلت للرِّضا عليه السلام: جُعلت فداك، إنّ أصحابنا قد اختلفوا، فقال: **«فِيْ أَيِّ شَيْءٍ اخْتَلَفُوْا...**

قلت: جُعلت فداك، من ذلك ما اختلف فيه زرارة وهشام بن الحكم، فقال: زرارة النَّفي ليس بشيء، و ليس بمخلوق. وقال هشام: إنّ النَّفي شيء.

فقال لي: **قُلْ فِي هَذَا بِقَوْلِ هِشَامٍ، وَلَا تَقُلْ بِقَوْلِ زُرَارَة»** [بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٢٢].

في الأعيان، فيكون من حيث تحقق الشيئية صلح لمطلق الضدِّية، ومن حيث أنَّ الشيئيَّة مختلفة من حيث الإمكان والأعيان كان مجازاً؛ لصحة نفي الشَّيئية عن الممكن، كما قال تعالى: **﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾**[1]، وإثباتها كما في قوله تعالى: **﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾**[2]، قال الصَّادق عليه السلام: **«كَانَ مَذْكُوْراً فِي العِلْمِ، وَلَمْ يَكُنْ مُكَوَّناً»**[3].

فباعتبار تحقق الشيئية؛ صلح للضدية، وباعتبار أنَّ هذه الشيئية ليست في رتبة ضده في الواقع، وإنما هي في الاستعمال كانت مجازاً، والآية الدَّالة على إثبات الشيئية للممكن شاهدة للحديث المذكور.

قلتُ: (**وَأَمَّا الْمُمْتَنِعُ؛ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا عِبَارَةَ لَهُ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُ العِبَارَةَ لِجِهَةِ إِمْكَانِه**).

أقول: إنَّما ذكرنا الممتَنع مرَّتين؛ لأنَّ الأوْلى: في بيان عدم صلوحه للضِّديَّة. والثَّانية: لبيان عدم شيئيَّته.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ١.

(٣) عن شعيب الحداد، عن أبي جعفر عليه السلام قال -في تفسيره للآية-: **«كَانَ مَذْكُوْراً فِي العِلْمِ، وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُوْراً فِي الخَلْقِ»**. [بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٣٢٨].

ومعنى هَذا الكلام؛ أنَّ الممتنع المقصود ليس شيئاً أصلاً، وإذا عُبِّر عنه؛ فإنَّه إنما تقع العبارة على ما يتوهمه المخبر عنه، والمتوهَّم والمتخيَّل والمعقول، كلّ منها ممكن موجود؛ لأنَّ ما في الذِّهن إنْ كان هو الذَّات المشار إليها بالامتناع، فهي موجودة، فلا معنى لجعلها ممتنعة الوجود، وإنْ كان صفة -والصِّفة لا توجد إلَّا مترتِّبة على الموصوف- فيكون الممتنع عندهم على الفرضين ممكناً.

[نفي الشراكة والشريك المطلق]:

قلتُ: (**مِثْل: "لَا شَرِيْكَ لَهُ"؛ لِأَنَّ النَّفْيَ فَرْعُ الثُّبُوْتِ**).

أقول: إذا قلت؛ (لا شريك له). فهذا نفي، فإنْ كان واقعاً على ثابت؛ لزم ثبوت الشريك، وإنْ لم يقع على شيء؛ لم يكن للنَّفي معنى.

فلمَّا ثبت صحَّة النَّفي؛ دلَّ على ثبوت الشَّريك، وهو خلاف نفس الأمر، مع أنَّه تعالى قال: ﴿**أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1]، إذ لو كان شيء لعلمه تعالى، فلمَّا نفى علمه به؛ دَلَّ على عدمه بكل اعتبار، في جميع الأحوال.

وأنت -أيُّها المدَّعي ثبوت الشَّريك في الأذهان- يلزمك أنَّك علمت ما لم يعلمه الله، وليس كذلك؛ لأنَّ الذي تتصوره صورة منتزعة من أحكام الأوهام، حيث حكموا بكون (هُبَل) -مثلاً- شريكاً لله

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.

سبحانه، وتوهمت الأوهام مطلق الشريك، وأخذ العلماء في محو[1] ما في الأوهام بما يناسب ما فيها من العبارات، حيث تصوَّرت الشَّريك المنفي المحو.

ففي الحقيقة؛ أنَّ العبارة واقــعة على ما خلقته الأوهام، كما قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[2]، وهو ممكن، وتسميتهم له بالممتنع أمرٌ لفظي، كما قال تعالى: ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾[3]، ومرادهم أنَّ هذا المتوهم يمتنع كونه شريكاً، فالامتناع في كون هذا الممكن المحدث شريكاً، لا أنَّه -أي: المشار إليه بنفي كونه شريكاً- شيء ممكن؛ لأنَّه لو كان كذلك، لم يكن ممتنعاً.

قلتُ: (**وَذَلِكَ أَنَّ الأَوْهَــامَ تُصَوِّرُ شَيْئاً وَتُسَمِّيْه شَرِيْكاً، مِنْ جِهَة تَجْوِيْــزِهَا ذَلِكَ، أَوْ تَوَهُّمِ وُجُوْدِه، وَإِلَيْه الإِشَارَةُ بِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾**[4]).

أقول: لما استعملوا أشياء اعتقدوا فيها بأنها تنفع وتضر، وسمُّوها آلهة، وهم يعرفون أنَّ الخالق هو الله، كما قال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ**

---

(١) في بعض النُّسخ: (في نحو).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(١)، سموها شركاء لله تعالى، وشفعاء عند الله، والسَّبب في التسمية؛ تجويزهم ذلك، أو توهُّم كونه موجوداً.

قلتُ: (فَأَتَى بِهَذِهِ العِبَارَةِ مكنسةً لِغُبَارِ الأَوْهَامِ).

أقول: يعني أتى بقوله: **«لَا إِلَه إِلَّا الله، وَلا شَرِيْكَ لَه»**، مكنسة لغبار الأوهام، أعني تجويزها الشريك، وتوهُّم(٢) وجوده.

قلتُ: (وَهِيَ عِبَارَةٌ حَادِثَةٌ، وَارِدَةٌ عَلَى حَادِثٍ).

أقول: لأنَّ اللفظ إنما يُوضع بإزاء المعنى الموجود في الخارج أو في الذِّهن، ولا يصح أن يوضع لفظ على لا شيء؛ لأنَّه لو وُضع ولا شيء موضوع له، لم يكن موضوعاً لشيء، فلا يدل على شيء هف(٣).

قلتُ: (وَأَمَّا المُمْتَنِعُ؛ فَلَيْسَ شَيْئاً، وَلَا عِبَارَةَ عَنْهُ).

أقول: هذا هو الموضع الثاني الذي ذكرنا قبل؛ بأنَّ الأولى: في بيان عدم صلوحه للضِّدية. والمرَّة الثانية: هو ما هنا، وهو بيان عدم شيئيته في نفسه أصلاً، وذكرناه أيضاً هنالك.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٥. وكذلك: سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٢) أو توهم. (ن:ب).

(٣) (هف): بمعنى خلاف الفرض.

ووجهٌ آخر: أنَّا ذكرنا أولاً؛ لبيان عدميته. والثَّاني -وهو ما هنا-: لعدميَّته، وأنَّه مع امتناعه؛ فلم يعبر عنه، والعبارة إنما تكون للممكن، ولهذا قلت هنا: (ولا عبارة عنه)، فإذا وجدت العبارة؛ فإنما هي لغيره، باعتبار التعبير [به](١) عنه.

قلتُ: (**وَتَعْبِيْرِيْ عَنْهُ بِالعِبَارَةِ؛ لِهَذَا العُنْوَانِ المُتَوَهَّم**).

أقول: يعني أن التَّعبير عنه بهذه العبارة، مع أنَّ العبارة لا تستعمل فيما ليس شيئاً، وإلَّا لم تكن عبارة لشيء (هف)، ولكن لَمَّا كان له معنى من المعاني، بمعنى أنَّه لو كان شيـــئاً؛ لكان يُقال فيه: كذا وكذا. فكانت العبارة للعنوان المتوهم؛ لأنَّ العنوان -الذي هو الدليل للأفهام، على ما ترد عليه العبارات- لَمَّا لم يكن مدلوله هنا شيئاً أصلاً، من غير جهة يقصد منه المراد، وإنما يتوهمه بعض الأوهام الناقصة لفرض شيئيته، وإنْ كان على ما تفهمه الأفهام الضعيفة؛ وإلَّا فإنه في الأفهام القوية ممتنع الفرض والتجويز والاحتمال بكل وجه، فلا عبارة عندها؛ إلَّا مع مخاصمة الأوهام الضَّعيفة فيما تجري فيه.

فلمَّا كان هذا العنوان إنما هو بهذا النمط؛ لعدم تحقق مدلوله بكل احتمال، قلنا: (أنه عنوان متوهم)؛ لأنَّه لو كان حقيقياً لكان مدلوله ثابتاً، كما في عنوان الواجب.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

قلتُ: (وَهْوَ حَادِثٌ، خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى بِمُقْتَضَى أَوْهَامِهِم؛ مِنْ بَابِ الحُكْمِ الوَضْعِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الأُصُوْلِ).

أقول: إنَّ هذا العنوان المتوهم وإنْ لم يكن له أصل مبتني ثبوته على ثبوته؛ إلَّا أنه لَمَّا توهمت الأوهام ثبوت أصله في محل التعقل من الذهن، خلقه الله بمقتضى أوهامهم، كما خلق الكُفْر في الكافر بكفره حين كفر؛ خلقه بمقتضاه.

وكما خلق ابن الزِّنا -الَّذي نُهي عنه- بمقتضى النطفة الموضوعة في الرَّحم، وإنْ كانت وضعت بغير رضاه، وخلق الزَّرع الذي كان بذره مغصوباً وماؤه وأرضه كذلك، وهو قد نهى عن ذلك، لكنَّه حين خلق البذر، وجعله صالحاً لأنْ ينبت، إذا وضع في الأرض، وسُقي بالماء، وهو لم يكن سبحانه معيناً للظالم على ظلمه؛ حين خلق بمقتضى تلك الأسباب ما يترتَّب عليها من عطيَّته سُبحانه، ونظائر ذلك كثيرة .

قلتُ: (لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ).

أقول: إنَّه ﷻ قد أعطى -بكرمه- كلَّ شيء خلقه ما يقتضيه بأسبابه، فلا يمنع عطيته بسبب مخالفة أمره، بل ينالهم نصيبهم من الكتاب، وعليه سبحانه الحساب، وليس ذلك جبراً ولا ظلماً، وسيأتي بيان ذلك.

قلتُ: (وَلَيْسَ هَذِهِ العِبَارَةِ عَنْ هَذَا العُنْوَانِ؛ كَالعِبَارَةِ عَنْ عُنْوَانِ حُكْمِ الوُجُوْبِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُدْرَكُ لِذَاتِهِ).

أقول: يعني أن التَّعبير عن عنوان الممتنع ليس كالتَّعبير عن عنوان الواجب تعالى؛ لأنَّ الواجب تعالى ثابت، وإنْ كان لا يُدرك، وإنَّما يعرف عنوانه الذي جعله آية لمعرفته؛ ليستدل به عليه، وعنوان الممتنع وهميٌّ لا حقيقة له، كما هو المراد منه، إذ الممتنع ليس شيئاً، فكيف تكون آيته شيئاً؟!.

نعم.. لَمَّا كانت الأوهام الضَّعيفة تتوهمه؛ وضع له عنوان نفيه، وهو أيضاً وهميٌّ؛ إذ الممتنع في الحقيقة مفاده العبارة اللفظية، فكان عنوانه صورة نفي ذلك، فهو موهومٌ لفظي.

قلتُ: **(إِلَّا أَنَّ العُنْوَانَ لِمَظَاهِرِهِ وَمَقَامَاتِهِ؛ الَّتِيْ لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِيْ كُلِّ مَكَانٍ)**.

أقول: وذلك كما قال الحجة عليه السلام في دعاء شهر رجب: **«فَجَعَلْتَهُم مَعَادنَ لكَلمَاتكَ، وَأَرْكَاناً لتَوْحيْدكَ، وَآيَاتكَ وَعَلَامَاتكَ، وَمَقَامَاتكَ الَّتي لَا تَعْطيْلَ لَهَا في كُلِّ مَكَان، يَعْرِفُكَ بهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدكَ، بَدْؤُهَا منْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ...»**[١].

فهذه العلامات؛ الَّتي هي عنوان الواجب ودليله؛ الَّتي لا فرق بينه وبينها، يعني: فيما ينسبه الخلق إليه من الصِّفات والتَّأثيرات، مثل: مَنْ

(١) إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٩٣.

أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، وفعلهم فعل الله، وقولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، ونهيهم نهي الله، إلى غير ذلك، في كلّ ما يُنسب الخلق إليه.

ومثال ذلك: كالحديدة المحماة بالنار، فإنّ فعلها فعل النار، مَنْ عرفها عرف النار، وإنْ كانت في الحقيقة إنما تحرق النّار بفعلها؛ الّذي حلَّ في الحديدة، وليس للحديدة شيء من التّأثير، كذلك المقامات؛ لأنّها مَحَالُّ فعله ومشيئته، فهي الدّليل عليه، بخلاف عنوان الممتنع؛ فإنّه ليس شيئاً، فلا يكون عنوانه شيئاً؛ لأن ثبوته فرع ثبوت أصله، فافهم.

قلتُ: (وَلَيْسَ لِلْمُمْتَنِعِ مَظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ المَظَاهِرَ فَرْعُ الثُّبُوْتِ).

أقول: يعني أنه إنما كان العنوان مُتحقّقاً للواجب تعالى؛ لأنَّ الواجب ثابت، والثّابت تكون له مظاهر بخلاف الممتنع، فإنّه لو كان ثابتاً كان عنوانه ثابتاً، فلمّا كان لا شيء لم تكن له مظاهر، والعنوانات مظاهر للمستدل عليه، فإذا تُصُوِّر له مظاهر؛ كانت موهومة.

قلتُ: (وَإِنَّمَا سَمَّيْتُمْ مُمْكِناً بِمُمْتَنِعٍ، كَمَا لَوْ سَمَّيْتَ رَجُلاً بِمَعْدُوْمٍ).

أقول: إنَّ الممتنع الّذي يبحثون عنه ممكن، وإنْ أرادوا به الممتنع، فلأجل هذا كان له عنوان، وإنّما سمّيناه موهوماً؛ لأنّهم لا يريدون منه الممكن ليكون متحقّقاً.

قلتُ: (وَلَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا اللهُ وَصِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ).

أقول: يعني أنَّ الممتنع ليس شيئاً، إذ الشَّيء لا يكون إلَّا ما هو المتحقِّق، وليس متحقِّقاً إلَّا الله بذاته وصفاته وأسمائه تَعالى.

۞[لا يُعرف إلا بما وصف به نفسه]:

قلتُ: (وَأَمَّا أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ؛ فَلِأَنَّ الأَزَلَ لَيْسَ شَيْئاً غَيْرَهُ تَعَالَى، وَمَا سِوَاهُ فَهْوَ فِيْ الإِمْكَانِ، وَالأَزَل لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَدْخُلُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَيُخْبِرُ عَمَّا هُنَاكَ، وَيَصِفُ مَا فِيْهِ).

أقول: يعني أنَّه تعالى لمَّا كان هو الأزل؛ وجب أن يكون ما سواه غير الأزل، وغير الأزل ممكن، ولمَّا ثبت أن غيره لا يساويه، ولا يصل إليه؛ وجب أنْ لا يعرف غيره لذاته، فإذا كان كذلك وأراد أن يعرفه عباده، وصَفَ نفسه لهم؛ لأنَّهم لم يصلوا إليه ولم يدركوه، ولم يروه ليعرفوه [وإنَّما يعرفوه][1] بذلك الوصف، الَّذي وصف نفسه به؛ لأنَّه هو الذي يُعرِّف نفسه.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

قلتُ: (وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ، إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).

أقول: وَذلك لأنَّه لا يَصل إليه غيره، ولا يَصفه أحد؛ لعدم اطّلاعه عليه، إلّا بتعريفه نفسه له.

قلتُ: (وَهْوَ كَمَا يَقُوْل، لَا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُ، فَلَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلَّا هُوَ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ بِنَفْسِهِ عَيْنُ ذَاتِه).

أقول: هَذا هو العلة والسَّبب في عدم إدراكه لأحد غيره، وكون معرفته بذاته عين ذاته؛ ولهذا امتنع معرفته بذاته لغيره.

قلتُ: (فَإِذَا وَصَفَ نَفْسَهُ؛ كَانَ وَصْفُ الحَقِّ لِلْحَقِّ حَقّاً، وَيَقَعُ عَلَيْنَا وَصْفُهُ خَلْقاً).

أقول: يعني أنَّ وصفه نفسه بنفسه هو نفسه؛ لعدم المغايرة هناك، لاستلزامها الكثرة، المستلزمة للحدوث، فيكون وصف الحق للحق تعالى حقاً؛ لأنَّه هو هو، وما وصل إلينا من ذلك التَّعريف فهو حادث بحدوثنا، فهو في الحقيقة ذواتنا، وذلك الوصف أثر من فعله؛ لأنَّه فعله لنا لنعرفه به، فهو آية فعله، وفعله آية علمه، الّذي هو ذاته؛ فلذا قلنا: (ويقع علينا وصفه خلقاً)؛ لأنَّه هو حقائقنا، لأنَّ أنفسنا أنموذج هيكل توحيده، فتدل أنفسنا بهيئتها على ذلك الهيكل؛ لأنَّه أثره، والأثر يشابه صفة المؤثّر من جهة التَّأثير.

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَد عَرَفَ رَبَّه»**[(١)]، يعني أنَّ كلَّ أحدٍ فنفسه دليل ربه وآيته؛ لأنَّه أثر فعله، فمن عرفه، أي: عرف ذلك الوصف، عرف الموصوف، وهذا ظاهر.

قلتُ: (**وَنَحْنُ ذَلِكَ الوَصْفُ؛ الوَاقِعُ عَلَيْنَا بِنَا، فَقَدْ تَعَرَّفَ لَنَا بِنَا**).

أقول: يَعني أن نفوسنا -أي: ذواتنا وحقائقنا- هي ذلك الوصف؛ لأنَّه لَّما أراد أن نعرفه، خلقنا على هيئة معرفته.

مثاله: أنَّك إذا أردت أن يَعرف زيد شيئاً طويلاً بصفة طوله؛ رسمت له خطّاً طويلاً، على هيئة طول ذلك الشَّيء المطلوب معرفته بطوله، أو معرفة طوله.

ولو كان المطلوب معرفته عريضاً، رسمت لزيد شيئاً عريضاً، على هيئة عرض ذلك الشيء المطلوب معرفته بعرضه، أو معرفة عرضه.

وهذا معنى قولنا: (فقد تعرَّف لنا بنا)، ومعنى قولنا ظاهر.

---

(١) غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ١٥٦. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٨، ص: ٩٩٢.

قلتُ: (**فَكَانَ وَصْفُهُ لِلْخَلْقِ خَلْقاً**).

أقول: يعني أنَّ وصفه الحق بذاته لذاته يصل إلينا أثره خلقاً؛ لأنَّ القديم لا يتغير عن حاله ولا ينـــزل، فإذا نزل أو ظهر؛ فإنَّما يكون ذلك من الحادث، إذْ القديم حاله واحدة، لا يتغيَّر ولا يتبدَّل.

قلتُ: (**لِأَنَّ الخَلْقَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا خَلْقاً، إِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيْرُ الآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا**).

أقول: هَذا تعليل لما قلنا؛ من أنَّه تعالى لا يُعرف من نحو ذاته، وإنَّما يُعرف بما وصف به نفسه، فلذا قلنا: (أنَّ الخلق لا يدرك إلا خلقاً)، فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا**»[١]، يُريد عليه السلام: أنَّ الشيء لا يُدرك إلَّا ما هو من جنسه، أو نَوعه أو صُنعه.

قلتُ: (**فَلَا يدْرِك شَيْء إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جِنْسِه**).

أقول: يعني أن كلَّ شيء لا يدرك ما ليس من جنسه ولا من نوعه ولا من صفته؛ لأنَّ كل مدرك إنما إدراكه بنحو طبيعته، فإدراك الجسم

---

(١) الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٠. أعلام الدين، ص: ٥٩. تحف العقــول، ص: ٦١. التوحيد، ص: ٣٩. نهج البلاغــة، ص: ٢٧٣. عيون أخبار الرِّضــا عليه السلام، ج: ١، ص:١٥٢. شرح نهج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٧. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٩.

بنحو طبيعة الجسمية، لا بنحو طبيعة المجرَّدات، وإدراك المجرَّد بنحو طبيعة المجرد، لا بنحو طبيعة الجسمية.

فمن ثم حكموا على العقول بكونها مفارقات، يعني أنها لم تكن مقترنة بشيء من الماديَّات، فلا تدرك إلا المعاني، وأمَّا غير المعاني فلا تدركها إلا بتوسط ما هو من جنسها، والنُّفوس كذلك؛ يعني أنها في إدراكها مثل نسبة إدراك العقول، فهي مفارقة في ذاتها، ومقارنة في فعلها، فإدراكها الذَّاتي إنما هو للصُّور الجوهرية، والفعلي ما كان من نوع الجسمانيَّات.

قلتُ: (**وَمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَتَعَرَّف لِأَحَدٍ بِنَحْوِ مَا عَرِفُهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ عَرَّفَ الخَلْقَ لِلْخَلْقِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ**).

أقول: يعني هو سُبحانه تعرَّف للخلق بما تعرفه عليه من التَّحقق في الوصفية، يعني على حسب ما يقتضيه وصفه لنفسه من البيان، وهذا بخلاف ما وصف خلقه به لخلقه.

فإنَّه -مثلاً- وصف نفسه لزيد بأنَّه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[1]، وإنْ كل ما ميَّزه زيد في أدق معانيه، فهو مثل زيد مخلوق مردود على زيد[2]،

---

(١) سورة الشورى، الآية:١١.

(٢) مقتبس من قول الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حيث قال: «**كُلُّ مَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم، فِي أَدَقِّ مَعَانِيْهِ؛ مَخْلُـوْقٌ مَـصْنُوْعٌ مِـثْلُكُم، مَـرْدُوْدٌ**

....←

أي: منعطف عليه، لأنَّه صفة نفسه، ووصف عمرو لزيد بأنَّه مخلوق مركَّب، متغيِّر مختلف، فلا يمكن أن يُوصف المخلوق إلَّا بهذا النَّوع على هذا النحو، ولا يمكن أن يَصف الخالق نفسه إلَّا بهذا النَّحو المشار إليه في وصفه تعالى لنفسه.

قلتُ: (إِنَّهُم خَلْقٌ، وَهُوَ عَرَّفَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِخَلْقٍ، وَلَا يُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ الخَلْقِ).

أقول: يعني أنَّ تعريف الشيء؛ إنَّما هو بوصفه على ما هو عليه، وذلك في وصف الخلق أنهم مركَّبون مؤلَّفون، متشابهون محدودون، محصورون محتاجون.. وأمثال هذه الأوصاف، وفي وصفه تعالى لنفسه أنَّه لا يُشابه شيئاً من صفات خلقه.

قلتُ: (فَلَا يُدْرِكُ مَا تَعَرَّفَ لَهُمْ بِهِ بِشَيْءٍ مِنْ بَصَائِرِهِمْ، وَلَا مِنْ أَبْصَارِهِمْ).

أقول: لأنَّ بصائرهم وأبصارهم إنما تدرك ما هو من نوعها، وبينهما مشابهة ومقارنة؛ وإلَّا لما أدركته.

...←

إِلَيْكُم». [بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢. ويقرب منه ما في إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢].

قلتُ: (وَإِنَّمَا يُعْرَفُ بِبَصَرٍ مِنْهُ، قَالَ عليه السلام: «اعْرِفُوْا اللَّهَ بِاللَّهِ»[1]، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا رَامَ عَاشِقُـــهَا نَظْـــرَةً ... وَلَمْ يَسْتَطِـــعْهَا فَمِنْ لُطْـــفِهَا

أَعَـــارَتْهُ طَـــرْفاً رَآهَا بِهِ ... فَكَـــانَ الْبَصِيْرُ بِـــهَا طَرْفَهَا).

أقول: إنما يُعرف ببصر منه؛ لأنَّ تلك البصيرة هي نور ما تجلى له به، والأشياء إنما تدرك نظائرها، ولذا قال عليه السلام: **«اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ»**، يعني؛ اعرفوا الله بما وصف نفسه به لكم، وهو معرفته بما هو عليه بالنسبة إلى إدراك العارفين، فإنَّ الشيء إنما يُعرف بما هو عليه.

ولَمّا كان تعالى ما هو عليه في ذاته ممتنعاً على ما سواه، وكان قد وصف نفسه لخلقه، ليعرفوه بذلك الوصف؛ كان ما تعرَّف به لهم هو ما وصف به نفسه لهم، فهم يعرفونه بذلك الوصف؛ الَّذي معرفته عليه مما وصف لهم.

وهذا هو معنى: أنَّه أعار العارف عيناً منه –أي: من تعريفه وتوصيفه– يعرفه بها.

---

(١) الكافي، ج: ١، ص: ٨٥. التوحيد، ص: ٢٨٦. روضة الـــواعظين، ج: ١، ص: ٣٠. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٦. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٢٧٠.

۞[هو المعلوم والمجهول]:

قلتُ: (**وَمَعْنَى فَهْوَ المَعْلُوْمُ وَالمَجْهُوْل...إِلَخ؛ أَنَّهُ المَعْلُوْمُ بِصُنْعِه، وَالمَجْهُوْلُ بِكُنْهِهِ، المَوْجُوْدُ بِآيَاتِه، المَفْقُوْدُ بِذَاتِه**).

أقول: يعني يستدل على وجوده بصنعه؛ لأنَّ صنعه أثر فعله، والأثر يدل على المؤثر، ويستدل على وصفه -الذي تعرَّف به لخلقه- بما أظهره في صنعه؛ من الآيات الدالة على ذلك، كما قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[1]، فكما أنَّ هيئة الكتابة تدلُّ على صفة حركة يد الكاتب، كذلك صفات خلقه وهيئاهم تدل على صفة فعله تعالى؛ لأنَّها أثر فعله، والأثر يشابه صفة مؤثره، التي بها صدر؛ فمعلوميَّته بآثار فعله.

كما أنَّ الدخان المرئي يدل على وجود النَّار، ومجهوليته من حيث كنهه؛ لأنَّ كل ما سواه مغاير له من كل جهة، وتلك المغايرة رسم لما سواه، فهو موجود بآياته؛ لأنَّ كل من نظر وجد آيات تدل على موجدها حيثما توجَّه، ومفقود من حيث ذاته؛ لكون كنهها تفريقاً بينه وبين ما سواه، فلا يوجد من حيث ذاته، ولا يفقد من حيث آثار فعله.

---

(١) سورة فصِّلت، الآية: ٥٣.

قلتُ: (**فَظَهَرَ، فَلَا شَيْءَ أَظْهَرُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا ظَهَرَ كُلُّ شَيْءٍ بِأَثَرِ ظُهُوْرِهِ**).

أقول: يَعني أنَّ كونه أظهر من كل شيء؛ لأنَّ ظهور كل ما سواه إنما هو أثر ظهوره بذلك السَّواء، يعني: أنه تعالى ظهر للمخلوق بذلك المخلوق -أي: بإيجاده- وهو ﷻ لم يتحوَّل ولم يتغير عن أزليَّته، فمعنى ظهوره لزيد مثلاً ظهوره بزيد -أي: إحداثه- فيكون لا ظهور لزيد إلَّا ظهور الله سبحانه، فالظهور لفعله تعالى، فلا يكون شيء أظهر منه.

وهذا معنى قولي: (وإنَّما ظهر كل شيء بأثر ظهوره)؛ لأن ظهور الأشياء إنما هو ظهور فعله بها، فلا ظهور لها غير ظهور فعله بها لها.

قلتُ: (**وَبَطَنَ، فَلَا شَيْءَ أَبْطَنُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَظْهَرُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا خَفِيَ لِشِدَّةِ ظُهُوْرِهِ، وَاسْتَتَرَ لِعِظَمِ نُوْرِهِ**).

أقول: يعني أنَّ الشَّيء إذا ظهر كمال الظهور لنفسه أو لغيره، وصل في ظهوره إلى نهاية لا يحتاج ذلك الغير إلى أزيد منها، ويكون حينئذٍ ظهوره واقفاً متناهياً، فهو حينئذٍ ناقص الظهور، يحتمل الزِّيادة بالنسبة إلى آخر غير الأوَّل، الذي انتهى الظهور إليه، فلا يكون نهاية الظهور للأوَّل نهاية بالنسبة إلى الثَّاني، بل يحتاج الثاني إلى زيادة الظهور، والثاني لو وقف الظهور عنده عن الزيادة بالنسبة إليه؛ جاز ألَّا يقف عند ثالث عن الزيادة، فمهما فرض للظهور نهاية فهو يحتمل الزِّيادة، وما يُحتمل الزِّيادة يحتمل النقصان، وذلك حادث؛ لأنَّه صفة الحادث المحتمل للزيادة والنقصان،

بخلاف صفة القديم سبحانه؛ فإنَّه لا يتناهى، فلا تتناهى صفته، فظهوره غير متناه.

فإذا ظهر لخلق كان تجلي ذلك الظهور، وظهوره غير واقف على حد نسبة المتجلى له، بل يكون مترامياً في الظهور والتجلي بلا نهاية، فيتجاوز كل شيء محدث، وكل شيء تجاوز الظهور إدراكه خرج بالنسبة إليه عن حدِّ الظهور إلى حدِّ البطون والخفاء، فيبلغ الظهور في التجاوز إلى حال خارج عن كل حدٍّ، وما تجاوز عنه الإدراك هو عين البطون والخفاء، فبشدَّة ظهوره وعدم تناهيها، ووقوفها إلى حد بطن بطوناً لا نهاية له، وخفي خفاءً لا حدَّ له؛ فجهة ظهوره غير جهة بطونه وخفائه.

وهو معنى قولي: (وبطن؛ فلا شيء أبطن منه؛ لأنَّه لا شيء أظهر منه)، ومعنى قولي: (وإنما خَفي لشدَّة ظهوره، واستَتر لعظم نوره).

واعلم؛ أنَّي إنما عبرت المطلب بهذه العبارة؛ للبيان، وهي وإنْ كانت ناقصة عن تأدية المعنى، إلَّا أن العارف يفهم من مدلولها المعنى المزاد.

[وإنَّما كانت ناقصة لعلتين.

إحداهما: من قصوري، إذ لم يُؤذن لي في أزيد من ذلك، فلم أعط العبارة، إذ لو أذن لي لأعطيت العبارة.

والثانية: مني طلباً للاختصار، وصوناً للأسرار، إذ ليس كلُّ ما يُعلم يقال؛ لقصور أكثر الأذهان عن فهم ذلك البيان، لو كان ذلك والسَّلام][1].

۞ [جهة معلوميَّته نفس مجهوليَّته]:

قلتُ: (وَمَعْنَى جِهَةُ مَعْلُوْمِيَّتِهِ نَفْسُ مَجْهُوْلِيَّتِهِ؛ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُعْرَفُ وَلَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ).

أقول: يعني أنَّه لَّما كان الشيء لا يعلم إلا بما هو عليه، كان مقتضى الأزل أن يكون مجهولاً؛ لأنَّ المعلومية للشيء تقتضي الإحاطة به، وشأن الأزل ألَّا يكون محاطاً به، وما هو عليه ألَّا يكون محاطاً به، فإذا ثبت أنَّ الشيء لا يعلم إلَّا بما هو عليه؛ ثبت أنَّه لا يُعلم إلَّا بأن لا يُحاط به، وهو معنى: (أن جهة معلوميَّته نفس مجهوليَّته).

ومعنى قولي: (أنَّ الشَّيء لا يُعرف ولا يُعلم إلا بما هو عليه).

قلتُ: (فَالطَّوِيْلُ يُعْرَفُ بِطُوْلِهِ، وَالعَرِيْضُ يُعْلَمُ بِعرْضِهِ، وَالقَصِيْرُ يُعْرَفُ بِقِصَرِهِ، وَالأَبْيَضُ بِبَيَاضِهِ، وَالأَسْوَدُ بِسَوَادِهِ، وَذُوْ الهَيْئَةِ بِهَيْئَتِهِ، وَمَا لَا مِقْدَارَ لَهُ وَلَا لَوْنَ وَلَا هَيْئَةَ يُعْرَفُ بِذَلِكَ).

أقول: هذا معنى ما بيَّنت لك؛ من أنَّ الشيء لا يُعرف إلَّا بما هو عليه، من الجهة الَّتي يتعلَّق بها التعرّف والتَّعريف، فلو كان شيء أحمر

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

وطويل، وكان المطلوب معرفته من جهة الحمرة؛ عُرف بالأحمر لا بالطَّويل وبالعكس.

فمعنى أنَّه إنما يُعرف بما هو عليه من النَّحو الذي تتعلق به المعرفة منه، وإذا كان ﷻ لا يُدرك من نحو ذاته، إذْ كل ما ميَّزته الأوهام فهو مخلوق مثلها؛ كان الذي هو عليه من النَّحو الذي يعرف به أنه لا يدرك ولا يعلم لأحد، فيُعرف سبحانه بأنَّه لا يُدرك ولا يُوصف، وهذا المعنى هو الذي هو عليه من جهة معرفته، ولو كان طويلاً يعرف بطوله إلخ..

فلمَّا لم يُوصف بشيء من جهات الخلق -مما يجري الإمكان بإدراكه- عُرف بذلك، أي: بأنَّه لا يُعرف إلَّا بأنه لا يُعرف إلَّا بما وصف به نفسه، وهو سبحانه وصف نفسه بأنه بخلاف ما تتوهمه الأوهام وأدركته العقول.

قلتُ: **(فَالوَاجِبُ سُبْحَانَهُ يُعْرَفُ بِأَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ وَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُدْرَكُ كُنْهُهُ، وَلَا تُعْلَمُ صِفَتُهُ، وَلَا يُحَاطُ بِهِ عِلْماً، وَأَنَّ كُلَّ مُدْرَكٍ فَهْوَ غَيْرُهُ؛ فَيُعْرَفُ بِأَنَّهُ لَا سَبِيْلَ إِلَى اكْتِنَاهِهِ، وَلَا إِلَى إِدْرَاكِ صِفَتِهِ، فَهْوَ يُعْرَفُ بِالجَهْلِ بِهِ).**

أقول: هذا كلُّه هو معنى ما ذكرت لك؛ أنَّ من طلب معرفته بكنهه لم يجده، ومن طلب معرفته بآياته -التي تعرَّف بها- وجده ظاهراً له بها، محتجباً عنه بها.

قلتُ: (**فَذَلِكَ مَا تَعَرَّفَ به لَـنَا**).

أقول: يَعني أنَّه لا يُعرف إلَّا بآياته؛ التي ليس لها مثل في خلقه، يعني لا تصلح صفة لشيء من الخلق، ولا تدل عليه، وإنما تدل على الله سُبحانه دلالة التَّعريف والإستدلال عليه، كدلالة الأثر على المؤثر، لا أنها تدل عليه دلالة تكشف عن كنهه، فهي مع أنها ليس لها مثل ولا شبه؛ لا تدل عليه إلا دلالة الأثر على المؤثر.

قلتُ: (**فَإِنَّـا لَا نَعْرِفُ إِلَّا مِثْلَـنَا**).

أقول: يَعني لَمَّا كانت الأشياء لا تدرك إلا نظائرها، وجب أن يكون ما تعرّف به لنا مخلوقاً، وإلَّا لما أمكن لنا أن ندركه، وإذا كان مخلوقاً لم يدل على كنه الذات دلالة تكشف عنه، وإنما يدل عليه تعالى دلالة الأثر على المؤثر، والأثر يدل على صفة مؤثره الأقرب، فهو يُشابه صفة فعله تعالى، لا صفة ذاته تعالى؛ الذي هو المؤثر الأبعد عند فرض المباشرة.

كالكتابة؛ فإنها تشابه صفة حركة يد الكاتب، التي هي المؤثر الأقرب من حيث المباشرة، ولا تشابه صفة الكاتب؛ لأنه المؤثر الأبعد عند المباشرة، نعم يدل على وجوده -أعني: عنوان وجوده الذي هو ذاته- ولا تدل على وجوده الذي هو ذاته؛ وإلَّا لكان تعالى مشابهاً لها، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

قلتُ: (فَهْوَ الوَاجِبُ الحَقّ، وَالمَجْهُوْلُ المُطْلَق).

أقول: هذا تفريعٌ على ما تقدم من الأوصاف التي لا تجري للحوادث؛ لأنَّه بمقتضى ما أشرنا إليه هو الواجب الحق: الذي كلُّ ما سواه ليس بشيء، إلّا بفعله تعالى.

وهو المجهول المطلق: الذي لا سبيل في الإمكان مطلقاً إلى معرفة ذاته بوجه من الوجوه، بل هو في الإمكان مجهول من كل جهة، فلا يَصدق المجهول المطلق في الحقيقة على ما سوَاه.

۞[العبارات التي تُطلق على هذا القسم]:

قلتُ: (وَهَذَا القِسْمُ يُعبَّرُ عَنْهُ؛ بِالذَّاتِ البَحْت).

أقول: يعني أنَّه ذاتٌ بسيط ليس له وجود غير ماهيَّته، ولا ماهيَّة غير وجوده، ولا ذاته غير صفته، ولا صفته غير ذاته[1]، لا في نفس الأمر -أي: الثَّابت بالدَّليل القطعي-، ولا في الخارج -أي: المقابل للذِّهني، أو الذي تترتب الآثار على صفاته- ولا في الذِّهن؛ الذي هو عكس الخارج في المعنيين، ولا في الإمكان؛ لأن الوجوب ليس في شيء منه إمكان، ولا في الفرض والاعتبار؛ لأنهما جهات الممكن، فهو سُبحانه ذات بحت، أحَديُّ المعنى، ليس فيه احتمال كثرة أو تعدُّد، بكلِّ فرض واعتبار.

---

(١) في بعض النُّسخ: (ولا ذات غير صفته، ولا صفة غير ذاته).

قلتُ: (وَمَجْــهُوْلُ النَّــعْت).

أقول: يَعني أنَّه ليس في الإمكان سَبيل إلى نعته؛ إلَّا بما وصف به نفسه، من آياته وآثار فعله، فهو بالنِّسبة إلى ما سواه؛ مجهُول النَّعت.

قلتُ: (وَعَــيْنُ الكَافــُوْرِ).

أقول: يَعني أنَّــه إنما يُوجد بآثار فعله، كالكافور الَّذي برائحته، فيُحتمل أنْ يُراد بقولهم: (عين الكافور)؛ أنَّه تعالى هو ذات الكافور.

وهذا على مذهب القائلين بوحدة الوجود، أي: أنَّ الكافور -المكنَّى به عن الرَّوائح التي هي مثال الحوادث- هو ذاته؛ لأنَّه عندهم هو الفاعل والمفعول، وهو المؤثر والأثر.

وهذا عندنا باطل، والقول به كفر.

ويحتمل أن يُراد بقولهم عين الكافور، وأنَّه هو العين التي تفوح منها الروايح، أي: هو مبدأ الأشياء، وهذا صحته وفساده تابعة لمقصود القائل به، فإنْ أراد به: أنَّ ذاته تعالى مبدأ الأشياء؛ فهو كالأوَّل في الفساد، وإنْ أراد: أنَّ فعله مَبدأ الأشياء؛ فهو حق.

قلتُ: (وَشَمْسُ الأَزَلِ).

أقول: مأخوذ من قول علي عليه السلام -على نحوٍ من الاستنباط- في قوله لكميل: «**نُوْرٌ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الأَزَلِ..**»[1]، حيث شبّه المشيئة

---

(١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وَص: ١٧٠.

بصبح الأزل، والصبح: نور الشمس -أي: شمس الأزل- والإضافة هنا بيانية.

قلتُ: (وَمُنْقَطِعُ الإِشَـــارَاتِ).

أقول: أنَّ الإشارات الحسية والخيالية، والرَّوحانية والعقلية، والسَّرمدية كلها تنقطع دون عزِّ جلاله.

أمَّا الأربع الأوَّل فظاهر، وأمَّا الخامسَة فهي وإنْ لم تكن هناك إشارة لينسب إليها انقطاع، إلَّا أنَّ المشيئة توصف بجهات تعلّقاتها، فوقوعها على المنشأ وتعلّقها به تعتريه الإشارة عليه[١]، باعتبار المتعلِّق والتعلّق، وإنْ لم تكن الإشارة لاحقة لنفس المشيئة؛ لأنَّها محدثة بها، ولا يجري عليها ما أجرته، فافهم.

قلتُ: (وَالمَجْهُوْلُ المُطْلَق، وَالوَاجِبُ الحَقّ، وَاللَّاتَعَيُّن).

أقول: تقدَّم منَّا البيان للمجهول المطلق، والواجب الحق.

وأمَّا اللَّاتعيّن: فالمراد منه معنى المجهول المطلق، وذلك لأنه تعالى لا يتعين عند ما سواه بجهة من جهات التعيّن، على حَال من الأحوال.

---

(١) في بعض النُّسخ: (تعبِّر به الإشارة عليه).

قلتُ: (وَالكَنْــزُ المَخْــفِيّ).

أقول: إشارة إلى قوله تعالى: «**كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف؛ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ لِكَي أُعْرَف**»[١]، أي: أنَّه خلق الخلق ليعرف بخلقه وآثاره لا بذاته، فهو كنــز مخفي عما سواه مطلقاً، وُجد ذلك السَّواء أم لم يوجد.

وبه ظهر جواب ما استشكله بعضهم هنا فقال: ما معنى مخفي، وليس هناك شيء يختفي عنه؟.

والجواب: بهذا، وهو أنه مقتضى الأزل ذلك، أمَّا مع عدم الغير؛ فهي سالبة بانتفاء الموضوع، وأما مع وجود الغير؛ فلعدم إدراكه له تعالى.

وَيَرد -هنا أيضاً- إشكال: وهو أنَّ الظاهر من الكلام؛ أنَّه قبل الخلق مخفي، وأمَّا بعد أنْ خَلق الخلق فلا.

وجَوابه: أنَّ المراد بالخفاء؛ الخفاء المطلق، الصَّادق على عدم المعرفة بالآثار، وهذا هو المراد من الكنــْز المخفي، فلمَّا خلق الخلق؛ عُرف بما عرّف به نفسه.

---

(١) شرح توحيد الصدوق، ج: ٤، ص: ٤٠. جامع الأسرار، ص: ١٠٢. بحــار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٩٩- ٣٤٤.

قلتُ: (وَالْمُنْــقَطِعِ الوِجْــدَانِيْ).

أقول: يَعني أنَّ كل مُدرك سواه سُبحانه ينقطع وجدانه لــذاته تعالى، فهو لا يجــده غيره بذاته، ولا يَفقده بآياته، فهو سُبحانه المنقطع الوجداني لِمَا سواه.

قلتُ: (وَذَاتٌ سَاذَجٌ، وَذَاتٌ بِلَا اعْتِبَار..وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ).

أقول: ذاتٌ ساذج، أي: بحت خالص من التَّعدد والتَّــكثر والتركيب، لا في نفس الأمر ولا في الخارج ولا في الذهن، لا فرضاً ولا احتمالاً، وتجــويزاً واعتباراً.

وذات بلا اعتبار: يعني مجرَّدة عن كلِّ قيد، حتى عن التَّجريد.

وما أشبه ذلك؛ من الأسماء التي يطلقونها على الوجود الحق ﷻ.

۞[على أي شيء تقع هذه العبارات؟]:

قلتُ: (وَكُلُّهَا عِبَارَاتٌ مَخْلُوْقَةٌ، تَقَعُ عَلَى مَقَامَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ؛ الَّتِيْ لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِيْ كُلِّ مَكَانٍ).

أقول: يعني أنَّ هذه الألفاظ المذكورة، مثل: الذَّات البحت، والمجهول النعت..إلخ، هي ومعانيها -الَّتي تدل عليها- مخلوقة، خلقها الله سبحانه لعباده ليعرفوه بها؛ لأنها تدل بصفة الاستدلال عليه لا بصفة الكشف له، فإذا أطلقت هذه الألفاظ دلَّت على تلك المعاني، الَّتي هي العنوانات للذات.

وهذه العنوانات؛ مظاهر له، خلقها وجعلها محالَّ أفعاله وإرادته، وهي وجهه إلى عباده، يعرفه بها من عرفه، كما تعرف النار إذا رأيت الحديدة المحماة بها؛ لأنها -أي: الحديدة المحماة- محلٌّ فعل النار وتأثيرها، وتلك المقامات لا تفقد في حال، كما قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾[١].

قلتُ: (**وَهِيَ مَوْضُوْعُ عِلْمِ البَيَانِ، وَالَّذِيْ يُبْحَثُ فِيْهِ عَنْهُ هُوَ المَعَانِيْ، وَهِيَ أَرْكَانُ التَّوْحِيْد**).

أقول: هذه المقامات هي موضوع علم البيان -أي: التَّوحيد- كما قاله أمير المؤمنين عليه السلام، يعني أنَّ علم التوحيد يبحث فيه عن عوارض هذه المقامات الذاتية.

وليس موضوع علم التوحيد -كما قال المتكلمون-: أنه ذات الله تعالى؛ لأنَّ ذات الله لا تُدرك، فكيف يبحث عن عوارضها الذَّاتية؟!، مع أنَّـــه تعالى لا عوارض له إلا صفات هي عين ذاته، بكل اعتبار أو أحكام المقامات؛ الَّتي هي عنوانه.

فإذا توجَّهت العبارات المطلقة، والاعتقادات الصَّادقة[٢]؛ وَقعت على العنوان، إنْ كانت من أهل المعرفة والإيمان، والَّذي يبحث العارف فيه من المقامات هي المعاني -أي: أركان التَّوحيد- وهو المستفاد من

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) في بعض النُّسخ: (الاعتقادات الصافية).

كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وعلي بن الحسين عليهما السلام، لأنَّ تلك المقامات عوارضها الذَّاتية هي المعاني، أي: أركان التوحيد، وإلى هذا أشاروا عليهم السلام بقولهم: «**نَحْنُ الأَعْرَافُ الَّذِيْنَ لَا يُعْرَفُ اللهُ إِلَّا بِسَبِيْلِ مَعْرِفَتِنَا**»[١]، وَ«**لَوْلَانَا لَمَا عُرِفَ اللهُ**»[٢]، وَ«**مَنْ عَرَفَنَا عَرَفَ اللهَ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا لَمْ يَعْرِفِ اللهَ**»[٣]، وَ«**يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ**»[٤]، «**مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم**»[٥]، وأمثال ذلك من كلماتهم عليهم السلام.

---

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٨٤. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ١٨. تفسير العياشي، ج:٢، ص: ١٩. تفسير فرات الكوفي، ص: ١٤٣. بصائر الدرجات، ص: ٤٩٧. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٣٨.

(٢) بصائر الدَّرجات، ص: ٦١. مسائل علي بن جعفر عليه السلام، ص: ٣. بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٥٢٠.

(٣) عن أبي الحسن موسى عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «..**مَنْ عَرَفَنَا فَقَدْ عَرَفَ اللهَ، وَمَنْ أَنْكَرَنَا فَقَدْ أَنْكَرَ اللهَ** عز وجل..». [بحار الأنوار، ج: ١٦، ص: ٣٦٤ – ج: ٢٣، ص: ١٢٨. الأمالي للصدوق، ص: ٦٥٧. كمال الدين، ج: ١، ص: ٢٦١].

(٤) من دعاء شهر رجب؛ راجع: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٩٣.

(٥) من الزِّيارة الجامعة الكبيرة، راجع: من لا يحضره الفقيه، ج: ٢، ص: ٦١. تهذيب الأحكام، ج: ٦، ص: ٩٩. مستدرك الوسائل، ج: ١٠، ص: ٤٢٣. بحار

....←

←...
الأنوار، ج: ٩٩، ص: ١٣١. البلد الأمين، ص: ٣٠٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٢٧٦.

شرح

الفائدة الثالثة

فِيْ الإِشَارَةِ إِلَى القِسْمِ الثَّانِي

قلتُ:

(الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ
فِيْ الإِشَارَةِ إِلَى القِسْمِ الثَّانِي: وَهوَ الوُجُودُ المُطْلَق)

۞[مناسبة التّسمية، والمراد بالاطلاق]:

أقول: لَمَّا جرى الاصطلاح في التقسيم على تسمية المقامات والعنوانات بالوجود الحق، إذ لا يعرف منه إلا هي؛ ناسب أن يجري هنا على تسمية هذه الرتبة، التي: هي أوَّل التعينات، بالوجود المطلق، يعني أن هذا ليس هو الوجود الحق، ولكنه غير مقيد بشرط يتوقف عليه ولا ينتظر به.

وليس مرادنا بالإطلاق ما يقولونه؛ من أن المراد به الصَّادق على الواجب والممكن، بل المراد من الإطلاق هذا المعنى؛ لأنَّه لَمَّا كان الأزل لا تعيّن فيه، وكان الإمكان أول التعيّن، ولم يكن غيره هناك ليتوقف عليه؛ كان تعيّنه في نفسه بنفسه، ومن جهة تعلّقه متعلَّقه، والتَّعلق معنى فعلي، فتعيينه من ربه بنفسه، وتعيّنه بنفسه كان بالنسبة إلى ما سواه من المفعولات، التي يكون حصولها متوقفاً على شيء سواه مطلقاً، أي: غير متوقف الحصول على شيء غير نفسه.

۞[إطلاقات هذا القسم من الوجود]:

قلتُ: (وَالتَّعَيُّنُ الأَوَّلُ).

أقول: يُراد منه أوَّل صادرٍ بنفسه، وهو المشيئة والإرادة والإبداع؛ كما قال الرِّضا عليه السلام: [**«المَشِيْئَةُ وَالإِرَادَةُ وَالإِبْدَاعُ؛ ثَلَاثَةُ أَسْمَاء، وَمَعْنَاهَا وَاحِدَة»**[١]][٢]، وإنما تُسَمَّى هذه الرتبة بهذا الاسم؛ لمقابلته مرتبة الأزل، المسمَّاة بـــ(اللا تعيُّن).

قلتُ: (وَالرَّحْمَة الكُلِّيْة).

أقول: إشارة إلى مبدأ الكون؛ المشتمل على الفضل والعدل، فإنَّه صفة الرَّحمان العامة، وهي التي استوى بها على عرشه[٣]، وهي التي وسعت كل شيء[٤]، والرَّحمة الخاصة صفة الرَّحيم، المختصة بالمؤمنين.

---

(١) التوحيد، ص: ٤٣٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٤.

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في بعض النسخ.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾،[سورة طه، الآية:٥].

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾،[سورة الأعراف، الآيـــة: ١٥٦].

فالرَّحمة الكلية لها إطلاقان:

أحدهما: يُراد منه الفعل والمشيئة[١]، كما هو هنا.

وثانيهما: يراد منه أوَّل صادر عنه، وهو الحقيقة المحمَّديَّة.

قلتُ: (**وَالشَّجَرَة الكُلِّيَّة**).

أقول: يراد بهذه الشجرة الكلية إذا أطلقت أحد المعنيين السابقين، وسمِّيت بالشجرة؛ لكثرة تطورها في مظاهرها وآثارها، كالشجرة في تطورها إلى أصلٍ ولقاح، وغصون وورق وثمر.

قلتُ: (**وَالنَّفَس الرَّحْمَانِي الأَوَّلِي**).

أقول: هذا أيضاً يُطلق على المعنيين السَّابقين، فمعنى النَّفَس الرَّحماني -بفتح الفاء-: أنَّ هذا الوجود تقوَّمت به الوجودات الكونية تقوُّم صدور، إذا أريد بالنَّفَس الرَّحماني المعنى الأول، أي: المشيئة والإرادة والإبداع، كما تقوَّمت الحروف بحركة المتكلِّم بشفتيه ولسانه وأسنانه ولهاته. وتقوُّماً ركنياً، إذا أريد به المعنى الثاني -أي: أوَّل صادر عن المشيئة- أعني: الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم، كما تقوَّمت الحروف بالصَّوت الممتد من جوف المتكلِّم إلى الفضاء.

---

(١) في بعض النُّسخ: (الفعل وهو المشيئة).

وإذا قيد بالأولى -كما هو ها هنا- احتمل أن يُراد به المعنى الأوَّل خاصة، وأن يُراد به الرتبة الثانية منه عند اعتبار تزييله كما يأتي؛ إلَّا أنه هنا يكون الأنسب أن يُراد به المعنى الأول.

قلت: (**وَالمَشِيْئَة، وَالكَاف المُسْتَدِيْرَة عَلَى نَفْسِهَا، وَالإِرَادَة**).

أقول: المشيئة؛ هي الذِّكر الأول، يعني أنَّ الفاعل إذا أراد صنع شيء، أوَّل ما يذكره وتتوجه إليه العناية؛ هو المشيئة.

وإذا تأكَّد ذلك؛ العزم سُمِّي إرادة، وهو ما رَوى يونس عن الرِّضا عليه السلام[1].

---

(١) عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ؛ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: «**يَا يُونُسُ لَا تَقُلْ بِقَوْلِ الْقَدَرِيَّة، فَإِنَّ الْقَدَرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّة، وَلَا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَا بِقَوْلِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّة قَالُوا: ﴿الْحَمْدُ للَّه الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ﴾**[سورة الأعراف، الآية:٤٣]، **وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَكُنَّا قَوْماً ضالِّينَ﴾**[سورة المؤمنون، الآية:١٠٦]، **وَقَالَ إِبْلِيسُ: ﴿رَبِّ بِما أَغْوَيْتَني﴾**[سورة الحجر، الآية:٣٩].

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وَلَكِنِّي أَقُولُ؛ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى.

فَقَالَ: يَا يُونُسُ! لَيْسَ هَكَذَا، لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، يَا يُونُسُ! تَعْلَمُ مَا الْمَشِيئَةُ؟، **قُلْتُ**: لَا.

قَالَ: هِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ، فَتَعْلَمُ مَا الْإِرَادَةُ؟. **قُلْتُ**: لَا.

قَالَ: هِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ، فَتَعْلَمُ مَا الْقَدَرُ؟. **قُلْتُ**: لَا.

←....

وسُمِّيت بالكاف؛ لأنها هي أمر الله المعبر عنه بـــ(كن)، فالكاف إشارة إلى الكون، وهو المشيئة أو أثر المشيئة، والنُّون إشارة إلى العين، وهي الإرادة أو أثر الإرادة، فسمِّيت المشيئة بالكاف؛ لأنها منشأ الكون وهو الوجود، وسمِّيت الإرادة بالكاف بمعنى المشيئة وبالنون؛ لأنها منشأ العين، وبالمستديرة على نفسها؛ لأنَّ المشيئة هي الكاف وخلقها الله بنفسها، فهي في الاعتبار كاف خلقت بكاف، واستدارتهـــا في اعتبار كونها علة معاكسة لاستدارتهـــا في اعتبار كونها معلولة، لأنَّ العلة استدارتهـــا استدارة فاعلية، والمعلول فاستدارته استدارة مفعولية.

فلذا قيل لها: الكاف المستديرة على نفسها؛ لأنها باعتبار كونها معلولة تدور على نفسها باعتبار كونها علة.

...←

قَالَ: هِيَ الْهَنْدَسَةُ، وَوَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ.

قَالَ ثُمَّ قَالَ: وَالْقَضَاءُ هُوَ الْإِبْرَامُ وَإِقَامَةُ الْعَيْنِ».

قَالَ: فَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أُقَبِّلَ رَأْسَهُ، **وَقُلْتُ**: فَتَحْتَ لِي شَيْئاً كُنْتُ عَنْهُ فِي غَفْلَةٍ.[الكافي، ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير القمِّي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-١١٧].

قلت: (وَالكَلِمَة الَّتِي انْزَجَرَ لَهَا العُمْق الأَكْبَر).

أقول: مأخوذ من دعاء السِّمات للحُجَّة عليه عليه السلام[١]، والكلمة هي المشيئة، والمراد بها إمَّا [المشيئة][٢] الإمكانية، أو الكونيَّة، أو مطلقاً.

والعمق الأكبر على الأوَّل: هو الإمكان، الَّذي هو محل الوجود الرَّاجح ومتعلّقه، الذي وقته السَّرمد.

وعلى الثَّاني: هو الممكنات كلها، الَّتي وقتها الدَّهر، والكلمة حينئذٍ كالأوَّل، وقتها السَّرمد، وإنْ كان متعلقها وقته الدَّهر.

وعلى الثَّالث: هو العمق الأكبر مطلقاً، أي: سواء كان العمق الأكبر حقيقياً؛ كالإمكان، أم إضافياً؛ كالممكنات.

وانزجر: أي انفعل وانقاد، أي: العمق الأكبر بمعناها الثَّالث.

قلت: (وَالإِبْدَاع).

أقول: الإبداع هو الفعل، وهو خلق ساكن لا يدرك بالسكون، كما قال الرضا عليه السلام[٣]؛ يعني أنَّه ساكن، أي: غير متغير، لا أنَّه ساكن

---

(١) دعاء السِّمات المروي عن أبي عمرو العمري، راجع: البلد الأمين، ص: ٩٠. جمال الأسبوع، ص: ٥٣٧. المصباح للكفعمي، ص: ٤٢٥. مصباح المتهجد، ص: ٤١٩.

(٢) ما بين المعقوفتين ورد في بعض النسخ.

(٣) ورد في مناظرات الإمام الرِّضا علي بن موسى (صلوات الله عليه) واحتجاجه

....←

بالسكون الذي هو ضد الحركة؛ لأنَّ هذا السُّكون محدث به، ولا يجري عليه ما هو أجراه.

قلت: (وَالحَقِيْقَة المُحَمَّدِيَّة ﷺ).

أقول: الحقيقة المحمَّدية لها عندنا إطلاقان، وقد نُطلقها ونريد بها المقامات التي هي اسم الفاعل، كـ(القائم) الذي هو اسم فاعل القيام، والقائم مركب في الحقيقة من فعل متقوِّم بفاعله تقوُّم صدوره من أثر فعله، وهو القيام الذي هو الحدث، وهذا المقام أعلى ما يحصل في الإمكان الراجح.

ومثالها: الحديدة المحماة بالنار، فإنَّه لا فرق بين النَّار في تأثيرها وبين الحديدة المحماة بها؛ لأنها إذا أثَّرت فتأثيرها إنما هو تأثير النار بها، أي:

...←

على أرباب الملل المختلفة والأديان المتشتِّتة في مجلس المأمون، قال عمران: يا سيدي! أ لا تخبرني عن الإبداع، أ خلقٌ هو أم غير خلق؟.

قال له الرِّضا عليه السلام: «**بَلْ خَلْقٌ سَاكِنٌ لَا يُدْرَك بِالسُّكُوْن، وَإِنَّمَا صَارَ خَلْقاً؛ لأنَّه شَيْء مُحْدَث، وَاللهُ الَّذِي أَحْدَثَهُ، فَصَارَ خَلْقاً لَه، وَإِنَّمَا هُوَ اللهُ عزّ وجلّ وَخَلْقَهُ، لَا ثَالِثَ بَيْنَهُمَا، وَلَا ثَالِثَ غَيْرَهُمَا، فَمَا خَلق اللهُ عزّ وجلّ لَم يَعد أَنْ يَكُوْنَ خَلْقَهُ، وَقَدْ يَكُوْن الخَلْقُ سَاكِناً وَمُتَحَرِّكاً، وَمُخْتَلِفاً وَمُؤْتَلِفاً، وَمَعْلُوْماً وَمُتَشَابِهاً، وَكُلّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ حَدٌّ فَهُوَ خَلْقُ اللهِ عزّ وجلّ**». [التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. تحف العقول، ص: ٤٢٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦، وَج: ٥٤، ص: ٥٠].

جعلت النار فعلها في الحديدة، والحديدة محلٌّ فعلها، وهذا الفعل أحدثته النار به لا بفعل غيره، فمجموع الفعل وأثره كـ(القائم)؛ كـ(الحديدة المحماة بالنار).

فهذه الرُّتبة أوَّل التعينات وأعلاها، وهو المَثَل الأعلى -بفتح الثاء-[١]، والمثل الذي ليس كمِثْله شيء -بكسر الميم، وسكون الثاء-[٢]؛ لأنَّ الله سُبحانه خلقه آية له، لا يدل على غيره تعالى، ولا يَدل على نفسه؛ ولو كان مثله شيء لدلَّ عليه، ولو دَلَّ على غير الله تعالى؛ لزم التَّشبيه وارتفع التوحيد، وهذا هو التَّوحيد الخالص.

وقد نُطلقها ونُريد بها أثر المشيئة الكونية، وهو أوَّل صادر من مشيئة الله، وهو الوجود، وهو الماء الذي جعل منه كلَّ شيء حي[٣]، وهو العُنصر الأوَّل لكل محدث، وهو نور الأنوار، والمادَّة الأولى التي خلق الله كل شيء من شعاعها، وهي بمنْزلة القيام.

فعلى المعنى الأوَّل لا إشكال؛ إذ لم يكن قبل ذلك شيء.

---

(١) كما في قولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾،[سورة النحل، الآية: ٦٠].

(٢) كما في قولِه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾،[سورة الشورى، الآية: ١١].

(٣) كما في قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾،[سورة الأنبياء، الآية: ٣٠].

وعلى المعنى الثّاني؛ فعلى حَصر الاصطلاح لأقسام الوجود في الثّلاثة الأقسام، فهل يكون هذا النُّور الذي هو أوَّل صادر عن الفعل لاحقاً بالمطلق؛ لعدم تقييده بشيء، كما لا يتقيَّد الفعل، أم لا يكون لاحقاً، بل هو من المقيَّد؛ لأنَّه متوقِّف على قابليته وانفعاله، وهو غيره؟. فيه احتمالان.

وقد يُستَفاد من بَعض الأخبار إلحاقه بالأوَّل، والله سُبحانه أعلم.

قلت: (**وَالولَايَة المُطْلَقَة**).

أقول: المراد بالولاية المطلقة؛ السَّلطنة العامة لكل شيء دخل في ملك الله سُبحانه، في كلِّ ما تتعلق به إرادة الله سُبحانه، والمعنى فيها مثل ما قبلها؛ لأنَّ الحقيقة المحمَّدية والولاية المطلقة اسمان على معنى واحد عندنا، وإنما يختلف مفهومُهما بالاعتبار.

قلت: (**وَالأَزَلِيَّة الثَّانِيَة**).

أقول: نُريد أنَّ هذه المرتبة هي الرُّتبة الثانية عند ملاحظة التَّقسيم، وحيث كانت الأولى هي الأزلية الأوَّلية؛ كانت الثانية هي الأزلية الثانية.

وأمَّا قول علي عليه السلام: «**إنَّا أَصْحَابُ الأَزَلِيَّة الأَوَّلِيَّة**»، فيُحتمل أن يُراد منه الأوليَّة الإضافية؛ لأنَّ الآزال كثيرة، وكلها حادثة؛ فإذا أطلق الأزل احتمل أحدها، بخلاف ما لو قيل: (أزل الآزال)، فإنَّه لا يُراد منه إلَّا الواجب الحق عز وجل، وأن يراد منه الأوليَّة الحقيقية، ويكون المعنى: (أنا الَّذي ولايتي ولاية الله).

قلت: (وَعَالَمُ: «فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف»).

أقول: إشارة إلى قوله تعالى: **«كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف»**[1]، فإنَّه تعالى قبل التَّعريف كان كنـــزاً مخفياً، وقد تقدَّم الكلام فيه، فكان أوَّل ما صدر في الإمكان محبَّته لأنْ يُعرف، فهذا مأخوذ من الحديث.

قلت: (وَالمَحَــبَّة الحَقِيــقِيَّة).

أقول: المراد بالمحبة الحقيقية؛ هو عَالَم: **«فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف»**؛ لأنَّ المحبة تُستعْمل في الوجوب؛ وهي ذاته، ويُعرف بالتقييد بالحقية، وفي الإمكان الراجح؛ وهي فعله، ويُعرف بالتقييد بالحقيقية كما هنا، فالمحَّبة الحقَّية ذاته المقدسة، والمحبة الحقيقية فعله، وأول صادر عنه كما هنا.

قلت: (وَحَرَكَة بِنَــفْسِهــَا).

أقول: يُراد به الفعل؛ لأنَّ مفعوله أنَّه حركة إيجادية، وكونها حركة بنفسها على حدِّ خلق الله المشيئة بنفسها.

---

(١) شرح توحيد الصدوق، ج: ٤، ص: ٤٠. جامع الأسرار، ص: ١٠٢. بحـــار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٩٩- ٣٤٤.

قلت: (**وَالاسْمُ الَّذي اسْتَقَرَّ فِي ظِلِّه، فَلَا يَخْـرُج مِنْهُ إِلَى غَيْرِه**).

أقول: مَأخوذ من الدُّعاء عنهم عليهم السلام[1]، والمراد أنَّ الفعل اسمه تعالى. ومعنى استقر في ظله تعالى، أي: أنَّه أقامه بنفسه، فهو الاسم وهو الظِّل.

والضَّمير في (ظلِّه): يجـوز أنْ يعود إلى الله، أي: استقرَّ في ظِل الله تعالى، وظل الله هو ذلك الاسم. ويجُوز أنْ يَعود الضَّمير إلى ذلك الاسم، والمراد من ظله نفسه، كما في الحديث: «**يُمْسِكُ الْأَشْيَاءَ بِأَظِلَّتِهَا**»[2]، ويكون المعنى على الاحتمالين واحداً.

و معنى (عدم خروجه منه إلى غيره): أنَّه لا تَتكوَّن منه الأشياء، كما يذهب إليه ضِرَار وأصحابه وكثير من الصُّوفية؛ بأنَّ الأشياء مركبة من

---

(١) رَوى محمد بن علي الطرازي بإسناده إلى أبي علي بن إسماعيل بن يسار قـال: لَمَّا حمل موسى عليه السلام إلى بغداد، وكان ذلك في رجب سنة تسع وسبعين ومائـة، دعا بهذا الدُّعاء، وهو من مذخور أدعية رجـب: «..**وَهَـذَا رَجَـبُ الْمُرَجَّـبُ [الْمُكَرَّم]، الَّذي أَكْرَمْتَنَا بِهِ، أَوَّلَ الْأَشْهُرِ الحُرُم، أَكْرَمْتَنا بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، يَا ذَا الجُوْدِ وَالكَرَمِ، فَنسْأَلُكَ بِه، وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَم، الْأَجَلِّ الْأَكْـرَمِ، الَّذي خَلَقْتَهُ فَاسْتقرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ؛ أَنْ تُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِيْن**..».[إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمـين، ص: ١٨٤. المصباح للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتهجِّد، ص: ١٥].

(٢) الكافي، ج: ١، ص: ٩١. التوحيد، ص: ٥٨. بحـار الأنـوار، ج: ٤، ص: ٢٨٦.

وجود؛ وهو مشيئة الله، ومن ماهيةٍ؛ وهي الإنيَّة، ولو كان كذلك لخرج منه إلى غيره، فافهم الإشارة.

قلت: (**وَهْوَ المَكْنُوْن المَخْزُوْن عِنْدَه**).

أقول: مَأخوذ من حَديث (حُدوث الأسماء)؛ المرويِّ في الكافي[1]، فإنَّه هناك هو هَذا، والمعنى هنا مثل المعنى: (استقرَّ في ظلِّه).

قلت: (**وَصُبْـــحُ الأَزَل**).

أقول: مَأخوذ من قول علي عليه السلام لكميل في قوله: «**نُوْرٌ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الأَزَلِ**»[2]، أي: من المشيئة.

قلت: (**وَفــِعْل بِنَفْــسِه**).

أقول: مَعناها مثل خلق الله المشيئة بنَفسها .

---

(١) وإليك الحديث بتمامه، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَـــالَ: «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً بِالْحُرُوفِ غَيْرَ مُتَصَوَّتٍ، وَبِاللَّفْظِ غَيْرَ مُنْطَقٍ، وَبِالشَّخْصِ غَيْرَ مُجَسَّدٍ، وَبِالتَّشْبِيهِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ، وَبِاللَّوْنِ غَيْرَ مَصْبُوغٍ، مَنْفِـــيٌّ عَنْهُ الْأَقْطَارُ، مُبَعَّدٌ عَنْهُ الْحُدُودُ، مَحْجُوبٌ عَنْهُ حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ، مُـــسْتَتِرٌ غَيْـــرُ مَسْتُورٍ، فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مَعاً، لَيْسَ مِنْهَا وَاحِدٌ قَبْلَ الْـــآخَرِ، فَأَظْهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَسْمَاءٍ؛ لِفَاقَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهَا، وَحَجَبَ مِنْهَا وَاحِداً، وَهُوَ الِاسْـــمُ الْمَكْنُونُ الْمَخْزُونُ**». [الكافي، ج: ١، ص: ١١٢. التوحيد، ص: ١٩٠. بحـــار الأنوار، ج: ٤، ص: ١٦٦].

(٢) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وَص: ١٧٠.

قلت: (وَعَـــالَم الأَمْـــر).

أقول: عالم الأمر مقابل عالم الخلق، من قوله تعالى: **﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾**[1]، والأمر هنا في الآية يحتمل معناه الظاهري، أي: مردُّ الأمور كلِّها، في الغيب والشَّهادة، والدُّنيا والآخرة؛ إلى حكمه.

ويُحْتمل أنْ يُراد به: المشيئة.

ويُحْتمل أنْ يُراد به: الحقيقة المحمَّدية.

وقوله تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾**[2]، وقول الصَّادق عليه السلام -في الدُّعاء-: **«كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ»**[3]، يحتمل الأمر فيهما الإحتمالين الأخيرين، فإنْ أريد به المشيئة؛ كان قيام كلّ شيء به قياماً صدوريّاً، وإنْ أريد به الحقيقة المحمديَّة؛ كان قيام كلّ شيء به قياماً ركنياً كما تقدَّم .

قلتُ: (وَمَا أَشْبَه ذَلِكَ).

أقول: يَعني من الأسماء الَّتي يُسمَّى بها هذا الوجود، كما اصطلحوا عليه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية:٥٤.

(٢) سورة الروم، الآية:٢٥.

(٣) من دعاء يوم السبت؛ راجع: البلد الأمين، ص: ٩٧. مصباح المتهجـــد، ص: ٤٣١. بحار الأنوار، ج: ٨٧، ص: ١٤٨.

۞[صفة مبدأ الوجود المُطلق]:

قلتُ: (وَصِفَةُ بَدْئِه بِنَفْسِهِ).

أقول: أي كيفيَّة بدئه على حَسب ما تُدركه الأفئدة المستنيرة بنور الله، وهو في نفسه لا كيفية لَه ولا توصيف؛ لأنهما إنما وُجدا به، فإذا أُطلقا تَبادرا إلى الله ومثاله وعنوانه الَّذي في الأفئدة.

ومع هذا فلا يَتوجَّه ذلك التَّوصيف إليه بذاته، إذ لو صحَّ ذلك في عنوانه صح فيه؛ لأنَّه إنَّما يُعرف به، وإنما يتوجَّه إليه من حيث متعلقه، فإنَّه تجري عليه الكيفية والتَّوصيف، كما تعتبر الكثرة والتعدُّد في الحركة عند الكتابة، باعتبار تعلقها بالحروف؛ وإلَّا فهي في نفسها بسيطة، وتُسمَّى جهات التَّعلق بالمتعلقات رؤوساً ووجُوهاً؛ فلذلك نعتبر لها باعتبار تعلق رؤوسها ما يجري على متعلقاها.

قلتُ: (إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَبَضَ مِنْ رُطُوْبَةِ الرَّحْمَة بِتِلْكَ الرُّطُوْبَة نَفْسهَا بِهَا).

أقول: يَعني أنَّه تعالى قَبض -وقبضَ: فعلٌ منه- من رطوبة الرَّحمة، وهذه الرُّطوبة هي نفس (قبض). ولهذا قلت: (بتلك الرُّطوبة)؛ لأنَّ (قبض) هذا هو الفعل المقبوض به، ففسَّرته بقولي: (بتلك الرُّطوبة).

وقولي: (من رطوبة الرَّحمة)، أعني المقبوض منه، وفسَّرته بقولي: (بتلك الرُّطوبة)، فقولي: (بتلك الرُّطوبة)؛ تفسيرٌ لقبض، أعني: المقبوض

به، والمقبوض منه. فـــ(قبض): فعل مقبوض به، ومقبوضٌ منه؛ لأنَّ (قبض) هو نفس تلك الرُّطوبة المقبوض بها، والمقبوض منها.

ولَمَّا كانت العبارة ضيِّقة؛ ربما يُتوهَّم أنَّ (مِنْ) في قولي: (من رطوبة الرَّحمة) للتبعيض أو للابتداء، فيلزم على الحالين ثبوت رطوبة الرَّحمة قبل (قَبَضَ)، وأنَا أريد أنَّ رطوبة الرَّحمة هي نفس (قَبَضَ)؛ رفعت ذلك التَّوهم بقولي: (بتلك الرُّطوبة نفسها).

وبيَّنت أن المقبوض منها عين المقبوض بها، بلا تغاير إلَّا في التعبير؛ لضيق الألفاظ عن ذلك المعنى، فبيَّنته بتأكيد بقولي: (بها)؛ لئلَّا يتوهم أنها في ذاتها باعتبار مأخوذ بها، وباعتبار آخر مأخوذ منها، أو هي مأخوذة، بل مراد أنها بلحاظ واحد، واعتبار واحد مأخوذ بها ومأخوذ منها، ومأخوذة -يعني: قبضت- بها، فلم يكن لها تحقُّق ولا ثبوت ولا ذكر في مرتبة من مراتب الوجود مطلقاً قبل قبضها بها، فافهم.

قلتُ: (**أَرْبَعَة أَجْزَاء بِهَـــا**).

أقول: مفعول القبض، وأنَّ المعنى في هذا هو عين المعنى الأول، يعني أنَّ الأربعة الأجزاء هي: (القبض، والمقبوض، والمقبوض به، والمقبوض منه)، بلا تغاير حتى في الاعتبار.

وقوله: (بها)، أي: بالأربعة الأجزاء، التي هي حقيقة (قبض)، أي: رطوبة الرَّحمة، فإنَّ (قبض) هو تلك الرطوبة، وهو تلك الأربعة الأجزاء؛ ولهذا قلت: (بها). فكلُّ هذه الألفاظ المتعدِّدة معناها شيء واحد لذاته، لا تعدُّد فيه؛ لا في نفس الأمر، ولا في الخارج، ولا في الذِّهن، و إنما توجَّه

الفؤاد في هذه الألفاظ المتعددة إلى المعنى البسيط باعتبار تعدُّد تعلُّقه، فافهم.

قلتُ: (وَمِنْ هَبَائِهَا بِهِ جُزْء بِهِ).

أقول: يَعني أنَّه قبض ذلك الفعل، الذي به قبض الرُّطوبة المذكورة، التي هي ذاته من هباء الرَّحمة -أعني: يبوسها- وهي الرُّطوبة المذكورة بهذا المقبوض به، ومنه جُزءاً بذلك الجزء، الذي هو نفس الأربعة المذكورة سابقاً، فالرُّطوبة نفس اليبوسة، والأربعة عين الواحد، وإنما اختلفت أسماؤها باعتبار الآثار المختلفة.

ولا يُتوهَّم أنَّ هذا شيء ممتنع ولا تدركه العقول، فإنَّك تسمِّي زيداً عالِماً ونجَّاراً وخيَّاطاً وكاتباً، وليست هذه الأسماء المختلفة واقعة على متعدِّد في ذاته؛ لأنه هو العالِم، وهو النَّجار، وهو الخيَّاط، وهو الكاتب، وليس مرجع (هو) مختلفاً متعدِّداً، ولكن بالآثار تكثَّرت أسماء صفاته، وليس تكثر ذواتها وذواته، وإنما سمِّي بها باعتبار آثارها، وكذلك أنت سميع، أنت بصير، أنت قدير، وليست القدرة فيك شيئاً متميزاً غير البصر، وهو غير السمع، بل يُقال: (أنت)، و(أنت) ليست بصفة من صفاتك، وإنما هي لك، فأنت أنت لا غيرك، وسمِّيت بها باعتبار الآثار.

وإلى هذا المعنى أشار علي عليه السلام بقوله: «**وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ**

الصِّفَاتِ عَنْهُ، بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ..إلخ»[١]، فمن فهم ما أشرت إليه؛ فهم كلامه عليه السلام، وإلّا فلا.

وما أشرنا إليه من هذا النحو، فإنَّ الوجود المطلق ليس شيئاً في الإمكان، ولا من الممكنات أبسط منه، إذ كلُّ ما سواه منه كان[٢]، وعنه صدر، فلا يتعدَّد، ولا يتركَّب؛ لأنَّ التعدُّد والتَّركيب محدَثان به.

قلتُ: (فَقدرهُمَا بِهِمَا فِي تَعْفِيْنِ هَاضِمَتَها).

أقول: فقدر الجزئين، أعني الأربعة الأجزاء الرَّطبة، والجزء اليابس بهما، أي: بذينك الجزئين؛ لأنهما هنا نفس (قدَّر) الذي هو فعل التقدير، على نحو ما تقدَّم.

والمراد بهذا التَّقدير: هو تقدير الحدود الفعلية والهندسة الإيجادية، وهي عين هذا المقدر.

وقولي: (في تعفين هاضمتها)، أريد به: أنه لَمَّا اجتمعت الرطوبة واليبوسة، التي هي منشأ الحرارة، حصل بها التعفين؛ لأنَّ كل مكون لابد

---

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٤٠. التوحيد، ص: ٥٧. وفي بعض المصادر جاء على النحو التالي: **«وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ..»**.[نهج البلاغة، ص: ٣٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ١٩٩. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٢٦. نهج الحق، ص: ٦٥].

(٢) في بعض النُّسخ: (ما سواه منه فبه كان).

لَه من تعفين بنسبته، والتَّعفين لا يكون إلا بالحرارة والرُّطوبة، فإنْ كَان المكون مركَّباً -كالمفاعيل- تعدَّدت الجهات فيه وتكثرت، وإنْ كان بسيطاً مطلقاً -كما في الفعل- اتحدت جهاته، وأحكام الجهات إنما تطلق عليه باعتبار متعلقاته عند تعلقه بها كما مرَّ.

ولَمَّا كان كل مكوَّن لابد لَه من التَّعفين -كما بُرهن عليه في الحكمة الطبيعية- وكان هذا التَّقدير مكوناً بنفسه؛ وجَب أنْ يكون لَه تعفين يفرض سبقه عليه، بيَّنت ذلك بقولي: (في تعفين هاضمتها).

أعني: أنَّ هاضمة تعفين هذا التَّقدير حين تحقَّقت في نفسها تحقَّقت هذا التقدير؛ لأنها عينه بلا مغايرة، وإنْ فرض سبقها عليه، كما هو في متعلق الفعل من سائر المفعولات، فقلت: (في هاضمة تعفينها)، أريد: أنَّه قدر فيها؛ لأنها هو.

والمراد بهذه العبارة إذا كانت في المفعول أن أجزائه تنحل بعضها في بعض، حتى تكون بطبخ الحرارة والرطوبة شيئاً واحداً لا اختلاف فيه.

والفعل لَمَّا كان شديد البساطة؛ أُلحق أحكام متعلقاته به في الاعتبار الفؤادي، لا في الواقع الخارجي؛ لشدة بساطته فيه، وإنما ذكرت سَابقاً أنَّ الرطوبة أربعة أجزاء واليبوسة جزء واحد؛ لأنَّ الأجزاء الرطبة لو كانت أقل كان الغالب على الماء الغلظة، ولا يصلح لاستعماله عبيطاً، فإنَّ الماء كما تحتاج إليه الأشياء في الأغذية، التي هي موادها ووجودها كذلك تحتاج إليه في الشرب، الذي هو مزاج تلك الأغذية.

فلو قلت: الأجزاء الرطبة لم يكن ماء، ولو زادت لم تحصل

المشاكلة، يعني: إنّا نريد أن يكون بين الماء والتراب مشاكلة؛ ليحصل التأليف للغذاء منهما، والمشاكلة إنما تحصل في الماء للتراب إذا انحل فيه شيء من التراب، فإنه إذا انحل فيه وافق التراب في تركيب الغذاء -كما يأتي-.

والحالة المعتدلة في تركيب الماء ليشاكل التراب ولا ينفر منه؛ أنْ ينحل في الأربعة الأجزاء الرطبة جزء من التراب، فإذا زادت الرطوبة ضعفت المشاكلة، وإن نقصت ضعف جانب المائية، وإنما حصل الاعتدال في الأربعة؛ لسرٍّ ظهر آثاره في الموجودات، لا يسهل بيانه إلّا بذكر أشياء لم تتم إلا بذلك.

مثل: الزَّوج لَه أربعة نساء في الحال التام، الذي يغلب فيه حصول العدل؛ ولو زادت غلب عدم العدل، ولهذا إنما حصل الزائد عليهن في النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لعدم حصول حيف في طبيعته، ومع هذا فأعانه الله بقوله: **﴿تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء..﴾**[1]، ومَنع عنه الأئمة عليهم السلام؛ للمشاركة للرَّعية.

ومثل: كون الأشياء أربعة للشيء الواحد، فإن الوجود يدور على خلق ورزق وحياة وممات، وهو واحدٌ، والإنسان واحدٌ، وطبائعه أربع، والعرش مربع، والبيت المعمور مربَّع، والكعبة مربَّعة؛ كما في الحديث[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥١.

(٢) رُوِي عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ سئل لم سُمِّيت الكعبة كَعْبَةً؟.

....←

والكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر). وأحرف الاسم الأعظم أربعة: (التَّوحيد، والنُّبوة، والإمامة، والشِّيعة). والبَسْملة -التي فيها سرٌّ القرآن، وفاتحة الكتاب- أربعة: (الله، والرَّحمن، والرَّحيم، واسم). وإن شئت قلت: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهي واحدة.

والحاصل: ربما تتوهَّم أنَّ هذه الأمور إنما هي مناسبات، لا يبتنى عليها أسرار الخليقة.

وأقول: ليس كذلك، ولكن لَمَّا لم يكن بيان السِّر في نفسه، الذي حصل عند الأربعة، قيل: أنها مناسبات، وهي حكم سرها الله سبحانه بحجب من الغيوب، وأظهر آثارها في خلقه، وجعل الآثار دالَّة على

→...

قال: «**لِأَنَّهَا مُرَبَّعَةٌ**.

فقيل لَه: ولِمَ صَارَتْ مُرَبَّعَةً.

قال: **لِأَنَّهَا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَهُوَ مُرَبَّعٌ**.

فقيل لَه: ولِمَ صَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مُرَبَّعاً؟.

قال: **لِأَنَّهُ بِحِذَاءِ الْعَرْشِ، وَهُوَ مُرَبَّعٌ**.

فقيل لَه: ولِمَ صَارَ الْعَرْشُ مُرَبَّعاً؟.

قال: **لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ أَرْبَعٌ؛ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**».[من لا يحضره الفقيه، ج: ٢، ص: ١٩. علل الشرائع، ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٥].

الأسرار، قال الرِّضا عليه السلام: **«قَدْ عَلِمَ أُوْلُوْا الأَلْبَابِ؛ أَنَّ الاسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَا هُنَا»**[١].

قلتُ: **(وَانْحَلَّا بِهِمَا، وَانْعَقَدَا بِهِمَا، وَتَرَاكَمَا بِهِمَا).**

أقول: يعني أن الأجزاء الرَّطبة والجزء اليابس انحلا، أي: ذاب كل منهما بالآخر، الذي هو نفسه حتى كان الاثنان واحداً، على فرض حكم المتعلّق.

وانعَقدا -كذلك- أي: جمدا كناية عن قيامهما بأنفسهما.

وتراكما -كذلك- أي: اجتمع كل شيء منه بكل شيء منه.

مثاله: كالهواء الذي جذبه من يريد الكلام إلى جوفه، فيجمعه في المخارج؛ وهو كناية عن حله، ثم يقطع الحروف؛ وهو عبارة عن عقده، ثم يركب الكلام؛ وهو عبارة عن تراكمه.

وحاصل معنى جميع ما سمعت: هو أنه أحدث الفعل بنفسه بغير اعتبار تعدد، فإذا أردت تفصيله على فرض ما لو كان مركباً؛ فهو كما سمعت، وعلى لِحَاظ عدم تركيبه؛ فكما عبرنا به من اتحاد المقبوض به، والمقبوض منه، والقبض، وهكذا إلى آخره.

---

(١) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

قلتُ: (وَهَذَا هُوَ المَشِيْئَة، وَهوَ المُسَمَّى بِتِلْكَ الأَسْمَاء المُتَقَدِّمَة).

أقول: يعني هذا هو الوجود المطلق، وهو الوجود الراجح، والإمكان الراجح؛ الذي ذكرنا كيفية بدء متعلقه.

ونسبناها لَه؛ لما بين المتعلق وبين التعلق من المناسبة، ولما بينهما وبين الفعل من مشابهة الصفة الفعلية، فإنَّ كل أثر يشابه صفة مؤثِّره التي عنها صدر.

[مراتب الوجود المطلق في تزييل الفؤاد]:

قلتُ: (وَلهذَا المَقَام فِي تَزْيِيْل الفُؤَاد أرْبَع مَرَاتِب).

أقول: لهذا المقام، أي: الوجود المطلق، والإمكان الراجح، والسَّرمد.

في تزييل الفؤاد، أي: في تمييزه وتقسيمه وتفريقه، فإنَّ غير الفؤاد من المشاعر والمدارك لا تدرك شيئاً ولا حالاً، من نحو هذا المقام.

أربع مراتب: من السَّمع[١] والبصر والخيال والعقل؛ لأنها إنما تدرك الكيفية المحدودة بحدود الحسية أو الخيالية أو العقلية، بخلاف الفؤاد؛ فإنَّه يدرك الشيء مجرداً عن كل سُبُحاته[٢] وعوارضه الذاتية والعرضية؛ ولهذا جَاز استعماله في هذا المقام البسيط العاري عن كلِّ ما سوى محض ذاته.

---

(١) مثل السمع: (في بعض النسخ).

(٢) سُبُحات -بضمتين- موضع السُّجود، وسبحات وجه الله: أنواره. (هامش بعض النسخ).

وإنما قسَّمه إلى أربع مراتب؛ بأجزاء أحكام[١] متعلقاته عليه -كما مرَّ- فإنه لَمّا اعتبر آثاره التي تشابه حدود ذواتها صفته وتعريفه ووجودها؛ خرجت في هذه الأربعة المراتب، وقد قال عليه السلام: **«العُبُوْدِيَّة جَوْهَرَةٌ كُنْهِهَا الرُّبُوْبِيَّة، فَمَا فُقِدَ فِي العُبُوْدِيَّة وُجِدَ فِي الرُّبُوْبِيَّة، وَمَا خَفِيَ فِي الرُّبُوْبِيَّة أُصِيْبَ فِي العُبُوْدِيَّة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ..﴾[٢] »**[٣].

حكم على هذه المقام بتلك الأحكام، وإنْ كانت باعتبار متعلقاته، لا باعتبار ذاته؛ وذلك لأنَّ (وجده) كلمةٌ من الفاعل، والكلمة إذا اعتبرها في نشؤها وبدئها وجدها كذلك، أي: في هذه الأربع المراتب، فأجرى عليها حكمها؛ لأنها آية تعريفها، وهي أيضاً كلمة الله، فكما أن المتكلم يأخذ بحركة جوفه من الهواء أربعة أجزاء رطبة -أي: حية- لصلوحها لصوغ الحروف.

وكونها أربعة؛ لأنها هي نسبة المادة الأولى إلى الصورة، التي هي جزء واحد بالنسبة إلى المادة، يعني أنَّ صورة الحروف من ترتيبها وحركاتها بالنسبة إلى مادتها واحد من أربعة، كما أشرنا إليه سابقاً مما يطول بيانه، ويخفى برهانه.

---

(١) في بعض النُّسخ: (بأجزاء الأحكام).

(٢) سورة فصلت، الآية:٥٣.

(٣) من أقوال الإمام الصادق عليه السلام، راجع: مصباح الشريعة، ص: ٧.

ويصوغ ذلك الهواء المأخوذ حروفاً بعد حله بتسهيله في المخارج، وإعطائه الأصوات منه، أي: من الهواء بها، أي: بتلك الآلات الفاعل بها من حركة اللسان والشفة والأسنان واللهاة، ثم يركبه كلمة.

فالمرتبة الأولى: الهواء المأخوذ إلى الجوف.

والثانية: حله ومده ألفاً من الجوف إلى الفضاء، وهو المسمى بالنَفس الرحماني في كل شيء بنسبته.

والثالثة: صوغه حروفاً.

والرابعة: تركيبه كلمة تامة مفهمة.

فكما أنَّ الكلمة اللفظية -التي هي فعلٌ منك- لا تتم إلا بهذه المراتب الأربعة، كذلك الكلمة الفعلية -التي هي قولٌ من الله- لا تتم إلا بهذه الأربع المراتب، فالكلمة اللفظية آية بيان الكلمة الفعلية.

قلتُ: (**فَالأُوْلَى؛ الرَّحْمَةُ وَالنُّقْطَةُ، وَالسِّرُ المُسْتَسِرُّ، وَالسِّرُ المُجَلَّل بِالسِّرِ**).

أقول: يعني فالمرتبة الأولى -بالنسبة إلى توصف المشيئة- الرَّحمة، مأخوذة من قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾[1]. يعني أنَّ الرحمة سابقة، والرياح علامة حصولها، وبشرى بين يديها.

فأوَّل التعين والذكر؛ الرَّحمة السابقة، التي هي علة الإمكان وعلة

---

(١) سورة الأعراف، الآية:٥٧.

الأكوان، ويسمى أيضاً بالنقطة، بملاحظة كون الكتاب التدويني مطابقاً للكتاب التكويني وبالعكس، والكتاب التَّدويني أوَّل ما صدر منه: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وأولها الباء، وأول الباء النقطة؛ لأنَّ الكاتب أول ما يكتب أن يضع القلم على القرطاس؛ فتحدث به النقطة، ثم يجر القلم؛ فتحدث الباء، وهذه النقطة صورتها النقطة تحت الباء، وكونها تحت الباء كناية عن كونها حاملة للباء، أي: متقومة بها وأُخذ لكل أصل اسم النقطة، ومن هذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«أَنَا النُّقْطَةُ تَحْتَ البَاء»**[1].

والسِّر المستسر، والسِّر المجلل بالسِّر؛ مأخوذ من قول الصادق عليه السلام: **«إنَّ أَمْرَنَا هُوَ الحَقُّ، وَحَقُّ الحَقِّ، وَهُوَ الظَّاهِرُ، وَبَاطِنُ الظَّاهِرِ، وَبَاطِنُ البَاطِنِ، وَهُوَ السِّرُ، وَسِرُّ السِّرِ، وَسرّ [المُسْتَسِرّ، وَسِرٌّ مُقَنَّعٌ] بِالسِّرِ»**[2]، وفي رواية: **«وَسِرٌّ مُجَلَّلٌ بِالسِّرِ»**.

ومعنى المجلَّل والمقنَّع واحد؛ ويراد بهما هذه الرتبة من الفعل، فهذه

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«جَمِيْعُ أَسْرَارِ اللهِ تَعَالَى فِي الكُتُبِ السَّمَاوِيَّة، وَجَمِيْعُ مَا فِي الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ فِي القُرْآن، وَجَمِيْعُ مَا فِي القُرْآن فِي فَاتِحَةِ الكِتَاب، وَجَمِيْعُ مَا فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ فِي بِسْمِ الله، وَجَمِيْعُ مَا فِي بِسْمِ اللهِ فِي البَاء، وَجَمِيْعُ مَا فِي البَاءِ فِي النُّقْطَةِ تَحْتَ البَاء، وَأَنَا النُّقْطَةُ تَحْتَ البَاء»**.[شرح خطبة البيان، ص: ١٣، وقريب منه في: مشارق أنوار اليقين، ص: ٢١. المجلسي، ص: ٤٠٩. مصابيح الأنوار، ج: ١، ص: ٤٣٥. نور البراهين، ج: ٢، ص: ٤].

(٢) بصائر الدرجات، ص: ٢٩. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٧١، ما بين المعقوفتين أدرجناه من المصدر.

الأسماء الأربعة لهذه الرتبة من الفعل.

قلتُ: (وَالثَّانِيَةُ؛ الرِّيَاحُ، وَالنَّفَسُ الرَّحْمَانِي الأَوَّلِيّ -بِفَتْحِ الفَاءِ- المُشَار إِلَيْهِ بِالانْحِلَالِ الأَوَّل).

أقول: يعني الرتبة الثانية تسمَّى بالرياح، من قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه﴾**[1]، ويُسمَّى النَّفَس الرحماني -بفتح الفاء- الأَوَّلِيّ؛ لأنَّ إطلاق النَّفَس الرحماني في اصطلاحهم يختلف باختلاف أماكنه، فالأولى هنا كالألف في التلفظ بالكلمة، فإنه يمتد من الجوف إلى الفضاء، ومنه تقطع الحروف، وهذا وإن لم يكن كذلك؛ لأنَّ الألف تقطع منه الحروف من ذاته أو من صفات ذاته، وعلى الاحتمالين ولا يصلح مثالاً للفعل؛ لأنَّ المفعولات لا تقطع من ذات الفعل، ولا من صفة ذاته، وإنما يصلح الألف اللينة مثالاً للنفس الرحماني الثانوي، الذي هو الرتبة الثانية من أول صادر من الفعل، أي: الموجود[2]، المعبر عنه بالعنصر، الذي منه خلق كل شيء، وبالماء الذي منه كل شيء حي[3].

نعم..إذا أراد بالحروف المصاغة من الألف -الذي هو النَّفَس الرحماني الأَوَّلِي- رؤوس المشيئة ووجوهها المتعلقة بالمشيئات الجزئية؛ صلح

---

(١) سورة الأعراف، الآية:٥٧.

(٢) في بعض النُّسخ: (أي: الوجود).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**،[سورة الأنبياء، الآية: ٣٠].

مثلاً لذلك، فالنَّفَس الرحماني السَّاري في الأشياء بالقيومية الصدورية هو هذا، وهو الأولى، أو الكلمة بعد اعتبار تمامها، أو أنه سار في وجوهها بالقيومية الركنية.

وأمَّا النَّفَس الرحماني القائم في الأشياء بالقيومية الركنية؛ فهو الألف الثانوي، الذي هو أول صادر من الفعل.

وقولي: (المشار إليه بالانحلال الأول)، إذا لاحظ فيه ما ثبت في العلم الطبيعي؛ من أن كل مكون لا بد فيه من حلين وعقدين، فالهواء المأخوذ للكلمة اللفظية يحل من الجوف ألفاً ممتداً إلى الفضاء، وهو الحل الأول، ثم يقطع حروفاً؛ وهو العقد الأول، ثم تبسط للتركيب؛ وهو الحل الثاني، لاعتبار مناسبة بعضها لبعض وملاءمتها لَه، وعدم منافرتها، ثم يركب هذا المحلول الثاني كلمة؛ وهو العقد الثاني.

كذلك في الكلمة الفعلية؛ فأولها الرحمة، ثم يمتد ألفاً، وهو الحل الأول، وهو الرِّياح في [تأويل][١] الآية الشريفة: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِه..﴾**[٢]؛ كما مرَّ، ثم تقطع حروفاً، وهو السحاب المزجى، وهو العقد الأول، ثم يحل لمناسبة التأليف؛ كما أشرنا إليه في الكلمة اللفظية، وهو الحلّ الثاني.

ثم تركيب الكلمة التامة، وهو العقد الثاني، فأشار بامتداد الألف

---

(١) مابين المعقوفتين ورد في بعض النسخ.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

وإرسال الرياح إلى الحل الأول، وهو قولي: (المشار إليه بالانحلال الأول)، أي: الحل الأول.

قلتُ: (وَالثَّالِثَةُ؛ الحُرُوْفُ، المُشَارُ إِلَيْهَا بِالانْعِقَادِ الأَوَّلِ، وَهُوَ السَّحَابُ المُزْجَى، المُثَارُ مِنْ شَجَرِ البَحْرِ).

أقول: المراد بالحروف هنا؛ بمعنى الأجزاء المفروضة فيه باعتبار متعلقه، كما في الكلمة اللَّفظية، وما يُعتبر فيها من الحروف المقطعة من الألف.

أمَّا أنه يُشار إليها بالانعقاد الأول، فذلك لازم؛ لاعتبار كلٍّ من التأليف الاعتباري والحقيقي، كلٌّ بحسبه؛ لأنها صيغت حروفاً متمايزة من الألف بعد أن كانت نفساً منبثاً[1].

وأمَّا أنها هي السَّحاب المزجى؛ فلملاحظة كون تلك الكلمة سحاباً متراكماً، كما في التشبه عند سوقها وتوجهها إلى موات أرض القابليات، فإذا مثلت بالسَّحاب، كما في تأويل الآية، أعني: ﴿**وَهُوَ الَّذي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ..**﴾[2]، وذلك حين تراكمها، الذي هو عبارة عن تمامها؛ كانت قبل التَّمام والتركيب تمثل بالسَّحاب المزجى، الذي هو أول نشوئه؛ فإنه ينشؤ بخاراً من شجرٍ في البحر.

---

(١) البث: النشر والتفريق. (هامش بعض النُّسخ).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

والمراد: أنّ الأبخرة التي تجذبها أشعة الشمس حال دورانها، تحدث منها حين صعودها أوضاعاً؛ كالشجر.

والمراد من البحر: بحر البخار، الصّاعد بأشعة الشمس.

والحاصل: السَّحاب المزجى؛ هو ذلك البخار الصاعد قبل التأليف، كما قال تعالى: **﴿يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾**[١]، فالبخار الصَّاعد في السَّحاب؛ بمنـــزلة الحروف المقطعة في الكلمة، والسَّحاب المتراكم؛ بمنْزلة الكلمة بعد التأليف، ودلالة الكلمة على المعنى؛ بمنْزلة نزول الماء من السحاب، ووقوع الدلالة من الكلمة على ما يشاكل صفته من المعنى الميت المدفون في النَّفس؛ بمنْزلة وقوع الماء من السَّحاب على ما يُشاكل صفته من النبات الكامن في مادته من الأرض الميتة.

وللفعل ومتعلقه من المفعول الذي مادته من هيئة ذلك الفعل؛ ما للكلمة ودلالتها على المعنى، وللسحاب والماء النازل منه، وارتباطه بما يشاكله من لطيف الأرض الميتة؛ التي هي مادة النبات[٢] من الصفة والتَّمثيل، أي: للفعل ما للكلمة والسَّحاب من الصفة والتمثيل حرفاً بحرف؛ فلذا سمِّي بالكلمة، ومُثِّل بالسَّحاب، كما في تأويل الآية المذكورة سَابقاً وغيرها.

---

(١) سورة النور، الآية:٤٣.

(٢) في بعض النسخ: (اللذان هما مادة النبات).

قلتُ: (وَالرَّابِعَة؛ السَّحَابُ الْمتَرَاكِمْ، وَالكَلِمَةُ التَّامَة، وَالكَلِمَةُ الَّتِي انْزَجَرَ لَهَا العُمْقُ الأَكْبَر، وَالكَافُ الْمُسْتَدِيْرَة عَلَى نَفْسِهَا).

أقول: المراد بالسَّحاب المتراكم؛ المشيئة بلحاظها متعلقة بمفعولها؛ لأنها حينئذٍ لا تعتبر فيها الاعتبارات الأُول، كما أنَّ السَّحاب المتراكم لا يلحظ فيه جهة البخار، وصعوده وانعقاده.

ولهذا قلنا: الكلمة التامة؛ هي التي لا يلحظ فيها تقطيع الصوت وتأليفه، وهي أيضاً الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر، أي: التي انفعل وانقاد، وهي إذا أريد بها المشيئة الإمكانية؛ العمق الأكبر الحقيقي، الإمكان الراجح، وإذا أريد بها الكونية؛ فهو الممكنات وجميع الأكوان، وهو العمق الأكبر الإضافي، والإمكان المسَاوي المقيَّد.

والكاف المستديرة على نفسها؛ تقدَّم بعض بيانها.

۞[علة تعدُّد هذه المراتب]:

قلتُ: (وَهَذِهِ المَرَاتِبُ إِنَّمَا تَعَدَّدَت؛ بِاعْتِبَارِ التَّفْصِيْلِ الفُؤَادِيّ فِي كَشْفِهِ).

أقول: إنما تعدَّدت هذه المراتب في مراتبها في نفسها، بالقياس إلى هيئة تعلقاها بمتعلقاها؛ لما بينهما من المشابهة، كما بين حركة يد الكاتب وبين الحروف من المشابهة في الهيئات، وذلك باعتبار كشف الفؤاد، لا في نفسها؛ لأنها في نفسها في كمال البساطة الإمكانية.

ولهَذا قلتُ: (وَإِلَّا فَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بَسِيْطٌ، لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ أَبْسَطُ مِنْهُ).

أقول: إنه في نفسه بسيط؛ لعدم وجود شيء قبله يصلح أن يكون جزءاً يتركب منه، إذ كل شيء فرض فهو من آثاره، فلا تتركب مما هو من آثارها، وكل ما يتميز في الأوهام، أو يتصوَّر في النفوس، أو يتعقل بالعقول؛ فهو من أثره أو أثر أثره.

وقولي: (ليس في الإمكان أبسط منه)؛ لإخراج الواجب تعالى، ولإخراج عنوانه؛ لأنَّه وإنْ كان من الممكنات[1]، لكنه لا يعتبر في الإمكان، إذ لو اعتبر في الإمكان لم يعرف الواجب تعالى به؛ لأنه تعالى ليس في الإمكان، فلا يُعرف بما في الإمكان.

فلمَّا كان ما سوى الله سبحانه ممكناً، وقد خلق هذا العنوان دليلاً؛ وجب أن يُلحظ مجرَّداً عن الإمكان؛ ليُعرف به ﷻ[2].

قلتُ: (خَلَقَهُ اللهُ بِنَفْسِهِ، وَأَقَامَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَمْسَكَهُ بِظِلِّهِ).

أقول: خلق الله ذلك الفعل -الذي هو المشيئة- بنفسه، إذ لا يحتاج في إيجاد الإيجاد إلى إيجاد آخر؛ لاستغنائه بنفسه عن غيره، لا لئلا يُلزم

---

(١) المقصود: عنوان الواجب.

(٢) أي: أن لفظ الواجب وإن كانت حقيقة حادثة غير قديمة، إلا أنها لما دلت على الواجب سبحانه للتّمييز بينها وبين كلمة الممكن التي دلت على معنى الممكن، أخرجها الشيخ ﵀ عن الإمكان فرضاً فقط لهذه الحيثية.

الدَّور أو التسلسل؛ لأنَّ لزوم الدَّور أو التسلسل ليس هو الدليل الذي نشأ عنه ذلك، نعم..هو دليل في المناقضة لإبطال دعوى المخالفة، وكما كان مخلوقاً بنفسه لا بفعل آخر.

كذلك كان (قائماً بنفسه) لا بشيء آخر، إذ ليس شيء غيره إلَّا الفاعل تعالى، والفعل لا يقوم بالفاعل قياماً ركنياً؛ لأنه المراد هنا.

نعم..هو قائم به قياماً صُدورياً، لكن نريد بالقيام هنا القيام الركني.

وكذلك المعنى في (أمسكه بظله)، يعني: أنه تعالى أمسك الفعل بظله، والضَّمير في (بظله) يَعود إلى الله سُبحانه، ويكون المراد منه نفس ذلك الفعل، كما في الدُّعاء: **«وَبِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ»**[1]، إذ المراد بالظل؛ نفس ذلك الاسم.

وإن قُلت: (أنَّ الضمير يَعود إلى الفعل)؛ جاز، والمراد به نفسه، ويعود المعنى كالأوَّل كما في الدُّعاء: **«يُمْسِكُ الْأَشْيَاءَ بِأَظِلَّتِهَا»**[2]، أي: بأنفسها، والمراد أنه تعالى يمسك كل شيء بمادة ذلك الشيء، إذ كل شيء يتقوم بمادته، وهي في كل شيء بحسبه.

---

(١) ورد في أدعية يوم السابع والعشرين من رجب: **«فَنَسْأَلُكَ بِهِ، وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ، الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ؛ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ»**.[إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمين، ص: ١٨٤. المصباح للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتهجد، ص: ٨١٥].

(٢) الكافي، ج: ١، ص: ٩١. التوحيد، ص: ٥٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٨٦.

۞[المشيئة والعمق الأكبر]:

قلت: (وَذَلِكَ فِي العُمْقِ الأَكْبَرِ عَلَى حَدِّهِ الأَعْلَى، فَهْوَ المُحَدّد لِلعُمْقِ الأَكْبَرِ، وَالعُمْقُ الأَكْبَر مُحَدِّد لَه، لَا يَفْضُل أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ).

أقول: يعني أن المشيئة -الَّتِي هي الفعل، إذا لا مشيئة لله غير فعله؛ لأنه تعالى لا يُفكر ولا يهم ولا يتروى- وهي مطابقة للعمق الأكبر، الذي هو الإمكان، وهو مطابق لها، لا يَزيد الإمكان عليها؛ فيكون شيء من الإمكان، لا تتعلق به المشيئة، ولا يزيد على الإمكان، فتكون قد وقعت على غير الإمكان ليس غير الإمكان إلّا الواجب تعالى، [والواجب ﷻ][1] لا تتعلق به المشيئة، بل هي مطابقة للإمكان، وهو مطابق لها؛ لأنها كفؤه، فالمشيئة آدم الأوّل، والإمكان حوّاء.

قلتُ: (وَهَذَا فِعْلُ اللهِ).

أقول: يعني أنَّ الوجود المطلق؛ هو فعل الله سُبحانه، وهو الإبداع والاختراع، والإرادة والمشيئة، وهذا ظاهر.

۞[بين الفعل والمفعول]:

قلتُ: (وَحَيْثُ عُلِمَ بِالضَّرُوْرَة؛ أَنَّ هَيْئَةَ المَفْعُوْلِ -مِنْ حَيْث هُوَ مَفْعُوْل- هَيْئَةُ الفِعْل، كَالكِتَابَةِ؛ فَإِنَّ هَيْئَتَهَا هَيْئَةُ حَرَكَةِ اليَدِ، فَعَلَى

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

حَسَبِ هَيْئَةِ حَرَكَةِ يَدِ الكَاتِبِ تَكُوْنُ كِتَابَتُهُ؛ وَجَبَ أَنْ تَكُوْنَ تِلْكَ الجِهَاتِ المُعْتَبَرَةَ فِي الفِعْلِ عَلَى جِهَةِ البَسَاطَةِ وَالاتِّحَادِ، تَكُوْنُ بِنَحْوِهَا فِي المَفْعُوْلِ عَلَى جِهَةِ التَّرْكِيْبِ وَالتَّعَدُّدِ).

أقول: يعني أن هيئة حركة يد الكاتب للألف كهيئة الألف، ولا يكون بتلك الحركة حرف الباء؛ لأنَّ هيئتها غير هيئة حركة كتابة الألف، وهكذا حسن الكتابة يدل على اعتدال حركة يد الكاتب وبالعكس؛ لأنَّ كل أثر يشابه صفة مؤثره القريب، الذي عنه نشأ -كما مثلنا بحركة يد الكاتب- فإنَّ هيئة الحرف تشابه هيئة الحركة المحدثة لَه، وهذا ظاهر.

بقي شيء: وهو أنَّ الحركة في نفسها بسيطة؛ لأنها الانتقال والتَّوجه إلى جهة ما، وهذا صادق على جميع وجوه الحركة في إحداث كل [فعل][1] حرف، فهي في الحقيقة بسيطة في كمال البساطة، وإنما تعتبر فيها المغايرة؛ إذا نسبنا بعض الوجوه إلى بعض، لا في نفسه بل من جهة تعلقه بمفعوله، الذي هو الحرف.

وأمَّا المغايرة في الحروف فهي حقيقية؛ لأنَّ هيئة كل حرف جزء ماهيته، بخلاف مغايرة هيئات وجوه الحركة[2]، فإنها ليست لذاتها لتكون جزء ماهية ذلك الوجه، وإنما هي لمتعلقها، والذي هو جزء ماهيتها هو الانتقال المبهم المتعين بالتعلق بالحرف الخاص.

---

(١) مابين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

(٢) في بعض النُّسخ: (هيئات وجود الحركة).

فإن قلتَ: هذا جزء ماهية الفعل الكلي، والكلام إنما هو في الجزئي.

قلتُ: نحن هكذا نريد؛ لأنَّ وجه المشيئة المختصة بزيد من حيث خصوص زيد وتعلقها به لا تصلح لعمرو، فالمغايرة حينئذٍ حقيقية، والتعدد حقيقي؛ لأنه إنما يتحقَّق مع التعلق الخاص، والتعلقات الخاصة متعددة، لكن الوجه المتعلق إذا نظرت إليه في نفسه لم تجد المغايرة إلا اعتبارية، أي: باعتبار التَّعلق وهو الذي أردناه، فهو في نفسه لا تكثُّر حقيقي فيه، ولا تركيب ولا تعدد، والذي نجده منها فهو باعتبار ارتباطه لمتعلقه، ونحن لم نجرِّده عن التَّعدد والمغايرة باعتبار تعلقه؛ لأن تعلقه من حيث الفعل واحد، ومن حيث المفعول كثير كالوجه المقابل للمرايا، فإنَّ التَّعدد والكثرة والمغايرة إنما هي في التعلق من حيث المرايا، لا من حيث الوجه، ولا من حيث خصوص المقابلة؛ لأنَّ خصوص المقابلة وإن كان فيها مغايرة اعتبارية -نظراً إلى المرايا وجهاتها- لكنها بالنظر إلى الوجه وإلى نفسها ليس كذلك .

قلتُ: (وَإِنْ اخْتَلَفَت المَفْعُوْلَات بِحَسَبِ مَرَاتِبِهَا فِي قُوَّةِ التَّرْكِيْبِ وَضَعْفِهِ، وَظُهُوْرِهِ وَخَفَائِه، وَكَثْرَتِهِ وَقِلَّتِه، وَفِي كَثْرَةِ التَّعَدُّدِ وَقِلَّتِهَا، وَظُهُوْرِهِ وَخَفَائِه).

أقول: يعني أنَّ الفعل على حَال بساطته في حال واحد؛ وإنْ اختلفت متعلقاته في التَّركيب في قوته: كما في العوالم السُّفلية الظاهرة.

وضعفه: كبساطة المركبات، كَالأفلاك بالنسبة إلى الأجسام السفلية.

وفي ظهور التركيب: كالأجسام.

وخفائه: كالنفوس والعقول، حتى أن أكثر الحكماء والمحققين أنكروا تركيبها، بل جعلوها بسيطة الحقيقة حقيقةً.

والحق: أنها مركبة للأدلة العقلية والنقلية وهي كثيرة، فمن العقلية ما برهن عليه وعلم بالضرورة؛ أنَّ كل مصنوع فله جهتان: جهة من ربه، وجهة من نفسه، وهذا ظاهر؛ إذ لا يُعقل مصنوع بدون ذلك.

ومن النقلية؛ مثل قول الرضا عليه السلام لعمران الصَّابي: **«أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُق شَيْئاً فَرْداً قَائِماً بِذَاتِهِ دُوْنَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدّلَالَةِ عَلَيْهِ»**[1].

وفي كثرة التَّركيب: كالعوالم السفلية، فإنها مركبة من كل جهات ما فوقها.

وفي قلَّته: كالمفعول الأوَّل، فإنه مركب من فعل وانفعال خاصة.

وفي كثرة التَّعدد: وذلك كالمركبات من المركبات، كما برهن عليه في العلم الطبيعي في تركيب الإنسان الفلسفي، الذي هو أنموذج الإنسان الآدمي، وإنَّه مركب في أطوار كثيرة، وقد قال عزَّ من قائل: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ**

(١) قال عليه السلام: **«وَاعْلَمْ أَنَّ الوَاحِدَ...لَمْ يَخْلُق شَيْئاً فَرْداً قَائِماً بِنَفْسِهِ دُوْنَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدّلَالَة عَلَى نَفْسِهِ»**.[التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦].

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[١]، وهذا ظاهر.

وفي قلَّتها -أي: قلّة الكثرة-: يعني أنَّ كثرة مختلفة المراتب فكثرة كثيرة، أي: مكررة من كثرات متعددة وكثرة قليلة، أي: غير مكررة من كثرات متعددة، بل من كثرة أولية.

فإن قلتَ: لِمَ لم تَقُلْ؛ (وقلّته)؟.

قلتُ: قد ذكرت قلّة التَّعدد سَابقاً، وهنا ذكرت قلَّة الكثرة، فافهم.

وفي ظهور التَّعدد: كالأمور الكليَّة.

وخفائه: كالأمور الجزئية، فإنها في الظاهر لا تعدّد فيها مثل (زيد)، وفي الواقع وفي نفس الأمر هو متعدد، ولهذا يُسمَّى الشَّخص في الواقع بالقرية والبيت، وذلك لتعـددُّد أمثاله وأوصافـه، كما في تأويل قوله تعالى: **﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْـهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾**[٢]، وفي قوله تعالى : **﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ﴾**[٣]، **﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا﴾**[٤]، وأمثال ذلك مما يعرفه أهله.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٣) سورة الكهف، الآية:٥٩.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

وأمَّا تعدُّد أوصافه: فكلام زيد وسمعه وبصره، وحرارته وبرودته، وحركته وسكونه، وأمثال ذلك من طبائعه وقواه، وآثاره وأحواله، كلها مثله، لو برزت لك معه لم تفرق بينه وبين وصفه؛ إلَّا أنه يَستمد عن نفسه، ووصفه يستمد عنه، فافهم.

قلتُ: (**لِأَنَّهَا فِي الفِعْلِ عَلَى نَحْوٍ أَشْرَفٍ، لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ نَحْوٌ أَشْرَفُ مِنْهُ**).

أقول: لأنها -أي: لأنَّ الجهات المعتبرة في الفعل، مما فرض من صفة النشؤ والتعدد والتركيب المشار إليها سابقاً- على نحو أشرف، ليس في الإمكان نحوٌ أشرف منه؛ وذلك لأن تزييل الفؤاد لها -كما أشرنا لَه- لم يلحقها لذاتها، ولو كان باعتبار متعلقاتها، وإنَّما فرض لحوقها بها باعتبار متعلقاتها في آية معرفتها في النفوس المجردة، فإنَّ النفس العليا -أعني الفؤاد- إذا توجَّه إلى معرفتها؛ كان آية لها، ودليلاً عليها، فتظهر فيه إمكانات تلك الجهات في لحاظ متعلقاتها.

وهذا معنى قولنا: (ليس في الإمكان أشرف منه)؛ وذلك لتنَزه ذات الفعل عن كلِّ ما يُفرض؛ لأن تلك المفروضات آثاره كما تقدَّم.

قلتُ: (**وَلِهــَذَا كَانَ فِي أَكْمَلِ مَرَاتِبِ البَسَاطَةِ الإِمْكَانِيَّةِ، بِحَيْث لَا تَكَاد تُعْتَبَرُ فِيْهِ جِهَةُ تَعَدُّد؛ إِلَّا مِنْ جِهَةِ التَّعَلُّق**).

أقول: وَما كان من جهة التعلق لا يلحقه؛ ولو بواسطة جهة التعلق، بحيث لا تكاد تعتبر فيه جهة تعدد، إلّا من جهة التعلق وفي محل الاعتبار -أعني الفؤاد-؛ لأنه آية ذلك التّعريف، كما مرَّ مكرَّراً.

۞[الجواز الراجح الوجود]:

قلتُ: (**وَهَذَا هُوَ الجَوَازُ الرَّاجِحُ الوُجُوْد، وَهُوَ الوُجُوْدُ المُطْلَقُ، أَيْ: الوُجُوْدُ لَا بِشَرْطٍ، وَهُوَ المَشِيْئَة، وَالعَزْمُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ الإِرَادَة**).

أقول: إنَّ قولنا؛ (هو الجواز الراجح الوجود)، بالنظر إلى قولهم في حق الواجب تعالى: (واجب الوجود)، وفي حق المحدث: (ممكن الوجود)، أي: جائزه.

فمعنى العبارة الأولى؛ امتناع العدم عليه، ومعنى الثانية؛ تساوي العدم والوجود بالنسبة إليه، والمشيئة ليست في رتبة الأول، ولا مساوية للثاني، فلذا قلنا: (أنها راجح الوجود).

وعلة مأخذ الرَّاجحية؛ أنَّ المقتضي موجود، وقد اقتضى شيئاً غير مشروط بغير نفسه، فكان مطلقاً غير مقيَّد، وإنما لم يجب على المعنى المصطلح عليه؛ لكون المقتضي قائماً بغيره قيام صدور، فكان بوجود الاقتضاء على جهة التنجيز[١] من الغير راجحاً، وهو مرادنا بقولنا: (لا

---

(١) في بعض النُّسخ: (على جهة التخيير).

بشرط)، إذ الوجود بشرط شيء، وبشرط لا شيء وجود مقيد، وهو من التساوي بكلا قسميه.

وقولي: (وهو المشيئة)، أشير إلى أنَّ المشيئة هي الذِّكر الأوَّل؛ بقرينة قولي: (والعزم على ذلك هو الإرادة)، وذلك إشارة إلى ما في رواية يونس[1].

۞[معنى خلق المشيئة بنفسها ومثاله]:

قلتُ: **(وَمَعْنَى أَنَّهَا خُلِقَتْ بِنَفْسِهَا؛ أَنَّهَا خُلِقَتْ لَا بِمَشِيْئَةِ غَيْرِهَا).**

أقول: وهذا ظاهر، وقد تقدَّم بيانه، فلا فائدة في إعادته.

قلتُ: **(وَنَظِيْرُهَا أَبُوْنَا آدَم عليه السلام؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ غَيْرِه، وَإِنَّمَا كَانَ بِنَفْسِه، وَكَانَ البَشَرُ مِنْهُ بِالتَّنَاكُحِ وَالتَّنَاسُلِ، فَكَذَلِكَ المَشِيْئَة مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ غَيْرِهَا، وَكَانَتْ الأَشْيَاء مِنْهَا بِالتَّنَاكُحِ وَالتَّنَاسُلِ).**

أقول: إنما كان آدم عليه السلام نظيرها؛ لأنها هي آدم الأوَّل، كانت مركبة من مادة وصورة، والمادة: النُّور، والصُّورة: هيكل التوحيد، وآدم عليه السلام أبوه: مادَّته، وأمُّه: صورته، فليس لَه أبٌ ولا أمٌّ، غير مادته وصورته.

---

(١) ذكرنا نص الرِّواية سابقاً، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-١١٧.

كذلك المشيئة -التي هي آدم الأوّل- ليس لها أبٌ ولا أمٌّ إلّا المعنويين، أي: المادة والصورة، وإنما كانت بنفسها، وكما كانت ذرية آدم أبينا عليه السلام منه بالتناكح والتناسل -كما هو معلوم- كذلك المشيئة، التي هي آدم الأكبر، فإنّ ذرِّيته -التي هي وجوه المشيئة الخاصة بكل مصنوع- إنما نشأت في أنفسها من المشيئة الكلية، بتعلق المشيئة الكلية بالإمكان تعلقاً خاصّاً كل تعلق هو منشأ فعل خاص بخصوص ذلك المتعلق، وهذا الفعل هو ذلك الوجه الخاص بذلك المتعلق الخاص، وهو -أي: ذلك الفعل- هو ابنٌ تولَّد من الفعل الكلي -أي: المشيئة الكليَّة- بنكاحه، أي: الكلي للإمكان، وهو -أي: نكاحه- تعلقه بخصوص متعلق؛ لأنَّ وجود المتعلق الخاص شَرطٌ لظهور ذلك الوجه، الذي هو الولد، كما أن ذلك الوجه علة لوجود ذلك المتعلق، ويظهران متساوقين؛ كالمشيئة الكلية مع الإمكان الكلي.

فتلك الوجوه الفعلية الخاصة بكل مصنوع؛ تولّدت من المشيئة الكلية بالتناكح والتناسل، فالتعلقات الأولية آباء، والتعلقات المترتبة على الأولية أبناء.

قلتُ: (وَمَعْنَى قَوْلِنَا: "مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ غَيْرِه" فِيْ آدَمَ عليه السلام؛ إِنَّهُ كَانَ مِنْ مَادَّتِهِ وَهْوَ الأَبُ، وَمِنْ صُوْرَتِهِ وَهْيَ الأُمُّ).

أقول: معنى قولنا؛ (من غير أب وأم غيره)، أنَّ لَه أباً وأماً، لكنهما ليسا مغايرين لَه حقيقة؛ لأنه عبارة عن مجموعهما.

وليس مرادنا أنه لا أب لَه ولا أم أصلاً حتى المعنويين؛ إذ المتكون يمتنع أن يتكون من غير أصل، سواء كان سَابق الوجود عليه، أم مُساوق الوجود كما نحن فيه.

والمشيئة؛ التي هي آدم الأكبر الأول كذلك، وهو قولي: (وكذا في المشيئة)، وإنما مثلت بآدم أبينا؛ لأنه المثل لآدم الأكبر، وقد قال الرِّضا عليه السلام: **«قَدْ عَلِمَ أُوْلُوْا الأَلْبَابِ؛ أَنَّ الاسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَا هُنَا»**[1].

قلتُ: (**وَكَذَا فِي المَشِيْئَةِ؛ إِلَّا أَنَّهُمَا فِي المَشِيْئَةِ وُجِدَا بِأَنْفُسِهِمَا، أَيْ: وُجِدَ كُلٌّ وَاحِد بِنَفْسِه وَبِالآخَرِ**).

أقول: يَعني أنَّ مادة آدم أبينا عليه السلام وُجدت بفعل الله، وكذا صُورته، أي: بفعل الله وبالمادة تبعاً لها.

وأمَّا مَادة المشيئة -يعني: آدم الأكبر- وُجدت بنفسها وبصورها، وصورها وجدت بنفسها وبمادها؛ لعدم المغايرة بينهما في أنفسهما، وعدم كون أحدهما علة أو معلولاً.

---

(١) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحـار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

قلتُ: (وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ وُجِدَ مَقْبُوْلُهُ بِنَفْسِه، وَقَابِلُهُ بِالآخَرِ، وَلَا إِيْجَادَ لَهُمَا إِلَّا بِأَنْفُسِهِمَا، وَمَا سِوَاهَا وُجِدَ مَقْبُوْلُهُ بِالفِعْلِ، وَقَابِلُهُ بِالتَّبَعِيَّةِ عَلَى مَا نُبَيِّنُهُ).

أقول: مَعنى هذا الذي ذكرناه؛ أنه وُجد مقبوله -أي: مادته- بنفسه، وقابله -أي: صُورته- بالآخر، أي: وُجدت مادته بصورته؛ لأنها شرط ظهور المادة، فوجودها بها وجودٌ صوري، ووجدت صورته بمادته؛ لأنها شرط تحقق الصورة، ووجودها بها وجودي مادي، وهذان في المشيئة وجود كل بنفسه، كما مر؛ ولهذا قلنا: (ولا إيجاد لهما)، أي: للمادة والصُّورة، (إلَّا بأنفسهما)؛ يعني: الوجود الحقيقي.

فوجود المادة بالمادة، والصُّورة بالصُّورة، وإنْ وُجدا بالآخر في غير المشيئة في المغايرة، لكنها فيها واحد، يعني أنَّ قولنا: (وجد أحدهما للآخر)؛ هو معنى وجد بنفسه؛ لأنَّ الآخر نفسه، إي: هو بلا مغايرة، ولهذا قلنا: (وما سواها)، أي: ماسوى المشيئة، (وُجد مقبوله)، أي: مادته، (بالفعل)، أي: المشيئة، (وقابله)، يعني: الصُّورة، (بالتَّبعية على ما سنبينه)؛ من أنَّ المراد بكون الماهية -أعني: الصورة- موجودة بالتبعية، ليس كما قالوا: من أنها ليست مجعولة، وإنما المجعول هو الوجود، لكنها لَمَّا توجه الجعل إلى الوجود انجعلت تبعاً لجعله، من غير أن تشم رائحة الوجود والجعل، إلَّا تبعاً للوجود على قول بعضهم.

ولكنَّا لا نُريد هذا المعنى؛ وإنما نريد بالتبعية أنها مجعولة بجعل غير جعل الوجود، إلَّا أنه مترتب عليه بمعنى أخذه منه، فنسبته إلى جعل

الوجود كنسبة الماهية إلى الوجود -أي: نسبة الواحد إلى السَّبعين- لاشتقاقه منه كاشتقاقها من الوجود، ويأتي توضيحه.

❁[معنى أنَّ الأشياء كانت بالتناكح والتَّناسل]:

قلتُ: (وَمَعْنَى أَنَّ الأَشْيَاء كَانَتْ بِالتَّنَاكُحِ وَالتَّنَاسُلِ؛ أَنَّ المَادَّةَ هِيَ الأَبُ، وَالصُّوْرَةُ هِيَ الأُمُّ -عَلَى مَا نُبَيِّنُ لَكَ- فَنَكَحَت المَادَّةُ الصُّوْرَة، عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ؛ فَوَلَدَت الصُّوْرَة الشَّيْء).

أقول: مَعنى كون الأشياء بالتَّناكح من المشيئة؛ أنَّ المشيئة أنكحت المادة الصُّورة، فنكحت المادة الصورة بإنكاح المشيئة، على ماكتب الله في الكتاب الوجودي -أي: التكويني- يعني: على نحو إنشاء الحكمي المتقن، وعلى سُنَّة نبيه؛ لأنَّه سُبحانه أقامه في سائر عالمه مقامه في الأداء[1]، فهو يُؤدِّي إلى الخلق عن الله عز وجل في التكويني، كما يُؤدِّي عنه في التَّشريعي.

فكان التناكح والتأليف والنمو على مقتضى الحكمة؛ التي هي شرع كتاب الله التكويني، وسنة نبيه ﷺ كذلك؛ لأنَّ الله عز وجل يُوجد على سنة الحكمة، ويكتب المفعولات على ما هي عليه في نفس الأمر والواقع،

---

(١) مقتبس من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام حين اتفق في بعض سنيه الجمعة والغدير: «..**أَقَامَهُ فِي سَائِرِ عَالَمِهِ فِي الأَدَاءِ مَقَامَهُ**..». [إقبال الأعمال، ص: ٤٦١. المصباح للكفعمي، ص: ٦٩٥. مصباح المتهجد، ص: ٥٣].

وكون ذلك واصلاً إلى المفعولات بواسطة نبيه ﷺ هو معنى سنته، وهو التّلقي من الخالق والأداء إلى الخلائق.

فلمّا نكحت المادة -التي هي الأب- الصُّورة -التي هي الأم- تميَّزت الأشياء بصورها، أي: في بطن أمهاتها؛ لأنَّ الصُّورة هي الأم كما يأتي، فولدت الأم -التي هي الصُّورة- الشَّيء المتكوِّن من المادَّة والصُّورة.

قلتُ: (**وَالمَشِيْئَة؛ هِيَ آدَمُ الأَوَّل، وَحَوَّاؤُهُ هِيَ الجَوَاز، وَهِيَ كُفْؤُهُ، لَا تَزِيْدُ عَلَيْهِ وَلَا تَنْقُصُ عَنْه، كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْه سَابِقاً، فَافْهَم**).

أقول: وذلك لِمَا ورد؛ «**أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ أَلْفَ أَلْفَ عَالَم، وَأَلْفَ أَلْفَ آدَم، أَنْتُم فِي آخِرِ تِلْكَ العَوَالِمِ، وَأُوْلَئِكَ الآدَمِيِّيْن**»[1]،

---

(١) عن جابر بن يزيد قال؛ سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿**أَ فَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيد**﴾[سورة ق، الآية:١٥]؟.

قال: «**يَا جَابِرُ! تَأْوِيْلُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ عزّ وجلّ إِذَا أَفْنَى هَذَا الخَلْقَ وَهَذَا العَالَمْ، وَسَكَنَ أَهْلُ الجَنَّة الجَنَّة، وَأَهْلُ النَّارِ النَّار؛ جَدَّدَ اللهُ عَالَماً غَيْرَ هَذَا العَالَم، وَجَدَّدَ خَلْقاً مِنْ غَيْرِ فُحُوْلَة وَلَا إِنَاث، يَعْبُدُوْنَهُ وَيُوَحِّدُوْنَهُ، وَخَلَقَ لَهُمْ أَرْضاً غَيْرَ هَذِهِ الأَرْض تَحْمِلُهُم، وَسَمَاءً غَيْرَ هَذه السَّمَاء تُظِلُّهُم.**

لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ اللهَ إِنَّمَا خَلَقَ هَذَا العَالَمَ الوَاحِد، وَتَرَى أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُق بَشَراً غَيْرَكُم، بَلَى -وَاللهِ- لَقَدْ خَلَقَ اللهُ أَلْفَ أَلْفَ عَالَمْ، وَأَلْفَ أَلْفَ آدَمْ، أَنْتَ فِي آخِرِ تِلْكَ العَوَالِم، وَأُوْلَئِكَ الآدَمِيِّيْن».[التوحيد، ص: ٢٧٧. الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤].

وفي بعض الأخبار: **«لَمْ يُخْلَق مِنْهَا شَيْء مِنَ الطِّيْنِ غَيْرُكُمْ»**(١)، وإشارات الأخبار إلى أنَّ المراد منها الأطوار والعوالم.

ويُعلم من ذلك أنَّ أول تلك الآدميين المشيئة، وحوَّاء ذلك الآدم هو الجواز والإمكان بقول مطلق، يعني: إن أريد به المشيئة الإمكانية؛ فالمراد بالجواز حينئذٍ الإمكان المطلق الراجح، وإنْ أريد به المشيئة الكونية؛ فالمراد بالجواز حينئذٍ المقيد للتساوي، وإن تفاوتت مراتبه في السَّبق؛ إلَّا أنها يجمعها كلها الوجود بشرط شيء.

وقولي: (وهي كفؤُه)، معناه؛ إنها لا تزيد ولا تنقص عنه، ومعنى هذا -كما تقدَّم- إنه لا يكون شيء ممكن لا تتعلق به المشيئة، ولا يكون شيء من المشيئة خارجة عن الإمكان، إذ خارج الإمكان ليس إلَّا الوجوب، والوجوب لا تتعلق به مشيئة(٢).

---

(١) قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ مُوْسَى سَأَلَ رَبَّهُ ﷻ أَنْ يُعَرِّفَهُ بَدْءَ الدُّنْيَا مُنْذُ كَمْ خُلقَتْ؟، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوْسَى: تَسْأَلُنِي عَنْ غَوَامِضِ عِلْمِي؟.**
فَقَال: يَا رَبِّ!، أُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ.
فَقَال:...ثُمَّ خَلَقْتُ أَبَاكَ آدَمَ عليه السلام بِيَدِي يَوْمَ الجُمْعَةِ وَقْتَ الظُّهْرِ، وَلَمْ أَخْلِق مِن الطِّيْنِ غَيْرِه، وَأَخْرَجْتُ مِنْ صُلْبِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّداً ﷺ..».[جامع الأخبار، ص: ١٢٥. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٣].

(٢) في بعض النُّسخ: (به مشيئته).

۞[لو لم تمسسه نار، مكانه ووقته]:

قلتُ: (وَهــذَا هُوَ النَّــارُ المُشَارُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[1]، فَمَكَانُهُ الإِمْكَان، وَوَقْتُهُ السَّرْمَد).

أقول: هذا في التَّأويل هو النار المذكورة في القرآن المجيد، يعني أنَّ الحقيقة المحمَّدية ﷺ، التي هي الزَّيت في الآية؛ تكاد أن تخرج في الكون قبل التكوين؛ وذلك لشدة قابليتها، وقربها من مقام المشيئة، فمثَّل للمشيئة بالنار، وللحقيقة المحمَّدية بالدُّهن، وللعقل الكلي المتكون من تعلق المشيئة بالحقيقة المحمَّدية بالمصباح، المتكون من تعلق النار بالدُّهن[2].

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) ورد في تأويل هذه الآية في أهل البيت عليهم السلام روايات كثيرة، نذكر منها نموذجين، الأوَّل: عن عيسى بن راشد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: **﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾**، قال: «**هُوَ نُورُ العِلْـمِ فِـي صَـدْرِ النَّبِـيِّ ﷺ، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجاجَةٍ﴾؛ وَالزُّجَاجَةُ: صَدْرُ عَلِيٍّ عليه السلام، صَارَ عِلْمُ النَّبِـيِّ ﷺ إِلَى صَدْرِ عَلِيٍّ، عَلَّمَ النَّبِيُّ عَلِيّاً** (صلى الله عليه وآله) **عِلْمَهُ. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ﴾؛ نُورُ العِلْمِ. ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾؛ لَا يَهُودِيَّة وَلَا نَصْرَانِيَّة. ﴿يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ﴾؛** قال: **يَكَادُ العَالِمُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يَتَكَلَّمُ بِالعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَل. ﴿نُورٌ عَلى نُورٍ﴾؛** أي: **إِمَامٌ مُؤَيَّدٌ بِنُورِ العِلْمِ وَالحِكْمَة، فِي أَثَرِ إِمَامٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَذَلِكَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَة، فَهَؤُلَاءِ الأَوْصِيَاء** ....←

ووقت الفعل: هو السَّرمد.

وأمَّا أول فائض من الفعل، بل وأرض الجرز، الذين هما قبل العقل، فعلى احتمال أهما لاحقان بالسَّرمد؛ لتقدُّمهما على العقل، الذي هو مساوق الأول الدهر، وعلى احتمال أهما من الدَّهريات؛ لأنَّ السَّرمد إنما

←....

الَّذيْنَ جعَلَهُمْ اللهُ خُلَفَاءَه فِي أَرْضِه، وَحُجَجَهُ عَلَى خَلْقِه؛ لَا تَخْلُو الأَرْضُ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُم».

والثّاني: ما عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ الْهَمْدَانيِّ قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:« **﴿اللَّهُ نُورُ السَّماوات وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِه كَمِشْكَاة﴾؛ فَاطِمَةُ عليها السلام. ﴿فِيها مِصْباحٌ﴾؛ الْحَسَنُ. ﴿الْمِصْباحُ فِي زُجاجَة﴾؛ الْحُسَيْنُ. ﴿الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾؛ فَاطِمَةُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ بَيْنَ نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَة مُبارَكَة﴾؛ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام. ﴿زَيْتُونَة لا شَرْقِيَّة وَلا غَرْبِيَّة﴾؛ لَا يَهُودِيَّة وَلَا نَصْرَانِيَّة. ﴿يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ﴾؛ يَكَادُ الْعِلْمُ يَنْفَجِرُ بِهَا. ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ﴾؛ إِمَامٌ مِنْهَا بَعْدَ إِمَامٍ. ﴿يَهْدِ اللَّهُ لِنُورِه مَنْ يَشاءُ﴾؛ يَهْدِي اللَّهُ لِلْأَئِمَّة مَنْ يَشَاءُ. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ﴾ ».**

وردت هاتان الرِّوايان باختلافات يسيرة في مصادر كثيرة راجع منها: الكافي، ج: ١، ص: ١٩٥. تأويل الآيات الظَّاهرة، ص: ٣٥. تفسير فرات الكوفي، ص: ٢٨١. تفسير القمِّي، ج: ٢، ص: ١٠٣. التَّوحيد، ص: ١٥٧. الصِّراط المستقيم، ج: ٢، ص: ٤٢. كشف اليقين، ص: ٤١٦. معاني الأخبار، ص: ١٥. المناقب، ج: ١، ص: ٢٨٠. نهج الحق، ص: ٢٠٧.

هو وقت للفعل، وهما من المفعولات لا من الفعل، وعلى احتمال أنهما برزخ بين السَّرمد؛ فيكون وجهها في السَّرمد، وفعلها في الدَّهر.

قلتُ: (**فَهُوَ لِلسَّرْمَد كَالأَطْلَسِ لِلزَّمَان، فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُحَدَّبُهُ فِي مَكَانٍ وَلَا زَمَانٍ، وَإِنَّمَا المَكَانُ وَالزَّمَانُ انْتَهيَا بِه، [لَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْ هَذه الثَّلَاثَة عَن الآخَرِ]**(١)**، وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنْ مُحَدَّبِهِ مِنَ الجِسْمِ وَالزَّمَانِ وَالمَكَانِ لَطُفَ وَرَقَّ، وَكُلَّمَا بَعُدَ مِنْهُ كَثُفَ وَغَلُظَ**).

أقول: فهو -أي: المشيئة- بالنسبة إلى السَّرمد كالفلك الأطلس بالنسبة إلى الزمان، فكما أنَّ محدَّب الفلك الأطلس ليس في مكان؛ لأنَّه محدَّد الأمكنة والجهات، ولا في زمان؛ لأنَّ الزَّمان لا يكون إلَّا ظرفاً للجسم، وليس وَراء محدَّبه جسم؛ ليكون ما خرج من الزمان عن محدبه ظرفاً لَه.

وهذا هو الحق في هذه المسألة التي تسافلت دونها عقول الحكماء، وانحطت عنها أفهام العلماء، ولقد كثرت فيها الأقوال، واختلفت وتنافرت فيها الآراء واضطربت.

والحق هذا: وهو أن المكان والزمان طرفان للجسم، وهما من مشخصاته، والمشخصات حدود الماهية وأجزاء القابلية، والحدود والأجزاء مقومات للشيء، فهي جزء ماهيته، ولا يمكن أن يوجد جسم بلا مكان ولا زمان، ولا مكان بلا جسم ولا زمان، ولا زمان بلا جسم ولا مكان؛

---

(١) ما بين المعقوفين نقلناه من متن الفوائد.

فكل واحد شرط للآخرين مقوم لهما، فيجب -بحكم هذه القواعد الضَّرورية- أنْ تكون الثلاثة مُتساوقة؛ إذا وُجد واحد وجد الاثنان، وإذا فقد فقدا، وهذا معنى قولي: (وإنما المكان والزمان انتهــيا به؛ لم يتخلف أحد من هذه الثلاثة عن الآخر).

واعلم أن الأجسام على ثلاثة أقسام :

[القسم الأولّ]: جسم لطيف جداً، تقرب لطافته من عالم المثال؛ كمحدَّب الفلك الأطلس.

وقسم [ثاني]: كثيف جداً؛ كالمركبات السُّفلية، مثل: الحجارة والتراب الكثيف.

وقسم [ثالث]: متوسط بينهما، كالأفلاك السَّبعة.

وحيث كان مشخصات كلِّ شيء من نوعه في اللطافة والكثافة، وكان المكان والزمان من المشخصات كما تقدَّم؛ وجب أن يكون مكان محدب محدد الجهات وزمانه المتساوقين لَه -كما مرَّ- ألطف ما يمكن فيهما، بحيث لا يبقى لهما وجود فيما فوق ذلك، وهما في الأفلاك الباقية متوسطان، وفي الأجرام السفلية كثيفان غليظان، كل شيء منهما بحسب ما يشخصانه.

وفي دليل الحكمة دليلُ هذا؛ فإنَّ سرعة حركة الفلك الأطلس، وتوسط حركة الأفلاك، وبطأ الحركات السفلية ذلك [كثيف

ولطيف][1]، وأمّا فلك الثوابت فبطؤ حركته لكثرة تصادم الحركات المتعدِّدة فيه، إذ لكل نجم حركة بخصوصه، حركة تدوير أو حركة حامل، والذي يقوى في نفسي: ثبوت أفلاك التداوير لها، وبهذه النسبة تعتبر المجردات، فإنَّ الدهر وقتها، وهو في العقول كما في المحدد ألطف منه في النفوس، كما في الأفلاك السَّبعة، وشدة كثافته وغلظه في الطبائع، وجواهر الهباء كالأجرام السُّفلية.

فإذا عرفت هذا في الزمان وفي الدهر؛ فاعلم أن السَّرمد ليس فيه تعدد ولا تغاير، فاعتبار التفاوت بالنسبة إلى وجوه المشيئة إنما هو باعتبار تعلقها بمتعلقاتها، على نحو ما ذكرنا.

وإنما ذكرنا هذا التقسيم والتفاوت في الأجسام على جهة الحقيقة؛ لتعرف هذه النسبة هناك على جهة الاعتبار، وقد أشار تعالى إلى شدة لطافته في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[2]، ولم يكن هذا في سائر الحوادث.

قلتُ: (**كَذَلِكَ هَذَا الوُجُوْدُ، أي: الجَوَازُ الرَّاجِحُ، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الفِعْلِ وَالإِمْكَانِ وَالسَّرْمَدِ لَطُفَ وَرَقَّ، حَتَّى يَكَادُ يَخْفَى عَنْ نَفْسِهِ، وَحَتَّى يَكَادُ يَظْهَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ**).

أقول: يعني أنَّ هذا الوجود -أعني: المشيئة- كلما قرب من نفسه،

---

(١) ما بين المعقوفتين ورد في هامش إحدى المخطوطات.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

أي: من لحاظ العلية من الفعل والإمكان والسرمد، و(من) هُنا بيانية، أي: كل واحد من الفعل والإمكان الذي هو مكان الفعل، ومن السَّرمد الذي هو وقت الفعل؛ قرب من نفسه، أي: من جهة لحاظ عليته لنفسه؛ لطف ورق، أي: لم يجد نفسه حتى يكاد يخفى عن نفسه، أي: لا يشعر بنفسه لكمال فنائه في وجه بقائه، ولم يجد نفسه حتى يكاد لا يخفى عن شيء من آثاره؛ لكمال ظهوره بها لها.

قلتُ: (**وَكُلَّمَا بَعُد عَنْ نَفْسِه مِنْهَا غَلُظ، أَيْ: ظَهَرَ حَتَّى يَكَادُ يَظْهَرُ فِي المَفْعُوْلَات، وَحَتَّى يَكَادُ يفْقَدُ مِنْهَا**).

أقول: وكل واحد من الثلاثة (بَعُد عن نفسه)، أي: عن لحاظ علِّيته لنفسه.

(منها)، أي: من الثلاثة.

(غَلظ -يعني: ظهر- حتَّى يَكاد يظهر في المفعولات)؛ التي آثاره بالكلية أو الجزئية، أي: الركنية، أي: حتى يُقال أن هذه الأشياء هي ذاته، ولأجل عدم ملاحظة بعض الصُّوفية، كضرار وأصحابه؛ لعلِّـيَّته لنفسه، قالوا: هو جزء الأشياء، وركنها الأعظم، وإنَّ الأشياء مركبة من وجود؛ وهو الفعل، ومن ماهيَّة؛ هي الحدود والمشخصات.

وظهر -أيضاً- (حتَّى يكاد يفقد منها)، أي: لا يكون علة لها، وذلك عند عدم ملاحظة عليته لنفسه، التي هي عليته لغيره؛ لأنَّ عليته لنفسه عين عليته لغيره، فإذا لم تلاحظ لم تعرف المعلولية في المفعولات، إذ لا تعرف إلَّا بملاحظة علية العلَّة.

قلتُ: (**فَالإِمْكَان وَالسَّرْمَد انْتَهيَا بِهِ**).

أقول: يَعــني أهما انتهيا به، وانتــهى بهما، وانتــهى كلٌّ واحد منهما بالآخرين.

قلتُ: (**وَكَمَا أَنَّ المُحَدَّد وَالمَكَان فِي الزَّمَان، وَهُوَ المُحَدَّد فِي المَكَان وَالزَّمَان وَالمَكَان فِي المُحَدَّد، أَيْ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَة حَاوٍ لِلاثْنَيْن، كَذَلكَ الفِعْل وَالإِمْكَان وَالسَّرْمَد؛ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا حَاوٍ لِلاثْنَيْن الآخَرَيْن، وَكُلُّ وَاحِدٍ مُنْتَهٍ بِالآخَرِ مِنْ الثَّلَاثَة**).

أقول: هَذه الكلمات يعلم معناها مما سبق، وهو أنَّ كل واحد منها حيث وُجِدَ وجد الآخران، وحَيث فُقِدَ فُقد الآخران في الذات والصفات والتأثيرات.

۞[الوجودات الثلاثة على أوضاعٍ ثلاثة]:

قلتُ: (**إِلَّا أَنَّ الوُجُوْدَات الثَّلَاثَة عَلَى أَوْضَاعٍ ثَلَاثَةٍ:**
فَالوَاجِب؛ أَزَلُهُ ذَاتُهُ، وَمَكَانُهُ ذَاتُهُ).

أقول: هَذا القسم الأول مما يُقال عليه الوجود، وهو الواجب تعالى، وهو واحد بكل اعتبار، أي: في نفس الأمر وفي الواقع، وفي التَّعقل وفي الاحتمال، والإمكان والفرض، لا كثرة فيه ولا تعدُّد، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا شريك لَه في أفعاله ولا في عباداته، فله التَّوحيد الخالص، ﴿أَلَا

لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾(١).

قلتُ: (**وَالْمُمْكِنُ؛ الَّذِي هُوَ الوُجُوْدُ الْمُقَيَّد، وَهْوَ جَمِيْعُ الْمَفْعُوْلَات، مَكَانُهُ غَيْر زَمَانِه، وَهُمَا غَيْر ذَاتِه**).

أقول: إنَّ الأشياء المخلوقة لا يمكن أن تنفك عن التأليف، المقتضي للتعدُّد والتَّكثُّر والمغايرة كمشخصاته، وإنْ كان إنما يتعين ويتشخَّص بها، إلَّا أنها من حيث أنفسها، ومن حيث مفهومها، وقبل التَّأليف ولو اعتباراً مغايرة لَه، فوجب اعتبار التعدد فيها، وخلص التَّوحيد الحق لله سُبحانه.

قلتُ: (**وَأَمَّا الجَوَازُ الرَّاجِحُ؛ فَمَكَانُهُ وَزَمَانُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْه بِاعْتِبَارِ الاتِّحَادِ وَالْمُغَايَرَةِ بَيْنَ بَيْن، لَيْسَ عَلَى حَدِّ الوَاجِبِ فِي الاتِّحَاد، وَلَا عَلَى حَدِّ الْمُمْكِنِ فِي التَّعَدُّد، هَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَفْسِه.**

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى ارْتِبَاطِهِ بِالْمُمْكِن؛ فَمُتَغَايِرَةٌ مُغَايَرَةً أَبْسَطَ مِنْ مُغَايَرَةِ الْمُمْكِنِ، فَافْهَم).

أقول: أنَّ الوجود الراجح -أعني: المشيئة- إذا اعتبر مكانه؛ الذي هو الإمكان، ووقته؛ أعني: السَّرمد بالنسبة إليه، كانا متحدين معه في نفس الأمر، وفي الواقع مغايرين لَه في اعتبار الفؤاد.

فنسبته إلى الوجود الحق باعتبار عنوانه، أي: دليله، أعني: مقاماته التي لا تعطيل لها في كلِّ مكان، من حيث هي عنوانه، وإلى الوجود

---

(١) اقتباس من سورة الزمر، الآية: ٣.

المقيد، أعني: المفعولات، نسبته التوسط، وذلك باعتبار مدرك الفؤاد، فهو بين بين؛ لأنَّ الواجب لا يدرك من عنوانه التعدد والكثرة، لا في الواقع ولا في التعقل، والممكن يدرك منه التعدد في الطرفين، وهذا الوجود الراجح لا يدرك منه التَّعدد في الواقع، ويدرك منه التعقل، فهو بين بين، وهذا مرادنا من قولنا: (ليس على حدِّ الوجوب في الاتحاد، ولا على حدِّ الممكن في التَّعدد).

وقولي: (هذا بالنسبة إلى نفسه)، أي: هذا التَّوسط المذكور هو بالنسبة إلى نفسه، وأمَّا إذا اعتبرنا ذلك بالنسبة إلى ارتباطه، أي: تعلقه بالممكن المتعدِّد المتكثِّر، ففيه تغاير وتكثُّر باعتبار التَّعلق، كما قلنا في التَّمثيل بحركة يد الكاتب؛ في تعلقها بالحروف المتعدِّدة المتغايرة المتكثرة، ولكن ليس مثل تغاير متعلَّقه؛ لأنَّ تعدُّد متعلَّقه وتغايره ذاتي، وتعدُّده ليس لذاته؛ وإنما نسب إليه باعتبار متعلقه.

وهذا معنى قولي: (فمتغايرة مغايرة أبسط من مغايرة الممكن).



شرح

الفائدة الرابعة

فِي الإِشَارَةِ إِلَى تَقسِيْمِ الفِعْل فِي الجُمْلَة



قلتُ:

(الفَائِدَة الرَّابِعَة
فِي الإِشَارَة إِلَى تَقسِيْم الفِعْل فِي الجُمْلَة)

أقول: هذه الفائدة معنونة بتقسيم الفعل، لأنَّا لما ذكرنا بعض ما يتعلق ببيانه اقتضى بيانه ذكر تقسيمه إلى هذه الأقسام في التسمية باعتبار متعلَّقه.

۞ [القسم الأوَّل: مرتبة المشيئة]:

قلتُ: (اعْلَمْ أَنَّ الفِعْلَ بِاعْتِبَارِ مَرَاتِبِه عِنْدَ تَعَلُّقِه بِالمَفْعُوْلَات يَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ؛ فَالأَوَّل: مَرْتَبَةُ المَشِيْئَة، وَهِيَ الذِّكْرُ الأَوَّل، كَمَا قَالَ الرِّضَا عليه السلام لِيُوْنُس).

أقولُ: الفعل إذا كان متعلِّقاً بوجود الشيء -أعني: كونه- يُسمَّى مشيئة؛ لأنَّ الوجود هو أوَّل ما يذكر به الشيء، ولهذا قال الرِّضا عليه السلام ليونس: **«تَعْلَمُ مَا المَشِيْئَة؟**. قال: لا.

قال: هِيَ الذِّكْرُ الأَوَّلُ، تَعْلَمُ مَا الإِرَادَة؟. قال: لا.

قال: هِيَ العَزِيْمَةُ عَلَى مَا يَشَاء، تَعْلَمُ مَا القَدَر؟. قال: لا.

قال: هِيَ الهَنْدَسَةُ، وَوَضْعُ الحُدُوْدِ من البَقَاء وَالفَنَاء...»[١].

ومعنى كون المشيئة هي الذكر الأوَّل؛ أنَّ أوَّل ذكر الله تعالى للشيء أن يذكره بكونه[٢]، أي: بأن يوجد كونه، وإيجاد الكون -الذي هو الوجود- هو المشيئة.

والمراد بالذكر الأول: المعنى المصدَري، ومعناه الوجود على تأويله بالمفعول، وعلى تأويله بالفاعل هو المشيئة.

قلتُ: (وَالمُرَادُ أَنَّ الشَّيء قَبْلَ المَشِيْئَة؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذِكْر فِي جَمِيْعِ مَرَاتِبِ الإِمْكَان، فَأَوَّلُ ذِكْرِهِ مَعْلُوْمِيَّته فِيْ كَوْنه).

أقول: يَعني أنَّ الشيء إذا لم يكن شيئاً لم يذكر؛ لأنَّه إنما يذكر بأنَّه هو وأنَّه شيء، وشيئيته إنما هي بوجوده، إذ لا شيئية لِمَا لم يُوجد، فأوَّل أن يكون مذكوراً كونه شيئاً، وهو كونه موجوداً، وهو أول ما يذكر به، والفعل المتعلق بتكوينه هو الشيئية[٣]، فلأجل ذلك قال عليه السلام: **«هِيَ الذِّكْرُ الأَوَّل»**، يعني: أوَّل ما يذكر به[٤].

فإن قلتَ: كيف يكون هذا أوَّل الذكر، والشيء مذكور في العلم

---

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-١١٧.

(٢) في بعض النُّسخ: (أن يذكر بكونه).

(٣) في بعض النُّسخ: (هو المشيئة).

(٤) في بعض النُّسخ: (يعني أن ما يذكر به).

قبل إيجاده؟.

قلتُ: قد قرَّرنا أنَّ الشيء أوَّل كونه معلوماً كونه ممكناً، وكونه ممكناً بالمشيئة الإمكانية، فهو مذكور في المشيئة بما هو مشاء به، ففي المشيئة الإمكانية هو أوَّل ما ذكر [بها][1] في إمكانه، وفي الكونية أوَّل ما ذكر بها في كونه.

فإذا قيل: المشيئة هي الذكر الأول للشيء؛ صدق على المشيئتين، إلَّا أنه هنا المراد به الذكر الأول الخاص، المتشخِّص المتميز، وهو لا يتحقق إلَّا في المشيئة الكونية، وأمَّا المشيئة الإمكانية فإنه وإن كان مذكوراً فيها قبل الكونية، إلَّا أنه على وجه كلِّي لا يتخصص به، بل يصلح لَه ولغيره[2].

كما إذا أخذت مداداً بالقلم لتكتب به اسم زيد، فقبل الكتابة لم يكن زيداً مذكوراً على جهة الخصوص والتعين بالمداد الذي على القلم؛ لجواز أن يبدوا لك فتكتب به اسم عمرو، أو لا تكتب شيئاً، فليس مذكوراً بمشيئتك الإمكانية على الحقيقة قبل أن تكتب به إلَّا على جهة الإمكان، الذي تساوى فيه هو وعمرو وخالد والجبل والبحر وما أشبه ذلك.

فقولي: (لم يكن لَه ذكر في جميع مراتب الإمكان)، يَعني: على جهة الخصوص والتعين لا مطلقاً.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

(٢) في بعض النُّسخ: (بل لا يصلح له وغيره).

وقولي: (فأول ذكره معلوميته في كونه)، يعني به الذكر الخاص به، كما قلنا.

قلتُ: (**وَمِثَالُهُ؛ فِيمَا يَبْدُو لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ، فَإِنَّه لَمْ يَكُ شَيْئاً قَبْلَ أَنْ تَذْكُرَهُ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُ كَانَ ذِكْرُكَ لَهُ أَوَّلَ مَرَاتِبِ وُجُوْدَاتِه، وَهُوَ كَوْنُهُ**).

أقول: يعني أنَّ الشيء الذي تريد فعله لم يكن له ذكر منك قبل فعلك، وإلَّا لم يكن مفعولاً لك، أو أنك فعلته قبل هذا، فإذا فُقد من الأمرين كان عَدماً قبل فعلك ليس بمذكور، فإذا خطر على قلبك فعله فأنت ذكرته، وهو معنى أنك شئت فعله بأوَّل خُطُوْرِه على قلبك، وإذا تأكد العزم كانت الإرادة كما يأتي.

هذا مثال صحيح في حقٍّ من تكون منه إرادة وميل للفعل قبل أن يفعل ويتفكَّر ويتروَّى، وأمَّا الواجب ﷻ لم يكن كذلك؛ لأنه لا يُفكِّر ولا يهم ولا يروى، وليس لَه ميل إلى شيء، ولا داع يبعثه على الفعل، وإنَّما ذلك منه[1] سُبحانه فعله للشيء من غير سبق شيء على فعله، فأوَّل إيجاده وجود زيد هو مشيئته تعالى لإيجاده زيد؛ لأنَّ وجوده أوَّل ما ذكره الله، وهو وجوده.

۞[القسم الثَّاني: مرتبة الإرادة]:

قلتُ: (**وَالثَّانِي: الإِرَادَةُ؛ وَهِيَ العَزِيْمَةُ عَلَى مَا يَشَاء، وَهِيَ ثَانِي**

(١) في بعض النسخ: (فيه).

ذكْرِه، وَمَعْلُوْمِيَّته فِي عَيْنِه، وَلَم يَكُنْ لَهُ وُجُوْدٌ قَبْلَهُ إِلَّا الذِّكْر الأَوَّل؛ الَّذِي هُوَ كَوْنُهُ، وَهُوَ صُدُوْرُ الوُجُوْد قَبْلَ لُزُوْمِ المَاهِيَّةِ لَهُ).

أقول: هذا هو القسم الثاني من أقسام الفعل باعتبار تسميته من حيث متعلّقه، وهو الإرادة التي هي العزيمة على ما يشاء، ويُسمَّى الفعل بالإرادة إذا كان متعلقه بالعين التي هي إنيته وماهيته، وهي -أي: الإرادة- ثان ذكره؛ لأنَّ أول ذكره المشيئة، وهذه الرتبة معلوميته في عينه، أي: أنه معلوم بعينه، كما أنه في الرتبة الأولى معلوم بكونه.

وإنما قلنا هنا: (أنها ثاني ذكره)؛ لأن أول ذكره المشيئة، وبعد المشيئة الإرادة، وهي ثاني ذكره.

وقولي: (إلَّا الذكر الأول؛ الذي هو كونه)، يعني: أن ذكره الأول ذكره بكونه، أي: بوجوده قبل لزوم الماهية به، إذ بعد لزومها لَه تكون العين، أي: الذات؛ لأنها لا تتحقق إلَّا بالكون.

واعلم أن الكون لا ينفك عن العين؛ لتلازمهما في الظهور، إلَّا أنه في التقدم الذاتي يكون الكون سابقاً في التحقق على العين بسبعين سنة، وإن كانا في الظهور متساويتين.

قلتُ: (وَبِهَا تَلْزَمُهُ المَاهِيَّة، وَبِالمَشِيْئَةِ كَانَتْ الإِرَادَة لِتَرَتُّبِهَا عَلَيْهَا).

أقول: وبها -أي: بالإرادة- تلزم الماهية للوجود؛ لأنها هي المثبتة لها فيه، وإنما كانت الإرادة متأخرة عن المشيئة؛ لأنَّ الإرادة مترتبة على المشيئة، وذلك لأن المشيئة هي الذكر الأول، والإرادة هي العزيمة على ما يشاء، فتكون مترتباً عليها، أي: على المشيئة؛ لأنها العزيمة على المشيئة،

والعزيمة على الشيء مترتبة على سبق ثبوته.

[القسم الثَّالث: مرتبة القدر]:

قلتُ: (وَالثَّالثُ: القَدَرُ؛ وَهُوَ الهَنْدَسَةُ الإِيْجَادِيَّة، وَفيْه إِيْجَادُ الحُدُوْدِ؛ مِنَ الأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، وَالبَقَاء وَالفَنَاء، وَضَبْط المَقَادِيْرِ وَالهَيْئَات الدَّهْرِيَّةِ وَالزَّمَانِيَّة؛ مِنَ الوَقْتِ وَالمَحَلِّ، وَالكَمِّ وَالكَيْف، وَالرُّتْبَةِ وَالجِهَةِ، وَالوَضْعِ وَالكِتَاب، وَالإِذْن وَالأَعْرَاضِ وَمَقَادِيْرِ الأَشِعَّة، وَجَمِيْعِ النِّهَايَاتِ إِلَى انْقِطَاعِ وُجُوْدَاته).

أقول: هذا هو القسم الثالث من أقسام الفعل باعتبار تسميته من حيث متعلقه؛ وهو القدر، والمراد به فعل الله المتعلق بالحدود.

وقولي: (وهو الهندسة الإيجداية..إلخ)، كما هو في قول الرِّضا عليه السلام ليونس في تفسير القدر، وربما فُسِّرت بالحدود، أو عُطفت عليها، أريد به ما يشملها، فإنَّ الهندسة هي الحدود المعنوية والظاهرية، كالأرزاق؛ من الغذاء والعلوم، وتعليم الصناعات، والتيسير للأعمال الصالحات والطالحات، والأسباب المؤدية إلى مسبباتها.

وكالآجال الابتدائيَّة والانتهائيَّة، بمعنى: أنَّ كل شيء محدث فله ابتداء معين، وانتهاء مقدر.

وكالبقاء، أي: أن كل شيء لَه بقاء في الأكوان مقدر، ولا يزيد ولا ينقص، وكالفناء من الأكوان كذلك.

وضبط المقادير أيضاً كذلك، يعني أنها من التقدير؛ لأنها من

المشخصات.

وكالهيئات الدَّهرية والزمانية؛ كالحركات والسكنات، والأوضاع والنسب.

وكَالحدود السِّتة، أعني: الوقت والمحل، والكم والكيف، والرتبة والجهة..إلخ، فإن الهيئات الدهرية والزمانية تشمل جميع الحدود والمقادير.

والعطف عليها عطف تفسيري، أو عطف خاص على عام.

وكالوضع بمعانيه الثلاثة، أعني: افتقار الجوهر الفرد إلى حيز، وترتب أجزاء الشيء بعضها على بعض، وترتب أجزاء الشيء على غيرها، بل على الأمور الخارجية.

وكالكتاب؛ المراد به أن كل شيء فمن أسباب كونه وبقائه وتوصله، إلى ما خلق لَه أن تكون جميع أحواله وأعماله وأقواله، وحركاته وسكناته مكتوبة في الكتب الإلهية والألواح السماوية، والأجرام السفلية وغير ذلك؛ لالتقاء[1] الأسباب منها لمسبباها، فمنها المبادئ التي بها تكون الأشياء، ومنها النهايات التي تكون عن الأشياء.

مثل الأول: أن وجود زيد متوقف على إثباته في اللوح المحفوظ وفي الألواح الجزئية.

ومثل الثاني: وجود أمثاله وصفاته، ووجوده مقتض لإيجاد أمثاله وصفاته في وجه اللوح ووجوه الألواح، فلو لم يقتض وجوده ذلك لم

---

(١) في بعض النسخ: (الاقتضاء).

تقتض كتابته في اللوح المحفوظ وجوده؛ لأن المقتضي من نوع واحد، وإن اختلف في الشدة والضعف.

وكالأذن، يعني: أن كل شيء لا يخرج من الإمكان إلى الأكوان، ومن الحركة إلى السكون، ومن السكون إلى الحركة، ومن حال إلى حال، ومن الأكوان إلى الإمكان، بمعنى: أنه لا ينتقل من شيء إلى شيء، بل ولا يبقى على حال إلا بإذن الله سبحانه.

وكالأعراض، يعني: أن كل شيء فجميع ما تنسب إليه من الأعراض بجميع ما يراد منها من مشخصاته ومعيناته، وكذلك ما تلحق تلك الأعراض من الأعراض، وأعراض الأعراض، مثل: الحركة وسرعة الحركة، وشدة السّرعة..وهكذا، وكذا مقادير الأشعة، وأشعة الأشعة.. وهكذا، أي: إلى أن تنتهي وجوداتها، وهو قولنا: (ومقادير الأشعة وجميع النهايات إلى انقطاع وجوداته)، أي: وجودات الشيء الذاتية والعرضية اللاحقة لَه، واللاحقة للاحقة لَه.

وكل ذلك من أحكام التقدير ومتعلقاته، وما يتعلق به من الفعل يُسمَّى قدراً.

قلتُ: (وَفِي هَذَا أَوَّلُ الخَلْقِ الثّاني، وَبَدْء السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَبالإِرَادَةِ كَانَ القَدَرُ؛ لِتَرَتُّبِه عَلَيْهَا).

أقول: وفي هذا القسم -أعني: القدر- من أقسام الفعل أول الخلق الثاني، يعني: أن الصانع إذا أراد أن يصنع شيئاً لابد لَه من مادة يصنع منها الشيء، فغير الله سبحانه يأخذ مادة مطلوبه مما صنع الله ﷻ.

وأمَّا الله سبحانه فلم يكن عنده في ملكه شيء إلَّا ما صنعه، فإذا أراد أن يخلق خلقاً؛ خلق مادة ذلك المخلوق، وصنعه من تلك المادة، كالكاتب فإنه يصنع المداد أولاً، ثم يكتب منه ما شاء، فالخلق الأول؛ هو صنع المادة. والخلق الثاني: هو الصنع من تلك المادة، كما مثَّلنا.

فالمِدَاد: هو الخلق الأول، والكتابة: هو الخلق الثاني، وهو أن يأخذ حصة من المادة، ويُقدِّرها على حسب ما يُريد، فالتقدير هو الخلق الثاني، وفيه السعادة والشَّقاوة.

مثل: الخشب الذي هو الخلق الأول، ليس فيه سعادة ولا شقاوة، فإذا عمل منه باباً أو سريراً أو صنماً ثبتت السَّعادة والشقاوة في الخلق الثاني؛ لأنه [في][1] محل التصوير، والصُّورة هي الأم التي يسعد من يسعد في بطنها، ويشقى من يشقى في بطنها، كما يأتي بيانه إن شاء الله.

وقولي: (بالإرادة كان القدر)، مأخوذ من حديث الكاظم عليه السلام كما في الكافي[2]، وإنما كان القدر بالإرادة؛ لأنها هي صنع المادة التي

---

(١) ما بين العقوفتين مفقود في بعض النُّسخ.

(٢) عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّد قَالَ؛ سُئِلَ الْعَالِمُ عليه السلام: كَيْفَ عِلْمُ اللَّهِ؟.
قَالَ: **«عَلِمَ وَشَاءَ، وَأَرَادَ وَقَدَّرَ، وَقَضَى وَأَمْضَى، فَأَمْضَى مَا قَضَى، وَقَضَى مَا قَدَّرَ، وَقَدَّرَ مَا أَرَادَ، فَبِعِلْمِه كَانَتِ الْمَشِيئَةُ، وَبِمَشِيئَتِه كَانَتِ الْإِرَادَةُ، وَبِإِرَادَتِه كَانَ التَّقْدِيرُ، وَبِتَقْدِيرِه كَانَ الْقَضَاءُ، وَبِقَضَائِه كَانَ الْإِمْضَاءُ، وَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ، وَالْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ، وَالْإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَضَاءِ**

....←

يتوقف التقدير عليها، ولهذا قلنا: (لترتبه)، أي: لترتب القدر على الإرادة.

قلتُ: (**وَهَذِهِ الأَشْيَاء المَذْكُوْرَة تَجْرِي فِي الخَلْقِ الأَوَّلِ عَلَى نَحْوٍ أَشْرَفٍ، وَإِنَّمَا ذُكِرَت هُنَا؛ لِأَنَّه مَحَلٌّ الهَنْدَسَةِ، وَهُنَاكَ مَحَلٌّ بَسَاطَةٍ**).

أقول: يعني أنَّ هذه الأمور المذكورة، أعني: إيجاد الكون والعين، الذي هو الخلق الأول، وإيجاد الحدود والهندسة، الذي هو الخلق الثاني، وما فيهما من المراتب والتفصيل؛ يجري في الخلق الأول، أي: إيجاد الكون والعين، فإنَّا مثلاً نقول في قول الصَّادق عليه السلام: «**لَا يَكُوْنُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِيْ السَّمَاءِ إِلَّا بِسَبْعَةٍ؛ بِمَشِيْئَةٍ وَإِرَادَةٍ، وَقَدَرٍ وَقَضَاءٍ، وَإِذْنٍ وَأَجَلٍ وَكِتَابٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْصٍ وَاحِدَةٍ فَقَد كَفَرَ**»، أو«**فَقَدْ أَشْرَكَ**»، على اختلاف الرِّوايتين[1]، وكذا في قوله: «**عَلَى**

--->

بِالْإِمْضَاءِ..».[الكافي، ج: ١، ص: ١٤٨-١٤٩. التوحيد، ص: ٣٣٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٠٢].

(١) عن حريز بن عبد الله أو عبد الله بن مسكان قال؛ قال أبو جعفر عليه السلام: «**لَا يَكُوْنُ شَيْءٌ فِيْ الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِهَذِهِ الخِصَالِ السَّبْعَةِ؛ بِمَشِيْئَةٍ وَإِرَادَةٍ، وَقَدَرٍ وَقَضَاءٍ، وَإِذْنٍ وَكِتَابٍ وَأَجَلٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْصٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ كَفَرَ**».[المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢١].

نَقْضٍ»؛ بالضاد المعجمة وبالمهملة، على اختلاف الرِّوايتين[1].

وظاهر الرِّوايات؛ أنَّ المراد بـــ(الشيء) هنا هو المفعولات من الغيب والشهادة، فإنَّا نقول: أنه أيضاً جار في الأفعال؛ لعموم الشيئية، ولاشتراك الكل في مقتضيات الحكمة، فلا فرق في ذلك بين الأفعال والمفعولات، بل كل تلك الأمور السَّبعة تجري في كل شيء من الحوادث، في كلٍّ شيء بحسبه، فالأشرف والأبسط تكون فيه بنحو أشرف وأبسط.

نعم..هي في الخلق الثاني أظهر، وأمَّا في الخلق الأول فخفية، فلأجل ذلك ذكرها في ذكر الخلق الثاني، ولهذا قلتُ: (وإنما ذكرت هنا)، أي: في الخلق الثاني. (لأنه محل الهندسة)، أي: الحدود والمقادير. (وهناك)، يعني: الخلق الأول، (محل بساطة).

[القسم الرَّابع: مرتبة القضاء]:

قلتُ: (وَالرَّابِعُ: القَضَاءُ؛ وَهُوَ إِتْمَامُ مَا قدّر، وَتَرْكِيْبُهُ عَلَى النَّظْمِ الطَّبِيْعِيّ، فَالقَدَرُ؛ كَتَقْدِيْرِ آلَاتِ السَّرِيْرِ من الطُّوْلِ وَالعَرْضِ وَالهَيْئَة، وَالقَضَاءِ؛ تَرْكِيْبُهَا سَرِيْراً).

---

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٤٩. وقد ورد عن زكريا بن عمران، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «**لَا يَكُوْنُ شَيْءٌ فِيْ السَّمَاوَات وَالأَرْضِ إِلَّا بسَبْعَة؛ بقَضَاء وَقَدَرٍ وَإِرَادَة، وَمَشِيْئَة وَكِتَاب، وَأَجَلٍ وَإِذْن، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللهِ، أَوْ رَدَّ عَلَى اللهِ عز وجل**». [الخصال، ج: ٢، ص: ٣٥٩. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٨٨]. #

أقول: الرابع من الأقسام: القضاء؛ وهو إتمام ما قدّر، يعني: أن الصانع إذا أخذ حصة من المادة، وقدَّرها على ما يريد؛ قضاها، أي: أتمها على الصُّورة المرادة لَه، كالنجار إذا أخذ شيئاً من الخشب وقدَّره على هيئة السَّرير من طول وعرض، نظمه وأتمَّه على نظمه الطبيعي، وهو معنى أنه قضاه، كما قال عزَّ من قائل: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ..**﴾[1].

۞[القسم الخامس: مرتبة الإمضاء]:

قلتُ: (وَالخَامِسُ: الإِمْضَاء؛ وَهُوَ لَازِمٌ لِلقَضَاء، وَهُو إِظْهَارُهُ مُبَيَّن العِلَلِ، مَشْرُوْحَ الأَسْبَابِ؛ لِاجْتِمَاعِ مَرَاتِبِ التَّعْرِيْفِ لِآثَارِ الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ الإِلَهِيَّة فِيْه).

أقول: القسم الخامس من الأقسام المذكورة: الإمضاء؛ وهو في الغالب لازم للقضاء، بمعنى: أنه لا ينفك عن القضاء، ولذا ورد: «**إِذَا قَضَاهُ فَقَد أَمْضَاهُ**»[2]؛ لأنَّ الشيء إذا تمَّ كان في الغالب لا تعرض لَه موانع الإمضاء، من جهة أنَّ القضاء والإتمام إنما يكون من الفاعل لإمضائه، وَقَلَّ أن تكون الحكمة مقتضية لمجرد إتمامه خاصة، ثم يبدو لَه

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١٢.

(٢) قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين: «..**إِنَّ اللهَ إِذَا شَاءَ شَيْئاً أَرَادَهُ، وَإِذَا أَرَادَهُ قَدَّرَهُ، وَإِذَا قَدَّرَهُ قَضَاهُ، وَإِذَا قَضَاهُ أَمْضَاهُ**..». [المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢٢].

مَحْوُه.

نعم..من جهة أنه بالإتمام لا يخرج من إمكان المحو والتغيير والتبديل، بل جاز عليه ذلك، فربما جرت عليه المشيئة بالتغيير، فلذا قلنا: (في الغالب).

ومعنى الإمضاء: إظهار الشيء تاماً، ومعنى تمامه: اشتماله على جميع مالَه وما يترتب عليه، ومن ذلك كونه مبيَّن العلل، مشروح الأسباب؛ ليكون دليلاً ومدلولاً عليه، ولو لم تظهر منه آثاره المصنوعية؛ لم يكن دليلاً، ولو لم تبد منه ظلمة الإنية؛ لم يستدل عليه، وإذا لم يعرف منه الجهتان؛ لم يحسن إيجاده الذي يتوقف الإمضاء عليه، فلذا قلنا: (مبيَّن العلل، مشروح الأسباب؛ لاجتماع مراتب التعريف).

يعني: أنه إنما خلق ليعرف صانعه، ويعرف به صانعه سبحانه، فخلقه تعريف من الصانع سبحانه لَه ولغيره، في جميع مراتب وجوده، كالكون والعين [والقدر][1] والقضاء، فإنها -أي: مراتب التعريف والتعرف فيها- اجتمعت في رتبة الإمضاء؛ لأنه إنما يكون بعد التمام، فيجب أن يكون مبيَّن العلل، مشروح الأسباب، ولا تنتظر مرتبة للتعرف والتعريف بعده.

وقولي: (لآثار الصِّفات الفعلية فيه)، معناه: أنَّ الآثار هي آيات التعريف، وهي آثار الصفات لا آثار الذات كما توهمه بعضهم، فإن الذات لا آثار لها، وإنما الآثار لأفعالها.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

وإنما قُلتُ: (الصفات الفعلية)؛ لأن الآثار التي هي الآيات إنما هي آيات للصفات، التي هي جهة المعرفة، وليست آيات للأسماء ولا للذات؛ لأن الأسماء لا تفيد المعرفة، وإنما تفيد التعين، فتصدق مع التشبيه والتعدد والحدوث والتركيب، وكذلك الذات إذ لا آيات لها إلَّا باعتبار أفعالها.

وقولي: (فيه)، أي: في الإمضاء؛ لانتهاء كلِّ الآثار، والتعريف إليه.

[أركان الفعل وبيانها]:

قلتُ: (فَالأَرْبَعُ المَرَاتِبُ الأُوَلُ؛ هِيَ الأَرْكَانُ لِلفِعْلِ، وَالخَامِسُ بَيَــانُهَا).

أقول: يعني أنَّ المشيئة والإرادة والقدر والقضاء؛ هي أركان للفعل الذي يتم به المفعول باعتبار متعلقاها -كما قلنا سابقاً- فبالمشيئة كونه، وبالإرادة عينه، وبالقدر حدوده، وبالقضاء إتمامه.

فهذه الأقسام وإن كانت واحدة باعتبار ذات الفعل؛ لكنها باعتبار متعلقها أربعة، وهي أركان للفعل، أي: لفعل المفعول الذي به يتم.

والإمضاء؛ الذي هو الخامس بيانها -كما تقدم- لاجتماع مراتب التعريف لآثار الصفات الفعلية الإلهية فيه.

قلتُ: (وَبِالقَدَرِ كَانَ القَضَاءُ، وَبِالقَضَاءِ كَانَ الإِمْضَاء).

أقول: هذا مأخوذ من حديث الكاظم عليه السلام في قوله: «**فَبِالمَشِيْئَةِ**

كَانَت الإِرَادَة، وَبِالإِرَادَةِ كَانَ القَدَر...إلخ»[1]، بعضه صريح، وبعضه في ضمنه.

❁[صبح الأزل، وأنواره الأربعة]:

قلتُ: (فَهَذِهِ الأَرْبَعةُ هِيَ صُبْحُ الأَزَلُ).

أقول: قولي: (فهذه الأربعة)، إنما كان إلى الفعل أربعة مع أنه واحد؛ لأن تعدده في الأسماء إنما هو باعتبار متعلقه.

قلتُ: (وَالنُّوْرُ الَّذي أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الأَزَلِ أَرْبَعَةُ أَنْوَارٍ؛ هِيَ العَرْشُ الَّذِي اسْتَوَى عَلَيْهِ الرَّحْمَانُ بِرَحْمَانِيَّتِه، الَّتي هِيَ هَذِهِ الأَرْبَعُ المَرَاتِبُ مِنَ الفِعْلِ).

أقول: النُّور الذي أشرق من صبح الأزل مأخوذ من قول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل (رضوان الله عليه)[2]، ومعنى ذلك؛ أنَّ الذي أشرق

---

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٤٨-١٤٩. التوحيد، ص: ٣٣٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٠٢.

(٢) روي عن كُميل بن زياد؛ أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقيقة المحمَّديَّة بقوله: ما الحقيقة؟.

فقال عليه السلام له: **«مَالَكَ وَالحَقِيْقَة؟.**

فقال كُميل: أ ولستُ صاحب سرِّك؟.

قال عليه السلام: **بَلَى، وَلَكِنْ يَرْشَحُ عَلَيْكَ مَا يَطْفَحُ مِنِّي.**

←...

من المشيئة، وهو نور واحد، وهو الوجود، وهو الحقيقة المحمَّدية، وهو الماء، إلَّا أنه بعد ارتباط القابليات به كان أربعة أنوار، وهذا الانقسام من حكم الحكيم ﷻ بمقتضى القابليات.

وهذه الأنوار هي مجموع الصِّفات الرحمانية، التي استوى بها الرَّحمن ﷻ على عرشه[1]، أي: ظهر بها، يعني: أظهر آثار سلطانه وقدرته فيها، وبها أعطى كل ذي حقٍّ حقَّة بمقتضى قابليته.

وإنما كانت أربعة؛ لأنَّ مقتضى قابليات الوجودات الكونية أربعة: الخلق والرزق، والموت والحياة، كما قال عز من قائل: ﴿اللَّهُ الَّذِي

...←

فقال كُميل: أومثلك يُخيِّب سائلاً!.

قال عليه السلام: **الحَقِيْقَةُ؛ كَشْفُ سُبُحَاتِ الجَلَالِ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ.**

فقال كُميل: زدني فيه بياناً.

قال عليه السلام: **هَتْكُ السِّرِّ لِغَلَبَةِ السِّتْرِ.**

فقال كُميل: زدني فيه بياناً.

قال عليه السلام: **نُوْرٌ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الأَزَلِ، فَيَلُوْحُ عَلَى هَيَاكِلِ التَّوْحِيْدِ آثَارُهُ.**

فقال كُميل: زدني فيه بياناً.

قال عليه السلام: **أَطْفِئ السِّرَاجَ، فَقَد طَلَعَ الصُّبْحُ».**[جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وص: ١٧٠]، وللاطلاع على شرح مفردات هذا الحديث لمصنِّف هذا الكتاب، راجع: جوامع الكلم، ج: ٢، ص: ٣١٣-٣٢١.

(١) كما قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾، سورة طه، الآية: ٥.

خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[١]. وهذه الأنوار الأربعة هي العرش، فهي أركانه، فهو مُركَّب منها، فهي العرش، وبها ظهر على العرش، إذ العرش لَه إطلاقات وهذا أحدها.

وقولي: (التي هي هذه المراتب الأربع من الفعل)، أُريد به: أنَّ المراتب الأربع من الفعل، التي ذكرنا أنها تعددت باعتبار متعلقاتها؛ إنها بلحاظ تعددها لتعدد متعلقاتها، صدر عن كل واحد منها نور، وتلك الأنوار الصادرة المتعددة باعتبار قابلياتها هي هذه الأربعة الأنوار؛ التي هي مجموع العرش وأركان العرش؛ بمعنى أن العرش مركب منها، وينقسم إليها.

قلتُ: (فالنُّوْرُ المُشْرِقُ عَن المَرْتَبَةِ الأُوْلَى؛ هُوَ رُكْنُ العَرْشِ الأَيْمَنِ الأَعْلَى، وَهُوَ النُّوْرُ الأَبْيَضِ).

أقول: الأوَّل من الأنوار الأربعة المشرقة من صبح الأزل النور الأبيض، وهو المشار إليه في آية النور: **﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ..﴾**[٢]، وهو العقل الكلِّي، وعقل الكل؛ كما في الأخبار وكلام الحكماء، وهو القلم، وهو أول الوجودات[٣] المقيَّدة، وهو النور الأبيض،

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٠، وللاطلاع على بعض الروايات الواردة في تأويل هذه الآية، راجع ص: ٣٢٥-٣٢٦، من هذا المجلَّد.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) في بعض النسخ: (أول الموجودات).

ومنه ضوء النهار، وعنه تصدر الأرزاق بواسطة ميكائيل؛ لأنَّ ميكائيل يستمد منه في إيصال الأرزاق إلى المستحقين، وطبعه بارد رطب، وهو الركن الأيمن الأعلى، يعني: الأول الباطن، وهو أثر المشيئة من أقسام الفعل.

قلتُ: (وَالنُّوْرُ المُشْرِقُ عَنْ المَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ؛ هُوَ رُكْنُ العَرْشِ الأَيْمَنِ الأَسْفَل، وَهُوَ النُّوْرُ الأَصْفَر).

أقول: هذا النور الثاني المشرق عن المرتبة الثانية، أعني: الإرادة التي هي منشأ العين وتمام الخلق الأول، وهو الروح المحمَّدي ﷺ، ومن نوره خلقت البراق، وهو النور الأصفر، قال ﷺ: «**الوَرْدُ الأَصْفَرُ مِنْ عَرَقِ البُرَاقِ**»[1].

وهو الركن الأيمن، أي: الأول الإضافي الأسفل، أي: الباطن الإضافي؛ لأنه تحت النور الأول وظاهره، ومنه اصْفرَّت كل صفرة فيما دونه، وعنه تصدر الحياة لكل حي بواسطة إسرافيل؛ لأنَّ إسرافيل يستمد منه الحياة، وبه يفيض الحياة على ذوات النفوس والأرواح، وطبعه حار رطب، وهو أثر الإرادة من أقسام الفعل.

---

(١) عن الفردوس، عن أنس بن مالك قال؛ قال النبي ﷺ: «**الوَرْدُ الأَبْيَضُ خُلِقَ مِنْ عَرَقِي لَيْلَةَ المِعْرَاجِ، وَالوَرْدُ الأَحْمَرُ خُلِقَ مِنْ عَرَقِ جِبْرَئِيلِ، وَالوَرْدُ الأَصْفَرُ خُلِقَ مِنْ البُرَاقِ**». [مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤].

قلتُ: (**وَالنُّوْرُ الْمُشْرِقُ عَنْ الْمَرْتَبَةِ الثَّالثَةِ؛ هُوَ رُكْنُ العَرْشِ الأَيْسَرِ الأَعْلَى، وَهُوَ النُّوْرُ الأَخْضَرُ**).

أقول: هذا هو النور الثالث المشرق عن المرتبة الثالثة من الفعل، أعني: القدر، وهو ركن العرش الأيسر، أي: الظاهر الأعلى، أي: الباطن الإضافي، وهو النور الأخضر الذي اخضرَّ منه كل خضرة فيما دونه، وهو النفس الكلية، واللوح المحفوظ، وعنه يصدر الموت لكلِّ ذي روح بواسطة عزرائيل؛ لأنه يستمد منه الموت، وطبعه بارد يابس، وهو أثر القدر، ومن أقسام الفعل.

قلتُ: (**وَالنُّوْرُ الْمُشْرِقُ عَن الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ؛ هُوَ رُكْنُ العَرْشِ الأَيْسَرِ الأَسْفَلِ، وَهُوَ النُّوْرُ الأَحْمَرُ**).

أقول: هذا هو الرابع، وهو النور المشرق عن المرتبة الرابعة من الفعل، أعني: القضاء، وهو النور الأحمر، الذي احمرت منه كل حمرة مما دونه، وهو الطبيعة الكلية، وعنه يصدر الخلق بواسطة جبرائيل عليه السلام؛ لأن جبرائيل يستمد منه في إيجاد الأشياء، وطبعه حار يابس، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**الوَرْدُ الأَحْمَرُ مِنْ عَرَقِ جِبْرَائِيْل عليه السلام**»[١].

وهو ركن العرش الأيسر الأسفل، أي: آخرها، أعني الأركان وظاهرها، وهو أثر القضاء من أقسام الفعل.

---

(١) نقلنا نصَّ الرواية في الحاشية السَّابقة، راجع: مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤.

قلتُ: (فَالبَيَاضُ مِنَ المَشِيْئَةِ؛ لِكَمَالِ البَسَاطَةِ).

أقول: يعني: إنما كان النور المشرق عن المشيئة أبيض؛ لكمال بساطتها، وهذا النور أثر البسيط فيكون بسيطاً، والبساطة تقتضي البياض، كما أنَّ التركيب يقتضي السَّواد.

وإنما قلنا: (لكمال البساطة)؛ لأنَّ جميع الأقسام كلها بسيطة، إلا أنَّ المشيئة هو أول الأقسام وأول الإيجاد، فلا يكون وجوده مترتباً على غيره، بخلاف باقي الأقسام، فإنَّ كلّاً منها مترتب على ما قبله، فلا يكون كاملاً في البساطة؛ لِمَا لحقه من الترتب على الغير.

واعلم أنَّ العلماء اختلفوا في البياض؛ هل هو لون، أم لا؟.

فقيل: أنه لون، ويدل عليه ما روي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «**وَنُوْرٌ أَبْيَضٌ، مِنْهُ ابْيَضَّ البَيَاضُ..**»[1]، فلو لم يكن لوناً؛ لَمَا قال عليه السلام: «**مِنْهُ ابْيَضَّ البَيَاضُ**»، إذ قوله عليه السلام: «**مِنْهُ ابْيَضَّ البَيَاضُ**»؛ دليل على أن البياض لونٌ، صبغه صانعه من مادة البساطة.

وقيل: أنه ليس لوناً، ويدل عليه الرواية الأخرى عنه عليه السلام قوله:

---

(١) عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ رَفَعَهُ قَالَ؛ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْوَارٍ أَرْبَعَةٍ؛ نُورٍ أَحْمَرَ مِنْهُ احْمَرَّتِ الْحُمْرَةُ، وَنُورٍ أَخْضَرَ مِنْهُ اخْضَرَّتِ الْخُضْرَةُ، وَنُورٍ أَصْفَرَ مِنْهُ اصْفَرَّتِ الصُّفْرَةُ، وَنُورٍ أَبْيَضَ مِنْهُ ابْيَضَّ الْبَيَاضُ، وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي حَمَّلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ..**».[الكافي، ج: ١، ص: ١٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ١٠].

«**مِنْهُ البَيَاضُ، وَمِنْهُ ضَوْءُ النَّهَارِ**»[١]، فقوله: «**مِنْهُ البَيَاضُ**»؛ يدل على أنه صفة الوجود الذاتية، إذ مقتضاه البياض لبساطته.

والحاصل: أنَّه على كلٍّ تقدير؛ فمنشؤه البَساطة.

قلتُ: (**وَالصُّفْرَةُ مِنَ الإِرَادَةِ؛ لِزِيَادَةِ الحَرَارَةِ فِي البَيَاضِ**).

أقول: إنما كان النور الصادر عن الإرادة أصفر؛ لأن المشيئة لَمَّا كان الصادر عنها أبيض، وكانت الإرادة التي هي تأكيد المشيئة زيادة طلب وميل، وهو يقتضي الحرارة زيادة على المشيئة، وكانت الإرادة متعلقة بمتعلق المشيئة الذي هو قبل تعلقها به أبيض؛ ألقت الإرادة حرارتها على ذلك البياض، الذي قلنا أن طبيعته بارد رطب، فكان أصفر لانقلاب برودته إلى الحرارة، فكان حارّاً رطباً.

وإنما كان[٢] الحار الرطب في الكلي أصفر؛ لأنه طبع الحياة، وهو معنى قولي: (لزيادة الحرارة في البياض).

---

(١) عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «**إِنَّ اللهَ عز وجل خَلَقَ العَرْشَ أَرْبَاعاً لَمْ يَخْلُقْ قَبْلَهُ إِلا ثَلاثَةَ أَشْيَاء؛ الهَوَاءُ وَالقَلَمُ وَالنُّورُ، ثُمَّ خَلَقَهُ مِنْ أَنْوَارٍ مُخْتَلِفَة، فَمِنْ ذَلِكَ النُّوْر نُوْر أَخْضَر اخْضَرَّتْ مِنْهُ الخُضْرَة، وَنُورٌ أَصْفَر اصْفَرَّت مِنْهُ الصُّفْرَة، وَنُورٌ أَحْمَر احْمَرَّت مِنْهُ الحُمْرَة، وَنُورٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نُوْرُ الأَنْوَارِ، وَمِنْهُ ضَوْءِ النَّهَارِ..**».[التَّوحيد، ص: ٣٢٥-٣٢٦. الاختصاص، ص: ٧٢. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٣٧٥].

(٢) في بعض النسخ: (ولو كان).

قلتُ: (**وَالخُضْرَةُ مِنَ القَدَرِ؛ لِاخْتِلَاطِ سَوَادِ الكَثْرَةِ مِنْ أَثَرِ القَدَرِ بِصُفْرَةِ أَثَرِ الإِرَادَةِ**).

أقول: إنما كان النور الصادر من القدر أخضر؛ لأن القدر تصدر عنه الحدود والهيئات وهي كثيرة، والكثرة سواد، كما أن البساطة بياض، فلمَّا كانت الكثرة متعلقة بذلك الأصفر؛ لأن التقدير فيه اجتمع السواد والصفرة والخضرة تتركب منهما[1]، وهو معنى قولنا: (الاختلاط سواد الكثرة من أثر القدر، وبصفرة أثر الإرادة)، كما ذكرنا قبل ذلك.

قلتُ: (**وَالحُمْرَةُ مِنَ القَضَاءِ؛ لِاجْتِمَاعِ بَيَاضِ المَشِيْئَةِ بِصُفْرَةِ الإِرَادَةِ فِي حَرَارَةِ حُكْمِ القَضَاءِ بِالإِمْضَاءِ**).

أقول: إنما كان النور الصَّادر عن القضاء أحمر؛ لأنه مركب من النور الأصفر الصادر عن الإرادة، ومن بياض النور الصادر عن المشيئة، فهو مركب منهما بحرارة حكم القضاء بالإمضاء، وهو حتم التكوين.

وإذا اجتمعت الصفرة بالبياض في حرارة معتدلة حصلت الحمرة من الجزئين، أعني: البياض والصفرة كالزنجفر، فإنه مركب من الزئبق الأبيض والكبريت الأصفر، يوضعان بعد مزج بعضهما في بعض في نار معتدلة ليست بشديدة، فيتكون منهما الزنجفر الأحمر، وهو تكون طبيعي.

والعرش مركب من هذه الأربعة الأنوار التي دار عليها الوجود، فليس شيء في الأكوان من ذات أو صفة، غيب أو شهادة؛ إلَّا وهو متقوّم

---

(١) في بعض النسخ: (منها).

بهذه الأربعة.

۞[جواز استعمال أقسام الفعل بعضها مكان بعض]:

قلتُ: (**ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا أُطْلِقَ "خَلَقَ" قَدْ يُرَادُ بِهِ جَمِيْعُ المَرَاتِبِ؛ لِصدْقِه عَلَيْهَا لُغَةً**).

أقول: لَمّا ذكرت تقسيم الفعل باعتبار متعلقه؛ ذكرت هنا جواز استعمال بعضها مكان بعض، فقد يطلق (خَلَقَ) الذي هو معنى شاء الكون، ويراد منه معنى (برء) الذي هو معنى (أراد)، ومعنى (صوَّر) الذي هو معنى (قدَّر) وهكذا، وذلك جائز بحسب اللغة الظاهرة المعروفة بين الناس، وكثيرة ما يخاطب الشرع عليه السلام المكلفين بهذا؛ لأنهم لا يعرفون إلّا ما هو لغتهم ومصطلحهم، وقد قالوا عليهم السلام: «**إِنَّا لَا نُخَاطِبُ النَّاسَ إِلَّا بِمَا يَعْرِفُوْن**»[1].

نعم..لو اجتمعت الأفعال المختلفة باعتبار متعلقاها، لزم أن يراد من كل فعل ما يخصه باعتبار متعلقه.

كما **قلتُ:** (**وَإِذَا قِيْلَ: "خَلَقَ، وَبَرَءَ وَصَوَّرَ"، فَـ"خَلَقَ" بِمَعْنَى: "شَاءَ"، أَيْ: أَوْجَدَ الكَوْنَ، أَيْ: الوُجُوْد، وَ"بَرَءَ" بِمَعْنَى: "أَرَادَ"، أَيْ: أَوْجَدَ العَيْنَ، أَيْ: المَاهِيَّة بِالوُجُوْدِ، وَ"صَوَّرَ" بِمَعْنَى: "قَدَّرَ"، أَيْ: أَوْجَدَ**

---

(١) رُوي عنهم عليهم السلام: «**قَدْ أُمِرْنَا أَنْ لَا نُكَلِّمَ النَّاسَ إِلَّا عَلَى قَدْرِ عُقُوْلِهِم**». [بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٤٦. التوحيد، ص: ١٢٠].

الحُدُوْدَ).

أقول: إذا اجتمعت الأفعال دلَّ كل فعل منها على إرادة ما يخصه دون ما يصدق عليه لغة، فإذا قيل: (خلق، وبرء، وصوَّر)؛ كان (خلق) بمعنى: (شاء)، و(برء) بمعنى: (أراد)، و(صوَّر) بمعنى: (قدَّر)، قال الله سُبحانه: **﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾**[١].

فترتب الأسماء الثلاثة على معانيها المختصة بها مع الاجتماع، وإلَّا لَمَا دلَّت عليها؛ لأنها إذا صلحت لها ولغيرها في الافتراق والاجتماع كانت الثلاثة مترادفة، مع أنها مختلفة المفاهيم، فإذا دلت على معانيها المختصة بها كانت بمعاني أفعال تلك المعاني.

فــ(خَلَق) مع الاجتماع في الآية بمعنى: (شاء)، الذي هو الذِّكر الأول، وفيه يوجد الكون، أي: الوجود الذي هو المادة الأولى عندنا، و(برء) مع الاجتماع بمعنى: (أراد)، وفيه توجد العين، أعني: الماهية الأولى، يعني: بالمعنى الأول المتقدِّم.

فإنَّا قلنا: أن الوجود بالمعنى الأول هو المادة الأولى، المسماة في الأجسام مثل الخشب المركب من العناصر الأربعة، والماهية الأولى بالمعنى الأول هي الصورة النوعية، وهي انفعال المادة، وهي -أي: الماهيَّة الأولى- في مثل الخشب؛ الصُّورة الخشبية.

وإذا قلنا: الوجود والماهية بالمعنى الثاني، نريد بالوجود الشيء

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

الموجود من حيث هو أثر فعل الله تعالى، ونريد بالماهية الشيء الموجود من حيث هو هو، فهذا مرادنا من الوجود والماهية بالمعنى الأول وبالمعنى الثاني، فتَنْتَبه لَه، فربَّما نذكر ذلك في موضع لا نبيِّنه فلا تغفل.

و(صَوَّر) مع الاجتماع بمعنى (قدَّر)، وفيه توجد الحدود والهيئات الذاتية والعرضية، العينية والمعنوية.

قلتُ: (وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[1]، أَيْ: خَلَقَ كَوْنَهُ، أَيْ: وُجُوْدَهُ. فَسَوَّى عَيْنَهُ، بِمَعْنَى: سَوَّى مَاهِيَّتَهُ بِوُجُوْدِهَا[2]، أَيْ: جَعَلَ فِيْهِ مَا إِذَا سُئِلَ أَجَابَ[3]).

أقول: هذا معنى ما تقدم، وهو مع ملاحظة ما تقدم لا يحتاج إلى بيـــان.

قلتُ: (وَإِنَّمَا جِيْء بِالفَاءِ فِي عَطْفِ التَّسْوِيَةِ دُوْنَ الوَاوِ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ المُلَازَمَةِ كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ، وَهَذَا فِي الخَلْقِ الأَوَّلِ[4]).

أقول: هذا جَواب عن سُــؤال مقدَّر بأنْ قــيل: لِمْ أُتي بالــفاء

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ٢-٣.

(٢) في بعض النسخ: (بوجوده).

(٣) مقتبس من قول الإمام عليه السلام: **«جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ»**. [الكافي، ج: ٢، ص: ١٢. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٣٧. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٥٧].

(٤) في بعض النسخ: (وهذا في الأول الخلق).

في عطف ﴿سَوَّى﴾ على ﴿خَلَقَ﴾، وفي عطف ﴿هَدَى﴾ على ﴿قَدَّر﴾ دون الواو، ولم يأت بالفاء في عطف ﴿الَّذِي قَدَّرَ﴾ على ﴿الَّذِي خَلَق﴾؟.

والجواب: إنما جيء بالفاء في عطف التسوية في قوله: ﴿فَسَوَّى﴾؛ لما بين ﴿خَلَقَ﴾ و﴿سَوَّى﴾ من الملازمة، لأنَّ ﴿خَلَقَ﴾ أثره الوجود، أي: الكون، و﴿سَوَّى﴾ أثره الماهية، أي: العين، ولا يتحقَّق في الظهور أحدهما بدون الآخر، فلأجل عدم انفكاك أحدهما عن الآخر وتلازمها أتى بالفاء الدَّالة على الترتيب؛ لأن ﴿سَوَّى﴾ مترتب على ﴿خَلَقَ﴾ وعلى عدم المهلة؛ لتلازمهما، و﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ يقع في إيجاد المادة والصورة النوعية، وهو قولنا: (وهذا في الخلق الأوَّل).

قلتُ: (**﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[1]، أَيْ: وَضَعَ حُدُوْدَهُ المُتَقَدِّم ذِكْرُهَا، وَهُوَ الخَلْق الثَّانِي**).

أقول: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾، أي: أوجد حدود ما أراد تعينه الشخصي وتميزه بمشخصاته، التي هي تلك الحدود المتقدم ذكرها؛ من الأمور الستة والوضع والأجل والكتاب والأذن.

وقوله: ﴿فَهَدَى﴾ في تقديره؛ لأنه أجرى تقديره على ما يقتضي الهداية، لأن تقديره على نوع التعريف، فيقتضي الهداية ببيان طريق الخير والشر، فأمَّا من قبل طريق الخير؛ فلامتثاله مقتضى التقدير، فكان بالتقدير

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ٣.

سالكاً طريق الخير.

وأمَّا من ترك امتثال مقتضى التقدير بعد التعريف، جرى له التقدير بمشخصات إنكاره بعد الهداية إلى طريق الإجابة، فكان بالتقدير الجاري على حسب قبوله سالكاً طريق الشر، فقد هدى للخير بتقديره، وإنما ضلَّ من ضَل بتركه مقتضى التقدير بعد البيان.

وإليـــه الإشارة بقوله تعالى: **﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ من بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾**[١]، وقوله تعالى: **﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾**[٢]، فأبان سبحانه بأن الهداية في تقديره، وهي تقتضي بيان طريق الخير والشر؛ ليكون المكلف مختاراً بتمكينه من فعل الطاعة وفعل المعصية، وذلك البيان والتعريف في هذا التقدير فهما متساوقان في الظهور، وإنْ كان التقدير سابقاً في الذات، ولأجل هذا عطف بالفاء المفيدة للترتيب بلا مهلة.

والتقدير: أول الخلق الثاني، وتمامه في القضاء، وكماله في الإمضاء[٣].

قلتُ: (﴿فَهَدَى﴾، أَيْ: دَلَّ عَلَى سَبِيْلِ الهُدَى، وَعَطَفَ بِالفَاءِ؛

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٥.

(٣) في بعض النسخ: (بالإمضاء).

لأَنَّ القَدَرَ[(١)] به السَّعَادَة وَالشَّقَاوَة).

أقول: ﴿فَهَدَى﴾، أي: دلَّ على سبيل الهدى..إلى آخره، كما ذكرنا معناه قبل هذا.

قلتُ: (فَفِيْهِ دَلَّ عَلَى الهُدَى، فَهُمَا مُتَسَاوِقَان فِي الوُجُوْدِ، وَإِنْ كَانَتِ الهِدَايَة مُغَايِرَة وَمُتَأَخِّرَة فِي الذَّات، فَعَطَفَ بِالفَاء).

أقول: قد تقدَّم -أيضاً- بيان هذا قبل هذه الكلمات.

۞[الاختراع والابتداع ومعانيهما]:

قلتُ: (ثُمَّ أَنَّ مَرَاتِبَ الفِعْلِ بِجَمِيْعِهَا؛ اخْتِرَاعٌ وَابْتِدَاعٌ[(٢)]).

أقول: معنى هذين اللفظين:

قيل: واحد[(٣)]، وهو إيجاد المفعول لا من شيء قبله، ليس بمحدث.

وقيل: اختراع الشيء لا من شيء، وابتداعه لا لشيء[(٤)]، وهما مرويّان[(٥)].

---

(١) في بعض النسخ: (لأن التقدير).

(٢) في بعض النسخ: (وإبداع).

(٣) راجع: مجمع البحرين، ج: ١، ص: ٦٣٧.

(٤) نقل هذا الرأي أبو هلال العسكري في كتابه، الفروق اللغوية، ص: ٩-١٠.

(٥) عَنْ مُحَمَّد بْنِ زَيْد قَالَ: جِئْتُ إِلَى الرِّضَا عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ التَّوْحِيد، فَأَمْلَى عَلَيَّ: **«الْحَمْدُ لِلَّه فَاطِرِ الْأَشْيَاء إِنْشَاءً، وَمُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعاً بِقُدْرَتِه وَحِكْمَتِه، لَا مِنْ**

←...

وقيل: الاختراع للكون، والابتداع[1] للعين، فمعنى الأوَّل شاء، ومعنى الثاني أراد، ويأتي تمام ما نريد بيانه منهما إنْ شاء الله تعالى.

قلتُ: (وَقَدْ يُطْلَقُ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ كَالمَشِيْئَةِ وَالإِرَادَةِ، وَكَالفَقِيْرِ وَالمِسْكِيْنِ فِي بَابِ الصَّدَقَاتِ، وَكَالجَارِّ وَالمَجْرُوْرِ عِنْدَ النُّحَاةِ؛ فَإِنْ افْتَرَقَا اجْتَمَعَا.

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: "اعْطِ الفَقِيْرَ خَمْسَةَ دَنَانِيْر"، لَمْ تَجِبْ عَلَيْكَ التَّفْرِقَة، وَكَذَا "اعْطِ المِسْكِيْنَ"، فَفِي الحَالَيْنِ أَيُّهُمَا أَعْطَيْتَ كَفَاكَ.

وَإِذَا قُلْتَ: "زَيْدٌ فِي الدَّارِ". فَإِنْ قُلْتَ: زَيْدٌ مُبْتَدَأ، وَالجَارُّ خَبَرٌ؛ صَحَّ. أَوْ المَجْرُوْرُ خَبَرٌ؛ صَحَّ.

وَتَقُوْلُ: اخْتَرَعَ، أَيْ: ابْتَدَعَ وَبِالعَكْسِ، وَشَاءَ، أَيْ: أَرَادَ وَبِالعَكْسِ، وَإِذَا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا. تَقُوْل: اخْتَرَعَ وَابْتَدَعَ، أَي: اخْتَرَعَ لَا مِنْ شَيْء، وَابْتَدَعَ لَا لِشَيء، وَاخْتَرَعَ الكَوْن، وَابْتَدَعَ العَيْن.

وَتَقُوْلُ: شَاء الكَوْن، وَأَرَادَ العَيْن، فَاخْتَرَعَ بِمَعْنَى: شَاءَ لَا مِنْ شَيْء، وَابْتَدَعَ بِمَعْنَى: أَرَادَ لَا لِشَيْء.

←....

شَيْءٍ فَيَبْطُلَ الاخْتِرَاعُ، وَلا لِعِلَّةٍ فَلَا يَصِحّ الابْتِدَاعُ...».[الكافي، ج: ١، ص: ١٠٥. التوحيد، ص: ٩٨. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٩. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٦].

(١) في بعض النسخ: (والإبداع).

وَإِذَا قِيْلَ: "اعْطِ الفَقِيْرَ خَمْسَةَ دَنَانِيْر، وَالمِسْكِيْنَ أَرْبَعَةَ دَنَانِيْر"؛ وَجَبَ التَّفْرِقَة، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي الفِقْهِ، وَالأَصَحُّ عِنْدِي: أَنَّ المِسْكِيْنَ أَسْوَء حَالاً.

وَإِذَا قِيْلَ: الجَارُّ وَالمَجْرُوْرُ؛ فُرِّقَ بَيْنَهُمَا).

أقول: إنَّ هذا الكلام كله ظاهر؛ لأنَّ المطلوب من هذا الشرح هو بيان المشكل وفتح المغلق، لا تفريع على ما ذُكِر، ولا تأسيس ما لَم يذكر، وتكثير التمثيل، وتكرير القيل؛ مبالغةٌ في البيان.

۞[قول علماء الجفر في تقسيم الاختراع والإبداع]:

قلتُ: (وَاعْلَمْ أَنَّهُ قِيْلَ: أَنَّ الاخْتِرَاعَ اخْتِرَاعَانِ، وَالإِبْدَاعَ إِبْدَاعَانِ).

أقول: هذا قول علماء الجفر، ولهم على ذلك التقسيم تفاريع وأحكام يذكرونها في كتبهم؛ لأنه راجع إلى فعليَّت الحروف، والحروف عندنا ما كان معنوياً فهو قسمان:

قسم هو وجوه المشيئة والإرادة، والقدر والقضاء، وهي بلا شك أفعال حقيقية جزئية.

وقسم هو مفعول وهو فعل، كالعقول والنفوس والملائكة، فإنها من المفعولات، وبها يفعل الله سبحانه ما يترتب عليها، وما تكون عللاً له وأسباباً لإيجاد مواده، أو صوره الجنسية أو النوعية أو الشخصية، أو لهما معاً.

فهي من هذه الجهة أفعاله تعالى، أو محال أفعاله، أو وسائط أفعلاه؛ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«وَأَلْقَى فِي هَوِيَّتِهَا مِثَالَهُ، فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ..»**(١)، يعني عليه السلام: النفوس، ونفوس الملائكة.

وما كان لفظياً؛ فهي أفعال ظاهرية، كما روي عن الرضا عليه السلام: **«أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الحُرُوْفَ، وَجَعَلَهَا فِعْلاً مِنْهُ»**(٢).

والمراد: أنّه يقول للشيء كن فيكون، فـ(كن) كناية عن فعله، ولكنه متضمن للفعل؛ لأن الإيجاد صنع، وهو في الحقيقة غير اللفظ، إلّا أنه لَمَّا كان الظاهر إذا تم اقتضى وجود الباطن وتعلقه به، كالجسم للإنسان،

---

(١) قال صاحب النُّخب؛ سُئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال: **«صُوَرٌ عَارِيَةٌ عَنِ المَوَادِّ، عَالِيَةٌ عَنِ القُوَّةِ وَالاستِعْدَادِ، تَجَلَّى لَهَا فَأَشْرَقَت، وَطَالَعَهَا فَتَلأْلأَت، وَأَلْقَى فِي هَوِيَّتِهَا مِثَالَهُ، فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ، وَخَلَقَ الإِنْسَانَ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَةٍ، إِنْ زَكَّاهَا بِالعِلْمِ فَقَدْ شَابَهَتْ جَوَاهِرَ أَوَائِلِ عِلَلِهَا، وَإِذَا اعْتَدَلَ مِزَاجُهَا وَفَارَقَتْ الأَضْدَادَ فَقَدْ شَارَكَ بِهَا السَّبْعَ الشِّدَادِ»**.[المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. غرر الحكم، ص: ٢٣١. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥].

(٢) قال الإمام الرِّضا عليه السلام في احتجاجه على أرباب الملل المختلفة والأديان المتشتتة في مجلس المأمون: «..**ثُمَّ جَعَلَ الحُرُوْفَ بَعْدَ إِحْصَائِهَا وَإِحْكَامِ عِدَّتِهَا فِعْلاً مِنْهُ، كَقَوْلِه** عزّ وجلّ: **﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾**[سورة البقرة، الآية: ١١٧]، وَ**(كُنْ) مِنْهُ صُنْعٌ، وَ(مَا يَكُوْنُ) بِهِ المَصْنُوْعِ..**».[عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣-١٧٤. التوحيد، ص: ٤٣٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١].

إذا تمت خلقته من آلات الروح وما يتوقف عليها، حتى ظاهر ظاهره كالشعر، اقتضى وجود الروح وتعلقها به؛ كانت الحروف إذا رتبت على نظمها الطبيعي من المناسبات الذاتية بين بعضها بعضاً في الصور والعدد والطبائع، والتواخي والتباغض، والنظائر ونظائر النظائر، والقوى وما أشبه ذلك، كالتَّرفع والتَّنزل، والتبديل والتوليد من بعضها لبعض، والقلب والطمس، والفتح والحركات، والتفخيم والترقيق، والشدة واللين، والتوسط والجهر، والهمس والقلقلة وما أشبه ذلك؛ مما يذكرونه في كتبهم اقتضت وجود أفعالها الباطنة الصنعية، وتعلقها بها وارتباطها بما عملت لَه؛ حتى تظهر آثارها على أكمل وجه، وأسرع وقت.

فلأجل ذلك أجروا فيها أحكام الاختراع والإبداع وصفاتها، فقسموا الاختراع والإبداع باعتبار التوليد والتأثير إلى قسمين -كما سمعت- وتفصيل ذلك عندهم مذكور في كتبهم، وإنما ذكرت الإشارة إلى ذلك؛ لأجل بيان أنها عند أهل العصمة عليهم السلام قد تنسب إليها أفعال الله سُبحانه وتعالى.

قلتُ: (فَالاخْتِرَاعُ الأَوَّلُ: المَشِيْئَةُ؛ وَهُوَ خَلْقٌ سَاكِنٌ لَا يُدْرَكُ بِالسُّكُوْنِ).

أقول: هذا البيان مركب من المستفاد، ومن كلام الأئمة عليهم السلام، ومن اصطلاح علماء الجفر؛ لأنَّ المقصود بيان الفعل على سبيل الإشارة بما يصلح على القولين، وإنما فسرت المشيئة التي جعلتها عبارة عن الاختراع الأول بأنه (خلق ساكن لا يدرك بالسكون)، مع أن هذا وارد

في وصف القسم الثاني الذي هو الإبداع، كما هو مروي عن الرضا عليه السلام[(١)]؛ لأن هذا الوصف جار لمطلق الفعل الشامل للقسمين، لأن المراد بمعنى هذا الوصف أن الفعل مخلوق بنفسه، قد أقامه الله سبحانه بنفسه، فاستقلاله بنفسه، وتمامه بنفسه؛ عبارة عن كونه ساكناً، أي: ليس محتاجاً في إيجاده إلى فعل آخر يكون محدثاً به، بل هو محدث بنفسه، فهو إذن ساكن.

وهذا المعنى، لا يعرف بالسكون الذي هو ضد الحركة؛ لأنَّ هذا هو والحركة محدثان به، فلا يجريان عليه، ولا يتصف بهما.

قلتُ: (وَالاخْتِرَاعُ الثَّانِي: الأَلِفُ مِنَ الحُرُوْفِ).

أقول: يحتمل أنهم أرادوا بالألف؛ الألف المطلقة الشاملة للّيِّنة والمتحركة، كما هو مختار الجوهري في الصِّحاح[(٢)]، فيكون تعداد الحروف على هذا جارياً على ما ذكره أهل تُهَامة، من عدِّهم الحروف تسعة وعشرين؛ بجعل (لام ألف) بعد الهاء، وقبل الياء في ترتيبهم حرفاً، فيقولون بعد: (ك، ل، م، ن، و، هـ، لا، ي)، وهذه آخر التسعة والعشرين، وأوَّلها: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ..إلخ)؛ فيجعلون الألف

---

(١) راجع: التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. تحف العقول، ص: ٤٢٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦، وَج: ٥٤، ص: ٥٠.

(٢) راجع: الصحاح، ج: ٦، ص: ٢٥٤٢.

اللّينة من جملة الحروف.

وذكر بعض أهل الجفر؛ أنَّ عددهما واحد، وكذا بعض علماء التَّجويد، ويحتمل أنهم أرادوا بها الألف المتحركة، التي هي أوَّل الحروف المسماة بالهمزة، وهي أوّل الحروف مما يلي الجوف.

وأمَّا الألف اللَّينة؛ فليست من سائر الحروف، وإنما هي أم الحروف، وهيولى جميعها، وهي تمتد من الجوف إلى الهواء، وليس لها مخرج كسائر الحروف، وجميع الحروف شعب منها، ويُشار بها إلى النفس الرحماني، الذي هو أول صادر عن الفعل، أو إلى الفعل الذي برزت الأشياء من الإمكان إلى الأكوان على صفاته، والمتحركة يشيرون بها إلى العقل الكلي[١]، الذي هو أول الحروف الكونية بحكم أنَّ التدويني مطابق للتكويني[٢]، وهذا هو المشهور بين أهل العلم.

فعلى هذا؛ تكون الألف المتحركة -أعني: الهمزة- هي الاختراع الثاني، لأنه مخترع بالاختراع الأول؛ الذي هو المشيئة في الخلق التدويني، كما أنَّ العقل الكلي[٣] هو الاختراع الثاني في الخلق التكويني، وهو مخترع بالمشيئة في الخلق التكويني.

وبالألف المتحركة اخترعت الباء؛ لأنها تكريره، بمعنى أنها انبساط

---

(١) في بعض النسخ: (عقل الكل).

(٢) وردت هذه العبارة في هامش بعض النسخ هكذا: (بحكم أنَّ التدوين مطابق للتكوين).

(٣) في بعض النسخ: (عقل الكل).

الألف اللينة بعد امتدادها فيه اخترعت الباء، كما أنَّ بالعقل اخترعت النفس الكلية؛ لأنها تَنَزُّله، فهو الاختراع الثاني المعنوي، والألف المتحركة، والاختراع الثاني اللفظي، فالباء مركبة من انبساط الألف المتحركة بعد قيامها؛ فلذا كان عدد الباء اثنين، إشارة إلى الرُّتبتين.

والنفس مركبة من انبساط العقل بتكـــثُّر الصُّور من معانيه بعد وحدته كذلك، فالاختراع الأول هو المشيئة، به اخترعت الألف المتحركة التي يشار بها إلى العقل الكلي، والاختراع الثاني هو الألف المتحركة، التي يُشار بها إلى العقل الكلي، بها اخترعت الباء المشار بها إلى النفس الكلية؛ لأنها اخترعت بالعقل الكلي، وهذه النفس هي اللوح المحفوظ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«ظَهَرَت المَوْجُوْدَاتُ مِنْ بَاءِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ»**(١).

واعلم أنَّ الألف اللَّينة صورة بلا حركة، والألف المتحركة حركة بلا صورة، ولَمَّا كانت الحروف اللفظية ألفاظاً، وأرادوا تسميتها ليتميز بعضها عن بعض، والأسماء أيضاً ألفاظ، وقد اقتضت الحكمة أن تكون بين الألفاظ ومعانيها مناسبة ذاتية، كما هو الأصح عندنا في المسألة؛ لأنَّ الاسم ظاهر المسمَّى وصفته، ولأنَّه أبلغ في التميز بالعلامة التي هي الاسم

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«كُلُّ العُلُوْمِ تَنْدَرِجُ فِي الكُتُبِ الأَرْبَعَة، وَعُلُوْمُهَا فِي القُرْآن، وَعُلُوْمُ القُرْآنِ فِي الفَاتِحَةِ، وَعُلُوْمُ الفَاتِحَةِ فِي بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، وَعُلُوْمُهَا فِي بَاءِ بِسْمِ اللهِ»**.[مصابيح الأنوار، ج: ١، ص: ٣٤٥. نور البراهين، ج: ٢، ص: ٣].

مع قدرة الواضع سُبحانه على ذلك؛ ولأنَّه أكمل، فعدمه مع إمكانه نقصٌ في الصنع، ولا يجوز عليه سبحانه؛ وجب أن يجعلوا المسمى في الاسم، إذ لا يمكن المناسبة الذاتية بينهما إذا كانا من نوع واحد، وأحدهما بسيط، لكن جعله في الاسم أبلغ من المناسبة الذاتية في الدلالة، وإنما جعل في أول الاسم؛ لأنَّه المسمى، وله رتبة الموصوفية، وللاسم رتبة الصفة، والموصوف مقدَّم في الرتبة والوجود على الصفة.

ولَمَّا أرادوا تسميته الألف اللينة على القاعدة المذكورة، وهي صورة لا حركة لها؛ استعاروا لها الألف المتحركة -وهي حركة- لئلا يلزم الابتداء بالسَّاكن، فجعلت على الألف اللينة، فقيل: (ألف).

ولما أرادوا تسمية الألف المتحركة لم يبق لها شيء؛ لأنها إنما هي حركة، وقد أخذت اللينة، فاستعاروا (الهاء) لها[1]؛ لأنها أقرب الحروف إليها في المخرج، كما استعاروا للألف اللينة تلك الحركة، التي تسمَّى بالألف المتحركة؛ لأنها أوَّل ناشٍ من الحروف عنها، وهذه الألف المتحركة قد قلنا: أنها حركة بحت ولا صورة لها. وإذا أرادوا كتابتها استعاروا الألف اللينة لها، في مقابلة استعارتها لها في التسمية.

ولَمَّا كانت كل واحدة منهما تحتاج إلى الثانية في حالة؛ أطلقت إحديهما على الأخرى، وسُمِّيا باسمٍ واحد، كما قاله الجوهري في

(١) في بعض النسخ: (فاستعاروا "الباء").

الصِّحاح[1]؛ لاشتراكهما في الصورة النقشية، وكما قال أهل الجفر؛ لاشتراكهما في العدد.

قلتُ: (وَالإِبْدَاعُ الأَوَّلُ: الإِرَادَةُ؛ وَهُوَ خَلْقٌ سَاكِنٌ لَا يُدْرَكُ بِالسُّكُوْنِ).

أقول: الإبداع هو فعل الله، وهو الإرادة، على فرض أن بينه وبين الاختراع فرقاً، وأنَّ الاختراع هو المشيئة.

وأمَّا أنه خلقٌ ساكنٌ لا يُدرك بالسُّكون: فمعناه ما ذكرناه في الاختراع، وقد تقدَّم ذكر الاحتمالات؛ في أنَّه هل هو الاختراع؟، أو أنَّ الاختراع خلق الشيء لا من شيء، والإبداع خلقه لا لشيء؟، أو أنَّ الاختراع خلق الكون، والإبداع خلق العين؟، كما قلنا في المشيئة والإرادة؛ لأنهما هما.

قلتُ: (وَالإِبْدَاعُ الثَّانِي: البَاءُ مِنَ الحُرُوْفِ).

أقول: هذا الاصطلاح -الذي ذكره علماء الجفر- جريه على الاحتمال الأخير، وهو: (أنَّ الاختراع خلق الكون، والإبداع خلق العين) أولى وأظهر؛ ليتَّجه كون الباء التي هي اللوح المحفوظ المبدع بالإبداع بواسطة الألف المتحركة التي هي العقل الكلي؛ إبداعاً لِمَا دونها من الحروف اللفظية.

---

(١) راجع: الصحاح، ج: ٦، ص: ٢٥٤٢.

كما أنَّ اللوح المحفوظ إبداعٌ لِمَا دونه من الحرَوف الكونية، مع أنه مبدع بالاختراع بواسطة العقل الكلي.

[الاختراع والابتداع وكلمة (كُن)]:

قلتُ: (وَذَلِكَ لِأَنَّ الإِبْدَاعَ وَالاخْتِرَاعَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ خَلْقَهُ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ خَلَقَ الحُرُوْفَ بِالإِبْدَاعِ، وَجَعَلَهَا فِعْلاً مِنْهُ، يَقُوْلُ لِلشَّيْءِ: كُنْ؛ فَيَكُوْن).

أقول: إنما قلنا أن الألف مخترع بالاختراع، وهو -أي: الألف- اختراع أيضاً، وقلنا أن الباء مبدعة بالإبداع، وهي أيضاً إبداع ثاني؛ لقول الرِّضا عليه السلام -على ما ذكره لعمران الصَّابي كما نقلته بالمعنى- وهو قولي: (لأنَّ الإبداع والاختراع أول ما خلق الله خلقه بنفسه، ثم خلق الحروف بالإبداع، وجعلها فعلاً منه، يقول للشيء: كن؛ فيكون)[1].

---

(١) قال الإمام الرِّضا عليه السلام في احتجاجه على أرباب الملل المختلفة والأديان المتشتتة في مجلس المأمون: «.. **ثُمَّ جَعَلَ الحُرُوْفَ بَعْدَ إِحْصَائِهَا وَإِحْكَامِ عِدَّتِهَا فِعْلاً مِنْهُ، كَقَوْلِه عزّ وجلّ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾**[سورة البقرة، الآية: ١١٧]، **وَ(كُنْ) مِنْهُ صُنْعٌ، وَ(مَا يَكُوْنُ) بِهِ المَصْنُوْعِ، فَالخَلْقُ الأَوَّلُ مِنَ اللهِ عزّ وجلّ: الإِبْدَاعُ، لَا وَزْنَ لَهُ، وَلَا حَرَكَةَ، وَلَا سَمْعَ، وَلَا لَوْنَ، وَلَا حِسّ، وَالخَلْقُ الثَّانِي: الحُرُوْفُ، لَا وَزْنَ لَهَا، وَلَا لَوْنَ، وَهِيَ مَسْمُوْعَةٌ مَوْصُوْفَةٌ، غَيْرَ مَنْظُوْرٍ إِلَيْهَا..**».[التوحيد، ص: ٤٣٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣-١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١].

قلتُ: (**فَيُشَارُ بالكَاف إِلَى الاخْتِرَاعِ، أَيْ: المَشيْئَة، وَهِيَ الكَافُ المُسْتَديْرَةُ عَلَى نَفْسِهَا؛ لِأَنَّهَا مَنْشَأ الكَوْنِ، وَبِالنُّوْنِ إِلَى الإِبْدَاعِ، أَيْ: الإِرَادَة؛ لِأَنَّهَا مَنْشَأ العَيْنِ**).

أقول: هذا تفريعٌ على أنَّ الحروف اللفظية مظاهر للحروف الكونية، وأنها مواد أفعاله اللفظية، المتضمِّنة لأفعاله المعنوية، فيُشار بالكاف إلى الاختراع، أي: المشيئة..إلخ، بناءً على الاحتمال الأخير، ومعناه ظاهر.

قلتُ: (**وَبَيْنَ هَذَيْنِ الحَرْفَيْنِ حَرْفٌ حُذفَ للإِعْلَالِ، [فَهُوَ ثَابتٌ بَاطِناً، وَانْحَذَفَ][1] ظَاهِراً؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى بَيَانِ المُرَادِ مِنْهُ، وَهُوَ المَاءُ الَّذي جُعِلَ مِنْهُ كُلّ شَيْءٍ حَيّ**).

أقول: بين (الكاف) و(النون) من (كُنْ) حَرفٌ حُذف للإعلال، وهو الْتقَاء السَّاكنين؛ لأنَّ (النون) آخر الأمر، فلمَّا بُنيت على السكون التقى ساكنان: (الواو، والنون) فحُذف (الواو)؛ لأنه حرف العلة.

وهذا المحذوف -أعني: (الواو)- عددها ستة؛ إشارة إلى الستة الأيام، وهي الأمور التي هي أصول الحدود، وهي المذكورة سابقاً: (الكم والكيف، والمكان والوقت، والرتبة والجهة) وما يتبعها لاحقٌ بها، داخلٌ في ضمنها؛ كما تدخل أحوال الإنسان في تخلقه في الستة الأيام من أطواره،

---

(١) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

التي هي ما بين كل يومين.

مثلاً: السِّتة الأيام في تخلُّق الإنسان يوم الأحد: وهو يوم النطفة.

ويوم الأثنين: وهو يوم العلقة.

ويوم الثلاثاء: وهو يوم المضغة.

ويوم الأربعاء: وهو يوم العظام.

ويوم الخميس: وهو يوم يُكسى لحماً.

ويوم الجمعة: وهو يوم ينشأ خلقاً آخر، وما يتبعها من الأحوال المتخلِّلة[1] بين كل يومين.

ولَمَّا كان الشيء إنما يظهر منه المادة والصورة، اللتان هما الوجود والماهية، وما سواهما غير ظاهر -وإن كان موجوداً في خلقته- وجب أن يكون ما يدل على المادة؛ وهي (الكاف)، وما يدل على الصورة؛ وهي (النون) ظاهرين، وما يدل على الستة الأيام؛ وهو (الواو) غير ظاهرة؛ لأنَّ الستة الأيام غير ظاهرة في الشيء، وذلك لايستقلاله في ظهوره بمادته وصورته، كما استقل الأمر في ظهوره بـــ(الكاف، والنون)، ولم يحتج في الظهور عند بناء كلمة الأمر إلى ظهور (الواو).

وقولي: (للإشارة إلى بيان المراد منه)؛ أريد به (الواو)، إنما حذفت لبيان المراد من (الواو) ومن الحذف، والمراد هو أنه خاف في الظهور، كما أن الستة الأيام في الشيء مع وجودها فيه خافية، لا تظهر كظهور المادة

---

(١) في بعض النسخ: (المختلفة).

والصورة، وهذا بالنسبة إلى المشاء.

وأما بالنسبة إلى المشيئة؛ فالمراد من (الواو) الخافية في الأمر هو صورة الوجود الخافي في المشيئة، بعد أن قبض ذلك الفعل الذي هو المشيئة بإذن الله تعالى من رطوبة هباء الإمكان أربعة أجزاء، ومن يبوسته جزءاً، فانحلّا في صنعه ماء، ثم ساقه إلى قوابله كـ(الواو) في الأمر اللفظي، فإنَّ ذلك الماء حين قبضه الفعل للتقدير كان كامناً في الصنع، كَكُمُون (الواو) في لفظ (كُنْ).

فيكون مرادي من قولي: (للإشارة إلى بيان المراد منه)؛ الوجهين: الكمون في المشيئة، وأنه هو الماء، أعني: الوجود، والكمون في المشاء، وأنه الماء في المشاء[1]، [وأنه هو بِلّة الماء -أي: رطوبته- التي هي صفته، وبها تقوَّمت مادته في الظهور، وهي كامنة في المشاء.

وكذلك حكمه في المشيئة، وإن كان على نوع الاعتبار من ملاحظة متعلقها كما ذكرنا سابقاً، وكمونه إشارة إلى كمونها في المشاء؛ لأنها مشخصاته، وفي المشيئة؛ لأنها أثرها وهي الماء][2]، وهذا على اللحاظين.

قلتُ: (وَهُوَ الوُجُوْدُ، وَهُوَ الدَّلَالَةُ مِنَ اللَّفْظِ، وَهُوَ المَاءُ مِنَ السَّحَابِ).

أقول: بناءً على لحاظ الكُمُوْن في المشيئة، وهو الخفاء في صنعها

---

(١) في بعض النسخ: (في المشيئة).

(٢) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النُّسخ.

وتقديرها؛ تكون (الواو) إشارة إلى الماء، والخفاء إشارة إلى خفاء الماء، الذي هو الوجود في صنع المشيئة؛ كخفاء الماء في السَّحاب، وكخفاء الدلالة في اللفظ، حتى يتم.

فإذا مُثِّلت المشيئة بالسَّحاب؛ مُثِّل الوجود بالماء، وإذا مُثِّلت بالكلمة؛ مُثِّل بالدلالة، وهو معنى قولي: (وهو الوجود)، يعني: من المشيئة، والدلالة من اللفظ، والماء من السَّحاب.

قلتُ: (وَهُوَ الأَجْزَاءُ الدُّخَّانِيَّة الْمُسْتَضِيْئَة مِنَ النَّارِ بِحِفْظِ الكَثَافَة الدُّهْنِيَّةِ الْمُقَارِبَة لِلدُّخَّانِيَّة).

أقول: إذا مثلنا المشيئة بالنار، كما قال تعالى: **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾**(١)؛ كان الوجود: هو الأجزاء الدخانية المستضيئة عن النار؛ لأنَّ نفس الأجزاء مثل الماهية، والاستضاءة القائمة بها مثل الوجود المشار إليه؛ لكن الاستضاءة لا تتقوَّم إلا بالكثافة الدخانية؛ فلذا قلنا: (وهو الأجزاء الدخانية المستضيئة). يعني: استضائة الأجزاء، وإلا فالأجزاء نفسها مع قطع النظر عن استضاءتها ليست مثلاً للوجود، وإنما هي مثلٌ للماهية؛ لأنها هي الزيت المشار إليه في الكتاب.

وقولي: (بحفظ الكثافة الدُّهنية المقاربة للدُّخانيَّة)، أريد: أنَّ الكثافة التي يعبر عنها بالماهية والقابلية، وهي من الزيت، وهي المنفعلة بالاستضاءة عن النار؛ لا بقاء لها إلا بالكثافة المقاربة في التكليس بالنار للدُّخانية، وهي

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

التي تراها في السِّراج تنش[1]؛ لتلاشي رطوبتها، فهي تمدُّ الدخان، كل ما جفَّ منها جزء كان دُخَّاناً، واستضاء منها، فهي الحافظة للدخانية بمددها.

وفي هذا إشارة إلى عدم استغناء الحادث عن المدد في البقاء، فهو أبداً قائم في بقائه؛ كأول صدوره، وهو معنى قيام الصُّدور الذي نريده هنا.

قلتُ: (وَذَلِكَ الحَرْفُ هُوَ "الوَاو"، وَالأَصْلُ قَبْلَ حَذْفِ الإِعْلَالِ «كَوْن»، وَهُوَ السِّتَّةُ الأَيَّامُ الَّتِي خُلِقَ فِيْهَا الشَّيْء).

أقول: ذلك المحذوف من (كُنْ) هو (الواو)، وهو ظاهر.

وقولي: (وهو السِّتة الأيام التي خُلقَ فيها الشَّيء)، أُريد به: بيان الاقتباس من قوله تعالى: **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾**[2]، يوم العقل، ويوم النفس، ويوم الطبيعة، ويوم المادة، ويوم الصُّورة، ويوم الجسم.

وهي مراتب وجود المصنوع وأطواره، كما قلنا في الإنسان سابقاً، و(الواو) بقواها تشير إلى هذه الأيام؛ التي صنع فيها، يعني: مراتبه

---

(١) **نشَّ الغدير ينشُّ نشيشاً**، أي: أخذ ماؤه في النضوب، يُقال: سبخة نشاشة؛ وهو ما يظهر من ماء السباخ، فيُنَشُّ فيها حتى يعود ملحاً. والنشيش: صوت الماء وغيره إذا علا، (صحاح). نقلناه من حاشية بعض النُّسخ.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤. وسورة يونس، الآية: ٣. وسورة هود، الآية: ٧.

وأطواره.

❁["الألف" هي الاختراع الثَّاني]:

قلتُ: (وَمَعْنَى أَنَّ "الأَلِفَ" هِيَ الاخْتِرَاعُ الثَّانِي؛ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِتَكَرُّرِهَا فَكَانَتْ عَنْهَا "البَاء"، فَـ"البَاء" تَأْكِيْدُهَا؛ لِأَنَّ نُزُوْلَهَا انْبِسَاطُهَا هَكَذَا: «ب»، وَقَدْ كَانَتْ قَائِمَةً هَكَذَا: «آ»).

أقول: معنى كون (الألف) الاختراع الثاني؛ أنها فعل ثان، والفعل الأول الاختراع الأول، المعبر عنه بالمشيئة، و(الألف) وإن كانت مفعولاً من حيث حدوثها عن المشيئة الكونية؛ إلا أنها حدثت عنها (الباء) المشار بها إلى اللوح المحفوظ كما مرّ، وحدثت عنها بواسطة (الباء)؛ (الجيم) كما يأتي.

فلذا كانت اختراعاً؛ لأنَّ الله سُبحانه اخترع بها (الباء)، وقد ذكرنا في هذا الكتاب وغيره أنَّ الفعل قسمان: فعل بنفسه، وفعل بغيره. و(الألف) من الفعل القسم الثاني.

وكيفية ذلك الاختراع: أنها تنزَّلت -أي: تكرَّرت- فكانت الواحدة اثنين؛ لأنَّ معنى ذلك النُّزول: أنها كانت قبله قائمة؛ وهي الحالة الأولى، حالة الوحدة، ثم انبسطت فكانت الحالة الثانية؛ وهو معنى (الباء)، وصورة القيام هكذا: «آ»؛ كناية عن بساطتها، وصورة الانبساط هكذا: «ب»؛ كناية عن الكثرة والتعدد.

ومثال ذلك: في مراتب الإنسان وأطواره النُّطفة، فإنَّ صفتها القيام

المُكنَّى به عن البساطة، إذ هي شيء واحد ليس فيه مغايرة ولا اختلاف، فهي مثال (الألف)، الذي يُشار به إلى العقل، فإنه أيضاً يُقال لَه: (الألف القائم)، ويُراد به العقل الكلي، كما قال شاعرهم:

يا ربِّ بالألف التي لم تُعطف   وبنقطة هي سر تلك الأحرف

ويراد بالنقطة: الحقيقة المحمَّدية ﷺ، وفلك الولاية المطلقة، والعظام إذا كُسيت اللحم، فإنَّ صفتها الانبساط، المكنى به عن الكثرة والتعدد والمغايرة؛ لأنَّ العظام إذا كُسيت اللحم تمَّت الخلقة، فكان رأسه غير يديه ورجليه وعينيه، وكل شيء منه غير الآخر، فكان مُتغايراً متكثّراً متعدِّداً، فهي مثال النفس المعبَّر عنها باللوح المحفوظ، المشار إليها بـــ(الباء) المسماة بـــ: (الألف المبسوطة)، كما قال تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[1].

وهذا معنى المبسوط المراد هنا، فإنه كناية عن التَّعدد والكثرة والمغايرة، فكانت هيئة صورة نقش (الباء) هكذا: «ب»؛ عبارة عن الكثرة والمغايرة بالنسبة إلى الألف؛ لأنه حالة واحدة، ويُعبَّر عنها بالبساطة، ولـــ(الباء) حالتان: كانت قائمة ثم انبسطت.

قلتُ: (وَانْعَطَفَتْ عَلَى "البَاء"، وَمَالَتْ فَحَدَثَتْ "الجِيْم" هَكَذَا: «جـــ»).

(١) سورة الطور، الآيتان: ٢-٣.

أقول: يعني ثم انعطفت الألف على (الباء) بَعد تحقق (الباء) بتنَزُّل (الألف)، فحدثت عن (الألف) (الجيم) بواسطة (الباء)؛ لأنَّ مرادنا بتَنَزُّل (الألف) ظهورها بطور من أطوارها، ولا نريد أنها انقلبت (باءً) بحيث لم يبق (ألف) بعد (الباء)، فلا يُقال: ما هذا الذي مال على (الباء)؟؛ لأنَّ تنَزُّلها في (الباء) أو بـــ(الباء) وبـــ(الجيم) وغيرهما؛ كلٌّ ذلك بأطوارها.

فلمَّا مالت على (الباء)، أعني: (الألف المبسوطة) ميلاً لا يبلغ الانبساط؛ حدثت بها بواسطة (الباء) (الجيم) هكذا: «جـــ»، ولو كان الميل هذا يبلغ الانبساط هكذا «=»؛ لكانت (الألف) أيضاً (باءً) على (باء)، فحينئذٍ تَحْدُث (الدال) لا (الجيم).

والسِّر فيه: أنَّ (الجيم) أحمر، و(الألف) أبيض، فبمجرد الميل كان (أصفر)، والصُّفرة أول مراتب (الباء)، كما أن المضغة أول مراتب العظام المكسية لحماً، فحلَّت الصفرة فيه، فاجتمع البياض مع الصفرة؛ فحدثت الحمرة التي هي طبع (الجيم)، وهذا جار على ترتيب البروج لا على العناصر، كما هو مذكور في محله.

فلذلك قلنا: (أن الجيم حدث بميل الألف على الباء)، أي: من ميل صورة (الألف) إلى صورة (الباء) في الظاهر، وفي التأويل صورة (الباء) هي الصفرة؛ لأنَّ الميل حال ثان بعد البساطة.

۞["الباء" الإبداع الثّاني]:

قلتُ: (**وَمَعْنَى أَنَّ "البَاء" الإِبْدَاعَ الثّاني؛ أَنَّهَا تَنَزَّلَتْ بِتَكرُّرِهَا فَكَانَتْ عَنْهَا الدَّالُ هَكَذَا: «د»، وَمَالَتْ عَلَى "الجِيْم"، فَكَانَتْ "الهَاء" هَكَذَا: «ه»**).

أقول: معنى أنَّ (الباء) إبداع ثان؛ لأنَّ الفعل هو الإبداع، فحدثت عنه (الباء)، وحدثت عنه (الدال) بواسطة (الباء)، فكانت إبداعاً ثانياً، والفعل إبداعاً أولاً.

ودليل كونها إبداعاً ثانياً: أنها تنَزَّلت بتكرُّرها على نحو ما ذكرنا؛ فكانت عنها (الدال)، أي: فكانت (الدال) بالإبداع الأول بواسطة (الباء)، فمادة (الدال) طوران من أطوار (الباء).

وقولي: (هكذا «د»)؛ تمثيل لصورة تنَزُّل (الباء) في تكرُّرها، وهو كناية عن تنَزُّل الجواهر النفسية في جواهر الهباء، التي هي المواد، وصورتا (الباء) اللتان حدثت (الدال) عنهما مبسوطتان على الاستقامة؛ إلا أنّ ابتدائيهما -أعني: طرفيهما الأولين- مائل كل واحد منهما على جهة الآخر؛ لِمَا بينهما من التوافق، لكونهما من شيء واحد وهو (الباء).

ومن كونهما إبداعاً ثانياً -أيضاً-: أنها مالت على (الجيم) بنحو الميل المذكور في ميل (الألف) على (الباء)، في تكوُّن (الجيم)، فكانت عنها (الهاء) هكذا: «ه».

فالمائل الأول على (الباء) هو (الألف) بوحدته؛ لأنه في أول الدور الثاني، وذلك لأنَّ (الألف) في الدور الأول مالت بوحدتها على (الباء)؛ فكانت (الجيم)، ومالت ثانياً في (الدال) بتكرره الذي هو (الباء) على (الباء)؛ فكانت (الدال)، وفي الدور الثاني مالت بوحدتها أولاً على (الباء)؛ فكانت (الجيم)، وبتكررها ثانياً على (الجيم)؛ فكانت (الهاء).

قلتُ: (وَإِنَّمَا كَانَ مَيْلُ "البَاء" مُخَالِفاً لِمَيْلِ "الأَلِفْ"؛ لأَنَّ "الأَلِف" قَائِم، وَمَيْلُ القَائِم إِلَى الانْبِسَاطِ، وَ"البَاء" مَبْسُوْطٌ، وَمَيْلُ المَبْسُوْط إِلَى الرُّكُوْدِ).

أقول: هذا جواب عن سؤال مُقدَّر، وتقديره: إذا كانت (الباء) هي ميل (الألف)، فلا ميل لها زائداً على انبساطها؟.

والجواب: أنَّ الميل إذا كان إلى ما هو دون المائل يكون بحال أنزل من حاله الأُوْلَى، فـ(الألف) لَمَّا كان قائماً يميل بالانبساط، والمنبسط يميل بالانحطاط، فيكون لها ميل بانحطاط طرفها الأخير إلى طرف (الجيم) الأخير، فتحدث (الهاء)، وهكذا تأثير (الألف) و(الباء) في سائر الحروف بنوع ما سمعت، وهو مُفصَّل في محلّه من علم الجفر وعلم الخطّ.

۞ [تقسيم مظاهر الحروف المعنويّة، وتعليله]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَم أَنَّ هَذِهِ الحُرُوْف المَعْنَوِيَّة الَّتِي هِيَ الحُرُوْفُ اللَّفظِيَّة مَظَاهِرُهَا قِسْمَان:

أَحَدُهُمَا: المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الفِعْلِ؛ وَهُوَ السَّحَابُ المُزْجَى.

وَالثَّانِي: إِفْرَادُ الفِعْلِ فِي فِعْلِ الشَّيْء).

أقول: هذه الحروف اللفظية مظاهر الحروف المعنوية، وإذا أُطلقت أريد بها أحد أشياء، لكن المقام يقتضي اثنين؛ لأنَّا في باقي الكلام على الفعل، وقد اصطلحنا على رتبتين منه بتسميتهما حروفاً، وذلك بلحاظ أنه الكلمة التامة، ولها حينئذٍ اعتباران:

أحدهما: في اعتبار بدء كونها بنفسها، كما مَرَّ ذكره، فإنَّا قسَّمنا ذلك البسيط باعتبار متعلقه المتكثرة عند تعلقه به على أربعة أقسام:

أحدها: النقطة، والرحمة.

وثانيها: الألف، والنفس الرَّحماني الأوَّلي.

وثالثها: الحروف، والسَّحاب المزجى.

ورابعها: الكلمة التامة.

فأطلقنا الحروف على الرتبة الثالثة كما تقدَّم.

وثانيهما: أنَّ هذه الكلمة هي الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر، ولها وجوه، وهي تعلقاتها بالأشياء، فكل شيء كلِّيّ أو جُزئي، كبير أو صغير، لها به تعلق خاص به لا يصلح لغيره، وتلك الوجوه حروف من تلك الكلمة، كما نسمِّيها بأنها وجوهٌ منها ورؤوس لها، كما يأتي.

قلتُ: (وَذَلِكَ لأَنَّ فِعْل الله سُبْحَانَهُ لجَمِيْعِ الأَشْيَاء فعْلٌ وَاحِدٌ، يَجْمَعُهَا عَلَى كَثْرَتِهَا فِي وِحْدَتِه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[1]، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[2]).

أقول: إن فعل الله واحد كما قال تعالى: **﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾**[3]، وقوله: **﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾**، يُشير به إلى حقيقة دقيقة؛ لأنَّه لَمَّا كانت الأشياء تنقاد لَه كلمح البصر، دَلَّ على أنه لا يحتاج إلى التكرار، ولا التأكيد، ولا التَّشديد؛ لأنَّ هذه وأمثالها تقتضي التعدد والمعالجة، الموجبة لتكثر الفعل، فأخبر تعالى بنفي ذلك بدلالة انقياد الأشياء لأمره كلمح البصر، المستلزم لكمال البساطة والوحدة.

وكذلك قوله: **﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾**[4]؛ فإنَّ فيه تنبيهاً على شيئين:

أحدهما: هذا المعنى.

والثَّاني: أنَّ الأشياء نفس واحدة؛ لأنَّ العَالَم -أعني: ما سِوَى الله- شيء واحد في صورة رجل، بل خلق الله الإنسان على صورته[5]، فهو

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٣) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٥) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ؛ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَمَّا يَرْوُونَ: (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ

←...

أنموذج منه، والفعل تعلق به كتعلق وجه من وجوه الفعل بزيد في إيجاده، فلذا قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ﴾ جميعاً، كل شيء في مكان حدوده، ووقت وجوده ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني: كخلق زيد وعمرو.

ولا ريب أنَّ الوجه المختص بصنع شيء لا يصلح لغيره؛ لاعتبار الوحدة فيه، التي هي مناط التعيين، فكذلك العالم كله، فكما يكون[1] في إيجاد زيد من الدفعة والتدريج [في أجزائه وأوصافه، كذلك في العالم الكبير من الدُّفعة والتدريج][2] والترتيب..وغيرها.

قلتُ: (**وَلَهُ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِهِ بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمَوْجُوْدَات مِنْ ذَاتٍ أَوْ صِفَةٍ رَأْسٌ يَخْتَصُّ بِهِ؛ هُوَ مَشِيْئَةُ اللهِ الخَاصَّة بِهِ**).

أقول: للفعل الذي هو المشيئة في الكون، الذي هو الوجود، وهو الإرادة في العين، التي هي الماهية والإنية، وهو القدر في الحدود والتعيين،

←...

آدَمَ عَلَى صُورَتِه)؟، فَقَالَ: «**هِيَ صُورَةٌ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، اصْطَفَاهَا اللَّهُ وَاخْتَارَهَا عَلَى سَائِرِ الصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَة، فَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِه، كَمَا أَضَافَ الْكَعْبَةَ إِلَى نَفْسِه، وَالرُّوحَ إِلَى نَفْسِه، فَقَالَ: ﴿بَيْتِيَ﴾**[سورة البقرة، الآية:١٢٥]، **وَقَال: ﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾**[سورة ص، الآية:٢٩]». [الكافي، ج: ١، ص: ١٣٤. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٢٣. التوحيد، ص: ١٠٣].

(١) في بعض النسخ: (فلا يكون).

(٢) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

وهو القضاء في الإتمام، وهو الإمضاء في الإِعلام -بكسر الهمزة- باعتبار تعلقه بإيجاد كل فرد من أفراد الموجودات؛ من ذاتٍ أو صفةِ غيبٍ، أو شهادةِ وجهٍ ورأس يختص بإيجاد متعلقه؛ من جزئي أو كلّي، ومن كل أو جزء، على وجه هو مراد الله من ذلك.

وذلك الفعل هو مشيئة الله الخاصة به، فإنْ لَحَظْت أن المشيئة الكلية كلمة الله، قلتَ: هذا الرأس المختص بهذا الشيء هو حرف من حروف تلك الكلمة.

وإنْ سمَّيته: (ابناً، والكلية آدم الأول، وهو أبو ذلك الابن) جاز.

وإن سمَّيته: (رأساً؛ من حيث أنَّ تلك الكلمة الكلية ملك أو ذات هي برزخ البرازخ) جاز.

وإن سمَّيته: (وجهاً لذلك الشَّخص؛ لأنَّه توجه منه خاص بذلك الشيء المحدث به) جاز.

وإن سمَّيته: (وجهاً لرأس كلي إضافي منها) جاز..وهكذا.

قلتُ: (فَهَذِهِ الرُّؤُوْسُ حُرُوْفٌ بِإِضَافَةِ كُلِّ رَأْسٍ إِلَى فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الخَلْقِ، إِذَا نُسِبَتْ إِلَى الفِعْلِ المُطْلَقِ، وَالخَلْقُ مِنْ جِهَةِ الإِفْرَادِ حُرُوْفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المَجْمُوْعِ).

أقول: هذا تفريعٌ على ما تقدَّم؛ من كون تلك الجهات الجزئية المختص كل واحد منها بمشاء تسمى حروفاً، ولهذا إذا نُسبت تلك الأفعال الجزئية إلى الفعل المطلق الكلي، وكذلك متعلَّقات هذه الأفعال

الجزئية بالنسبة إلى المجموع من المخلوقات؛ تُسمَّى حروفاً، وَهذا ظاهر يُعرف مما تقدَّم.

قلتُ: (وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا باعْتبَارِ أَسْبَابه وَشُرُوْطه وَمُقَوِّمَاته المَذْكُوْرَة؛ مِنَ الوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّةِ وَالسِّتَّة المَذْكُوْرَة، وَالوَضْعِ وَالأَجَلِ وَالكِتَابِ وَالإِذْنِ..وَغَيْرِ ذَلكَ، وَنهَايَات تلْكَ الأَشْيَاء المَذْكُوْرَة، وَأَعْرَاضهَا وَأَشعَّتهَا إِلَى انْقطَاعِ وُجُوْدَاته، كُلُّ وَاحد مُتَعَلِّقٌ بوَجْه مُخْتَصٍّ به مِنْ ذَلكَ الرَّأس، المُخْتَصِّ بذَلكَ الفَرْد مِنْ الفعْلِ الكُلِّي، نسْبَةُ كُلِّ وَجْهٍ إِلَى ذَلكَ الرَّأس كَنِسْبَةِ ذَلكَ الرَّأْس إِلَى الفعْلِ الكُلِّي).

أقول: وكل فردٍ منها باعتبار أسبابه، أي: كل واحد من المفعولات، باعتبار كونه فرداً؛ إذا لُوحظت أسبابه، أي: أسباب تمكينه وتكوينه وتكوُّنه، من الإمكانات وعلل الأكوان وشروطه، التي يتوقف عليها كونه، مما ليس من ذاتياته ومقوِّماته المذكورة، سواءً كانت من ذاتيَّاته، أم لا من الوجود.

و(مِنْ) هنا بيانية، يعني: بيان المقومات مطلقاً.

والمراد بالوجود -هنا-: ما هو بالمعنى الأول، أعني: المادة، ولا يدخل على الظاهر الوجود بالمعنى الثاني، أعني: كونه أثراً، إذ لا تتقوم بنيته بكونه أثراً، وإن كان في الحقيقة لا يتحقق لَه شيئية أصلاً إلا بذلك.

والماهية عطفٌ على الوجود.

والمراد بها: الماهية على المعنى الأول، أعني: الصُّورة وانفعال الوجود، والكلام فيها على المعنى الثاني، أعني: هوية الشيء وإنّيته؛ كالكلام في الوجود، على ما حقّقناه في شرح مشاعر الملا صدرا[١]، في إبطال قول صاحب الإشراق: (أنه تعالى لم يجعل المشمش مشمشاً).

والسِّتة المذكورة، أعني: الكم والكيف، والوقت والمكان، والجهة والرتبة. والوضع بمعانيه الثلاث، وهي: الحيِّز للجوهر الفرد، وترتيب بعض أجزاء الشيء على بعض، وترتيب أجزائه بالنسبة إلى ما خرج عنه.

والأجل: ابتداء الشَّيء، ومدة بقائه، ووقت انقضائه.

والكتاب: أعني إثبات الشيء وأعراضه، وأسبابه ومسبباته وأوضاعه، وما يترتب عليه، وينسب إليه مطلقاً في ألواح الأكوان؛ من الذوات والأعراض والعكوسات وما أشبه ذلك، مما لَه مدخل في القضاء والإمضاء والإذن، فيما قضى لَه الانتقال إليه بأسبابه، وما يترتب عليه وغير ذلك، مما يطول ببيانه الكلام.

ونهايات هذه الأشياء، أعني: الستة المذكورة وما بعدها، مثل: كم الكيف، وكيف الكيف، [وكيف الكم][٢]، وكم الكم..وهكذا في سائر ما ذكرنا، فإنّ كل واحد منها يجري عليه كلها باعتبار، ويكون ذلك بنوع التضايف والتساوق والاتحاد، وأعراضها وأعراض أعراضها،

---

(١) راجع شرح المشاعر في المواطن التالية، ص: ٣٣٨- ٤٦٥-٦٨٥.

(٢) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

وأشعتها وأشعة أشعتها، وأشعة الأعراض وأعراض الأشعة، إلى انقطاع وجوداته، إلى أن تنتهي نسب كل واحد منها، وأوضاعه ومضافاته الداخلة والخارجة، كل واحد من هذه الحوادث المشار إليها متعلق بوجه مختص به، لا يصلح لغيره إلا مع تغييرها، [فإنه حينئذٍ يصدق عليه الغيرية، فيتعلق به، أي: بذلك، مع تغيير](١) يلحقه بنسبة ما يلحق متعلقه من ذلك الرأس المختص بذلك الفرد.

يعني: أنَّ ذلك الوجه الذي تعلَّق بخنصر زيد مثلاً غير ما تعلق ببنصره، إلا أنهما وجهان من الرأس المختص بزيد، وهذا الرَّأس من الفعل الكلي، أعني: المشيئة الكونية الكلية، المتعلقة بجميع ما سوى الله تعالى من الكائنات، ونسبة ذلك الوجه إلى الرَّأس الذي هو منه كنسبة الرَّأس إلى الفعل الكلي.

ومثال الكلّي: كالشجرة.

والرُّؤوس: كالأغصان.

والوجوه: كالورق.

وهذا مجمل؛ وإلا فالرؤوس لها وجوه، وهي رؤوس لوجوه دونها، كالشجرة؛ فإن الأغصان الكبار رؤوس لها، ولكل رأس وجوه، وهي أغصان صغار، فإنَّ الغصن الكبير فيه أغصان صغار، وتلك الأغصان

---

(١) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

الصغار فيها أيضاً غصون أصغر منها في كل غصن، حتى تنتهي إلى غصن ليس فيها إلا الورق.

قلتُ: (فَهَذِهِ حُرُوْفٌ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ، وَالكَلِمَات الجُزْئِيَّة حُرُوْفٌ لِلْكَلِمَةِ الكُلِّيَّة).

أقول: هذا تفريعٌ على ما ذكرناه، وهو مبني على تسمية الفعل بالكلمة التامة؛ لأنَّ الكلمة مركبة من حروف، وقد يكون الجزء حرفاً باعتبار، وكلمة باعتبار آخر، فالوجه على تسميته بالشخص حروفٌ من الكلمة التي هي الرأس، وهو -أي: الرأس الذي هو الكلمة الجزئية- حرفٌ من الكلمة الكلّية.

قلتُ: (فَهَذَا الحُكْمُ جَارٍ لِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الفِعْلِ، فِي كُلِّ مَفْعُوْلٍ، مَتْبُوْعٍ أَوْ تَابِعٍ، أَوْ مُسَاوِقٍ أَوْ مُسَاوٍ).

أقول: يعني أن الحكم باختصاص كل محدث بقدره من الفعل في الكل والجزء، والكلية والجزئية، والذاتية والعرضية، فإيجاد الكلِّ بكل من الفعل، والجزء بجزء منه، والكلي بكلي، والجزئي بجزئي، والذاتي بذاتي، والعرضي بعرضي.. كلٌّ بحسبه، سواء كان المفعول متبوعاً[1] كالموصوف، أو تابعاً كالصفة، أو مُساوقاً كالفعل والانفعال، أو مُساوياً كزيد وعمرو.

(١) في بعض النسخ: (كان المتبوع مفعولاً).

۞[الفعل بالنسبة إلى من دونه ذاتٌ واحدةٌ]:

قلتُ: (فَالفِعْلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ دُوْنه ذَاتٌ وَاحِدَةٌ، اسْتَفَادَتْ الذَّوَاتُ مِنْ ذَاتِهَا تَذَوُّتَاتِهَا، وَالصِّفَاتُ مِنْ هَيْئَاتِهَا تَذَوُّتَاتِهَا، وَمِنْ صِفَاتِهَا تَوْصِيْفَاتِهَا).

أقول: الفعل ذاتٌ واحدة؛ لأنَّ أول الآدميين الذين هم ألف ألف آدم في ألف ألف عالم، آخرهم أبونا آدم عليه السلام، الذي هو مخلوق من التراب، فهذا آدم الأكبر خلقه الله سُبحانه وتعالى بنفسه، وأقامه بنفسه، وأمسكه بنفسه، فهو قائم بنفسه قياماً ركنياً، وجميع الذَّوات القائمة بموادها إنما استفادت التَّذوُّت منه، كما استفادت الكتابة التَّذوُّت، أي: التَّشخُّص والتَّعيُّن من هيئة حركة يد الكاتب.

وفي هذا تلويح، بل تصريح بفساد قول من قال: (أن الفعل معنى نسبي لا تحقُّق له، وإنما التحقق والتَّذوُّت للفاعل والمفعول).

والحق ما ذكرنا، وإن كان الفعل أيضاً استفاد الذاتية والشيئية من الله سُبحانه، بمعنى: أنه سُبحانه أفاده الذاتية لا من ذاته تعالى، إذ لا يخرج من الأول شيء ولا يدخل شيء، ولا من ذات غير ذات الفعل، وإلا لكان معه تعالى غيره قديم، بل اخترع سبحانه ذات الفعل لا من شيء بذات الفعل، فأقامه بنفسه على نحو ما ذكرنا في هذا الشرح سَابقاً، وفي كثير من رسائلنا، فافهمه راشداً، فإنه دقيقٌ جداً.

والحاصل: أنَّ الذوات إنما كانت ذواتاً بكونها أثراً لها، والأثر يشابه

صفة مؤثِّره، فبمشابهتها في صفة التأثير بالتَّأثر كانت ذواتاً، فالأشياء ذوات بالمشيئة لتقوُّمها بها تقوُّم صدور، وصفات الأشياء تحقَّقت ذواتها من هيئات المشيئة.

[ومعنى ذوات الصِّفات: أن ذاتها هو كونها صفة، وهذا معنى قولنا: (والصفات من هيئاتها تذوتاتها)]، أي: [استفادت الصفات من هيئات المشيئة تذوتاتها، يعني: أن][1] تحقُّق كونها صفة إنما ثبت لها من هيئات المشيئة، واستفادت أيضاً الصِّفات من صفات المشيئة توصيفاتها، أي: توصيفات الصفات، أعني: وصفها ووصف الموصوف بها.

والمراد بقولي: (أعني: وصفها)؛ هو جعلها، وجعلها صفة، ووصف الموصوف بها، كل ذلك من تأثير صفات المشيئة بالمشيئة.

قلتُ: (وَرُؤُوْسُ تِلْكَ الذَّوَاتِ الشَّرِيْفَةِ المُقَدَّسَةِ كَثِيْرَةٌ، وَكُلُّ رَأْسٍ فَلَهُ وُجُوْهٌ كَثِيْرَةٌ).

أقول: هذا من تمام الكلام الأول، وهو أن الفعل الكلي له رؤوس بعدد أفراد الموجودات، ولكل رأس وجوه كثيرة بعدد جهات كل فرد من أفراده وأجزائه وأحواله، وصفاته منسوبة إلى ذلك الرأس، كما أشرنا إليه سَابقاً.

---

(١) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

۞ [استعمالات الجعل]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَمْ؛ أَنَّ الجَعْلَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي المَرَاتِب الأَرْبَعَة، فَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَرْتَبَةٍ اسْتُعْمِلَ فِيْهَا لُغَة، وَيَجْرِي حُكْمُه فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ بِمَالَهَــا).

أقول: إنَّ الجعل قد يستعمل في المراتب الأربعة؛ المشيئة والإرادة، والقدر والقضاء، فيُقال: (جَعَل الكون)، أي: خلقه وشاءه، و(جَعَل العين)، أي: أرادها وبراها، و(جَعَل الحدود)، أي: صورها وقدرها، و(جَعَل تمام الصُّنع)، أي: قضاه وأتمَّه، ويجري حكم الجعل في كل مرتبة من مراتب الفعل بما لها، كما مثَّلنا به.

هذا إذا ضمن معناها بأن وقع بابتداء الصنع.

قلتُ: (وَكَثِيْراً مَا يُسْتَعْمَلُ فِيْ إِيْجَــادِ اللَّوَازِمِ لِمَلْزُوْمَاتِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[1]، لِإِيْجَادِهِ النُّوْرَ مِنَ المُنِيْرِ، وَالظُّلْمَة مِنْ نَفْسِ النُّوْرِ مِنْ حَيْث هُوَ).

أقول: إنَّ الجعل في الاستعمال من حيث مفهوم مادته وهيئته التركيبية كثيراً ما يُستعمل في إحداث اللوازم لملزوماتها، وذلك لأن اللوازم كثيراً ما تخلو من نفس الملزوم.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.

إمَّا من حيث هو هو؛[كالظلمة من نفس الكثيف من حيث هو هو][1]، وإمَّا من حيث علة وجوده كالنور من المنير؛ [لأنه مخلوق من المنير][2] من جهة علة إنارته، وهو قبوله للإيجاد على حسب مقتضى الصنع لمحبة الفاعل، لا على حسب حكم الوضع؛ لأن (خَلَقَ) الذي هو الفعل حدث به الكون الذي به كان الذكر الأول، الذي هو معنى المشيئة، وحدثت به العين في مقام تأكده الذي هو معنى الإرادة، وصدرت عنه الملزومات كما في الآية الشريفة من السَّماوات والأرض، وصدر عن الجعل اللوازم التي هي النور والظلمة، كما ذكرنا من صدور النور اللازم للقابل[3] بمقتضى محبة الفاعل، ومن صدور الظلمة اللازمة للقابل من نفسه بمقتضى حكم الوضع، كما هو مذكور هنا.

قلتُ: (**وَيَتَمَيَّزُ عَنْ تِلْكَ المَرَاتِبِ إِذَا اسْتُعْمِلَ مَعَ أَحَدِهِمَا، كَمَا فِي الآيَةِ الشَّرِيْفَةِ**).

أقول: إنَّ الجعل يكون بمعنى المشيئة والإرادة، والقدر والقضاء، كما ذكرنا إذا أُطلق منفرداً عنها.

---

(١) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

(٢) ما بين المعقوفتين مفقود في بعض النسخ.

(٣) في بعض النسخ: (للفاعل).

وأمَّا إذا ذُكر مع واحدٍ منها؛ كان ذلك الواحد مستعملاً فيما يختص به، أو يكون مُتضمِّناً لَه، ويكون الجعل مستعملاً في بعض لوازمه، على نحو ما ذكرنا.

قلتُ: (**وَيُسْتَعْمَلُ لِلتَّصْيِيْرِ**[١]**، وَالقَلْب لِشَيءٍ إِلَى شَيْء آخَرٍ**).

أقول: ويُستعمل الجعل للتَّصيير[٢]؛ بأن يصير شيء شيئاً آخر، وينتقل من الحالة الأولى إلى حالة ثانية، وهو معنى القلب، مثل قولك: (جعلت الطين خزفاً)، فإنك تريد: أنك نقلته من حال الطين إلى حالة الخزف، بمعنى: أن أصل المادة باقٍ، فقلبت تلك الماهية برفع صورها إلى ماهيَّة أخرى بما ألبستها من الصورة الثانية.

وليس المراد: أن أصل المادة اضمحلَّ والثاني حادث جديد، ليكون الجعل بمعنى الخلق، وإنما المراد: أنَّ أصل الشيء باقٍ، وإنما غيرت حالته الأولى، وهذا معنى القلب والتَّصيير[٣].

قلتُ: (**وَحُكْمُهُ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الثَّلَاثَة حُكْمُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَفْعَالِ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ، فِي مَرَاتِبِهَا حَرْفاً بِحَرْفٍ**).

أقول: إن حكم الجعل في استعمالاته الثلاثة، أعني:

---

(١) في بعض النسخ: (للتغيير).

(٢) في بعض النسخ: (للتغيير).

(٣) في بعض النسخ: (والتغيير).

الأول: استعماله في معنى المشيئة، أعني: خلق الكون، أي: الوجود، وفي معنى الإرادة، أعني: خلق العين، أي: الماهية، وفي معنى التقدير، أعني: خلق الحدود، أي: المشخصات المعنوية والحسِّية.

والثاني: استعماله في إيجاد اللوازم لملزوماتها، فاستعماله في موادِّ اللوازم النوعية، بمعنى: (شَاءَ)، وفي صور اللوازم النوعية، بمعنى: (أراد)، وفي حدود اللوازم ومقاديرها، بمعنى: (قدَّر).

والثالث: استعماله في التَّصيير والقلب من حال إلى حال، ومن شيء إلى شيء آخر، فاستعماله في مواد المصير والمقلوب وفي نفس القلب والتصيير، بمعنى: (شاء، وخلق)، وفي حدود التصيير والقلب بمعنى: (أراد وبَرء)، وفي حدود التَّصيير والقلب، بمعنى: (قدَّر وصوَّر)؛ لأنَّ الكون والعين و الحدود وإتمام الشيء تجري في كل شيء من الذوات والصِّفات بحسبه؛ لأنَّ الأعراض كالجواهر، فيصحُّ فيها ما يصحُّ في الجواهر كلٌّ بنسبته.

فحكم الجعل في استعمالاته الثلاثة حكم ما استعمل في معناه من الأفعال المذكورة في مراتبها، أي: المشيئة في خلق الكون، والإرادة في خلق العين، والقدر في خلق الحدود المشخصة، بلا زيادة ولا نقيصة، وهو مرادي بقولي: (حَرفاً بحرف).

وإنما قلتُ: (في مراتبها)؛ لأنَّ الأفعال قد تُستعمل في غير ما ذُكر لها، فنقول: شاء إيجاد الحدود، أي: قدَّر، فتكون حينئذٍ ليس في مراتبها، بل ضمنت معنى ذي الرتبة، فلو استعمل الجعل في معنى استعمال المشيئة

في غير مراتبها، مثل: (شاء الحدود)، وكان الجعل حينئذٍ بمعنى: (قدَّر) لا بمعنى (شاء).

وإنَّما قلتُ: (في الاستعمالات الثلاثة)، ولم أقل: (الأربعة)؛ لأنَّ المعروف من إطلاق الجعل ظاهراً هو معنى الإيجاد، وفي الظاهر القضاء ليس فيه معنى الإيجاد ظاهراً، إذ معناه في الظاهر هو الإتمام، وهو ليس إيجاداً على حسب الظاهر، وإن كان في نفس الأمر بل وفي الواقع أنه إيجاد، إلا أنه ليس بمتبادر إلى الأفهام، فلذا عدلت عن الأربعة إلى قولي: (الثلاثة).

وللعدول علَّةٌ ثانية: وهي أن استعمال الجعل قبل إتمام الشيء وقضائه؛ لأنَّ بعد الإتمام لا يلحقه جعل، فإذا تمَّ الشيء ولحقه الجعل فإنما لحقه باعتبار ما يحدث له من الحالة الثانية المنتظرة، وليست هي كائنة حينئذٍ ليُقال عليها الإتمام الذي هو القضاء.

۞ [تقسيم الجعل إلى بسيطٍ ومركَّب ليس بتامٍّ، وتعليله]:

قلتُ: (فَقَوْلُهُم: "الجَعْلُ البَسِيطُ، وَالجَعْلُ المُرَكَّبُ"؛ لَيْسَ بِتَامّ).

أقول: هذا تفريعٌ على من ذكرنا؛ من ذكر تقسيم الأفعال، ومن استعمال الجعل فيما هو مقتضى مفهومه، وفي معنى بعض الأفعال في رتبته كما تقدَّم، فإنه يُفيدك أنَّ الفعل لا يزيد على مفعوله، فإنَّ الحركة التي أحدثت بها كتابة (الباء) مثلاً لا تزيد عليها ولا تنقص، وإلا لحدث شيء غيرها.

ويلزم من هذا: أنَّ المجعول إذا اعتبر فيه جهة تعدُّد كان ذلك معتبراً في جعله الذي به حدث، فإذا فرضت في المفعول جهة تعدُّد ومغايرة؛ حصل القطع بوجود مبدأ التعدُّد من فعله الذي به حدث وعنه صدر، وهذا التغاير إنما حصل بوجود شيء آخر.

وهذان الشيئان الحاصلان في الفعل حدث عنهما التغاير في المفعول، ويجب أن تختص كل جهة من الجعل بمتعلقها في المجعول[١]، بحيث يصدر عنها، ولا يصدر ذلك المتعلِّق من شيء من الجهة الأخرى، بل كل جهة تختص بمتعلقها ولا تصلح لغيره.

وعلى هذا: كما لا يُقال للرأس من الفعل المختص بإيجاد زيد أنه مركب منه ومن إيجاد عمرو، لأنَّ كُلّاً من زيد وعمرو غير الآخر، وما يختص بزيد من الرأس من الفعل لا يختص[٢] لعمرو، ولا يصلح له، ولا يتركب منه.

فلا يُقال للجعلين: أنَّه جعلٌ مركَّب؛ لأنَّ كل واحد غير الآخر، ومجعوله غير مجعول الآخر، فهما جعلان بسيطان، والتغاير بين زيد وعمرو الموجب للعلم القطعي بتغاير جعليهما، وعدم التركيب بينهما، هو بعينه التغاير بين الطين والخزف، وبين الوجود والماهية، وبين الكسر والانكسار، وبين جميع الأمور الاعتبارية المتغايرة بمفهومها بعضها مع

---

(١) في بعض النسخ: (من الجعل من المجعول).

(٢) في بعض النسخ: (لا يصلح).

بعض، سواء كان التغاير باعتبار نفس الأمر، أم الخارجي، أم الذهني، إذ لا يُعقل أن يكون شيئان متغايران بجهة من جهات التغاير على أي فرض كان؛ صادرين بجعل واحد، بل بجعلين مختلفين، كل واحد يختص بجهة غير جهة الآخر؛ لتحقق التغاير بين المجعولين، وهذا دليلٌ (إنِّي) كما قُرِّر في محلِّه.

فتكون جعلات بسيطات أبداً، إلا أن يعتبروا جعل الأجزاء في المجعولات المركبة، وحينئذٍ لا يكون جعلاً بسيطاً أبداً، إذ لا يوجد مجعول بسيط كما ذكرنا سابقاً، ورويناه عن الرِّضا عليه السلام من قوله: **«إِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُق شَيْئاً فَرْداً قَائماً بِذَاتِه دُوْنَ غَيْرِه لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدّلَالَة عَلَيْه»**[1].

فعلى كلِّ تقدير؛ لا يستقيم تقسيمهم الجعل إلى: (بسيط، ومرَّكب)، بل يُقال: أنَّ الجعل والفعل واحد، كما قال تعالى: **﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾**[2]، والمجعول المركب صدر بجعلات متعددة لا بجعل مركَّب، إذ لا يعقل التركيب في الجعل.

وما توهَّموه: (في حُدوث شيئين في الاعتبار بجعل واحد، كجعل الوجود والماهية)؛ فتوهُّمٌ باطل، ويأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

---

(١) التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٠.

قلتُ: (لِأَنَّ التَّرْكِيْبَ إِنَّمَا يَتحقَّقُ فِي شَيْءٍ ضُمَّ إِلَيْهِ مُسَاوٍ لَهُ، أَوْ مُخَالِفٍ، أَوْ مُبَايِنٍ، وَيَكُوْنُ ذَلِكَ المُرَكَّبُ شَيْئاً وَاحِداً، أَيْ: يَصْدُرُ عَنْهُ فِعْلٌ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ ثَمَّ مُمَاثِلٌ غَيْرَ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ، وَالشَّيْءُ لَا يَتَرَكَّبُ مِنْ ذَاتِهِ وَصِفَتِهِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ).

أقول: هذا معلومٌ؛ لأنَّ الشيء إذا ضُمَّ إليه مساوٍ له، كتراب وتراب مثلاً، فإنَّ المجموع منهما مركب منهما، أو مخالف؛ كالماء والتراب، فإنَّ الطين مركَّب منهما، أو مُباين؛ كالوجود والماهية، فإنَّ زَيْداً مركب منهما، فأمَّا التراب والتراب، والماء والتراب المركب منهما الطين؛ فهي عندهم ظاهرة، فإنَّ لكل واحد من الجزئين جعلاً على حدة، وللمجموع جعلٌ واحد على حدة.

ولا خلاف في هذا؛ لأنه ظاهر.

وأمَّا الوجود والماهية ففيه الخلاف، والاختلاف إنما نشأ من خفائهما في أنفسهما، فلذا وقع الاختلاف فيه: في أنه هو المجعول خاصة، وأمَّا الماهية فليست مجعولة، بل هي صورة علمية، أو ليست شيئاً أصلاً، أو أنها مجعولة بجعل الوجود، يعني: أن الجعل للوجود لا للماهية، وإنما انجعلت بتبعية جعله، أو أنها بنفسها لا بجعل جاعل..إلى غير ذلك من خرافات الأقوال.

ولاشكَّ في تعدُّد الجعل في المساوي والمخالف وتغايره، وحينئذٍ يلزم وحدة الجعل وبساطته، وأمَّا في المباين -كما مثَّلنا به- فنقول: إن كانت الماهية شيئاً فهي مجعولة بجعل خاص بها، لا يصلح للوجود.

وأمَّا أنها مجعولة؛ فلأنها غير الله ﷻ، وكل ما هو غير الله فهو مخلوق لله سُبحانه وتعالى، وأمَّا أنها بجعل خاص لا يصلح للوجود؛ فلأنها ضدُّه، والمجعول صفة جعله وتأكيد تأثيره، فيجب أن يكون جعل الوجود مغايراً لجعل الماهية، كما أنه مغاير للماهية، وحينئذٍ يتعدَّد الجعل.

و ليس هذهِ صفة التركيب؛ لأنَّ كل جزء من المُجتمع من الجعلات يتعلق بجزء مختص به من المجعولات؛ لأنَّه لا يصلح لغيره أصلاً، وإنما هذه صفة الجعلات البسائط، إذ مقتضى الجعل المركب لو كان أن يكن كل جزء من أجزائه مؤثراً في كل جزء من أجزاء مجعوله المركب، والأمر ليس كذلك.

وإن أُريد الأعم منه ومن كون كل جزء منه مختصاً بجزء من مجعوله لا يصلح لغيره لم يوجد الجعل بسيطاً -كما ذكرنا سابقاً- وإن لم تكن الماهية شيئاً فليس جعل الوجود حينئذٍ مركباً، بل هو جعل بسيط تعلق بمجعول بسيط.

وقولي: (ليس ثمَّ مماثل غير ذاته وصفته..إلخ).

جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر، تقديره: إذا قلتم أن الماهية مجعولة بجعل هو صفة جعل الوجود، فيكون جعل الوجود مركباً، إذ لا ينفك عنه.

والجواب: أنَّ الشيء لا يتركب من ذاته وصفته الفعلية[1]؛ لأن المراد بالصفة هنا الفعلية، وذلك كالقيام، فإنَّ زيداً لم يكن مركباً من ذاته

(١) في بعض النسخ: (وصفته النقلية).

وقيامه، وإذا تركَّب شيء من قيامه فإنما تركَّب من صفة فعله، وأثر فعله، وهما صفتان معاً كالقائم، فإنه مركَّب من صفة الحركة الإيجادية للقيام وهي اسمها، ومن أثرها، أعني: القيام.

والمُدَّعى: هو أنَّ جعل الوجود مركَّب من نفس الجعل ومن صفته، أعني: جعل الماهية، وهو ممتنع؛ لأنَّ الصِّفة الفعلية أثر للحركة، وصادر عنها، وكيف يجري عليها ما أجرته؟!، فافهم.

۞[بطلان التمثيل على التقسيم السابق للجعل]:

قلتُ: (**وَتَمْثِيْلُهُم بِقَوْلِهِم: "جَعَلْتُ الطِّيْنَ خَزَفاً"، فَإِنْ أُرِيْدَ تَغْيِيْرُ الطِّيْنِ وَتَصْيِيْرُ المُتَغَيِّرِ خَزَفاً؛ فَهُوَ جَعْلَانِ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَادَّةٍ، وَهُمَا رَأْسَانِ مِنْ الجَعْلِ الكُلِّي**).

أقول: هذا بيانُ تمثيلهم للجعل المركَّب، فإنَّ الجعل واحد، مع أنَّ أثره مجعولان، ولكن إذا سلَّمنا لهم ذلك باعتبار تعدُّد أثره، لم نسلِّم لهم تركيب الجعل، إذ على تقدير التعدُّد يكون جعلان بسيطان، كل واحد في مادة، وبينهما مساوقة وقتية، وإن كان أحدهما مترتباً على الآخر.

وبَيان الرَّد قولنا: (فإنْ أُريد تغيير الطين)، وهو بجعل غير المتغيِّر[1] خزفاً وهو أول، وجعله خزفاً وهو ثان، فلذا قُلنا: (هما جَعلان)، كلُّ جعل في مادة، فجعل التغيير في الطين هو الأول، وجعل المتغير خزفاً هو

---

(١) في بعض النُّسخ: (وهو بفعل غير المتغيِّر).

الثاني، مادة الأول الطين، ومادة الثاني المتغير منه، وإن كان الثاني مُترتِّباً على الأول.

وقولي: (وهما رأسان من الجعل الكلي)، أريدُ به: الحركة المُغيِّرة للطين على الحالة الأولى، والمُصيِّرة له خزفاً، فإنهما وجهان من الرأس المتعلق بهذا الشيء.

وإن شئتَ قلتَ: رأسان من الجعل الكلي.

والجعل يجوز أن يُريد به الإضافي، أعني: المختص بالطين في أحواله كلها مثلاً، ويجوز أن يريد به الحقيقي المتعلق بجميع الممكنات، ويكون حينئذٍ كون هذين الرأسين من الكلي إنما هو مع قطع النظر عن ذكر الوسائط، يعني: أنهما رأسان منه، مع عدم اعتبار الوسائط[1] الكثيرة في خصوص مسألة الطين.

قلتُ: (**وَإِنْ أُرِيْدَ: قَلْبُ الطِّيْنِ خَزَفاً مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ لِغَيْرِهِ**[2]**، وَإِنَّمَا هُوَ حَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَهُوَ جَعْلٌ وَاحِدٌ**).

أقول: إن أريد بقولك: (جعلت الطين خزفاً)؛ صنع الخزف، مع قطع النظر عن نقله عن الحالة الأولى إلى الثانية، فهو جعل واحد بسيط، وهذا ظاهر.

---

(١) في بعض النُّسخ: (مع اعتبار الوسائط).

(٢) في بعض النسخ: (من غير اعتبار تغيره). وفي متن الفوائد ورد: (من غير اعتبار تغييره).

قلتُ: (وَإِنْ أُرِيْدَ بِهِ: مَا يُسْتَعْمَلُ فِي تَكْوِيْنِ المَتْبُوْعِ وَتَكَوُّنِ التَّابِعِ بِهِ، كَجَعْلِ الوُجُوْدِ وَانْجِعَالِ المَاهِيَّةِ بِجَعْلِ الوُجُوْدِ؛ فَهَذَا فِي الظَّاهِرِ جَعْلٌ وَاحِدٌ لِشَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ).

أقول: إن أريد بذلك مثل ما يستعملونه في جعل الوجود والماهية من جهة الملازمة بينهما، فإنَّ الماهية لازمة للوجود، فإذا جُعِل؛ انجعلت معه بجعله.

ففي الظاهر -أي: على ما يظهر للناظر بلا تأمل؛ أو ومع تأمل يرجع فيه إلى المتابعة والتقليد، والرجوع إلى ما في الكتب وإلى القواعد، لا إلى مقتضى الفطرة-: هو جعلٌ واحد، إذ ليس إلا جعل الوجود، مثل: (كَسَرْتُهُ فانكسر)، فإنه لم يصدر من الفاعل إلا فعل الكسر، وأما الانكسار فليس من الفاعل؛ لأنَّ ضمير (انكسر) راجعٌ إلى المفعول، وليس من المفعول أيضاً؛ لأنَّ المفعول إنما يتحقَّق بعد الانكسار مثلاً، ولا من نفسه؛ لأنَّ الشيء لا يحدث نفسه، فلم يبق إلا أنه كان بتبعيته فعل الكسر، وليس الكسر الصادر من الفاعل متعدداً فيكون جعلاً واحداً.

وهذا على تقدير التسليم لقولهم، فإنه لا يحصل جعل مركب، إذ لم يصدر إلا فعلٌ واحد عن الفاعل.

وأردت بقولي: (في الظاهر)؛ الإشارة إلى أن ذلك في الحقيقة متعدِّد، ومع هذا فلا يكون التركيب المدعى؛ لأن التركيب لا يتحقَّق إلا على نحو ما قلنا سابقاً، فراجع.

قلتُ: (لَكِنْ مَا انْجَعَلَتْ بِهِ المَاهِيَّة لَيْسَ بِجَعْلٍ كَجَعْلِ الوُجُوْد، وَلَا مُخَالِف لَهُ، وَلَا مُعَانِد لَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي جِهَتَيْنِ، فَلَا يَكُوْنُ الجَعْلُ مِنْهُمَا مُرَكَّباً؛ لِأَنَّ مَا جُعِلَتْ بِهِ المَاهِيَّة صِفَةٌ لِمَا جُعِلَ بِهِ الوُجُوْد وَأَثَرٌ لَهُ، وَلَا يَكُوْنُ الشَّيْء مُرَكَّباً مِنْ ذَاتِهِ وَأَثَرِهِ).

أقول: إن ما انجعلت به الماهية ليس على ما يتوهم، كما ذكرنا عنهم قبل: من أنه ليس بجعل لا من الفاعل ولا من المفعول، ولا من نفس الانجعال..إلخ.

بل هو جعل حقيقي؛ لأن الماهية بعد ثبوت كونها شيئاً لابد وأن تكون مجعولةً، ولا يجوز أن يكون ذلك من نفسها ولا من غير جاعل، بل تكون مجعولة بجعل جاعل، ولا يصح أن يكون ذلك الجعل هو جعل الوجود؛ لأنها غير الوجود.

وإذا كان المجعول صفة الجعل وتأكيده؛ امتنع أن يكون جعلها جعله، وأن يكون جعلها مخالفاً لجعله، ولا معانداً لترتب وجود جعلها على وجود جعله، فلا يكون جعلها نفس جعله؛ لأنَّ الشيء لا يترتَّب على نفسه، لاستلزام تأخر المترتِّب من المترتَّب عليه، ولا مُخالفاً ولا مُعانداً له، وإلا لَمَا ترتَّب عليه، لكن لَمَا كانت في الحقيقة صفة لنفس الوجود، ومخلوقة من نفسه؛ وجب أن يكون جعلها كذلك، فيكون جعلها من جعله وأثراً له، فهو كالشُّعاع من المنير.

ولا يجوز أن يتركَّب شيء من شيء وأثره أو صفته الفعلية، فلا يكون الجعل مركَّباً من جعل الوجود وجعل الماهية، وأما الشيء كزيد

مثلاً منهما، فهو جعل واحد كما تقدَّم، ويأتي بيان نسبة جعلها إلى جعله إن شاء الله تعالى.

قلتُ: (فَإِنَّ مَا جُعِلَ بِهِ الوُجُوْدُ؛ كَالشَّمْسِ لِلنُّوْرِ، وَمَا جُعِلَ بِهِ المَاهِيَّةُ؛ كَنَفْسِ النُّوْرِ لِلظِّلِ، فَإِنَّ جَعْلَ الشَّمْسِ لِلنُّوْرِ جَعْلٌ وَحْدَه، وَجَعْلُ نَفْسِ النُّوْرِ مِنْ حَيْث نَفْسِهِ لِلظِّلّ جَعْلٌ وَحْدَهُ مُغَايِرٌ لِلجَعْلِ الأَوَّلِ).

أقول: يعني؛ أنَّ الجعل الذي جُعل به الوجود الذي يُقال لَه أولاً وبالذات مثل الشَّمس، أي: ذاتٌ مستقلة بنفسها في إيجاد النور وإحداثه، كما أنَّ جعل الوجود مستقلٌ في إيجاد الوجود وإحداثه.

والجعل الذي جُعلت به الماهية صفة لا تتقوَّم بنفسها، وإنما تتقوَّم بموصوفها، فهو كنفس النور للظل، يعني: نفس النُّور من حيث نفسه، يحدث عنه الظل بواسطة حفظ الشمس لنفس النور.

والجعلان متغايران؛ كل واحد جعلٌ على حدة، وإن كان الثاني مترتباً على الأول، وصفة له، ونسبة إليه في القوة والضعف نسبة واحد من سبعين، وليست الشَّمس جاعلة للظل، وإلا لعاد إليها وكان نوراً، لكنه يعود إلى الجدار، المعبر به عن نفس النور من حيث نفسه.

قلتُ: (وَكَوْنُهُ مُتَرَتِّباً عَلَيْهِ وَمُتَقَوِّماً بِهِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ التَّرْكِيب؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَجْعَل لِنَفْسِهَا الظِّلَ).

أقول: هذا جوابٌ عن سؤال مقدَّر، تقديره: أنَّ جعل الظل مترتِّب في الوجود على جعل النور، ولم يتقوَّم وحده، فدلَّ على تركيبه منه؟.

والجواب: أنَّ كونه مترتباً عليه ومتقوِّماً به لا يلزم منه التركيب، كما هو شأن جميع المعلولات بالنسبة إلى عِلَلِها، مع أنها ليست متركبة منها.

وأيضاً الشَّمس لم تجعل الظل لنفسها؛ بأن يكون صفة لها، ليكون جعلها للنور جعلاً للظل، فتكون جاعلة له بنفسها، كما جعلت النور بنفسها، وإنما جعلته بنفس النور لنفس النور، فلذا بدأ منه وإليه يعود، وإن كان مترتباً عليه، يعني: أنَّ جعل الظل إنما يكون بجعل النور؛ لأنه صفته من حيث نفسه، والصِّفة لا تتحقَّق إلا بعد تحقُّق موصوفها.

۞[هل الظِّل صادرٌ عن الشَّمس؟]:

قلتُ: **(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْه دَلِيلًا﴾[1]، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا جَاعِلَة لَهُ، إذْ لَوْ جَعَلَتْهُ بِجَعْلِ النُّوْرِ لَكَانَ نُوْراً، إذْ لَيْسَ فِيْهَا ظِلٌّ، وَإِنْ جَعَلَتْهُ بِجَعْلِ نَفْسِ النُّوْرِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الظِّلِّ وَاقعاً دَلَّ عَلَى أَنَّهَا حَافِظَة لِلنُّوْرِ الجَاعِلِ لِلظِّلِّ، لَا جَـاعِلَةً لَهُ، فَلَا يَحْصَل التَّرْكِيْبُ**

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

حَقِيْقَةً، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[1]).

أقول: هذا جوابٌ عن سؤال مقدَّر.

تقديره: أن الآية المذكورة دالة على أنَّ الظل صادر عنها، فيكون جعل النور هو جعل الظل، ويلزم من ذلك التَّركيب على معنى ما ذكروا؟.

والجواب: أنَّ الآية لا تدل على ذلك؛ لأنَّ كون الشمس دليلاً ليس هو كونها جاعلةً، وإنما دلالتها عليه بيان ارتباطه بها في المدِّ والقبض، لا بكونها جاعلة له، وهذا ظاهر.

على أنها لو جعلته لكان أثراً لِجَعلها، فيكون نوراً؛ لأنه حينئذٍ صفتها، وليس فيها ظل أو ظلمة ليستند إليه، وإن جعلته بجعل نفس النور كما هو الواقع؛ لأنَّ نفس النور من حيث هو هو ظلمة، فهي أصل الظل حقيقةً؛ دلَّ قولنا: جعلته، مع أنَّ الجعل الصادر عنه الظل ليس جعلاً لها في الحقيقة، وإلا لكان المجعول نوراً، على أنها جاعلة لِمَا يكون عنه الظل.

إن قولنا: (جعلته) لا يخلو من أن يكون هذا واقعاً عليه أو على غيره، وقد بيَّنا عدم إمكان وقوعه على الظل، وإلا لكان نوراً، وإذا وقع على غيره فليس جائزاً أن يكون ما وقع عليه هذا الجعل أجنبياً من الظل، وإلا لَمَا أفاد شيئاً في تحقُّقه بحال من الأحوال، فوجب أن يكون ملزومه

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.

وهو النور، فإنَّ النور إذا وُجِدَ لزمه إنيته، وهي علة الظل، وجعل الشمس لها إنما هو بجعل لازم لجعل النور، وجعل الظل لازم لهذا الجعل اللازم لجعل النور، وأفاد ذلك كله كون الشمس حافظة للنور؛ لتقوُّمه بجعلها تقوُّم صدور، ولوازمه كلها تابعة له.

فكانت نسبة الجعلات بعضها إلى بعض كنسبة المجعولات بعضها إلى بعض، فجعلها للظل إنما هو بجعل لازم لجعلها للنور.

ومعنى قولي: (وإن جعلته بجعل نفس النور..إلخ)؛ أنَّ الشمس إنما جعلت ماهية النور بجعل لازم لجعلها لوجود النور، والظل صفة لماهيته لا لوجوده، والنور متقوم بوجوده تقوُّماً ركنياً، ووجوده متقوم لجعل الشمس تقوُّماً صدورياً، والظل متقوم بماهية النور تقوُّماً ركنياً، من حيث أن مادته من صفتها، وصدورياً من حيث أن جعله من جعلها، فتكون الشمس حافظة للنور الذي كان جعل الظل تابعاً لجعله بالذات لوجوده، وبالعرض لماهيته.

والضَّمير في قولي: (لا جاعلة لـــه)؛ يعود إلى الظل، فكونهـــا دليلاً عليه -كما بيَّنا- لا يستلزم أن يكون مجعولاً لها، وإذا كان كل شيء له جعل يختص به لا يصلح لغيره من دون تغيير؛ امتنع التركيب في الجعل.

ولو كان جعل بعض الأشياء مركباً؛ امتنع أن يكون مركباً من جعلات تامة مستقلة، فلا بد أن يكون مركباً من أجزاء جعل لا من جعلات، وعلى فرض إمكانه؛ فهو جعلٌ بسيط، إذ لا يصلح جزؤه لجزء

من مجعوله غير مشارك فيه، وإلا لكانت متعدِّدة، كما أشرنا سابقاً فراجع.

قلتُ: (وَإِنْ أُرِيْدَ: أَنَّ الجَعْلَ الَّذي يَحْدُثُ عَنْهُ شَيْئان فَصَاعداً؛ فَهُوَ مُرَكَّب، سَوَاء كَانَا فِي مَادَّتَيْنِ، أَمْ فِي حَالَيْنِ؛ كَجَعْلِ الطِّيْنِ خزَفاً، أَمْ فِي المَلْزُوْمِ وَاللَّازِمِ؛ كَالوُجُوْد وَالمَاهِيَّة.

قُلْنَا: إِذَا اصْطَلَحْتُمْ عَلَى ذَلكَ فَلَا بَأْسَ، وَلَكِنْ لَا تَجِدُوْنَ الجَعْلَ البَسِيْطَ قَطُّ؛ لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْداً قَائماً بِذَاته للدِّلَالَةِ عَلَيْه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[1]).

أقول: إنْ أرادوا بقولهم: (الجعل المركب) الجعل الذي يحدث عنه شيئان متغايران، فلا شك أن في نفسه يُسمَّى مركباً، سواء كان الشيئان في مادتين متمايزتين بالحس أو التعقّل، بأن يكون تمايزهما بالاستقلال لا بالمفهوم؛ كزيد وعمرو، وكرأس زيد ويده، وكالعقل وجوهر الهباء، وكروحي زيد وعمرو..وما أشبه ذلك، أم كانا في حالين؛ كجعل الطين خزفاً، إذا اعتبر تغير الطين ثم جعله خزفاً، أم كانا في المتلازمين الذي يكون فيهما اللازم ناشئاً عن الملزوم، ومتحقّقاً به، كالوجود والماهية؛ لأن الشيئين إذا اعتبر فهيما الاثنينية حقيقةً في الواقع، وجب أن يكون جعل كل واحد مغايراً لجعل الآخر، وإلا لم يتحقق الاثنينية، فيكون الجعل متعدداً، ولا شك في أنَّ مثل ذلك يصدق عليه التركيب.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

فإذا اصطلحتم على ذلك بأن يكون الجعل البسيط هو ما صدر عنه شيء واحد، والمركب هو ما صدر عنه شيئان لتلازمهما في الظهور، أو أعم من ذلك؛ فلا بأس، إذ لا مشاحات في الاصطلاح نفسه.

وإنما المشاحة فيما يترتب عليه، وهو هنا أن الجعل البسيط لا تجدونه أبداً، إذ لا يوجد إلا فيما يكون تكونه بجهة واحدة واعتبار واحد، وهو ممتنع؛ لِمَا ذكرنا مراراً: أنَّ كل مكوَّن لابد أن يكون له اعتبار من ربه؛ وهو وجوده وكونه، واعتبار من نفسه؛ وهو ماهيته وعينه، وبدون هذين الاعتبارين لا يمكن وجوده؛ لأن الله سُبحانه: «**لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْداً قَائِماً بِذَاتِه لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدِّلَالَة عَلَيْه**»، كما قال الرِّضا عليه السلام[1]، ثم أنه عليه السلام استشهد بقوله تعالى: ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾[2].

وأيضاً يكون هذا عندنا ليس بمركب؛ لأنَّ كلَّ جعل متعلق بمجعوله خاصة، فجعل الوجود مثلاً متعلق به خاصة، ولا يجوز أن يتعلق بالماهية؛ لأنها مخالفة لوصفه.

---

(١) التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

فالوجود أصلٌ وأوَّلٌ وبالذات، فهو يدور علَى جعله على التوالي، فلهذا أثنى الله تعالى على العقل فقال: «**مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ أُثِيبُ وَبِكَ أُعَاقِبُ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيْمَنْ أُحِبُّ**»(١).

وإنما أثنى على العقل؛ لأنه جرى على جهة وجوده الذي هو حقيقته من ربِّه، فدار في قبوله التكوين على التوالي، وجعل الماهية متعلقاً بها خاصةً، ولا يجوز أن يتعلَّق بالوجود؛ لأنه مخالف لوصفه، ولأنها لم يتحقَّق في نفسها إلا بعد تحقُّق الوجود.

فالماهية فرعٌ وثانٍ وبالعرضِ، فهي تدور على جعلها على خلاف التوالي، ولأجل هذا ذم الله سُبحانه الجهل، وطرده من نوره، وأبعده من رحمته، وإنما طرده لأنه جرى في قبول تكونه على جهة ماهيته التي هي حقيقة من نفسه، فدار في قبوله للتكوين على خلاف التوالي.

---

(١) عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالب عليه السلام، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «..**يَا عَلِيُّ إِنَّ أَوَّلَ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عزّ وجلّ الْعَقْلُ، فَقَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ. فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي، وَبِكَ أُثِيبُ وَبِكَ أُعَاقِبُ**..».[من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٦٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٦٠. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩-١٠٠. مستطرفات السرائر، ص: ٦٢٠. مكارم الأخلاق، ص: ٤٤٢]. وأمَّا قوله عزّ وجلّ: «**مَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيْمَنْ أَحْبَبْتُ**»، فلم نجده إلا في المصدرين التاليين: [أعلام الدين، ص: ١٧٢. كنْز الفوائد، ج: ١، ص: ٥٧].

وإذا كان أمر الوجود والماهية كما سمعت، فكيف يصدران من جعل واحد يصحُّ فيه اعتبار التركيب المُدَّعى؟!.

۞[الجعل واحدٌ لا تعدُّد فيه لذاته]:

قلتُ: (وَبِالجُمْلَة؛ لَا فَرْقَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَة بَيْنَ الجَعْلِ وَغَيْرِهِ مِنْ مَرَاتِبِ الفِعْلِ، وَعَلَى كُلِّ حَال؛ فَالجَعْلُ وَاحِدٌ لَا تَعَدُّدَ فِيْه لِذَاته، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[1]، أَيْ: فِي الجَعْلِ، فَأَفْرَدَهُ وَجَمَعَ المَجْعُوْلَات، فَافْهَمْ.

نَعَمْ..لَهُ رُؤُوْسٌ بِعَدَدِ المَجْعُوْلَاتِ، وَلِكُلِّ رَأْسٍ وُجُوْهٌ بِعَدَدِ أَحْوَالِه، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الفِعْلِ فَرَاجِعْ).

أقول: وبالجملة، أي: بقصد إجمال الكلام دون التَّفصيل؛ أنَّ الجعل وغيره من أقسام الفعل، كالمشيئة والإرادة والقدر..وما أشبه ذلك كلها يُقال عليها الوحدة؛ لأنه حركة إيجادية واحدة، وإنما تتكثر أسماؤها باعتبار متعلقاتها، وتعدَّد وجوهها باعتبار تعدُّد متعلقاتها.

ومن الاستشهاد على الوحدة قوله تعالى: **﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾**[2]، فأفرد ضمير الجعل، وهو

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

الذي في قوله: ﴿فِيهِ﴾ مع ذكر تعدُّد متعلقاته، وذلك على نحو ما سبق ممَّا ذكرنا.

وهذا أحد التفاسير للآية، وعليه تدُلّ على وحدة الفعل بالنسبة إلى الكل، واختلاف الوجوه باعتبار اختلاف القابليات كاختلاف انعكاسات نور الشمس عن الزُّجاجات المختلفة.

فهارس

المجلَّد الأول من هذا الكتاب

فهرس الآيات الكريمة

(ج: ١)

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

(حرف السين)

(حرف الفاء)

فهرس الروايات الشريفة

(ج: ١)

نصُّ الرِّواية الشَّريفة	ص
(حرف الألف)	
(اتقوا): ذَكَرَهُ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: **«اتَّقُوْا فَرَاسَةَ الْمُؤْمِنْ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ».**	٨١ ٢٠٩
المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٢١٨. وسائل الشِّيعة، ج: ١٢، ص: ٣٨. الاختصاص، ص: ٣٠٧. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٣٠. الأمَالي؛ للطوسي، ص: ٢٩٤. بصائر الدَّرجات، ص: ٣٥٥. تأويل الآيات الظَّاهرة، ص: ٢، تفسير العيَّاشي، ج: ٢، ص: ٢٤٧. شواهد التنزيل، ج: ١، ص: ٤٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٢٠٠. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ١٢٣.	
(اتقوا): عن ابن عباس أنه قال، قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«اتَّقُوْا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّه يَنْظُر بِنُوْرِ اللهِ، قال؛ فقلت: يا أمير المؤمنين! كيف ينظر بنور الله عز وجل؟!. قال عليه السلام: لأَنَّا خُلِقْنَا مِنْ نُوْرِ الله، وَخُلِقَ شِيْعَتُنَا مِنْ شُعَاعِ نُوْرِنَا؛ فَهُم أَصْفِيَاء أَبْرَار، أَطْهَار مُتَوَسِّمُوْن، نُوْرُهُم يُضِيء عَلَى مَنْ سِوَاهُم، كَالبَدْرِ فِي اللَّيْلَة الظَّلْمَاء».**	٢٠٩

المصدر: بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢١.

(اتقوا): لِقَوْلِ الصَّادق عليه السلام فِي تَفْسِيرِ قَوْلِه عليه السلام: **«اتَّقُوْا فَرَاسَةَ المُؤْمِن، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ»**، قال عليه السلام: **«يَعْنِي بِنُوْرِهِ الَّذي خُلِقَ مِنْهُ»**. ١١٧

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٨٠. فضائل الشيعة، ص: ٢٧. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧.

(إذا): ورد: **«إِذَا قَضَاهُ فَقَد أَمْضَاهُ»**. ٣٤٨

المصادر: المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢٢.

(اعرفوا): قَالَ عليه السلام: **«اعْرِفُوْا اللَّهَ بِاللَّهِ»**. ٩١

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٨٥. التوحيد، ص: ٢٨٦. روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٣٠. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٦. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٢٧٠. ٢٦٢

(أفضل): قال صلى الله عليه وآله: **«أَفْضَلُ العِلْمِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الاسْتِغْفَار**، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾**[سورة محمد، الآية:١٩]..». ١٣-١٤

المصادر: جامع الأخبار، ص: ٥٠. بحار الأنوار، ج: ٩٠، ص: ٢٨٢.

(أقامه): من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام حين اتفق في بعض سنيه الجمعة والغدير: «.. **أَقَامَهُ فِي سَائِرِ عَالَمِه فِي الأَدَاءِ مَقَامَهُ**. ٣٢٢

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٤٦١. المصباح للكفعمي، ص: ٦٩٥.
مصباح المتهجد، ص: ٥٣.

(ألا): عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا ١٥٨

عليه السلام ذُكر عنده الجبر والتّفويض فقال: «**أَ لَا أُعْطِيْكُم فِي هَذَا أَصْلاً لَا تَخْتَلِفُوْنَ فِيْه، وَلَا تُخَاصِمُوْنَ عَلَيْه أَحَداً إِلَّا كَسَرْتُمُوْهُ.** قلنا: إن رأيت ذلك. **فقال: إِنَّ اللهَ عزّ وجلّ لَمْ يُطَعْ بِإِكْرَاه، وَلَمْ يُعْصَ بِغَلَبَة، وَلَمْ يُهْمِل العِبَادَ فِي مُلْكِه، هُوَ المَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُم، وَالقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُم عَلَيْه، فَإِنْ ائْتَمَرَ العِبَادُ بِطَاعَتِه لَمْ يَكُن اللهُ عَنْهَا صَادّاً، وَلَا مِنْهَا مَانِعاً، وَإِنْ ائْتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِه، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَحُوْلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوْهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيْه. ثُمَّ قالَ عليه السلام: مَنْ يَضْبِط حُدُوْدَ هَذَا الكَلَام فَقَدْ خَصَمَ مَنْ خَالَفَهُ**».

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤١٤. الاختصاص، ص: ١٩٨. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٦٣. تحف العقول، ص: ٣٧. العدد القوية، ص: ٣٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٤. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

١٤٠ **(الأرواح)**: قَالَ عليه السلام: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**».

المصادر: من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٨٠. الأمالي للصدوق، ص: ١٤٥. جامع الأخبار، ص: ١٧١. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٨٤. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٢٨٨. المسائل السروية، ص: ٣٧. مصباح الشريعة، ص: ١٥٦.

٣٦٤ **(الحمد)**: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: جِئْتُ إِلَى الرِّضَا عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ التَّوْحِيدِ، فَأَمْلَى عَلَيَّ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً،**

وَمُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعاً بِقُدْرَتِه وَحِكْمَتِه، لَا مِنْ شَيْءٍ فَيَبْطُلَ الاخْتِرَاعُ، وَلا لِعِلَّةٍ فَلَا يَصِحَّ الابْتِدَاعُ..».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٠٥. التوحيد، ص: ٩٨. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٩. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٦.

١١٦ (**السعيد**): قَالَ عليه السلام: «**السَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**».

المصادر: تفسيرالقمي، ج: ١، ص: ٢٢٧. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٣٥. الزهد، ص: ١٤. التوحيد، ص: ٣٥٦. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٥.

٢١١ (**الظالم**): عن أبي عبد الله العلوي، بإسنادٍ متَّصل إلى الصَّادق جعفر بن محمد عليه السلام، أنَّه سُئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[سورة فاطر، الآية:٣٢]، فقال: «**الظَّالِم يَحُوْم حَوْمَ نَفْسِه، وَالْمُقْتَصِد يَحُوْم حَوْم قَلْبِه، وَالسَّابِق يَحُوْم حَوْم رَبِّه عزّ وجلّ**».

المصادر: معاني الأخبار، ص: ١٠٤. بحار الأنوار، ج: ٢٣، ص: ٢١٤.

٢١١ (**الظَّالم**): قال عليه السلام: «**الظَّالِم؛ مَنْ يَحُوْم حَوْلَ نَفْسِه، وَالْمُقْتَصِد؛ يَحُوْم حَوْلَ قَلْبِه، وَالسَّابِق؛ يَحُوْمُ حَوْلَ رَبِّه**».

المصدر: معاني الأخبار، ص: ١٠٤. بحار الأنوار، ج: ٢٣، ص: ٢١٤.

٣٠١ (**العبودية**): قال عليه السلام: «**العُبُوْدِيَّة جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوْبِيَّة، فَمَا فُقِدَ فِي العُبُوْدِيَّة وُجِدَ فِي الرُّبُوْبِيَّة، وَمَا خَفِيَ فِي**

الرُّبُــوْبِيَّة أُصِيْبَ فِي العُبُوْدِيَّــة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَــنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ..﴾».

المصادر: مصباح الشريعة، ص: ٧.

(العمر): قول أمير المؤمنين عليه السلام: «العُمْرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَعْلَــمَ كُلَّ مَا يَحْسُن بِكَ عِلْمُهُ فتعلَّم الأَهَمَّ فالأَهَم». ١٣

المصادر: شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٦٢.

(ألف): وَرَدَ فِي الأَحَادِيْثِ عَنْهُمْ عليهم السلام تَعَدُّد العَوَالِمِ وَالآدَمِيِّيْنَ، وَأَكْثَرُ مَا ذُكِرَ أَنَّهَا: «أَلْف أَلْف عَالَم، وَأَلْف أَلْف آدَم، أَنْــتَ فِي آخِرِ تِلْكَ العَوَالِمِ، وَأُوْلَئِكَ الآدَمِيِّيْن». ١٠٩

المصادر: التوحيــد، ص: ٢٧٧. الخــصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحـار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤.

(الله): عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْــدِ اللَّــهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:« ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماوات وَالْــأَرْضِ مَثَلُ نُــورِهِ كَمِشْكَاة﴾؛ فَاطِمَةُ عليها السلام. ﴿فِيهَــا مِــصْبَاحٌ﴾؛ الْحَسَــنُ. ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجاجَةٍ﴾؛ الْحُــسَيْنُ. ﴿الزُّجاجَــةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾؛ فَاطِمَةُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ بَيْنَ نِــسَاءِ أَهْــلِ الدُّنْيَا. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ﴾؛ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام. ﴿زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾؛ لَا يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ. ﴿يَكَــادُ زَيْتُهــا يُضِيءُ﴾؛ يَكَادُ الْعِلْمُ يَنْفَجِرُ بِهَا. ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَــارٌ نُــورٌ عَلى نُورٍ﴾؛ إِمَامٌ مِنْهَا بَعْدَ إِمَامٍ. ﴿يَهْدِ اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾؛ ٣٢٦

يَهْدِي اللَّهُ لِلْأَئِمَّةِ مَنْ يَشَاءُ. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٩٥. تأويل الآيات الظّاهرة، ص: ٣٥. تفسير فرات الكوفي، ص: ٢٨١. تفسير القمّي، ج: ٢، ص: ١٠٣. التّوحيد، ص: ١٥٧. الصِّراط المستقيم، ج: ٢، ص: ٤٢. كشف اليقين، ص: ٤١٦. معاني الأخبار، ص: ١٥. المناقب، ج: ١، ص: ٢٨٠. نهج الحق، ص: ٢٠٧.

(اللهم): قَال صلى الله عليه وآله وسلم: **«اللَّهُمَّ أَرِنِيْ الأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ»**. ٧٩

المصادر: رسائل المرتضى، ج: ٢، ص: ٢٦١. ١٩٨

(المشيئة): قال الرِّضا عليه السلام: **«المَشِيْئَةُ وَالإِرَادَةُ وَالإِبْدَاعُ؛ ثَلَاثَةُ أَسْمَاء، وَمَعْنَاهَا وَاحِدَةٌ»**. ٢٨٠

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٤.

(الورد): عن الفردوس، عن أنس بن مالك قال؛ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«الوَرْدُ الأَبْيَضُ خُلِقَ مِنْ عَرَقِي لَيْلَةَ المِعْرَاجِ، وَالوَرْدُ الأَحْمَرُ خُلِقَ مِنْ عَرَقِ جِبْرَئِيْلِ، وَالوَرْدُ الأَصْفَرُ خُلِقَ مِنْ البُرَاقِ»**. ٣٥٤

المصادر: مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤.

(الورد): قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«الوَرْدُ الأَحْمَرُ مِنْ عَرَقِ جِبْرَائِيْل عليه السلام»**. ٣٥٥

المصادر: مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤.

(الورد): قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«الوَرْدُ الأَصْفَرُ مِنْ عَرَقِ البُرَاقِ»**. ٣٥٤

المصادر: مكارم الأخلاق، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٧٣، ص: ١٤.

اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً بِالْحُرُوفِ غَيْرَ مُتَصَوَّتٍ، وَبِاللَّفْظِ غَيْرَ مُنْطَقٍ، وَبِالشَّخْصِ غَيْرَ مُجَسَّدٍ، وَبِالتَّشْبِيهِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ، وَبِاللَّوْنِ غَيْرَ مَصْبُوغٍ، مَنْفِيٌّ عَنْهُ الْأَقْطَارُ، مُبَعَّدٌ عَنْهُ الْحُدُودُ، مَحْجُوبٌ عَنْهُ حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ، مُسْتَتِرٌ غَيْرُ مَسْتُورٍ، فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مَعاً، لَيْسَ مِنْهَا وَاحِدٌ قَبْلَ الْآخَرِ، فَأَظْهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَسْمَاءٍ؛ لِفَاقَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهَا، وَحَجَبَ مِنْهَا وَاحِداً، وَهُوَ الِاسْمُ الْمَكْنُونُ الْمَخْزُونُ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١١٢. التوحيد، ص: ١٩٠. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ١٦٦.

٣٥٧ (**إن**): عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «**إِنَّ اللَّهَ عز وجل خَلَقَ الْعَرْشَ أَرْبَاعاً لَمْ يَخْلُقْ قَبْلَهُ إِلا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ؛ الْهَوَاءُ وَالْقَلَمُ وَالنُّورُ، ثُمَّ خَلَقَهُ مِنْ أَنْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَمِنْ ذَلِكَ النُّورِ نُورٌ أَخْضَرُ اخْضَرَّتْ مِنْهُ الْخُضْرَةُ، وَنُورٌ أَصْفَرُ اصْفَرَّتْ مِنْهُ الصُّفْرَةُ، وَنُورٌ أَحْمَرُ احْمَرَّتْ مِنْهُ الْحُمْرَةُ، وَنُورٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نُورُ الْأَنْوَارِ، وَمِنْهُ ضَوْءُ النَّهَارِ..**».

المصادر: التَّوحيد، ص: ٣٢٥-٣٢٦. الاختصاص، ص: ٧٢. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٣٧٥.

٢٢٠ (**إن**): عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ الْمُتَطَبِّبِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: تَرَوْنَ هَذَا الْخَلْقَ -وَأَوْمَأَ

بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعِ الطَّوَافِ- مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أُوجِبُ لَهُ اسْمَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْجَالِسُ -يَعْنِي: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام- فَأَمَّا الْبَاقُونَ فَرَعَاعٌ وَبَهَائِمُ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَكَيْفَ أَوْجَبْتَ هَذَا الِاسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ؟. قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَهُمْ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: لَا بُدَّ مِنِ اخْتِبَارِ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنْهُ. قَالَ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ. فَقَالَ: لَيْسَ ذَا رَأْيَكَ، وَلَكِنْ تَخَافُ أَنْ يَضْعُفَ رَأْيُكَ عِنْدِي، فِي إِحْلَالِكَ إِيَّاهُ الْمَحَلَّ الَّذِي وَصَفْتَ. فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: أَمَّا إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ هَذَا فَقُمْ إِلَيْهِ، وَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الزَّلَلِ، وَلَا تَثْنِي عِنَانَكَ إِلَى اسْتِرْسَالٍ؛ فَيُسَلِّمَكَ إِلَى عِقَالٍ، وَسِمْهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. قَالَ؛ فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَبَقِيتُ أَنَا وَابْنُ الْمُقَفَّعِ جَالِسَيْنِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْنَا ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَالَ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْمُقَفَّعِ! مَا هَذَا بِبَشَرٍ، وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِيٌّ يَتَجَسَّدُ، إِذَا شَاءَ ظَاهِراً، وَيَتَرَوَّحُ إِذَا شَاءَ بَاطِناً، فَهُوَ هَذَا. فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟. قَالَ: جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي ابْتَدَأَنِي فَقَالَ: **«إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ، وَهُوَ عَلَى مَا يَقُولُونَ -يَعْنِي: أَهْلَ الطَّوَافِ- فَقَدْ سَلِمُوا وَعَطِبْتُمْ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَقُولُونَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ فَقَدِ اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ»**. فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَيَّ شَيْءٍ نَقُولُ، وَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُونَ، مَا قَوْلِي

وَقَوْلُهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ. فَقَالَ: «وَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ وَاحِداً؛ وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ لَهُمْ مَعَاداً وَثَوَاباً وَعِقَاباً، وَيَدِينُونَ بِأَنَّ فِي السَّمَاءِ إِلَهاً، وَأَنَّهَا عُمْرَانٌ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ خَرَابٌ، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ..».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٧٤-٧٥. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٤٢.

٣٥٦ (إن): عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ رَفَعَهُ قَالَ؛ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْوَارٍ أَرْبَعَةٍ؛ نُورٍ أَحْمَرَ مِنْهُ احْمَرَّتِ الْحُمْرَةُ، وَنُورٍ أَخْضَرَ مِنْهُ اخْضَرَّتِ الْخُضْرَةُ، وَنُورٍ أَصْفَرَ مِنْهُ اصْفَرَّتِ الصُّفْرَةُ، وَنُورٍ أَبْيَضَ مِنْهُ ابْيَضَّ الْبَيَاضُ، وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي حَمَّلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ..».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ١٠.

٤٠١ (إن): عن الرِّضا عليه السلام من قوله: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُق شَيْئاً فَرْداً قَائِماً بِذَاتِهِ دُوْنَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

١١٧ (إن): عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نُورِهِ، وَصَبَغَهُم مِنْ رَحْمَتِهِ، [وَأَخَذَ مِيثَاقَهُم لَنَا بِالوَلَايَةِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ يَوْمَ عَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ]، فَالْمُؤْمِنُ أَخُ الْمُؤْمِنِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، أَبُوهُ النُّورُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ».

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٨٠. المحاسن، ج: ١، ص: ١٣١. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧٣، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

(إن): عَنْ حَبِيب السِّجِسْتَانِيِّ قَالَ؛ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ عزوجل لَمَّا أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ عليه السلام مِنْ ظَهْرِهِ لِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَبِالنُّبُوَّةِ لِكُلِّ نَبِيٍّ..قال عزوجل: إِنَّمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُونِ، وَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَبَدَنِي مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي، وَخَلَقْتُ النَّارَ لِمَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي وَلَمْ يَتَّبِعْ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي..**». ١٢٩

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٩. الاختصاص، ص: ٣٣٢-٣٣٣. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٠-١١. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٢٦.

(إن): قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين: «**..إِنَّ اللهَ إِذَا شَاءَ شَيْئاً أَرَادَهُ، وَإِذَا أَرَادَهُ قَدَّرَهُ، وَإِذَا قَدَّرَهُ قَضَاهُ، وَإِذَا قَضَاهُ أَمْضَاهُ..**». ٣٤٨

المصادر: المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢٢.

(إن): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ عزوجل أَنْ يُعَرِّفَهُ بَدْءَ الدُّنْيَا مُنْذُ كَمْ خُلِقَتْ؟، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى: تَسْأَلُنِي عَنْ غَوَامِضِ عِلْمِي؟. فَقَالَ: يَا رَبِّ!، أُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ. فَقَالَ:...ثُمَّ خَلَقْتُ أَبَاكَ آدَمَ عليه السلام بِيَدِي يَوْمَ الْجُمْعَةِ وَقْتَ الظُّهْرِ، وَلَمْ أَخْلُق مِن الطِّينِ غَيْرِهِ، وَأَخْرَجْتُ مِنْ صُلْبِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم..**». ٣٢٤

المصادر: جامع الأخبار، ص: ١٢٥. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٣.

(إن): قول أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام: «**إِنَّ اللهَ مَا خَلَقَ** ١١

العِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوْهُ، فَإِذَا عَرَفُوْهُ عَبَدُوْهُ، فَإِذَا عَبَدُوْهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِه عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاه».

المصادر: كنْز الفوائد، ج: ١، ص: ٣٢٨. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٩. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٣١٢.

(أن): قول الرضا عليه السلام لعمران الصَّابي: «**أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُق شَيْئاً فَرْداً قَائِماً بِذَاتِهِ دُوْنَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْه**». ٣١٤

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

(إن): قول الصادق عليه السلام: «**إِنَّ أَمْرَنَا هُوَ الحَقُّ، وَحَقُّ الحَقِّ، وَهُوَ الظَّاهِرُ، وَبَاطِنُ الظَّاهِرِ، وَبَاطِنُ البَاطِنِ، وَهُوَ السِّرُّ، وَسِرُّ السِّرِ، وَسِرّ [المُسْتَسِرّ، وَسِرٌّ مُقَنَّعٌ] بِالسِّرِ**». ٣٠٣

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٢٩. بحار الأنوار؛ ج: ٢، ص: ٧١، ما بين المعقوفتين أدرجناه من المصدر.

(إن): كَقَوْلِ الصَّادِقِ عليه السلام لِعَبْدِ الكَرِيْمِ ابْنِ أَبِي العَوْجَاء حِيْنَ أَنْكَرَ عَلَى الطَّائفِيْن بِالبَيْتِ الحَرَامِ، قَالَ -مَا مَعْنَاهُ-: «**إِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَقُوْلُوْنَ، وَلَيْسَ كَمَا تَقُوْلُوْنَ؛ فَأَنْتُمْ وَهُمْ سَوَاء، وَإِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا يَقُوْلُوْنَ، وَهُوَ كَمَا يَقُوْلُوْنَ؛ فَقَدْ نَجَوْا وَهَلَكْتُمْ**». ٨٤ ٢٢٠

المصادر: ورد نصُّ هذه الرواية في خبرٍ طويل جدّاً، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ٧٤-٧٥. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٤٢.

(إنما): قَالَ النَّبيُّ ﷺ: **«إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ؛ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ»**. ٢٢٣

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٣٢. وسائل الشيعة، ج: ١٧، ص: ٣٢٧. بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٢١١. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٧٩. منية المريد، ص: ١١٣.

(إنما): قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا»**. ٢٥٩

المصادر: الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٠. أعلام الدين، ص: ٥٩. تحف العقول، ص: ٦١. التوحيد، ص: ٣٩. نهج البلاغة، ص: ٢٧٣. عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص:١٥٢. شرح نهج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٧. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٩.

(أنه): وذكر عليه السلام في حديث آخر: **«أَنَّهُ هُوَ نُوْرُ اللهِ الَّذي خَلَقَ اللهُ مِنْهُ الْمُؤْمِن، وَأَنَّهُ هُوَ نُوْرُ اللهِ الَّذي هُوَ الفَرَاسَةُ»**. ٢٠٩

المصدر: بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢١.

(أول): قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ..»**. ١٤

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٤٠. التوحيد، ص: ٥٦. الاحتجاج، ج: ١، ص: ١٩٩. عوالي اللآلي، ج:٤، ص:١٢٦. نهج البلاغة، ص:٣٩. نهج الحق، ص:٦٥.

(آية): في الحديث النبوي ﷺ: **«آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَفَرِيضَةٌ عَادِلَة، وَسُنَّةٌ قَائِمَة؛ وَمَا خَلَا ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ»**. ٢٢٣

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٣٢. وسائل الشيعة، ج: ١٧، ص:

خَلْقَهُ، وَقَدْ يَكُوْن الخَلْقُ سَاكِناً وَمُتَحَرِّكاً، وَمُخْتَلِفاً وَمُؤْتَلِفاً، وَمَعْلُوْماً وَمُتَشَابِهاً، وَكُلّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ حَدٌّ فَهُوَ خَلْقُ اللهِ ﷻ».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. تحف العقول، ص: ٤٢٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦، وَج: ٥٤، ص: ٥٠.

(حرف التاء)

(**تدلج**): قَالَ عليه السلام: «**تُدْلِجُ بَيْنَ يَدَي الْمُدْلِجِ مِنْ خَلْقِكَ**». ١٢٦

المصادر: من أدعية قيام الليل، مروي عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، راجع: الكافي، ج: ٢، ص: ٥٣٨. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ١٢٣. وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٣٤. مفتاح الفلاح، ص: ٢٩٣. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٨٧.

(**تعلم**): قال الرِّضا عليه السلام ليونس: «**تَعْلَمُ مَا المَشِيْئَة؟**. قال: لا. **قال: هِيَ الذِّكْرُ الأَوَّلُ، تَعْلَمُ مَا الإِرَادَة؟**. قال: لا.**قال: هِيَ العَزِيْمَةُ عَلَى مَا يَشَاء، تَعْلَمُ مَا القَدَر؟**. قال: لا. **قال: هِيَ الهَنْدَسَةُ، وَوَضْعُ الحُدُوْدِ مِن البَقَاء وَالفَنَاء**». ٣٣٧

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٧-١٥٨. تفسير القمي، ج: ١، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٦-١١٧.

(حرف الثاء)

(**ثم**): قال الإمام الرِّضا عليه السلام في احتجاجه على أرباب الملل المختلفة والأديان المتشتتة في مجلس المأمون: «..**ثُمَّ جَعَلَ الحُرُوْفَ بَعْدَ إِحْصَائِهَا وَإِحْكَامِ عِدَّتِهَا فِعْلاً مِنْهُ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُنْ** ٣٦٧

وَجَمِيْعُ مَا فِي القُرْآن فِي فَاتِحَة الكِتَاب، وَجَمِيْعُ مَا فِي فَاتِحَة الكِتَاب فِي بِسْمِ اللهِ، وَجَمِيْعُ مَا فِي بِسْمِ اللهِ فِي البَاء، وَجَمِيْعُ مَا فِي البَاء فِي النُّقْطَة تَحْتَ البَاء، وَأَنَا النُّقْطَةُ تَحْتَ البَاء».

المصادر: شرح خطبة البيان، ص: ١٣، وقريب منه في: مشارق أنوار اليقين، ص: ٢١. المجلي، ص: ٤٠٩. مصابيح الأنوار، ج: ١، ص: ٤٣٥. نور البراهين، ج: ٢، ص: ٤

(حرف الذال)

(**ذهب**): لأنهم عليهم السلام قالوا: «..**ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُوْنٍ كَدِرَةٍ يُفْرِغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُوْنٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا، لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاع**». ٤٣

المصادر: الكافي - الشيخ الكليني، ج: ١، ص: ١٨٤.

(حرف الراء)

(**رحمه**): وعن داود أبي هاشم الجعفري قال؛ قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في هشام بن الحكم؟، فقال: «**رَحِمَهُ اللهُ، مَا كَانَ أَذَبَّهُ عَنْ هَذِهِ النَّاحِيَة**». ١٨

المصادر: راجع لأحواله: الفهرست؛ للطوسي، ص: ١٧٤-١٧٥. رجال ابن داود، ص: ٣٦٧. رجال العلامة الحلي، ص: ١٧٨. رجال الكشي، ص: ٢٥٥.

(حرف الصاد)

(**صور**): سُئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال: «**صُوَرٌ عَارِيَةٌ عَنِ المَوَادِّ، عَالِيَةٌ عَنِ القُوَّةِ وَالاسْتِعْدَادِ، تَجَلَّى لَهَا فَأَشْرَقَت،** ٣٦٧

وَطَالَعَهَا فَتَلَألَأت، وَأَلْقَى فِي هَوِيَّتِهَا مِثَالَهُ، فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ، وَخَلَقَ الإِنْسَانَ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَةٍ، إِنْ زَكَّاهَا بِالعِلْمِ فَقَد شَابَهَتْ جَوَاهِرَ أَوَائِلَ عِلَلِهَا، وَإِذَا اعْتَدَلَ مِزَاجُهَا وَفَارَقَتْ الأَضْدَادَ فَقَدْ شَارَكَ بِهَا السَّبْعَ الشِّدَادَ».

المصادر: المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. غرر الحكم، ص: ٢٣١. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥.

(حرف الظاء)

٣٧١ **(ظهرت)**: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: **«ظَهَرَت المَوْجُوْدَاتُ مِنْ بَاءِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ»**.

المصادر: ورد ما يُشبهه في مصابيح الأنوار، ج: ١، ص: ٣٤٥. نور البراهين، ج: ٢، ص: ٣.

(حرف العين)

٣٤٥ **(علم)**: عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ؛ سُئِلَ الْعَالِمُ عليه السلام: كَيْفَ عِلْمُ اللَّهِ؟. قَالَ: **«عَلِمَ وَشَاءَ، وَأَرَادَ وَقَدَّرَ، وَقَضَى وَأَمْضَى، فَأَمْضَى مَا قَضَى، وَقَضَى مَا قَدَّرَ، وَقَدَّرَ مَا أَرَادَ، فَبِعِلْمِه كَانَتِ الْمَشِيئَةُ، وَبِمَشِيئَتِه كَانَت الْإِرَادَةُ، وَبِإِرَادَتِه كَانَ التَّقْدِيرُ، وَبِتَقْدِيرِه كَانَ الْقَضَاءُ، وَبِقَضَائِه كَانَ الْإِمْضَاءُ، وَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ، وَالْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ، وَالْإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْإِمْضَاءِ..»**.

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٤٨-١٤٩. التوحيد، ص: ٣٣٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٠٢.

(حرف الفاء)

(فبالمشيئة): من حديث الكاظم عليه السلام في قوله: «فَبِالمَشِيْئَةِ كَانَت الإِرَادَة، وَبِالإِرَادَةِ كَانَ القَدَر...إلخ». ٣٥٠

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٤٨-١٤٩. التوحيد، ص: ٣٣٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٠٢.

(فجعلتهم): قال الحجة عليه السلام في دعاء شهر رجب: «فَجَعَلْتَهُم مَعَادنَ لكَلمَاتكَ، وَأَرْكَاناً لتَوْحيْدكَ وَآيَاتكَ وَعَلَامَاتكَ، وَمَقَامَاتكَ الَّتي لَا تَعْطيْلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ..». ٢٥٤

المصدر: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٩٣.

(فنسألك): في أدعية يوم السابع والعشرين من رجب: «فَنَسْأَلُكَ بِهِ، وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ، الأَجَلِّ الأَكْرَمِ؛ الَّذي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ». ٣١٠

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمين، ص: ١٨٤. المصباح للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتهجد، ص: ٨١٥.

(في): عن صالح بن سهل قال؛ سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾، قال: «فِي أَمِيرِ المُؤْمِنِيْنَ ٢١

(حرف القاف)

لَيْسَ بِشَيْء. وَقَالَ هِشَام: النَّفْيُ شَيْءٌ- فَقَالَ عليه السلام: **«قُلْ بِقَوْلِ هِشَامٍ فِيْ هَذِهِ المَسْأَلَة»**.

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٢٢.

(حرف الكاف)

(**كان**): عن شعيب الحداد، عن أبي جعفر عليه السلام قال -في تفسيره للآية-: **«كَانَ مَذْكُوْراً فِي العِلْمِ، وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُوْراً فِي الخَلْقِ»**. ٢٤٨

المصدر: بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٣٢٨.

(**كان**): قال الصَّادق عليه السلام: **«كَانَ مَذْكُوْراً فِي العِلْمِ، وَلَمْ يَكُنْ مُكَوَّناً»**. ٢٤٨

المصدر: بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٣٢٨.

(**كشف**): قال عليه السلام: **«كَشْفُ سُبُحَات الجَلَالِ مِنْ غَيْرِ إِشَارَة»**. ٢٣٠

المصادر: جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وَص: ١٧٠.

(**كل**): بِقَوْلِهِ عليه السلام: **«كُلّ مَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم فِي أَدَقِّ مَعَانِيْهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوْعٌ] مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم»**. ١٣٤

المصادر: روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

(**كل**): دُعَاءِ يَوْمِ السَّبْتِ -رَوَاهُ فِي المِصْبَاحِ- قَالَ عليه السلام: **«كُلُّ شَيْء سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ»**. ١٥٨

المصادر: مصباح المتهجد، ص: ٤٣١. البلد الأمين، ص: ٩٧. بحار

المصادر: رواه محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، راجع: عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٨.

(حرف اللام)

وَكِتَابٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْصٍ وَاحِدَةٍ فَقَدْ كَفَرَ».

المصادر: المحاسن، ج: ١، ص: ٢٤٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٢١.

(**لأنه**): قال الرِّضا عليه السلام: «..**لَأَنَّهُ لَا يُؤَلِّف شَيء مِنْ ثَلَاثَة أَحْرُف أَوْ أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ، أَوْ أَكْثَر أَوْ أَقَلّ؛ إِلَّا لِمَعْنىً مُحْدَث لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلك**». ٢٣٣

المصادر: التَّوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٥.

(**لأنها**): رُوِي عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ سئل لِم سُمِّيَت الكعبة كَعْبَةً؟. قال: «**لِأَنَّهَا مُرَبَّعَةٌ**. فقيل لَه: ولِمَ صَارَتْ مُرَبَّعَةً. قال: **لِأَنَّهَا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَهُوَ مُرَبَّعٌ**. فقيل لَه: ولِمَ صَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مُرَبَّعاً؟. قال: **لِأَنَّهُ بِحِذَاءِ الْعَرْشِ، وَهُوَ مُرَبَّعٌ**. فقيل لَه: ولِمَ صَارَ الْعَرْشُ مُرَبَّعاً؟. قال: **لِأَنَّ الْكَلِمَات الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ أَرْبَعٌ؛ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**». ٢٩٧

المصادر: من لا يحضره الفقيه، ج: ٢، ص: ١٩. علل الشرائع، ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٥.

(**للجنة**): قَالَ سُبْحَانَهُ: «**لِلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَلِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي**». ١٢٩

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٩. الاختصاص، ص: ٣٣٢-٣٣٣. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٠-١١. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٢٦.

(**لم**): في بعض الأخبار: «**لَمْ يُخلَق مِنْهَا شَيْء مِنَ الطِّيْنِ غَيْرِكُمْ**». ٣٢٤

(حرف الميم)

(**ما**): أثنى الله تعالى على العقل فقال: «**مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ أُثِيبُ وَبِكَ أُعَاقِبُ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أُحِبُّ**». ٤١٣

المصادر: من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٦٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٦٠. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩-١٠٠. مستطرفات السرائر، ص: ٦٢٠. مكارم الأخلاق، ص: ٤٤٢.

(**ما**): قوله ﷻ: «**مَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحْبَبْتُ**». ٤١٣

المصادر: أعلام الدين، ص: ١٧٢. كنْز الفوائد، ج: ١، ص: ٥٧.

(**مالك**): روي عن كُميل بن زياد؛ أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقيقة المحمَّديَّة بقوله: ما الحقيقة؟. فقال عليه السلام له: «**مَالَكَ وَالحَقِيْقَة؟**. فقال كُميل: أ ولستُ صاحب سرِّك؟. قال عليه السلام: **بَلَى، وَلَكِنْ يَرْشَحُ عَلَيْكَ مَا يَطْفَحُ مِنِّي**. فقال كُميل: أومثلك يُخيِّب سائلاً!. قال عليه السلام: **الحَقِيْقَةُ؛ كَشْفُ سُبُحَاتِ الجَلَالِ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ**. فقال كُميل: زدني فيه بياناً. قال عليه السلام: **هَتْكُ السِّرِّ لِغَلَبَةِ السِّتْرِ**. فقال كُميل: زدني فيه بياناً. قال عليه السلام: **نُوْرٌ أَشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الأَزَلِ، فَيَلُوْحُ عَلَى هَيَاكِلِ التَّوْحِيْدِ آثَارُهُ**. فقال كُميل: زدني فيه بياناً. قال عليه السلام: **أَطْفِئِ السِّرَاجَ، فَقَدْ طَلَعَ الصُّبْحُ**». ٣٥١

المصادر: الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وص: ١٧٠.

المصادر: غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عـوالي الـلآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ١٥٦. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٢٩. بحـار الأنـوار، ج: ٥٨، ص: ٢٩٩.

(من): قالوا عليهم السلام: **«مَنْ عَرَفَنا عَرَفَ اللهَ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنا لَمْ يَعْرِفِ اللهَ»**. ٢٧٥

المصادر: بحـار الأنـوار، ج: ١٦، ص: ٣٦٤ - ج: ٢٣، ص: ١٢٨. الأمالي للصدوق، ص: ٦٥٧. كمال الدين، ج: ١، ص: ٢٦١.

(منه): عنه عليه السلام قوله: **«مِنْهُ البَيَاضُ، وَمِنْهُ ضَوْءُ النَّهَارِ»**. ٣٥٧

المصادر: التَّوحيد، ص: ٣٢٥-٣٢٦. الاختـصاص، ص: ٧٢. تفـسير القمي، ج: ٢، ص: ٢٤. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٣٧٥.

(نحن): أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام في الرواية عَنْ أَبي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام؛ فِي حَدِيث أَنَّهُ قَالَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: **«نَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّه عزّ وجلّ لِمَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِنَا، حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتُونَا؛ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً﴾، وَالْقُرَى الظَّاهِرَةُ: الرُّسُلُ وَالنَّقَلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا وَفُقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ﴾؛ فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ يَسِيرُ بِه. ﴿لَيالِيَ وَأَيَّاماً﴾؛ مَثَلًا لِمَا يَسِيرُ بِه مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْفَرَائِضِ. ﴿آمِنِينَ﴾ فِيهَا إِذَا أَخَذُوا عَنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَأْخُذُوا عَنْهُ، آمِنِينَ مِنَ** ١٩٢

الشَّكِّ وَالضَّلَالِ، وَالنُّقْلَة إِلَى الْحَرَامِ مِنَ الْحَلَالِ، فَهُمْ أَخَذُوا الْعِلْمَ عَمَّنْ وَجَبَ لَهُمْ بِأَخْذِهِمْ عَنْهُمُ الْمَغْفِرَةَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا، ذُرِّيَّةٌ مُصَفَّاةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ..».

المصادر: الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٢٧. تأويل الآيات الظّاهرة، ص: ٤٦٢. وسائل الشيعة، ج: ٢٧، ص: ١٥٢. مستدرك الوسائل، ج: ١٧، ص: ٣١٦.

(حرف النون)

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٨٤. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ١٨. تفسير العياشي، ج:٢، ص: ١٩. تفسير فرات الكوفي، ص: ١٤٣. بصائر الدرجات، ص: ٤٩٧. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٣٨.

المصادر: جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وَص: ١٧٠.

(حرف الهاء)

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤١٤. الاختصاص، ص: ١٩٨. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٦٣. تحف

العقول، ص: ٣٧. العدد القوية، ص: ٣٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٤. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

٣٢٥ (هو): عن عيسى بن راشد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، قال: **«هُوَ نُوْرُ العِلْمِ فِي صَدْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾؛ وَالزُّجَاجَةُ: صَدْرُ عَلِيٍّ عليه السلام، صَارَ عِلْمُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله إِلَى صَدْرِ عَلِيٍّ، عَلَّمَ النَّبِيُّ عَلِيّاً (صلى الله عليه وآله) عِلْمَهُ. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾؛ نُوْرُ العِلْمِ. ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾؛ لَا يَهُوْدِيَّة وَلَا نَصْرَانِيَّة. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾؛ قال: يَكَادُ العَالِمُ مِنْ آلِ مُحَمَّد يَتَكَلَّمُ بِالعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَل. ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾؛ أَي: إِمَامٌ مُؤَيَّدٌ بِنُوْرِ العِلْمِ وَالحِكْمَة، فِي أَثَرِ إِمَامٍ مِنْ آلِ مُحَمَّد، وَذَلِكَ مِنْ لَدُن آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُوْمَ السَّاعَة، فَهَؤُلَاء الأَوْصِيَاء الَّذِيْنَ جَعَلَهُمْ اللهُ خُلَفَاءه فِي أَرْضِه، وَحُجَجَهُ عَلَى خَلْقِه؛ لَا تَخْلُو الأَرْضُ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنْ وَاحِد مِنْهُم»**.

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٩٥. تأويل الآيات الظّاهرة، ص: ٣٥. تفسير فرات الكوفي، ص: ٢٨١. تفسير القمّي، ج: ٢، ص: ١٠٣. التّوحيد، ص: ١٥٧. الصِّراط المستقيم، ج: ٢، ص: ٤٢. كشف اليقين، ص: ٤١٦. معاني الأخبار، ص: ١٥. المناقب، ج: ١، ص: ٢٨٠. نهج الحق، ص: ٢٠٧.

٣٨٦ (هي): عَنْ مُحَمَّد بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ؛ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَمَّا يَرْوُونَ: (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)؟، فَقَالَ: **«هِيَ صُورَةٌ**

مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، اصْطَفَاهَا اللَّهُ وَاخْتَارَهَا عَلَى سَائِرِ الصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا أَضَافَ الْكَعْبَةَ إِلَى نَفْسِهِ، وَالرُّوحَ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿بَيْتِيَ﴾[سورة البقرة، الآية:١٢٥]، **وَقَال: ﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾**[سورة ص، الآية:٢٩]».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٣٤. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٢٣. التوحيد، ص: ١٠٣.

(حرف الواو)

(وأسماؤه): قَالَ الرِّضَا عليه السلام: «**وَأَسْمَاؤُهُ تَعْبِيرٌ، وَصِفَاتُهُ تَفْهِيمٌ**». ١٧٤

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦. الأمالي للمفيد، ص: ٢٥٥. الأمالي للطوسي، ص: ٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. العدد القوية، ص: ٢٩٥. تحف العقول، ص: ٦٣. أعلام الدين، ص: ٦٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٩.

(واعلم): قال عليه السلام: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الوَاحِدَ...لَمْ يَخْلُق شَيْئاً فَرْداً قَائماً بِنَفْسِهِ دُوْنَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِن الدَّلَالَةِ عَلَى نَفْسِهِ**». ٣١٤

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

(وألقى): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَأَلْقَى فِي هَوِيَّتِهَا مِثَالَهُ، فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ..**». ٣٦٧

المصادر: المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. غرر الحكم، ص: ٢٣١. الصراط

المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥.

(**والله**): من مناظرات الإمام الرِّضا علي بن موسى (صلوات الله عليه) واحتجاجه على أرباب الملل المختلفة، والأديان المتشتتة في مجلس المأمون، قال عليه السلام: «..**وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَابِقٌ لِلإِبْدَاعِ؛ لِأَنَّه لَيْسَ قَبْلَهُ عزّ وجلّ شَيء، وَلَا كَانَ مَعَهُ شَيء، وَالإِبْدَاعُ سَابِقٌ لِلحُرُوْفِ، وَالحُرُوْف لَا تَدُلُّ عَلَى غَيْرِ نَفْسِهَا.** قال المأمون: وكيف لا تدل على غير نفسها؟ قال الرِّضا عليه السلام: **لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَجْمَعُ مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ مَعْنَى أَبَداً، فَإِذَا أَلَّفَ مِنْهَا أَحْرُفاً أَرْبَعَة أَوْ خَمْسَة أَوْ سِتَّة أَوْ أَكْثَر مِنْ ذَلكَ أَوْ أَقَلُّ لَمْ يُؤَلِّفْهَا لِغَيْرِ مَعْنى، وَلَمْ يَك إِلَّا لِمَعْنَى مُحْدَثٍ، لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلكَ شَيْئاً..**». ٢٣٣

المصادر: التَّوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٥.

(**وباسمك**): في الدُّعاء: «**وَبِاسْمِكَ الَّذي اسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ**». ٣١٣

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمين، ص: ١٨٤. المصباح للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتهجد، ص: ٨١٥.

(**وذلك**): قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الحَدِيْثِ القُدْسِيِّ: «**وَذَلكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي**». ١٥٦

المصادر: ورد بطرق متعدِّده، وبألفاظ مختلفه، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٢. تفسير العياشي، ج: ١، ص: ٢٥٨. تفسير القمي، ج: ٢،

ص: ٢١٠. التوحيد، ص: ٣٣٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٣. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩-٣٥٠. قرب الإسناد، ص: ١٥١. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(**وغبوره**): قوله عليه السلام: «**وَغبُورُهُ تَجْديْدٌ لِمَا سِوَاهُ**». ١٧٢

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦.

(**وكمال**): أشار علي عليه السلام بقوله: «**وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ..إلخ**». ٢٩٤

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٤٠. التوحيد، ص: ٥٧.

(**وكمال**): قال عليه السلام: «**وَكَمَالُ تَوْحِيده الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ..**». ٢٩٥

المصادر: نهج البلاغة، ص: ٣٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ١٩٩. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٢٦. نهج الحق، ص: ٦٥.

(**ومقاماتك**): قَالَ الحُجَّةُ عليه السلام فِي الإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ فِي دُعَاءِ رَجَبٍ: «**وَمَقَامَاتكَ الَّتِي لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤُهَا مِنْكَ، وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ...إِلَخ**». ١٢٧

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٩٣.

(ونور): عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «**وَنُورٌ أَبْيَضُ، مِنْهُ** ٣٥٦

ابْيَضَّ البَيَاضُ..».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٢٩. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ١٠.

(وهذا): روى محمد بن علي الطرازي بإسناده إلى أبي علي بن إسماعيل بن يسار قال: لَمَّا حمل موسى عليه السلام إلى بغداد، وكان ذلك في رجب سنة تسع وسبعين ومائة، دعا بهذا الدُّعاء، وهو من مذخور أدعية رجب: «..**وَهَذَا رَجَبُ المُرَجَّبُ [المُكَرَّم]، الَّذي أَكْرَمْتَنَا به، أَوَّلَ الأَشْهُرِ الحُرُم، أَكْرَمْتَنَا به منْ بَيْنِ الأُمَمِ، يَا ذَا الجُوْدِ وَالكَرَمِ، فَنَسْأَلُكَ بِهِ، وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَم، الأَجَلِّ الأَكْرَمِ، الَّذي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقرَّ فِي ظلِّكَ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ؛ أَنْ تُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِيْن**». ٢٨٩

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٦٧٨. البلد الأمين، ص: ١٨٤. المصباح للكفعمي، ص: ٥٣٦. مصباح المتهجِّد، ص: ١٥.

(حرف الياء)

(يا): روي عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربَّه سبحانه ليلة المعراج فقال: «**يَا رَبِّ! أَيُّ الأَعْمَال أَفْضَلُ؟. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: لَيْسَ شَيْء أَفْضَلُ عِنْدي مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمْتُ. يَا مُحَمَّدُ! وَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلمُتَحَابِّيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلمُتَعَاطِفيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلمُتَوَاصِلِيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلمُتَوَكِّلِيْنَ عَلَيَّ، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتي عِلْمٌ وَلَا غَايَة** ١٢٧

وَلَا نِهَايَة، وَكُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُم عِلْماً وَضَعْتُ لَهُم عِلْماً. أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ نَظَرُوْا إِلَى المَخْلُوْقِيْنَ بِنَظَرِي إِلَيْهِم، وَلَمْ يَرْفَعُوْا الحَوَائِجَ إِلَى الخَلْقِ، بُطُوْنُهُم خَفِيْفَةٌ مِنْ أَكْلِ الحَرَامِ، نَعِيْمُهُم فِي الدُّنْيَا ذِكْرِي وَمَحَبَّتِي، وَرِضَائِي عَنْهُم».

المصادر: إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٩٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٢١-٢٢.

٣٢٣ (يا): عن جابر بن يزيد قال؛ سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[سورة ق، الآية:١٥]؟. قال: «يَا جَابِرُ! تَأْوِيْلُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ عزّ وجلّ إِذَا أَفْنَى هَذَا الخَلْقَ وَهَذَا العَالَمْ، وَسَكَنَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّة، وَأَهْلُ النَّارِ النَّار؛ جَدَّدَ اللهُ عَالَماً غَيْرَ هَذَا العَالَم، وَجَدَّدَ خَلْقاً مِنْ غَيْرِ فُحُوْلَةٍ وَلَا إِنَاث، يَعْبُدُوْنَهُ وَيُوَحِّدُوْنَهُ، وَخَلَقَ لَهُمْ أَرْضاً غَيْرَ هَذِهِ الأَرْض تَحْمِلُهُم، وَسَمَاءً غَيْرَ هَذِهِ السَّمَاء تُظِلُّهُم. لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ اللهَ إِنَّمَا خَلَقَ هَذَا العَالَمَ الوَاحِد، وَتَرَى أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُق بَشَراً غَيْرَكُمْ، بَلَى -وَاللهِ- لَقَدْ خَلَقَ اللهُ أَلْفَ أَلْفَ عَالَمْ، وَأَلْفَ أَلْفَ آدَمْ، أَنْتَ فِي آخِرِ تِلْكَ العَوَالِم، وَأُوْلَئِكَ الآدَمِيِّيْن».

المصادر: التوحيد، ص: ٢٧٧. الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤.

٤١٣ (يا): عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي

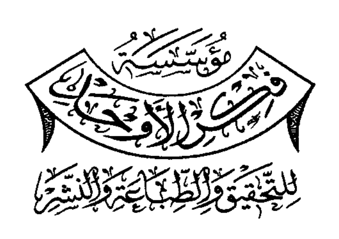
طَالب عليه السلام، عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «..**يَا عَلِـيُّ إِنَّ أَوَّلَ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللّٰهُ عز وجل الْعَقْلُ، فَقَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ. فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي، وَبِكَ أُثِيبُ وَبِكَ أُعَاقِبُ**».

المصادر: من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٦٩. بحـار الأنـوار، ج: ٧٤، ص: ٦٠. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩-١٠٠. مستطرفات السرائر، ص: ٦٢٠. مكارم الأخلاق، ص: ٤٤٢.

٢٨٢ (يا): عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ؛ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: «**يَا يُونُسُ لَا تَقُلْ بِقَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ، فَإِنَّ الْقَدَرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَا بِقَوْلِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا: ﴿الْحَمْدُ للّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ﴾، وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾، وَقَالَ إِبْلِيسُ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾. فَقُلْتُ: وَاللّٰهِ مَا أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وَلَكِنِّي أَقُولُ؛ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا شَاءَ اللّٰهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى. فَقَالَ: يَا يُونُسُ! لَيْسَ هَكَذَا، لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، يَا يُونُسُ! تَعْلَمُ مَا الْمَشِيئَةُ؟، قُلْتُ: لَا. قَالَ: هِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ، فَتَعْلَمُ مَا الْإِرَادَةُ؟. قُلْتُ: لَا. قَالَ: هِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ، فَتَعْلَمُ مَا الْقَدَرُ؟. قُلْتُ: لَا. قَالَ: هِيَ الْهَنْدَسَةُ، وَوَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ. قَالَ ثُمَّ قَالَ: وَالْقَضَاءُ هُوَ الْإِبْرَامُ وَإِقَامَةُ**

فهرس موضوعات الكتاب

(ج: ١)



الموزع الرئيسي لإصدارات مؤسسة فكر الأوحد قدس سره

مكتبة الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره **- سوريا - السيدة زينب** عليها السلام

هاتف نقال: (٠٠٩٦٣٩٣٣٠٦٧٦٦) - ص.ب: (٢١٣) .

الموقع الإلكتروني: *www.FikrALawhad.net*

البريد الإلكتروني: *Radi@FikrALawhad.net*